منبر الإسلام

العدد الرابع

السنة ٢٨ • ربيع الآخر ١٣٩٠ • يونيو ١٩٧٠

الثمن ١٠ قروش

مع العدد هديتان

- تفسير سورتى "فاتحة الكتاب وسورة البقرة"
- "الفردوس" مجلة الطفل المسلم

منبر الإسلام

مجلة الثقافة الإسلامية

يصدرها
المجلس
الأعلى
للشئون
الإسلامية
في غرة كل شهر عربي

العدد الرابع • السنة ٢٨ • ربيع الآخر ١٣٩٠

رئيس
التحرير

محمد توفيق عويضة

بسم الله الرحمن الرحيم

وجاهدوا فى الله حق
جهاده هو اجتباكم

« صدق الله العظيم »

الاشتراكات عن سنة

١٠٠ قرش فى الجمهورية العربية المتحدة

٨٠ قرشا للعمال والطلبة

يضاف الى هذا قيمة البريد خارج الجمهورية العربية المتحدة وما يساوى قيمة هذه العملة فى البلاد الأخرى

تقبل كوبونات البريد الدولى ذات القرشين

الاشتراكات تدفع مقدما

العنوان
٣ شارع الامير قدادار
المتفرع من ميدان التحرير
القاهرة - تليفون ٢٨١٥٦

من محتويات العدد

● نص خطابى السيد الرئيس جمال عبد الناصر فى المؤتمر الشعبى فى الخرطوم وفى الكلية الحربية بجبل الاولياء .

● نص الكلمات التى ألقيت فى الحفل الذى اقامه المجلس الاعلى للشئون الاسلامية احياء لذكرى المولد النبوى الشريف .

● كلمة السيد حسين الشافعى عضو اللجنة التنفيذية العليا

● كلمة فضيلة الامام الاكبر الدكتور محمد محمد الفحام شيخ الازهر .

● كلمة السيد الدكتور عبد العزيز كامل وزير الاوقاف وشئون الازهر .

● كلمة السيد سكرتير عام المجلس الاعلى للشئون الاسلامية .

● الوحدة الانسانية ....
الاستاذ احمد حسين

● انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون
فضيلة الشيخ عبد الجليل عيسى

● تطبيقات : المراة والرق
الاستاذ فتحى رضوان

● الوجدان العربى المشترك
الدكتور احمد الحوفى

● من قصص السنة
فضيلة الشيخ محمود هاشم

● تفسير القرآن وعلى اى منهج ينبغى ان يكون
الدكتور مصطفى زيد

● الطريق الى الله ..
الاستاذ احمد زين

● من أحكام الشريعة الاسلامية وآدابها ....
فضيلة الشيخ محمد خاطر

● قراءة القرآن
الدكتور بدوى طبانه

● معالم على طريق النصر
فضيلة الشيخ احمد البسيونى

● من التراث الفنى الاسلامى
الدكتور حسن الباشا

● دلائل الحق فى عظمة الوجود
الدكتور عزت محمد خيرى

● منارة فى شدوان (قصة العدد)
الاستاذ محمد ابو الخير

معالم الطريق

لقاء الثوار .. لقاء التصميم .. لقاء الارادة
لقاء من أجل الهدف الكبير ... النصر

نص خطابي

السيد الرئيس جمال عبد الناصر

في المؤتمر الشعبي بالخرطوم
والكلية الحربية بجبل الأولياء

٢٨ مايو ١٩٧٠

نص الخطاب التاريخي الهام
الذى ألقاه السيد
الرئيس جمال عبد الناصر
فى المؤتمر الشعبى بالخرطوم

أمام عشرات الالوف من ابناء السودان الذين احتشدوا فى المدينة الرياضية بالخرطوم وبين عاصفة مدوية من الهتافات والتصفيق بدأ الرئيس خطابه السياسى التاريخى فى ثورة السودان وحيا ثورة ليبيا وأشار الى التقاء الثورات الثلاث ، والى مؤتمر طرابلس والاتفاق على السير فى طريق واحد من اجل شعوب الدول الثلاث ..

ثم قال الرئيس ..

حينما بدأنا اتفاق طرابلس قد آلينا على أنفسنا أن نكون حريصين فى كل خطوة من الخطوات حتى لا نمكن الاستعمار وحتى لا نمكن الرجعية ، وحتى لا نمكن اعداء الامة العربية من ان يضللوا شعوبنا . وبهذا نجنب الامة العربية انفصال الوحدة التى تمت بين مصر وسوريا .

اننا نقاتل من أجل أمة واحدة ، من أجل وطن واحد ، ومن أجل شعب واحد ، ومن أجل عدو متكالب علينا جميعا .

ولكنا حين نكافح يجب أن نكافح بسلاح قوى قادر هو سلاح وعى الجماهير ، سلاح وعى الشعب ، سلاح معرفة الجماهير لكل خطوة نتخذها . ويجب علينا - أيها الاخوة - قبل أن نتخذ أى خطوة من الخطوات أن نعرضها على الشعب بتنظيماته السياسية حتى لا يضلل الشعب من القوى الاجنبية والاذاعات الاجنبية . وحتى لا ندخل فى معركة اخرى نعطى لاعداء الامة العربية سلاحا كاذبا يستخدمونه ضدنا ، ضد هذه الثورات التى آلت على نفسها ان تسير فى طريق الحرية والاشتراكية والوحدة .

هذا - أيها الاخوة - الدرس الذى أخذناه بعد انفصال الوحدة الرائدة فى سنة ٥٨ ، يجب أن تكون الشعوب على وعى تام بكل خطوة نتخذها .

وقد اتفقنا اليوم حينما اجتمعنا نحن رؤساء الدول الثلاث على أن لا نأخذ أى خطوة من الخطوات قبل ان نناقشها شعبيا وجماهيريا بواسطة الشعب فى كل بلد من البلدان الثلاثة ، وبواسطة الجماهير حتى نحصن الجماهير ضد قوى الثورة المضادة ، وحتى نحصن الجماهير ضد قوى الاستعمار وحتى نحصن الجماهير ضد القوى التى حاولت دائما أن تضعنا فى مناطق النفوذ وتحاول دائما أن تضعنا فى مناطق النفوذ .

ونحن نعتقد بعون الله وبكم اننا سنسير فى اتفاقنا ، اتفاق طرابلس الذى وقع فى ديسمبر من العام الماضى خطوة خطوة ، كى نحقق مصالح الامة العربية كلها .

سنصمد فى حرب الاستنزاف

قوة الدول الثلاث

اننا نكون قوة من دول ثلاث متجاورة تجمع مواردها ، تجمع قوتها وتجمع الشعوب العربية الموجودة فيها من أجل الامة العربية ومن اجل قوتها ومن أجل الدفاع عن هذه الدول : ومن أجل البناء ومن أجل التعمير ، ومن أجل تعويض ما فات .

لقد اتفقنا اليوم على أننا فى أى خطوة نتخذها نطرحها للمناقشة الجماهيرية الشعبية فاذا وافقت الجماهير الشعبية على هذه الخطوة فاننا نضعها موضع التنفيذ . واذا وجدت الجماهير الشعبية انها تريد مزيدا من الايضاح أو مزيدا من الدراسة . فليكن مزيد من الايضاح ومزيد من الدراسة .

منذ عام ١٩٥٢ دخلنا معارك طويلة ، فى عام ١٩٥٨ دخلنا فى معركة ضد الاستعمار حينما أعلنا الدعم الكامل لثورة العراق ، ثورة يوليو ٥٨ .

ثم بعد هذا اعلنا أيضا الدعم لكل الثورات العربية وقبل هذا أيضا ، اعلنا الدعم لثورة الجزائر حينما بدأت ثورة الجزائر ، وبعد هذا أعلنا الدعم لثورة اليمن حينما قامت ثورة اليمن وسرنا فى معارك قتالية معارك طويلة . وانا اعتقد ان كل واحد منكم يذكر هذه المعارك كانت تمثل اهداف الامة العربية كلها والشعب العربى كله .

ثم سرنا بعد هذا فى معارك بناء الاشتراكية ولتحقيق القيادة السياسية لقوى الشعب العاملة بما تعنيه معارك بناء الاشتراكية .

بما تعنيه معارك بناء الاشتراكية من سيطرة قوى الشعب العاملة على وسائل الانتاج بما تعنيه معركة بناء الاشتراكية من ضرورات التكوين والتنمية فى الزراعة والصناعة بما تعنيه من تكافؤ الفرص . بما تعنيه من حقوق الخدمات والصحة والتعليم والعمل ..

ثم بعد هذا أيها الاخوة دخلنا معركة محاولة تجميع طاقة الامة العربية كلها لمواجهة العدو الذى يتخذ من اسرائيل قاعدة له واداة . لقد قادتنا هذه المحاولة الى مؤتمرات قمة عربية فى القاهرة ثم فى الاسكندرية . ثم فى الدار البيضاء . كل ذلك ايها الاخوة والاستعمار وحلفاء الاستعمار لا يرضون عن تقدم الامة العربية وعن نضالها وعن محاولاتها . كل ذلك وهم يتربصون بنا . ويتحينون الفرصة للانقضاض علينا . قبل ان نحقق ارادتنا المطلقة . وقبل ان نبلغ مرحلة تامين نفسنا . وبالتالى تأمين هدفنا بطريقة فعالة وكاملة . حتى جاء ٥ يونيو سنة ١٩٦٧ وحدث ما حدث . وقيل لاعداء الامة العربية . قيل للاستعمار ولاسرائيل ان الفرصة واتتهم لان ما ارادوه قد اصبح فى متناول ايديهم او حتى تحت اقدامهم .

ثقتى لم تتزعزع

أيها الاخوة

اننى لا استطيع ان أصف لكم مشاعرى فى تلك الايام والظروف . بدا كل شىء من حولنا حطاما وركاما بدت امتنا العربيـة وكأنها فلولا بعد الصدمه . ان ثقتى فى الامة العربية لم تتزعزع لدقيقة واحدة . ولكننى كنت أعرف مدى الصدمة وأرى ابعادها . وفوجىء العالم كله بعد ذلك بثقة الامة العربية فى نفسها وبثباتها الحق وبايمانها الذى بدا فى تلك الايام السوداء حد المعجزة . شهد العالم مذهولا جماهير يومى ٩و١٠ يونيو سنة ١٩٦٧ فى مصر تخرج رفضا للهزيمة . وتمسكا بمواصلة القتال والنضال . واصرارا عليه حتى النصر .

شهد العالم مذهولا جماهير يومى ٩و١٠ يونيو فى العالم العربى كله من المحيط الى الخليج تعبر عن ارادتها فى الصمود وتعبر عن استعدادها للبقاء فى ساحة الصراع المسلح . حتى تحرر ارضها . وحتى تستعيد حقوقها . وحتى تقيم السلام القائم على العدل . سلام الشعوب وليس سلام الاستعمار . سلام العرب .. وليس السلام الذى تدعيه اسرائيل .. سلام المبدأ .. سلام الحق سلام الثقة بالغد المتحرر من الخوف والتهديد والعدوان . والسلام الذى قاتل واستشهد من أجله الابطال من امتنا جيلا بعد جيل . بل سنة بعد سنة بل يوما بعد يوم .

ثم ننتقل لحرب التحرير

الرئيس يصافح طلبة الكلية الحربية المصرية الذين التقى بهم فى جبل الاولياء .

يوم مجيد فى السودان

وصار شعور جماهير شعوب امتنا تقدم فى كل مناسبة تتاح لها دليلا لا تخطئه عين .

جماهير يوم ٢٩ اغسطس سنة ١٩٦٧ حين جئت اليكم هنا فى الخرطوم لحضور مؤتمر القمة العربى . الذى تحمل بمسئولية مرحلة الصمود . ورأيت الشعب السودانى البطل .. الشعب السودانى الصامد .. الشعب السودانى الرافض للهزيمة يخرج الى الشوارع ويعلن عن عزمه على الصمود . وعلى القتال حتى النصر وعلى التضحية وعلى الفداء . وكان هذا أيها الاخوة هذا اليوم المجيد يوم ٢٩ أغسطس سنة ١٩٦٧ كتبت عنه كل صحف العالم . وقالت رفض الهزيمة التى حدثت فى الامة العربية فان شعب السودان وقف وهو يشعر بالامل ويمتلىء بالحياة . ويصمم على النصر وان امة هذا شأنها لابد لها أن تنتصر ولابد لها أن تسير فى طريقها .

نفس المشاعر فى ليبيا

أيها الاخوة ..

جماهير بيان ٣٠ مارس سنة ١٩٦٨ فى مصر .. حين رسم الشعب المصرى طريق نضاله واضحا . لا عوج فيه ولا لبس يحوطه . ثم جماهير ٢٥ ديسمبر سنة ١٩٦٩ فى طرابلس . حينما زرنا طرابلس .. الرئيس نميرى وأنا .. وخرجت جماهير الشعب الليبى فى طرابلس تنادى بالصمود . وتنادى بالقتال وتنادى بالتحرير وتنادى بوحدة الامة العربية من أجل المصير المشترك . وتنادى بأن لابد للامة العربية كلها من أن تسير فى طريق معركة المصير المشترك وجماهير ٢٨ ديسمبر بعد هذا فى بنى غازى . حينما خرجت كل جماهير بنى غازى تنادى بنفس المشاعر التى ناديتم بها هنا فى أغسطس سنة ١٩٦٧ .

[البقيـة ص ١١٨]

بسم الله الرحمن الرحيم

فى رحاب ، الله وفى مجال الدعوة الى الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، وفى جو امتلأ بعطر النبوة ، وأزهار الاسلام المتفتحة ، احتفل المجلس الأعلى للشئون الاسلامية بذكرى رسول الاسلام ونبى السلام والرحمة المهداة للبشر جميعا سيدنا محمد بن عبد الله، صلوات الله وسلامه عليه .

فجاء الحفل على قدر من المهابة يتواكب وجلال الذكرى، فقد ضم مسلمى وسفراء ٧٢ دولة اسلامية شعارهم لا اله الا الله ، محمد رسول الله وهدفهم رفع راية الاسلام لتكون كلمة الله هى العليا ، كما ضم الحفل علماء الازهر الشريف وأساتذة الجامعات وكبار رجال الفكر والادب ، واجهزة الاعلام وقد استهل الحفل كما اختتم بتلاوة آى الذكرى الحكيم من فضيلة الشيخ مصطفى اسماعيل .

وفيما يلى نص الكلمات التى القيت فى الحفل

■ كلمة السيد حسين الشافعى

عضو اللجنة التنفيذية العليا

■ كلمة فضيلة الإمام الأكبر

الدكتور محمد محمد الفحام

شيخ الأزهر

■ كلمة السيد الدكتور عبد العزيز كامل

وزير الأوقاف وشئون الأزهر

■ كلمة السيد محمد توفيق عويضة

سكرتير عام المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

كلمة

السيد حسين الشافعى

عضو اللجنة التنفيذية العليا

تحدث السيد حسين الشافعى فكان حديثه فيضا من نفحات السماء ، ونبعا من الايمان الصادق، حلق بالسامعين الى آفاق رحبة من السيرة الطاهرة والمثل العليا ، والقدوة الحسنة التى اختص الله بها امام المجاهدين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، الذى جاء بالدين القيم ليكون ميثاق الرحمة على الارض ، ودليل عمل من أجل الحق والعدل ، وليحقق للانسانية أمنها ورخاءها .

وفى مجال العبرة والاعتبار ، والتطبيق العملى للرسالة المحمدية ، والمحاسبة عما قمنا به من واجب يقابل حق الانتساب اليها ، جاء حديث السيد حسين الشافعى صورة حية ، وانطباعا أصيلا لمفهوم معادلة النصر فى القرآن الكريم [ان تنصروا الله ينصركم] فحدد سيادته مفهوم السنوات الثلاث التى مرت على العدوان بسنوات :

الامتحان ، والايمان ، والبشريات

وفيما يلى نص الحديث

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أول الخلق وخاتم الانبياء والمرسلين .

الحمد لله حمدا يتكافأ مع نعمته ، ويتسامى الى قدر معونته ، والصلاة والسلام على من لا نبى بعده ، سبحانك ربى ، بعثته بالهدى ودين الحق ، لتظهره على الدين كله ، بعد أن أصطفيته واكرمته ، وأفضت عليه وعلى أمته من آيات التقدير ، مالم يتح لنبى قبله أو رسول ، ومالم تتشرف به أمة غير أمته :

ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين .

أنعم بذكرى النبى العربى ، المبعوث الى الناس كافة ، فان للامة الاسلامية من تكريمه نصيبا ، وان لنا فى اعلاء ذكره شرفا عزيزا .

أنعم بذكرى مولد من قال فيه الحق تبارك وتعالى :

« وانك لعلى خلق عظيم » .

« بالمؤمنين رءوف رحيم » .

من فى الانبياء والمرسلين حباه الله بهذه النعم !... بعد ذلك كله يقرر الحق تبارك وتعالى :

« ان الله وملائكته يصلون على النبى ، ياأيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما » .

نصلى ونسلم عليك سيدى يارسول الله ، منذ بعثك الله هدى ورحمة ، لنتذكر فى كل صلاة أنك الاسوة

الحسنة ، تجسدت فى حياتك رسالة الاسلام وأخلاق القرآن • جئت بالدين القيم ، ليكون ميثاق الرحمة على الارض ، ودليل عمل من أجل الحق والعدل •• نتمثل فى ذكراك ، وفى دوام الصلاة عليك ، عبر حياتك وجهادك ، منذ مولدك الى انتقالك ، فنجد فى كل خطوة ، وعند كل مرحلة ،مثلا أعلى للحياة الانسانية •

ونحن بالصلاة الدائمة عليك ، نؤكد أن حياتك يارسول الله ، كانت معجزتها أنك بشر ، ونحن فى سعينا الى الاقتداء بك ، أو بالاقتراب منك ، انما نسعى للاقتداء والاقتراب من أعلى مثل ، وقد جعله الله فى متناول الايمان والعمل، لكل مؤمن بالله وبك ياصاحب الخلق العظيم •

سيدى يارسول الله •

ليست كذكرى مولدك ، مناسبة نحس فيها مدى حاجتنا اليك ، نترسم خطاك ، نسير على هداك ، ونتأسى بجهادك ، وما تحملت فى سبيل دعوتك ، من أنكار المنكرين وسخرية الساخرين ، ونفاق المنافقين ، وتعويق المعوقين ، وعداء الكافرين ، وطغيان الجبارين ••

ولكنك يامحمد ، كنت أكبر من هذا كله ، وأقوى من هذا كله ، فحملت الامانة ، وبلغت الرسالة ، ونصحت الامة ، ومضيت فى طريق الله ، حتى نصرك الله ، وتركت فينا ما ان تمسكنا به ، فلن نضل بعده أبدا • كتاب الله وسنتك يارسول الله •

فمن غيرك يامحمد يمكن أن يكون لنا وسيلة الى الله ، ويمكن أن يكون لنا شفيعا الى الله ؟ ••

انناحينما نلجأ الى بابك ، انما نستوحى من سيرتك ونستلهم من جهادك ، مايعين أمتك على السير فوق ما يعترضها من تحديات •• **واننا فى سعينا اليك يارسول الله انما نلتمس فى نورك أشارة أو بشارة ، هى بالنسبة الينا القاعدة الوطيدة ، وهى مرفأ الامن والنجاة •**

نقف الان فى رحاب ذكراك ، وكل منا يدعو الله ويتمنى أن يراك ، ولو فى مجال الرؤيا والاحلام •• كم تكون له البشرى ، ولقلبه السكينة .

لقد تصورت امس هذه الرؤية ، وقد جئت يارسول الله لتشد من أزرنا ، وتبشرنا بانك معنا ، واننا نحارب تحت لوائك ..ان مجرد هذا التصور والتامل فى معناه ، يجعلنا لا تسعنا الدنيا ثقة وايمانا بنصر الله • لاننا كما نعلم ياامام المجاهدين ، نؤمن بان لا غالب الا الله، وندرك ان لاحول ولا قوة الا بالله، ثم نذكر فى قلب المعارك قولك لربك فى أشد لحظات الحرج : **ان لم يكن بك غضب على فلا أبالى •**

قلت هذا يارسول الله ، وانت على قدرك العظيم عند الله ، ولم يزدك التكريم والتشريف الالهى الا خشية منه ، وسعيا الى مرضاته ، تخاف غضبه ، وترجو رحمته ، بعد أن فقدت الاهل والنصير ، وتنكر لك قومك ، فلم يشغلك شاغل ، ولم ترهبك قوة ، ولم تعد تبالى بشىء سوى رضاء الله عنك •• وانت المصطفى المختار ، وانت الرحمة المهداة •

أيها الاخوة

تقبل علينا هذه الذكرى لثالث مرة بعد العدوان ، وان جاز لنا ان نسمى هذه السنين كما عشناها ، **فان الاولى كانت سنة الامتحان ، والثانية كانت سنة الايمان ، والثالثة هى سنة البشرى •**

واننا لنجد فى ذكراك يارسول الله ، فرصة نجدد فيها العهد،ونقدم تقريرا وحسابا نتذاكر فيه مايمكن أن نلمسه من علامات تبشر بها الاحداث ، ويتضح فيها الامل ، ويزيد الايمان بوعد الله : « **وبشر الصابرين » « وكان حقا علينا نصر المؤمنين »** •

أما سنة الامتحان، فقد شهدت لاعدائنا نصرا عسكريا فاق كل تقدير وكل توقع •• كانت تلك السنة فى حقيقتها بما جاءت به من أحداث ، مؤامرة دبرت بليل ، فاستفاد العدو من واقعنا ومن طبيعته الغادرة •• أستفاد من كل درس تعلمه •• فهو فى تلك السنة لا يكرر عدوان ١٩٥٦ ، وكان عدوانا ثلاثيا يمكن أن يختلف فيه المعتدون •• ولكنه فى ١٩٦٧ ، كان عدوانا منفردا فى الظاهر •• كان العدوان فى عام ١٩٥٦ من وراء ظهر الولايات المتحدة ، ولكنه فى عام ١٩٦٧ كان بتنسيق معها •• كانت هى المخطط والمدبر ، وكانت الممول والمبارك ، بل كانت القاتل والمحرض .. لقد أعلنت الولايات المتحدة الامريكية مبدأ كنيدى الذى يدعون فيه انهم الى جانب الحق ، وانهم يريدون ضمان حدود دول المنطقة، ولكن عندما تكون النتائج فى جانب أسرائيل ، فسكوت ورضا يفضح التآمر ، ويكشف أبعاد العدوان ، وان أمريكا هى المحرض وهى القاتل

وحينما تسير الامور عكس ما يشتهون ، وجاءت النتائج فى غير صالح أسرائيل ، تنقلب المساعدات الى تدخل صريح ، وتصبح المساندة علنية ومفتوحة ، وكأن أمريكا لا يكفيها ما تلقاه فى كمبوديا ولاوس وفيتنام

وفى سنة الامتحان ، اهتزت الامة العربية من اعماقها ، وغلت فيها دماء العزة اهتزت الامـــة وتزلزلت ، ولكنها لم تستسلم ولم تركع ولن تركع لغير الله ٠٠ نفضت عنها كل المعوقات ، وانطلقت منها كل الطاقات، وانبعثت بروحها الاصيلة ، تكتشف ذاتها، وتبحث عن مصادر قوتها ، وتتلمس عناصر وجودها ، فاذا هى — وعلى غير ما ينتظر الاعداء ، تلتف حول القائد ، وترفض الهزيمة ، وتؤكد الوحدة الوطنية ، وتصر على مواصلة النضال ، على طريق العزة ، وعلى طريق التحرير ، وعلى طريق النصر ٠

فحمدا لك يارب ، لقد صدق وعدك ونصرت عبدك ٠٠ وكان صمودنا فى هذا الامتحان من حيث لم يحتسب العدو ، وانزلت السكينة على قلوبنا رغم شدة البلاء وقسوة الامتحان ٠

اما السنة الثانية ، فكانت سنة الايمان ، بعد أن تأكد الصبر على الامتحان كان ماتحقق فى العام الثانى من اهـداف كبـيرة ومهام ضـخمة أسـاسه ايمان لا يتزعـزع بالله ورسـوله ، وايمان بالشـعب وصـلابته ٠٠ ايمان يدفـع صاحبه الى البذل والجهادبالمال والنفس ٠ كان عام الصدق « انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ، ثم لم يرتابوا ، وجاهـدوا باموالهم وانفسهم فى سبيل الله ، أولئك هم الصادقون ٠

فى هذ العام الثانى ، أعيد بناء القوات المسلحة ، واستكملت قدرتها على الدفاع ، وتأكد الصمود عسكريا، والصمود أقتصاديا ، بالدعم العربى، وبما قدم الشعب من مرتبات أفراده وتبرعاتهم ٠٠ وبما تقدمت به الدول الصديقة من معونات أقتصـادية ومعونات عسكرية ٠٠ وبما أفاء الله علينا مـن محاصيل زراعية وافرة، عوضتنا وساعدت على دعم أقتصادنا ٠٠ وكذلك الامرفى مجال الصناعة ، بدأت مشروعات خطة ٦٠ — ٦٥ تحقق العائد ملموسا ومباركا ٠ وكذلك مشروعات الخطة الثانية ، ويجرى تنفيذها بما يعود على الوطن بالاكتفاء الذاتى ، والاستغناء عن كثير من الاستيراد ٠٠

وقد بدأ بحمد الله سدنا العالى فى أسوان يعطى ما أنفق فى بنائه ، خيرا وبركة ، من ماء وكهرباء ، وتوفير طاقات هائلة للتصنيع وانارة القرى التى عاشت فى ظلام قدر له أن ينتهى ٠

فى تلك السنة الثانية ، سنة الايمان والصدق ، على رغم تكاليف المعركة والتزاماتها ، فقد وصلت ميزانية الدفاع هذا العام الى ٥٥٠ مليون جنيه ، وكانت لا تزيد على ١٦٠ مليون جنيه قبل ١٩٦٧ ٠٠ رغم ذلك كله ، فلدينا فائض قد يزيد على ٣٠٠ مليون جنيه ، يمكننا من الاستمرار فى التنمية ، والاسـتمرار فى البناء ، رغم ظروف العدوان وتكاليف الحرب ٠٠ لم يتمكن أعداؤنا بحمد الله من القضاء على تجربتنا وهى تمثل الامل والنموذج ، بما حققته وتحققه من أعمال ثورية ضخمة ٠٠ فمن كان يتصوراننا نبنى مجمع الحديد والصلب بتكاليف تقرب من تكاليف السد العالى ٠٠ ونحن فى قلب المعركة ؟ ٠٠

نعلن ذلك فى ذكرى مولدك يارسول الله ، عملا بما أنزل عليك « واما بنعمة ربك فحدث » ٠٠ فان المعركة كل لا يتجزأ ٠٠ لابد من الصمود الاقتصادى بقدر الصمود العسكرى ٠٠ مع التحرك السياسى الواعى ، فى كل اتجاه ، يصحح الصورة التى أستغلتها أسرائيل نتيجة انتصارها العسكرى ٠٠ ولكن شيئا فشيئا ٠٠ أخذت أسرائيل تفقد أرضها فى مجال الاعلام والرأى العام العالمى ، وبدأت تدرك أن الزمن ليس فى صالحها ، وان الايام تدخر لها ماهو أقسى عليها من انسحابها ٠٠ فقد بلغ الامر بمفكريها الى التنبيه الى مغبة الاوضاع التى تعيشها أسرائيل تحت ضغط المؤسسة العسكرية ٠٠ ومن بين الكتب التى صدرت أخيرا ، كتاب لاحد زعمائها يحدد فيه أغراض اسرائيل فى ثلاثة :

١ — اقامة الدولة الصهيونية ٠٠ وهذا تم ٠

٢ — أستقطاب يهود العالم ليعيشوا فى اسرائيل ٠٠ وهذا لم يتم ٠

٣ — الانفتاح على العالم العربى والسيطرة الاقتصادية الكاملة عليه ٠٠ وهذا لم يتم ٠

ويضيف كاتبهم الى ذلك قوله :

وبعد أن تستدرج أسرائيل فى حرب الاستنزاف التى يدعو لها جمال عبدالناصر، فلن تتمكن اسرائيل من تحقيق هدفها الثانى أو هدفها الثالث ، وهما الاساس لقيام الدولة ٠

وينتهى الكاتب الصهيونى من ذلك الى قوله :

ان من الاوفق لاسرائيل أن تقبل حتى بحدود تقسيم ١٩٤٧ لكى تتاح لها الفرصة فى أقامة مجتمع يؤمن بالتعاليم اليهودية ، قبل أن يضيع فى بحر من المناطق التى يسكنها العرب ٠

حمدا لك يارب ، فهذا شاهد من أهلها ، يكشف لنا حقيقة أعدائنا، ونتائج صمودنا وصبرنا وايماننا بانك القاهر فوق عبادك ٠

سيدى يارسول الله :

لقد شرفتنى بمثل هذه الوقفة فى ذكرى مولدك منذ عام ، والهمتنى نجواك بحقائق المعركة التى تخوضها أمتك ، فى حديث باسم معادلة النصر ، قدمت فيه

خواطرى عن « قوانين ومعادلات الايمان والعمل فى القرآن الكريم » وتناولت فيه آيات جهادك ونصرك ، والدروس المستفادة من غزواتك ، لنقتدى بها فى معركتنا ونجد فيها نورا يضيء طريقنا ، وانت ترى وتسمع يارسول الله اننا نخوضها معارك من أجل السلام، وليست بهدف التوسع بالعدوان والعنف والارهاب .. نخوضها معارك ليس فقط للدفاع عن الحياة ، فما أرخصها عندما تكون التضحية فى سبيل حماية العقيدة ، وتحقيق رسالة الرحمة ..

وكانت السنة الثالثة يارسول الحرية والرحمة وهى التى تنتهى اليوم ، هى سنة البشريات .. سنة نقترب فيها من موعد النصر باذن الله .

سيدى يانبى الرحمة والملحمة .. استميحك عذرا اذا تمثلت هنا بقول خليفتك البطل عمر بن الخطاب ، عندما وقف يخاطب جند الله فقال : ان عدوكم يفوقكم عددا وعدة ، ولاتمتازون عليه الا بايمانكم : فحافظوا على صلواتكم ، ان تركها اخوف عليكم من عدوكم .

هذا هو منطق خليفتك يارسول الله ، تعلم على يديك ، واخذ عنك، وعرف انه بعد ان أعد واستعد، بكل مايستطيع ، ان الامر قبل كل شيء معلق بالايمان بالله ، ومعلق بالصلة بالله ، وعرف معنى المعادلة القرآنية : **ان تنصروا الله ينصركم**، وكان مؤمنا بما انزل على قلبك يا رسول الله : **« أذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير » .**

نعود الى عامنا هذا الذى اسميه عام البشريات .. وما احب الحديث عن البشرى فى مولد النور ..

حينما بدأت اعداد هذا التقرير او ذلك الحساب ، وقعت فى يدى مقالة لكاتب من معسكرات الاعداء ، أتيح له ان ينقذ فكره من سجن الاعلام والتضليل الصهيونى ، فرأى جانب الحق فى القضية ، واعلن رأيه قائلا :

« من المؤسف حقا ان معظم الامريكيين يعتقدون ان العرب قوم متواكلون ، **وان الاسلام يعلمهم الاستسلام ، وبالتالى فان العرب مستعدون لقبول مشيئة الله ، نصرا كانت ام هزيمة ، فى حربهم مع اسرائيل » .**

هذه هى الحقيقة التى كتبها الصحفى الامريكى ستيفن بيلتير ، بعد مجيئه الى القاهرة ، وبعد استماعه الى خطاب الرئيس القائد جمال عبد الناصر **فى عيد اول مايو الحالى ، وهو يعلن باسم الامة العربية ، حقائق موجهة الى الشعب الامريكى ، ثم الى الرئيس الامريكى ، لعل الله يهديه الى قرار يحسم الصراع فى الشرق الاوسط ، او يتحمل تبعة ما يحدث فى هذه المنطقة ، وقد تبدأ منها الحرب العالمية الثالثة ، ان لم تنسحب اسرائيل دون قيد او شرط .**

والسؤال الان : كيف يفهم الشعب الامريكى ان الاسلام يعلمنا الاستسلام ، وان العرب مستعدون لقبول مشيئة الله نصرا كانت ام هزيمة فى حربهم مع اسرائيل ؟

ان العام الذى مضى على احتفالنا بمولدك يا رسول الله ، قد سجل احداثا تؤكد ان معادلة النصر تثبت وجودها ، وان الامة العربية كما يعلن قائدها دائما ترفض الاستسلام ، ورفض الاستسلام معناه الاستعداد للقتال ، والاستعداد للتضحيات ، مهما بلغت التضحيات . وان الامة العربية تريد السلام الحقيقى ، ولكنها تعتقد ان السلام يجب ان يبنى على العدل ، وان تصميمنا على تحرير ارضنا هو اول حق لاى امة تعرف أن لكرامتها قيمة . وكرامة الامة من كرامة رسالتها . رسالة الرحمة وهى اعلى مراتب القوة . قوة السلام القائم على العدل .

نعود الى البشريات المرفوعة اليك يارسول الله فى ذكرى مولدك .. انها تعنى ان امتك على طريقك ، تصبر عند البلاء ، وتثبت عند اللقاء ، وقد قامت ثورة السودان فى الخامس والعشرين من مايو الماضى تجسيما لهذه الحقيقة .

قامت فى السودان ثورة مؤمنة واعية ، تؤكد للدنيا جميعا انها ثورة عربية حرة ، وانها ثورة اشتراكية ديمقراطية وانها ثورة وحدوية ، وانها تحشد قوى السودان على جبهات المقاومة لاعداء الامة العربية .

ايعنى ذلك ان العرب قوم متواكلون ؟ .. ايعنى ذلك ان الإسلام يعلم العرب الاستسلام ؟ ..

لقد اتى الله يا رسول الله ، اعداءك واعداءنا ، من **حيث لم يحتسبوا ، عندما قالت ثورة الخرطوم انى مع المقاتلين فى خط النار .**

وكانت البشرى الثانية ضربة اخرى فى صدور الاعداء .. قامت الثورة المعجزة فى ليبيا ، من أرض القواعد الانجليزية والامريكية التى ضربت منها مصر ، وضرب منها العرب ، فى عدوانى ٥٦ و ٦٧ ، جاءت ثورة الفاتح من سبتمبر ٦٩ ، وهى ترفع شعار « فلسطين لنا » ، وكانت كلمة السر ليلة الثورة هى « القدس » .. فى الليلة العاشرة بعد احراق اسرائيل للمسجد الاقصى .. وقد حسب الاعداء انهم يوجهون بذلك اقصى انواع التحدى لمشاعر العرب

والمسلمين جميعا ، فجاءت ثورة ليبيا رد فعل مباشر لهذا التحدى ، جاءت لتقول للاعداء الموالين لاعداء العرب ، ليس لكم مكان فى ارض العرب .

وقالت ثورة ليبيا لثورة السودان : يا جند الله ، موعدنا فى مصر ، لنبنى معا قواعد الحرية والاشتراكية والوحدة على هدى من الله وبصيرة

أيمكن ان يكون ذلك استسلاما لاسرائيل التى أحرقت المسجد الاقصى ؟ .. او استسلاما لاعوان اسرائيل الذين يمدونها باسلحة الهدم والحريق والخراب .

استميحك يارسول الله ان تأذن لى بنظرة الى حال هذا العدو المغرور بنصره ، المغرور بقوته .. كيف حاله اليوم بعد مضى ثلاثة اعوام على انتصاره المزعوم ؟ ..

يجيب على ذلك شاهد من اهلها .. جولدمان رئيس المؤتمر الصهيونى بقوله :

« ان الزمن ليس فى صالح اسرائيل . بل انه يعمل ضدها . ان اسرائيل تسير فى طريق خطر .. ان الساعات الفاصلة تقترب . من الضرورى ان يعرف الشعب فى اسرائيل ابعاد الحقيقة فيما يحيط به » .

ومن ابعاد الحقيقة التى يريدها جولدمان ، ما كشفت عنه رئيستهم جولدا مائير ، فى احتفال اسرائيل بالذكرى الثانية والعشرين على قيام اسرائيل ، عندما قالت :

« ان الحزن والكآبة يخيمان على اسرائيل اليوم .. ان فرحتنا لم تتم .. ان اسرائيل لم تتمتع بيوم واحد من ايام السلام ، خلال السنوات الثلاث التى اعقبت حرب يونية ١٩٦٧ ، لقد كسبنا الحرب فى ستة أيام ، ولكن السلام لم يتحقق بالنسبة لنا ، وفوق ذلك يتضاعف عدد قتلانا فى كل يوم » .

ويضيف قائدهم موشى ديان الى الصورة ايضاحا ، فيعلن فى أحد تصريحاته الاخيرة : ان القوات المصرية المسلحة قد اخذت زمام المبادأة ، وارتفعت نسبة قتلانا على جبهة القناة الى حد يضعنا فى مواجهة الخطر .. ان هذا الموقف يدعونا الى أن نقرر فورا : هل نحارب ، او لا نحارب .. اذا لم نحارب فلن يفكر أحد فى عوننا .. ولكننا عندما نحارب سنجد من يساعدنا !

ويضيف مندوب اتحاد الصحافة الامريكية الى هذه الحقيقة اعترافايقول فيه :

ان مصر قفزت الان الى وضع يتيح لها ان تتحدى **التفوق الحربى الاسرائيلى على جبهة قناة السويس بصورة لم تحدث منذ حرب يونيو ٦٧**

ولست ادرى كيف يتفق هذا المنطق ، والشعب الامريكى يفهم من خلال الاعلام الصهيونى ان العرب قوم متواكلون ، وان الاسلام يعلمنا الاستسلام ؟ يجيب على ذلك سكان مستعمرات الجليل وهم يهاجرون منها الى أى ملجأ يستطيعون الاعتصام به من ضربات الثورة الفلسطينية التى توحدت منظماتها .. ولجأت اسرائيل الى استدعاء الاحتياطى من قواتها للعمل فى جبهة القناة ، ولكنها دفعت به الى منطقة اريحا والى جنوب لبنان .. وفى اريحا كانت فى انتظارهم عملية بحر البقر التى قامت بها « العاصفة » من جنود « فتح » . انتقاما للغارة الاسرو امريكية على مدرسة للاطفال فى بحر البقر، وكانت خسائر العدو فى هذه العملية التى تمت ظهر الجمعة ٩ مايو الحالى فوق ما كانوا يتصورون .

واعلن ممثل منظمة فتح ان المقاتلين الفلسطينيين اقدر ما يكونون على نسف مدرسة لاطفال العدو ، ولكنهم رفضوا هذا النوع من الانتقام ، وحرصوا على أن تكون ضرباتهم موجهة الى الجيش الذى لا يقهر ، وليس الاطفال الصغار ، لكى يعلموا الفرق بيننا وبينهم !

وانذرت منظمة فتح اسرائيل من تكرار العدوان على المدنيين العرب فى أى مكان ، ولكن اسرائيل ركبت رأسها كعادتها ، وهاجمت جنوب لبنان ، فتجسدت امام العالم حقيقة تؤكد ما اعلنه قادة الاعداء ، وهو : ان اسرائيل الان فى مواجهة الخطر

ونتحدث بنعمة الله علينا فى معركتك يا رسول الله ، بما لقيه اللواء الاسرائيلى المدرع من نيران الثورة الفلسطينية المؤيدة بالطيران السورى وبالمدافع العراقية والاردنية .. وعرفت وحدة النضال الفلسطينى طريقها الى العودة .. لكى تقيم دولة فلسطين الديمقراطية .. دولة تتعايش فيها كل الاديان .. وليست مباءة للعدوان ، يهرب منها حتى اليهود ليستطيعوا اداء طقوسهم الدينية .

اما كيف يحدث هذا ، فالجواب ينطق به شاهد من اهلها .. الحاخام عمرام بلوى . وهو يتزعم ، باسم عدد من الحاخامات الدعوة الى الهجرة اليهودية من اسرائيل ، الى اى ارض فيها سلام ، وحيث يستطيعون اداء طقوسهم الدينية . فقد حول الصهاينة اسرائيل الى دولة للفسق والفجور والفساد ، وانهم باستيلائهم على كافة المصادر الاقتصادية والاعلام يستطيعون دفع شعب اسرائيل الى الكفر والخطيئة ، مع التعرض لحرب دائمة مع العرب . وياليتهم اكتفوا بذلك بل زادوا الموقف تدهورا حينما أعلنوا انهم مستعدون

لمحاربة الاتحاد السوفيتي حتى آخر اسرائيلي، من اجل جلب اليهود السوفييت الى السجن المسمى اسرائيل ، ومن اجل منع الاتحاد السوفيتي من التأييد الكامل للعرب •

نشرت هذا صحيفة معاريف ، والى جواره انباء مستعمرات الجليل ، وموشى ديان يصيح فى سكانها الا يهاجروا من مساكنهم ، وهم لا يكترثون بما يقول، ويعلن حكام هذه المستعمرات الاسف لانهم لم يستطيعوا الاحتفال بذكرى قيام اسرائيل ، لان الناس يشيعون جنازات القتلى على امتداد يوم الاحتفال •

وهكذا تغيرت فجأة لهجة التفاخر المتغطرس بجيش اسرائيل الذى لا يقهر .. لتبدا نغمة حزينة باكية شاكية من الجراح العميقة التى تتسع كل يوم على جبهة القناة ، ولم تحسب انها ستلاقى مثل ذلك على الجبهة الشرقية •

ويرى المعلقون جانبا آخر من الصورة ، عندما يرجحون ان هجمات العاصفة على مستعمرات الجليل كانت السبب الظاهر للغارة الاسرائيلية الفاشلة على جنوب لبنان ، **وكان السبب الخفى هو نجاح الندوة المسيحية العالمية التى عقدت اخيرا فى بيروت ، عندما قررت هذه الندوة بالاجماع : عدم شرعية دولة اسرائيل، ووصفتها بأنها دولة قامت على اساس الامر الواقع ، وانتهاك الحقوق الدولية فى الخارج : وانتهاك حقوق الانسان فى الداخل** ، واعلنت الندوة ان حكومة اسرائيل قائمة على ايديولوجية سياسية عنصرية توسعية بالعدوان. ان الوجدان المسيحى لا يمكن ان يقبل مثل هذا الظلم والارهاب وهضم الحق الانسانى •• وقررت الندوة المسيحية العالمية من اجل فلسطين ، انشاء لجان وطنية مسيحية فى كل بلاد العالم ، لشرح قضية فلسطين العربية ، وعقد مؤتمر مسيحى دولى من اجل فلسطين المقدسة فى كل الاديان •

ويرتفع صراخ اسرائيل بلسان رئيستها جولدا مائير فى تصريحها القائل : اذا لم تهب امريكا لمساعدة اسرائيل ، فسيذكر لها التاريخ انها كانت صاحبة الفضل الاول فى القضاء على اسرائيل •

لكن صراخا اعلى من صراخ اسرائيل قد تردد فى آذان امريكا •• ثورة الغضب التى اجتاحت الجامعات الامريكية ، ضد الحرب فى كمبوديا ، وضد تصاعد الحرب فى فيتنام •• لقد أضرب الشباب عن التعليم، وزحف الى البيت الابيض من انحاء الولايات المتحدة ، واستنجد الرئيس نيكسون بحكام الولايات الخمسين ، وتحرك الجيش الامريكى لمواجهة مظاهرات الطلبة ، وسقط منهم فيما نعلم كثير من القتلى ، فاعلن الشباب الامريكى مواصلة الاضراب ، ودعوة العمال فى المصانع والمتاجر الى شل الاقتصاد الامريكى ، بمقاطعة الشركات التى تخدم المذبحة التى انشأتها الحكومة للشباب الامريكى فى الهند الصينية ، ويستقيل الوزير المسئول عن الاتصال بالجامعات ، ويبلغ وزير الداخلية الامريكية الرئيس نيكسون ان الحكومة تساهم فى نشر حالة من الفوضى فى البلاد، بتجاهلها لمشاعر الشباب الامريكى الذى تسوده موجة من خيبة الامل •• وتنتقل غضبة الشباب من امريكا الى انجلترا ، والى فرنسا ، والى السويد ، والى المانيا الغربية ، والى استراليا ، والى كل البلاد المتحالفة مع امريكا ، والتى يحس شبابها بنفس احساس الشباب الامريكى ، ضد الحرب فى كمبوديا ، وفى فيتنام ، وفى الشرق الاوسط

وفى وسط هذه الاعاصير التى تزلزل الكيان الامريكى بسبب سياسة حكومته العدوانية ، يكشف قائد امتنا العربية امام الشعب الامريكى حقائق كان يجهلها عن الصراع العربى الاسرائيلى ، ويوجه النداء الاخير للسلام الى الرئيس الامريكى ، ان يأمر اسرائيل بالانسحاب ، او يكف عن الدعم العسكرى للعدوان على الامة العربية ، او يكون من حق هذه الامة ان تتخذ الموقف الملائم ضد العدوان وضد من يساندون العدوان •

سيدى يا رسول الله :

اننا يجب ان نحاسب انفسنا امامك ، فى ذكرى مولدك ، عما قمنا به من واجب يقابل حق الانتساب اليك •

فاذا تجلت نعمة الله علينا بالتفوق العسكرى الذى يتحدى قوة اعدائنا ، وباتحاد منظمات الثورة الفلسطينية وبصلابة الجبهة الشرقية ، وقيام الثورة فى السودان ، وقيام الثورة فى ليبيا ، وبالاصرار والتصميم على تحرير ارضنا شبرا شبرا • فقد زاد الله فى عطائنا ، بما آلت اليه احوال اعدائنا ، وفتحت ابواب النصر امامنا ، وتضاعف عون اصدقائنا ، وعونهم لنا دفاعى من اجل تحرير الارض ومن اجل السلام •

اما المساعدات الامريكية لاسرائيل فهى على حد تعبير صحفى امريكى حر : تفيد العرب بطريقة غير مباشرة ، فان الولايات المتحدة الامريكية تمر بصعوبات اقتصادية شديدة ، وهناك اعداد متزايدة من الامريكيين يطردون من أعمالهم ، ويتعرضون للبطالة التى بلغت ٥ فى المائة من قوى العمل ولا يسعدهم ابدا ان تتدفق ملايين الدولارات على اسرائيل ، بينما تحفى اقدامهم للحصول على لقمة العيش •

سيدى يا رسول الله :

اننا لا نحصى ثناء على الله ، فنحن على الطريق الى

نصر الله ، وهو يتمثل فى اقترائنا بك ، فلا نخوض الحرب من اجل الحرب ، ولكن حفاظا على المبادىء والقيم ، ومن خلال العمل وفق ما انزل اليك ، دفاعا عن النفس وعن الارض وعن رسالة امتنا ٠٠ والصهيونية تحاربنا لتثبيت ما اغتصبت من ارضنا ٠٠ وسبيلنا هو سبيلك يا رسول الله فى معركة المصير ٠

اننا لانتعجل النتائج .. ولكنا نؤدى الواجب نحو النفس، والعقيدة ، وحق الحياة ، ملتزمين فى ذلك بالصبر والصلاة ٠٠ صبر على الجهاد حتى النصر وصلاة تلتقى فيها الصلة بالله واتباع رسول الله ٠ صلاة نستمد منها الامل والرجاء ، فى ازمة وصفها قائد هذه الامة بانها ازمة لم تواجهامة فى عصرنا الحديث ، وانها ازمة الضمير الانسانى كله ٠ هذا الضمير الغافل عن اننا امة ذات رسالة انسانية وهذه الرسالة تفرض علينا أن نقتدى برسولنا ، وان ننظر فى قرآننا ، فنجد دليل العمل فى معركة المصير ملخصا فى خمس نقاط :

الاولى : فى الايمان المطلق بنصر الله ٠ وعلى هؤلاء الاعداء بالذات ، تأكيدا وتجديدا لما حدث فى صدر الرسالة ، وعند ما ابلغك الامين جبريل بقول الله تعالى :

« هو الذى أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لاول الحشر ما ظننتم ان يخرجوا وظنوا انهم مانعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا » ٠

والتاريخ يعيد نفسه الان ، ليخرجوا من الارض التى اغتصبوها واقاموا عليها دولة الامر الواقع ، بالتآمر الدولى ، وبالعنف الارهابى ٠

فقد أتاهم الله من حيث لم يحتسبوا : احتلوا فلسطين كلها ، فحولوا شعب اللاجئين الى فرق للفدائيين ، تعرف طريقها الى الموت العزيز فى سبيل العودة ، بدل الموت فى سبيل حفنة دقيق من وكالة الغوث ، وبعد عشرين عاما من النكبة ، لينشق بطن الارض على قوة عارمة ، فى الشعب الفلسطينى الثائر ، وقد حسب أعداؤنا أنهم حكموا على هذا الشعب بالفناء ، فاذا هو يسقيهم اليوم الكأس التى ملأوها له ٠

اننا فى عيد ميلادك يا رسول الله ، نسأل الذى أنفسنا بيده ، أن يزيد الثورة الفلسطينية ايمانا وعزما ونصرا من عندك أنت يا ناصر المظلوم ٠٠

ونحمدك يارب بقدر عظمة ذاتك ، على أن قواتنا المسلحة قد أخذت بزمام المبادأة فى جبهة القناة ، وتجسمت فيهم ارادة الله ، يأتى أعداءنا من حيث لم يحتسبوا ٠

وقذف فى قلوبهم الرعب ،واسألوا القوات العابرة للقناة ، واسألوا القوات المتمركزة فى القناة ، واسألوا قاذفاتنا الجوية ، واسألوا قواتنا البحرية ، ماذا تصنع الان بذلك الجيش الذى لا يقهر كما تقول دعاياتهم ، والحقيقة ان هذا الجيش قد تعود الهرب من المعارك ، والفرار من نار سيناء ، لينضم الجنود الى الشباب الاسرائيلى الهاتف بالنداء : لا نريد الحرب ٠٠ لا نريد الموت فى جبهة سيناء ٠

صلوات الله وسلامه عليك يا من قلت في حديثك الشريف : « اذا فتح الله عليكم بمصر فاتخذوا بها جندا كثيفا فانهم خير أجناد الارض » ٠

انهم يؤكدون الان عمليا صدق هذا الحديث ، ويوم تسجل البطولات المصرية فى هذه المعركة الضارية، ستقوم الادلة القاطعة على أنهم حقا خير اجناد الارض ٠٠ اليهم فى عيدك يا رسول الله نتجه بقلوبنا ، فنجدك هناك يدا لله تأتيهم من حيث لم يحتسبوا ، فلم تغنهم أسطورة التكنولوجيا ، ولا طائرات الفانتوم ، ولا القوات المرتزقة ، ولا الحصون المنيعة ، لان صيحة الله أكبر من جند مصر تقذف الرعب فى قلوبهم ، فنذكر يا رسول الله معنى حديثك : « لقد نصرت بالرعب مسيرة شهر » ٠

النقطة الثانية تبدو امامنا فىالرؤية الواضحة ان الذين يساندون الصهيونية يكرهونها فى أعماقهم ، ولكنه نفاق محترفى الحكم والاستغلال ، وزلفى الحالمين باستعباد البشرية بذهب صهيون ٠٠ ان رسالتنا تفرض علينا مواجهتهم فى كل مكان من الارض ٠٠ ونحن على يقين من أنهم أسرع الناس الى التخلى عن هذا النفاق ، مصداقا لما أنزل عليك يا رسول الله : **« ألم تر الى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن اخرجتم لنخرجن معكم ، ولا نطيع فيكم أحدا أبدا ، ولئن قوتلتم لننصرنكم ، والله يشهد انهم لكاذبون ٠ لئن أخرجوا لا يخرجون معهم ، ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ، ولئن نصروهم ليولن الادبار ثم لاينصرون » ٠**

ذلكم هو أصدق تعبير عن سياسة أمريكا اليوم فى مساندة اسرائيل ٠٠ ان الشعب الامريكى اليوم قد بدأ يدرك أن نفاق حكومته للصهيونية قد أفقده الاحترام أمام كل شعب وكل انسان ٠٠ وتفقد أمريكا فى نفس الوقت اغلى ما يمكن أن يحققه التقدم الحضارى وهو محبة الشعوب وصداقة الانسان للانسان ٠٠ ان أمريكا تزرع لنفسها أشواك الحقد والكراهية فى كل مكان ٠٠ بسبب ارتباطها بعجلة صهيون ٠٠ وعندما نستطيع بالاعلام المخطط المتقدم انن صل بالحقيقة الى المجتمع الامريكى ، فلن يخرج فرد منه مع اسرائيل ،

ولن يقاتل معها أحد ، لان الهاربين من الميدان لن يعاونهم أحد ، كان ذلك فى الكتاب مسطورا .

النقطة الثالثة هى متطلبات المعركة : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لاتعلمـونهم الله يعلمهم » .

ونشهدك يا رسول الله على أننا قد أعددنا كل ما نستطيع من قوة ، وأنها قوة نرهب بها اعداء الله وأعداءك ، فليست العبرة فى الحرب المشروعة بما يراق فيها من دماء ، ولكن العبرة فيما تقذف به القوة من رعب فى نفوس الاعداء .. هذه هى عدتنا ، وهذا هو سلاحنا ، لاننا لا نخوض الحرب عدوانا . ولكنها تفرض علينا فرضا ، ثم نخوضها دفاعا عن الارض والمبدا والعقيدة .

لذلك أتى الله أعداءه من حيث لم يحتسبوا .. جمع من حولنا الامة العربية جميعا ، لتدرك الخطر الداهم عليها وعلى البشرية ، فتقوم الى أداء واجبها ، بقدر ما تتحمل أو تطيق ، وحسب الخطوط الامامية فى جبهات القتال ، أن تستشعر هذه المساندة ، ليس فقط بالرأى والتأييد ، ولكن بالدعم الاقتصادى والعسكرى ، وتتحد كلمة الامة الواحدة على تحرير فلسطين ، بعد أن تفرقت يوم احتلال فلسطين .. ابدا لن تذل هذه الامة أو تهون ، وهى تحمل فى المعركة شعار القائد : « اما أن نكون أو لا نكون » .

وكذلك أتى الله أعداء هذه الامة من حيث لم يحتسبوا فى مجال أعدادنا للقوة ، فاذا بأنصار حقوق الانسان وحرية الشعب فى الاتحاد السوفييتى والجبهة الاشتراكية ، يقدمون للعرب ، أوفر وأحدث السلاح ، لاستخدامه فى سبيل الحق المشروع .. حق تحرير الارض .. وحق الدفاع عن النفس والارض والمبدأ والعقيدة .

ان ايمان هذه الشعوب بكرامة الانسان يا نبى الانسانية ، كان بجوارنا فى المعركة ، قوة أفزعت أعداء الله وأعداء الانسانية . ومن عجب أن ينطلق صوت الاعداء من بطن الحكومة الامريكية ، ليملا الدنيا ضجة وعويلا حول الدعم السوفييتى للعرب ، ولا تذكر الحكومة الامريكية وهى تتحدث بلسان اسرائيل ان الدعم السوفيتى ليس من أجل الحرب ، بل من أجل السلام ، وليس من أجل العرب فقط ، بل من اجل مواجهة الخطر الصهيونى على الشعوب الاشتراكية ، وعلى حرية كل انسان .

ان ذلك موقف لا يمكن ان ينساه العرب ، فالوفاء فى أخلاق العرب جوهر أصيل ، ولن تستطيع قوة فى الارض أن تتخذ من أرضنا قواعد للعدوان على أصدقاء ساعدونا على محو قواعد العدوان . **فليس من الاسلام أن نجحد فضل العاملين من أجل السلام .**

النقطة الرابعة فى دليل عملنا ضد الخطر الصهيونى ، هى تعريف الشعوب المخدوعة فى اسرائيل بأى مجتمع يساندون .. مجتمع ملىء بالمتناقضات يمزقه طول سنوات الحصار فى الدائرة العربية ، وتفرقه فى داخله طبقات يهدم بعضها بعضا .. بأسهم بينهم شديد .. نظامهم سادة وعبيد .. تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى ..

أما أنتم يا جند الله فى المعركة فانتم أمام أعداء لا يقاتلونكم جميعا الا فى قرى محصنة أو من وراء جدر .. انهم أجبن من لقائكم فى معارك المواجهة على الارض المكشوفة .. ولانتم أشد رهبة فى صدورهم من الله ، وآية ذلك حوادث الفرار التى يحققها أطباء اسرائيل النفسيون فى جبهة سيناء ، وهم لا يدركون انها طبيعة الاشياء ، عندما يرى جنود العدو أنفسهم فى قبضة خير أجناد الارض ، تؤيدهم أمة قضى الله أن تكون أمة واحدة ، ولن تستطيع قوة أن تفرض فيها غير حكم الله ، وهو القاهر فوق عباده .

النقطة الخامسة : ان هذه الامة التى تحمل أعباء الدفاع عن الاسلام القائم على العدل فى كل أرجاء الدنيا ، تعرف طريقها أولا الى الدفاع عن وجودها والدفاع عن رسالتها وهى وجودها .

اننا لنؤمن ايمانا راسخا بأن اسرائيل وعدوانها المتواصل علينا ، يرسل النابالم من الفانتوم الامريكية على المدن والقرى والمصانع والمدارس والمستشفيات والمساجد والكنائس ، كل ذلك فى ميزان الحق ليس شرا كله ، فهو من ناحية أهم وأعظم ، اكبر دفع لهذه الامة الى النظر فى رسالتها فتجد القتال ركنا من اركان العقيدة : « كتب عليكم القتال » . وتجد النصر حق المؤمنين على الله ، وتجدك يا سيدى يا رسول الله نورها وهداها الى قوله تعالى : « **ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله** » . أنهم يرونه بعيدا ، ونراه قريبا ، فيما تأتى به الاحداث من بشريات .

سيدى يا رسول الله :

ان كل مسلم وكل مؤمن يذوق اليوم طعم السعادة والامل فى نصر الله ، عندما تمتد البصيرة الى الاحتفال بمولدك سيدى عبر القارات والمحيطات .. واننى لاجدها فرصة سانحة ، لكى أرفع باسمكم ، من هذا المنبر ، فى المجلس الاعلى للشئون الاسلامية ، الى كل مسلم فى العالم ، تهنئة من مصر فى رحاب الازهر ، وتهنئة شعب مصر من قلب قائده جمال عبد الناصر ، بذكرى مولد النبى العربى المبعوث الى الناس كافة .. داعيا الله أن يقبل موعد الذكرى القادمة ، وسيكمل يومها ١٤ قرنا من الزمان على مولد رسول الرحمة ، وسيكون موعدنا مع النصر باذن الله ، والسلام عليكم ورحمة الله

كلمة

فضيلة الإمام الأكبر
الدكتور محمد محمد الفحام
شيخ الأزهر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله سيدنا محمد بن عبد الله وعلى اله وصحبه ومن والاه .

أيها السادة السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

ثلاث حوادث جسام سجلها التاريخ فى شهر ربيع الاول على مدى ثلاث وستين سنة هى عمر الرسول صلوات الله وسلامه عليه على هذه الارض : مولده وهجرته وانتقاله الى الرفيق الاعلى . ولكن حادثة واحدة من هذه الحوادث ظل هذا الشهر مقترنا بها فى نفوس المسلمين حين يذكرونه بأنه شهر المولد النبوى الكريم، ويحتفلون بهذه الذكرى كلما اشرق على الكون هلاله ويعددون فضائل الرسول على الانسانية كلما جاء من العام موعده ، وان كانت ذكراه فى دنيا الايمان الصادق ملء القلوب ونبض الارواح لا ينسيها توالى الاجيال ولا مر الحقب .

والحق أن ذكرى ميلاد الرسول الاعظم هى ذكرى التاريخ كله والانسانية جمعاء ، ولولا ما ابتلى به الناس من التعصب ، لما كانت هناك ذكرى فى تاريخ البشرية على طوله وامتداده أحق أن يكون الاحتفال بها عاما شاملا ، من هذه الذكرى الكريمة لانها ذكرى رسالة جامعة أنقذت الانسانية مما كانت ترتع فيه من ضلالة وتهيم فيه من جهالة وتسام به من الوان الظلم والاستعباد

لقد كان العالم أيها السادة يعيش فى متاهات الشرك والوثن ويحيا فى ضلالات الجهل ويرسف فى قيود الباطل ويعانى من ظلمات البغى ويتطلع الى من يأسو جراحه ويأخذ بيده الى نور الايمان ويقوده الى طريق الرشاد .

وفى هذا الظلام الحالك والشر المتحكم ولد محمد بن عبد الله فتواكب سبب الخير وبزغ فجر اليقين ولمعت نجوم الحرية وشعت قواعد العدالة وخفقت أعلام الحق .

ولد محمد فولدت بميلاده أسمى المبادىء وأنبل القيم ، ولد محمد فكان النعمة المزجاة والرحمة المهداة وشب رغم يتمه أكمل ما يكون خلقا وخلقا واسمى ما يعرف عقلا ونبلا اذصنعه الله على عينه وأدبه فأحسن تاديبه فكان فى شبابه صورة حية لطبيعة الرسالة التى حملها فيما بعد والوحى المبارك الذى بلغه للناس أجمعين والاسوة الطيبة التى ضربها مثلا من نفسه للدنيا كلها حتى آخر الدهر ، وما أن بلغ الاربعين من عمره حتى بعثه الله برسالة الهدى والنور رسالة مشرقة العقيدة سمحة المبادىء مستقيمة المنهج واضحة الهدف تطلبت بلاغا للناس فدعا الى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة ، ثم تطلبت جهادا فكان أمام المجاهدين وتطلبت قتالا فكان قائد المقاتلين .

لقد نهض صلوات الله وسلامه عليه بدعوة الحق والخير فى صدق وايمان وعزيمة وصبر وثبات وتصميم ، وتحمل لسفاهات الجاهلية ، وحماقات

الباطل فوقف صامدا أمام طواغيت الكفر وسدنة الفساد يحطم طغيانهم ويقوض دعائم باطلهم حتى اخرجهم من سجون الظلام الى آفاق النور وارتفع بهم من حمأة الرذيلة الى قمم الفضيلة وانتشلهم من هوان التفرق الى عز الوحدة لقد واجه الدنيا بكل مافيها من مظالم ومفاسد وحرر العقول من جمود التقليد وظلام الجهل وأبطل العقائد الفاسدة والخرافات البائدة وأحاط الانسان بضمانات تفك قيوده وتحفظ كرامته وشرفه وغرس فى دنيا الناس أصول الفضائل والمكارم ، وأعلى صروح العدالة والحرية والمساواة على دعائم الايمان بالله ، وبنى للاسلام الذى ارتضاه الله مجدا أساسه الطهر والاخاء بين الناس أجمعين وجعل كلمة الله هى العليا، وجعل من اتباعه المؤمنين ابطالا قادوا ركب الحياة الى جنة الله فى الدنيا والاخرة فأظل البشرية لواء الحق والعدل والانصاف فكان مبعثه رحمة للعالمين « وما أرسلناك الا رحمة للعالمين » وكان السراج الوهاج الذى يستضىء به الخلق فى طريقه الى الرشاد والسداد « **يأيها النبى انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا** » ويشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا •

أيها السادة ،

ان مجد الاسلام الذى بناه صاحب الذكرى صلوات الله وسلامه عليه والذى سجله التاريخ فى انصع صفحاته ، لم يكن وليد الحظوظ والمصادفات ولم يكن طريقه مفروشا بالورود والرياحين ولكنه كان نتيجة جهاد وتضحيات ،نتيجة مبادىء ومثل وموازين وقيم جاءت بها رسالته وحفلت بها حياته واعتنقها المؤمنون بدعوته وأشربت بها أرواحهم ونفذوها قولا وعملا •

أعتقد المسلمون فى بدء أمرهم أنهم قادة الحق فى دروب العدالة وشرف الحياة، وان الدين يتقاضاهم واجب الدفاع عن العقيدة وحماية المقدسات والذود عن حياض الوطن فانطلقوا للجهاد فى سبيل الله لم يرهبوا الموت بل أحبوه فكتبت لهم الحياة ، وفضلوا الباقية مع العزة على الفانية مع المذلة فباعوا ارواحهم وأموالهم فى سبيل الحق والشرف واتخذوا الاعتصام بالله وارادة الاحرار وتضحية البررة المؤمنين أسبابا للنصر فبنوا حياتهم على الامل يجتازون به دروب الحياة فى ظلم اليأس فكانوا سادة الدنيا وحماة الحق وهداة العالم فسعدت البشرية وتحقق لها أمنها ورشادها •

تلكم أيها السادة ومضات من حياة الرسول وهدى رسالته وجهاد صحابته فى ذكرى مولده والناس يخطئون حين يحتفلون بهذه الذكرى العظيمة ثم لا يجاوزون هذا المظهر الى حقيقتها وجوهرها حيث الجمال والجلال والاسوة والقدوة • ان الاحتفال بهذه الذكرى العزيزة الكريمة على نحو لا يترك فى حياتنا اثرا قد يساوى العدم •

وما أجدرنا ونحن نجتاز مرحلة من أخطر المراحل التى تمر بها أمتنا ويتحدد فيها مصيرها فى مواجهة تحد سافر وعدوان غادر يحطم القيم ويغتصب الارض ويدنس الحرمات ما أجدرنا أن نقتدى بصاحب الذكرى وصحبه وقد لاقوا من العنت فى سبيل الحق ما لا يتحمله الا الاصفياء ، وواجهوا قوى الشر والبغى فما وهنوا لما أصابهم فى سبيل الله وماضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين فوهبهم الله النصر والغلبة (كتب الله لاغلبن أنا ورسلى ان الله لقوى عزيز) •

فليكن لنا من هذه الذكرى نفحة تجدد ايماننا وتصل أرواحنا بصاحب الذكرى صلوات الله وسلامه عليه •

وليكن لنا من هذه الذكرى عبرة تلهب كفاحنا فى سبيل شرفنا وكرامتنا •

وليكن لنا من هذه الذكرى دفعة تمضى بنا أبطالا لاسترداد أرضنا وتطهير قدسنا •

وليكن لنا من هذه الذكرى ثقة فى نصر من الله قريب حتى نحتفل بها باذن الله عامنا القابل فى رحاب القدس ومسجد الخليل وأرض السلام ومرتفعات سورية وأودية سيناء

« ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم »

أيها الاخوة المؤمنون

ان فى احتفال المجلس الاعلى للشئون الاسلامية بذكرى رسول الله فى مقره الجديد بشيرا باحتفاله القادم ــ باذن الله تعالى وتوفيقه ــ فى المسجد الاقصى المبارك وقد طهره الله من دنس الاعداء ورد الى أرضنا السليبة وجهها الاسلامى المشرق •

أيها الاخوة

وفى هذا المقام يطيب لى أن أحيى جهاد المجلس الاعلى للشئون الإسلامية وجهود أمينه العام السيد الاستاذ محمد توفيق عويضة والعاملين معه فى سبيل نشر الدعوة الاسلامية وبث روح التعاون والاخوة بين المسلمين من اقصى الدنيا الى أقصاها •

حيا الله جهادكم وبارك جهودكم وجعل التوفيق حليفكم

وانا لنضرع الى الله سبحانه مستشفعين بصاحب الذكرى أن يجمع كلمة المسلمين لنصرة دينه ويوثق عهدنا برسوله ويوجهنا للعمل بكتابه ، وان يؤيد جنودنا بروح من عنده ، ويهبنا النصر على أعدائه ويتغمد شهداءنا بواسع رحمته ، وان يهب بطل العروبة وقائدها الرئيس جمال عبد الناصر عونا منه فى نضاله لخير الاسلام وعزة المسلمين ، وصلى الله تعالى وسلم على سيد رسله وخاتم أنبيائه •

يارب أحسنت بدء المسلمين به
فتمم الفضل وامنح حسن مختتم

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

كلمة

السيد الدكتور عبد العزيز كامل

وزير الأوقاف وشئون الأزهر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن دعا بدعوته وسار على سنته الى يوم الدين

السادة أعضاء اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكى العربى .

فضيلة الامام الاكبر .

اخوانى وأبنائى :

تحية طيبة فى هذه المناسبة التى نجتمع فيها احتفالا بذكرى مولد النبى عليه الصلاة والسلام فى المقر الجديد للمجلس الاعلى للشئون الإسلامية داعين الله تبارك وتعالى ان يبارك فى هذه الجهود الكثيرة المخلصة وأن يجعلها كلها معوانا على هدف كبير نعمل من اجله وهو النصر الذى وعده الله تبارك وتعالى عباده المتقين وانها لامنية غالية عزيزة ولكن ربنا تبارك وتعالى علمنا ان نثق فى فضله وكرمه وان نسير على الطريق الذى رسمه لنا . « كتب الله لاغلبن انا ورسلى » . « انا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد » . « وكأين من نبى قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم فى سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين » . « وماكان قولهم الا ان قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا فى امرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين . فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الاخرة والله يحب المحسنين » .

نجتمع الليلة فى هذا المكان المبارك وانظر فاجد من خلفى اعلام اثنتين وسبعين دولة اسلامية واجد أمامى باقة مؤمنة من ذلك العالم الاسلامى الكبير الممتد من اقصى جزائر المحيط الهادى شرقا الى العالم الجديد غربا ومن اقصى العروض الشمالية الى العروض الحارة الجنوبية . وأعود فانظر وأذكر ذلك الانسان الفرد الذى يرجع اليه الفضل فى هذا . انه رسول الله عليه الصلاة والسلام أجد هذا النور كله وهذه الامم كلها وهذه الجنسيات كلها وهذه الشعوب كلها كانت فى يوم من الايام أملا مختزنا فى قلب النبى عليه الصلاة والسلام حمله معه من غار حراء حينما نزل عليه الوحى لاول مرة . « اقرأ باسم ربك الذى خلق » . واراه بعد هذا وقد عاش عيشته البسيطة المؤمنة وحينما هاجر من مكة الى المدينة هاجر بعدد قليل محدود من أصحابه ثم بعد هذا ارتفعت فاعلية هذا الايمان وهذه القاعدة الاسلامية فى نواح متعددة سنعرض لها فى ايجاز بعد قليل ولكن كيف عاش صاحب الذكرى والدنيا من حوله تتفتح واموال

الغزوات تاتى وخيرات الدنيا تقبل تقول السيدة عائشة رضى الله عنها . ما امتلأ بطن محمد من طعام قط وما ادخل طعاما على طعام وكان رجلا مسقاما اى كثير المرض تنعت له العرب ما يتداوى به فيتداوى وتنعت له العجم ما يتداوى به فيتداوى . ورأى ابن مسعود رسول الله عليه الصلاة والسلام وقد اثر الحصير فى جنبه فاقترح عليه ان يمد له غطاء يقيه ذلك الحصير الغليظ فقال : **مالى وللدنيا انما انا فيها كعابر سبيل اقام ثم ارتحل .**

اذا لم يكن نبينا عليه الصلاة والسلام يعيش هذه المغازى لنفسه ولمتعته وانما سعادته فى ان يسعد الناس من حوله من اجل هذا رباه الله تبارك وتعالى بالحرمان وعلى الحرمان انشأه فقيرا ويتيما وامتن عليه بعد هذا بهذا كله فى كتابه ولكنه أدبه فأحسن تأديبه ووصف اخلاقه بقوله : **وانك لعلى خلق عظيم .** اذا هناك عالمان فى حياة النبى عليه الصلاة والسلام ذلك العالم الداخلى المملوء بأشواق الروح وبالصلة العميقة الاصيلة بالملأ الاعلى والذى كان يدفعه فى رمضان الى ان يواصل صومه فاذا ماجاء الغروب لا يفطر وانما يواصل العبادة دون افطار ولما حاول الصحابة ان يتأسوا به قال لهم : **لست رجلا كأحدكم انى أبيت عند ربى يطعمنى ويسقينى .** طعام قليل لباس قليل دنيا قليلة ولكن اقدام تتفطر من الوقوف الطويل بين يدى قيوم السموات والارض ويسأل عن هذا فيقول يقال له اتفعل هذا يارسول الله وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وماتأخر فيقول : **أفلا أكون عبدا شكورا؟** يصلى فى المسجد فيرى اصحابه انه يسرع فى صلاته فيسألونه بعد ذلك فيقول : ذكرت بعض التبر فى بيتى مما جاء من الغزوات فأردت ان أعطيه للفقراء ولهذا أسرعت فى صلاتى . وفى سكرات الموت تذكر مالا قليلا محدودا كان عنده فاذا ما افاق من سكرة من سكرات الموت قال : **اذهبوا بهذا الى فلان واذهبوا بهذا الى فلان .** حتى اطمأن بعد هذا الى انه ترك كل شىء للناس وللمسلمين فرفع عينيه الى الله تبارك وتعالى وهو يقول : بل الرفيق الاعلى بل الرفيق الاعلى **وتاتيه السيدة فاطمة تسأله متاعا فيقول لها : يافاطمة جاء من قبلك يتامى بدر ويأمرها بالتسبيح والتكبير** والتحميد . **حياة اذا قائمة على اسعاد الناس وعلى اسعاد نفسه ولكن هناك فارق كبير بين سعادته وسعادتهم ان سعادته الحقيقية فى أن يشيع ذلك الخير كله فى الجو الذى حوله ونأتى بعد أربعة عشر قرنا فنجد الدنيا كلها على امتدادها تحتفل بمولد النبى اليوم عليه الصلاة والسلام .**

من الذى ينظم هذا كله ؟ ما القوة المركزية التى ترتب هذا الامر كله ؟ انه الحب الذى يملأ قلوب المسلمين جميعا برسولهم عليه الصلاة والسلام . الرسول الذى لم يروه ولم يعيشوا معه ولكنهم يذكرونه دائما فى احاديثه ويذكرونه فى حياته ويعرفون من دقائق حياته اكثر مما يعرفونه عن كثير من اهليهم واقاربهم . **ولكن الله حبب اليكم الايمان وزينه فى قلوبكم وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان اولئك هم الراشدون فضلا من الله ونعمة ..** هذا الايمان الذى ملأ قلب النبى عليه الصلاة والسلام والذى تحول بعد هذا الى مجتمع حى نابض بكل نواحى الحياة . كيف عبر هذا الايمان عن نفسه فى المجتمع لقد عبر عن نفسه بأسلوبين رئيسيين فى حياة النبى عليه الصلاة والسلام . أسلوب يتجه اساسا الى تكوين الفرد وتوثيق الرابطة بين المؤمنين كما نرى فى مكة ثلاثة عشر عاما امضاها النبى عليه الصلاة والسلام يكون مجموعة قليلة محدودة العدد لا تملك لنفسها ضرا ولا نفعا يمر على المعذبين منهم فيقول لهم : **صبرا لا املك لكم من الله شيئا ان موعدكم الجنة .** يأتون اليه فيستنجزونه وعد الله ويطلبون منه ان يدعو على اعدائهم واعدائه فيأمرهم بالصبر ويذكر لهم اخبار الامم السابقة : **لقد كان يؤتى بالرجل ممن كان قبلكم فيمشط بامشاط الحديد مادون لحمه الى عظمه ما يفتنه ذلك عن دينه ويوضع على رأسه المنشار حتى يتساقط شقاه ما يفتنه ذلك عن دينه ثم يقسم فيقول والله ليتمن الله هذا الامر حتى يسير الراكب الى صنعاء اليمن لا يخشى الا الله والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون .**

على هذا الاساس ربى اصحابه ثم جاءت قضية **كبرى فى حياته فيما بين العامين السابع والعاشر من الدعوة الاسلامية حينما حوصر الصحابة حصارا شاملا وحوربوا حربا اجتماعية واقتصادية وفكرية كل نواحى حياتهم كانت مهددة والجئوا الى شعب بنى هاشم ولم تكن تسمع من وراء الشعب الا صرخات الاطفال وبكائهم من الجوع لانهم لا يجدون لانفسهم طعاما ولا يجد اهلوهم لهم طعاما حتى أكل الاباء والامهات أوراق الاشجار وتقرحت أشداقهم وسط هذه الاكباد الغليظة ومع هذا يفدون رسولهم بأنفسهم ويعيش معه بعض الذين لم يؤمنوا به من أهله واصحابه كعمه ابى طالب وهو يقول :**

ولقد علمت بأن دين محمد
من خير اديان البريه دينا
والله لن يصلوا اليك بجمعهم
حتى أوسد فى التراب دفينا

وتمضى هذه السنوات ثقيلة قاسية على النبى عليه الصلاة والسلام ويخرج بعدها فيموت عمه وبعد ايام تموت زوجه خديجة القلب الحنون الوفى الكبير الذى وسع آلامه وآماله ويخرج الى ثقيف فترده ردا غير كريم فتغرى به عبيدها وصبيانها وسفهاءها يضربونه بالحجارة ويسير على طريق الايمان والالم واقدامه تتفطر ويوجه ناظريه الى الله تبارك وتعالى : **اللهم اشكو اليك ضعفى وقلة حيلتى وهوانى على الناس يارب المستضعفين وربى الى من تكلنى الى بعيد يتجهمنى أم الى عدو ملكته أمرى أعوذ بنور وجهك الذى** اشرقت له الظلمات وصلح عليه امر الدنيا والاخرة **ان يحل بى غضبك او ينزل على سخطك اللهم ان لم يكن بك غضب على فلا ابالى ولكن عافيتك هى اوسع لى لك العتبى (اى لك الرضا)حتى ترضى ولا حول ولا قوة الا بك .**

ويأتى الاسراء بعد هذا تخفيفا عما يلقى الرسول الاعظم صلوات الله وسلامه عليه وابرازا لمكانته فى الارض والسماء واذا بالنبى الكريم يخترق بالبراق الافاق ويخترق بعد هذا سماء بعد سماء ويصلى بالانبياء جميعا صلاة جامعة بالمسجد الاقصى الذى نحاول جاهدين واثقين بنصر الله ان نسترده لنحتفل فيه بعد هذا بمولد الرسول الاعظم صلوات الله وسلامه عليه ٠ أبرز الله تبارك وتعالى مكانته وطيب قلبه ومسح على ذلك القلب الجريح وعاد النبى عليه الصلاة والسلام بعد هذه الليلة تفتح له المدينة ابوابها وقلوبها . اذا ذلك العهد المكى كان مبنيا أساسا على ذلك الايمان العميق الغامر فى قلوبهم وعلى ذلك التماسك بين هذه المجموعة مع قلة مواردها الغنى فيهم أفنى ماله فى عتق الارقاء لماذا ؟ لكى يستطيع ان يحرر قلوبا مؤمنة تسير معه على طريق الايمان غنيهم وفقيرهم قادرهم وضعيفهم كانوا امام الايمان سواء على الايمان وعلى التماسك رباهم النبى عليه الصلاة والسلام فى مكة فكيف رباهم فى المدينة هنا نجد اسلوبا جديدا فى التربية مجتمعا يتكون بكل قضاياه الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وبكل تناقضاته الداخلية والخارجية ، منافقون فى الداخل وقريش فى الجنوب واليهود فى داخل المدينة واليهود فى شمال المدينة وكفار فى نجد وكفار فى الساحل فكيف يستطيع النبى عليه الصلاة والسلام ان يسير بسفينة الاسلام وسط هذه الصخور ووسط هذه التيارات .

يمكن أن نلتقط من هذا ثلاثة خطوط رئيسية : الخط العسكرى والخط السياسى والخط الاقتصادى

اما الخط العسكرى فحاول جاهدا الا يسمح لاعدائه بأن يتجمعوا عليه فى معركة واحدة ، اكتشف المكان وحاول فى مغازيه ان يضرب كل عدو على حدة قابل قريشا فى بدر بعد تصعيد للاحداث استمر عاما ثم قابل يهود بنى قينقاع بعد ذلك ثم قابل قريشا فى أحد وقابل يهود بنى النضير فى العام الرابع ولكنهم وجدوا أن خير اسلوب يقابلون به النبى عليه الصلاة والسلام ان يكونوا من انفسهم حلفا ظالما اثيما وينقضوا عليه ويضربوه ضربة رجل واحد وحدث هذا فى غزوة الاحزاب التى سجل الله تبارك وتعالى امرها فى كتابه **(اذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا هنالك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا)** واستطاع النبى عليه الصلاة والسلام ان يمزق هذا الحلف الخائن الاثيم وان يوقع بين بنى قريظة وقريش فانسحبت قريش ثم حاصر بعد هذا حصون بنى قريظة واستطاع ان يخرجهم منها .

تأتى بعد هذا مرحلة ثالثة ، استطاع فيها النبى عليه الصلاة والسلام ان يثبت قريشا فترة معينة فى العام السادس بصلح الحديبية ليفرغ بعد هذا من اليهود فى العام السابع من خيبر وفدك وتيماء ووادى القرى وليعود بعد هذا الى فتح مكة فى العام الثامن ويصفى وراءها ارض الطائف وأرض حنين ثم ينطلق بعد هذا العام التاسع الى تبوك ليقابل الروم فى أقصى الشمال هذا كان خطا عسكريا اساسيا فى حياة النبى عليه الصلاة والسلام، فماذا كان الخط الاقتصادى كان جزء كبير من اقتصاد المدينة تحت السيطرة اليهودية ، بنى قينقاع يسيطرون على التجارة الداخلية ، وعلى الحرف فى قلب المدينة ، بنو قريظة وبنو النضير يسيطرون على اجود الارض الزراعية فى العوالى فى الجزء الجنوبى الشرقى ، لقد استطاع أن يسترد وأن يحرر التجارة الداخلية وان يحرر الحرف من سيطرة اليهود فى العام الثانى من الهجرة بعد غزوة بدر ثم ياتى بعد ذلك تحرير الارض فى العام الرابع والعام الخامس حينما أخذ أرض بنى النضير وارض بنى قريظة واعطى هذه الارض للفقراء والمحتاجين اليها وكان تحرير الارض واعادتها الى الفقراء توسيعا لقاعدة الاقتصاد فى المدينة واعطاء لفرص واسعة تستطيع بها هذه القاعدة المؤمنة أن تقابل التزامات الحرب من ناحية والتزامات البناء الداخلى من ناحية أخرى - من هنا نرى أن الجانب الاقتصادى سار موازيا للجانب العسكرى سواء بسواء ولكنه لم يعتمد فقط على الاقتصاد وعلى الحرب انما أدخل السياسة

كعنصر أساسى فى تكوين هذا المجتمع الجديد أدخل هذه السياسة حينما استطاع ان يفرق فى العام الخامس بين يهود بنى قريظة وبين قريش واستطاع فى العام السادس بسياسته أيضا أن يثبت ويجمد موقف قريش ليفرغ بعدهذا الى اليهود ثم ليعودبعد هذا الى قريش فى مكه اذا : نستطيع ان نجد العمل السياسى مكملا للعمل العسكرى ونجد العمل الاقتصادى يستطيع أن يتكامل مع العمل العسكرى والعمل السياسى فى نفس الوقت كل هذا كان فى اطار من الايمان العميق استطاعت به هذه القاعدة أن تقابل كل مشكلاتها الداخلية والخارجية وكان النبى عليه الصلاة والسلام حريصا فى هذا كله على الجبهة الداخلية وعلى سلامتها وعلى تماسكها ، الاعداء يحاولون ان يضربوها وهو يحاول صيانتها اذا ما وجد امرا بين المهاجرين والانصار قابله ليصلح ذات بينهم واذا وجد امرا بين الانصار بعضهم وبعض عاجلهم بعد هذا بالصلح وحاول ان يصلح بين قلوبهم ونحن نذكر ما حدث فى غزوة حنين حينما جاءت الغنائم كثيرة وافرة وتجمع الناس حولها يريدون ان يأخذوها ويأتى هذا من ناحية ويأتى هذا من ناحية وضغطوا على النبى عليه الصلاة والسلام حتى تعلق ثوبه الشريف بثمره (أى بشجيرة) وهو يقول . (ثوبى ثوبى أيها الناس والله مالى من مالكم هذا الا الخمس والخمس مردود عليكم) ومع هذا أخذ هذا المال كله واعطاه للمؤلفة قلوبهم فاذا بالمنافقين يجدون فيها فرصة لضرب الجبهة الداخلية فيقولون لقى محمد أصحابه ويثيرونها فتنة للايقاع بين المهاجرين وبين الانصار . ويصل الخبر الى النبى عليه الصلاة والسلام ويسأل سعدا ماذا يقول قومك ياسعد قال يارسول الله يقولون لقى محمد أصحابه قال وما أنت ياسعد ؟ فيجيب الرجل فى هدوء وموضوعية ووضوح يا رسول الله ما أنا الا كرجل من قومى فيقول ياسعد اجمع لى قومك ويذهب اليهم النبى المصطفى رحمة الله المهداة ويقول لهم يامعشر الانصار : ما قالة بلغتنى عنكم وموجدة (حزن أو ضيق) وجدتموها فى أنفسكم أما لوشئتم لقلتم فصدقتم وصدقتم قالوا ماذا نقول يارسول الله : قال : قولوا أتيتنا مكذبا فصدقناك وطريدا فآويناك وعائلا فأغنيناك وضعيفا فآسيناك قالوا يا رسول الله بل لله الفضل والمنة قال يامعشر الانصار ألم آتكم ضلالا فهداكم الله بى ؟ ما ضركم يامعشر الانصار لوتربيت قوما بلعاعة من الدنيا (شىء تافه قليل من الدنيا) ووكلتكم الى ايمانكم وماضركم لو رجع قوم بالشاء والبعير فى رحالهم ورجعتم أنتم برسول الله فى رحالكم والله لولا الهجرة لوددت أن أكون رجلا من الانصار ولو سلك الناس شعبا وسلك الانصار شعبا لسلكت شعب الانصار اللهم ارحم الانصار وأبناء الانصار وأبناء أبناء الانصار فبكى الانصار وقالوا رضينا برسول الله قسما وحظا) .

وانتهى اذا فى الجبهة الداخلية كان حريصا حرصا شديدا على سلامتها أعداؤه كان يقابلهم على خط سياسى وخط اقتصادى وخط عسكرى وفى نفس الوقت بناء لهذا المجتمع الجديد الفرد فى مكة تكون على أساس من الايمان العميق والتماسك بين هذه المجموعة المؤمنة .. نخلص من هذا كله الى أن التعبير العملى عن الايمان ينبغى ان يقابل حاجات المجتمع الذى يعيش فيه المسلمون ، التعبير عن الايمان فى مكة اتخذ صورا ، هو ايمان فى حقيقته ،تعبيره ظهر صمودا وصبرا على هذا الاذى الغليظ الذى وقع عليهم وتماسكا رغم قلة القوت والمعدات يقول عليه الصلاة والسلام : « أفضل العطية ما كان من معسر الى معسر » ظهر فى المدينة تكوينا لهذه القاعدة حماية لها وعملا على كافة المجالات على الصعيد المحلى وعلى الصعيد الخارجى ، فى العام السادس بعد ان استقر أمره أرسل الرسل وأرسل الوفود الى جميع الحكام وكانت دائرة العمل السياسى فى سنة ستة تمتد من الحبشة جنوبا الى مصر فى الشمال الغربى الى بلاد الروم فى الشمال الى فارس فى الشمال الشرقى الى الخليج العربى .

بينما دائرة العمل العسكرى كانت محدودة فى نطاق الغزوات الممتدة من مؤتة وتبوك شمالا الى الطائف جنوبا فهناك دائرة عمل سياسى وهناك دائرة عمل بناء المجتمع أضيق منه وهناك دائرة عمل عسكرى كل هذه دوائر لكل منها مجاله الخاص وعمله الخاص ، ونحن فى مجتمعنا ينبغى ان نعبر عن ايماننا تعبيرا عمليا بمقابلة حاجات هذا المجتمع الذى نعيش فيه وان هذا المجتمع مهدد بنواح ثلاث : مهدد فى ماضيه ، وفى حاضره ، وفى مستقبله ، ذلك لان هذه الحرب الضارية بيننا وبين الصهيونية واسرائيل والاستعمار العالمى ليست حربا ممتدة فى الحاضر فقط ولا المستقبل ، وانما هى حرب تمتد الى الماضى ايضا انما يحاربون تاريخنا ويحاربون حضارتنا ويحاربون كياننا لا مانع عندهم ان يحرقوا منبر صلاح الدين مع أن المنبر من الناحية المادية مجموعة من الاخشاب ولكن فيه فن وضع فيه الفنان الاسلامى كل عصارة قلبه وروحه وجعله مكانا يصعد عليه الامام ليدعو

الناس الى الخير والسلام فى أرض السلام المسجد الاقصى يحرق . . الكنائس تحرق . . انهم قوم يحاربون الماضى والتاريخ ويحاربون الحاضر ان اليد الاثمة التى تمتد الى منبر صلاح الدين هى نفس اليد الاثمة التى تمتد الى مدرسة بحر البقر والتى تمتد الى ابو زعبل والتى تمتد الى المصنع والتى تضرب الامنين .
انما يحاربون الرجال والنساء والاطفال انما يحاربون وجودك كله مصنعك ، مدرستك ، ابنك الصغير ، كل هؤلاء فى الحرب ، وانه ليأخذ الماضى والحاضر ليمتد بك الى المستقبل ليجعلك أمة ضائعة مضيعة فى تيه الحياة يقضى على حاضرها وماضيها وبهذا يبترها عن مستقبلها .

هذه شريعة الظلام التى جاءت بها الصهيونية الى ارضنا — اين هذا من قول النبى عليه الصلاة والسلام فى حروبه العادلة : **اغزوا باسم الله وعلى بركة الله لا تقتلوا امرأة ولا شيخا ولا طفلا ولا عسيفا ولا تجهزوا على جريح ولا تتبعوا فارا ولا تقطعوا شجرة الا لطعام ولا تخربوا عامرا ولا تعقروا نخلا وستمرون على قوم دعوهم وماهم فيه** — هذا هو الدين الذى يرفع السيف بقانون كما يرفع الجراح مبضعه ليزيل به شرا من هذه الحياة اذا الصراع بيننا وبين اعدائنا انما هو صراع وجود أمام وجود كيان أمام كيان حضارة أمام حضارة قيم امام قيم اذا: هذه المعركة اذا كانت طبيعية او اذا كانت محلية الموقع واذا كانت عالمية الاثر فانها انسانية الهدف انها معركة بين قيم وقيم بين اهداف وأهداف بين أوضاع تعيش بها الحياة أو تدمر بها الحياة — ومن هنا تبدو ضخامة المسئولية التى يحملها هذا الجيل — ومن هنا يبدو تقديرنا العميق لكل جهد كريم يبذلَ وكلَ انسان منا مطالب بجهد فى هذه المعركة .

أيها الاخوة . تبدو من هذا قداسة هذه الجهود النبيلة التى يبذلها اخواننا الجنود والفدائيون العاملون فى خطوط المواجهة والرابضون فى قلب الارض المحتلة الذين لا تطلع عليهم الا عين الله التى لا تغفل ولا تنام منهم كثيرون ينطبق عليهم قول النبى عليه الصلاة والسلام (احب العباد الى الله الا تقياء الاخفياء الذين اذا حضروا لم يعرفوا واذا غابوا لم يفتقدوا وبهم تنجلى كل فتنة عمياء) . وعسى الله تبارك وتعالى ان يتقبل شهداء سبقونا الى الله تبارك وتعالى الى رحمته وعدهم بما لم يعد به أحدا فقال فى محكم كتابه [ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون يستبشرون بنعمة من الله وفضل وان الله لا يضيع أجر المؤمنين) .

وتحية الى قائد نضالنا الرئيس جمال عبد الناصر والى اخواننا العاملين فى كل موقع من مواقع انتاجنا وخدماتنا فى هذه الامة عسى الله تبارك وتعالى ان يتقبل هذه الجهود كلها وان يجعلها مادة للنصر الكبير وان يكتب لنا انه هو البر الرحيم ان نحتفل بهذه الذكرى فى عامنا المقبل ان شاء الله فى أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين ومسرى رسولنا عليه الصلاة والسلام فى المسجد الاقصى لنعيد اليه حريته ويرتفع فوقه صوت التكبير اقول قولى هذا واستغفر الله لى ولكم والسلام عليكم ورحمة الله .

كلمة

السيد محمد توفيق عويضة

سكرتير عام المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

بسم الله

والحمد لله

والصلاة والسلام على رسول الله

والحمد لله تعالى اذ يتم هذا الاحتفال المبارك بذكرى ميلاد خير البشر ـ وخاتم الرسل عليه الصلاة والسلام فى المقر الجديد للمجلس الاعلى للشئون الاسلامية ٠

أيها السادة

فى هذه المناسبة الكريمة ـ اسمحوا لى أن أتوجه باسمكم ـ بإسم أبناء العالم الإسلامى ـ بالتحية والتقدير للضباط والجنود الرابضين على خط النار ـ سائلين الله لهم العون والمؤازرة ٠

أيها الاخوة

اذا كانت الامم قد تعودت ان تحتفل بذكرى عظمائها وابطالها ـ اعترافا بفضلهم ـ وتخليدا لاثارهم ـ فان المسلمين اذ يحتفلون بذكرى المولد النبوى الشريف ـ يمجدون الرسالة التى ختم الله بها الرسالات، ويعتزون بالشريعة الغراء التى أكمل الله بها الشرائع ، ويهتدون بنبيهم العظيم الذى اصطفاه الله ليكون خاتم أنبيائه وأثنى عليه بما لم يثن به على نبى سواه ، فقال :

« وانك لعلى خلق عظيم » وأقسم بحياته وهو سبحانه لم يقسم بحياة انسان آخر فقال : « لعمرك انهم لفى سكرتهم يعمهون » ٠

أيها الاخوة

يجدر بنا فى ذكرى المولد النبوى الشريف ان نتخذ

من حياة رسول الله ومن أخلاقه وجهاده أعظم أسوة وأشرف قدوة وأعلى مثال .

فقد صبر على عناد قومه وهم الكثرة القوية ، صبر فى ثبات وشجاعة وافتدى عقيدته بروحه وبماله، ولم تضعفه وسائل الاغراء ولم تخفه أساليب التهديد والوعيد وقضى زمنا يقرع الباطل بالحق ، والضلال بالهدى ، والشرك بالتوحيد ، ثم قابل السيف بالسيف ، وناضل نضال البطل الذى لايعبأ هو وأصحابه بالحياة فى سبيل العقيدة لانهم **باعوا أنفسهم فى سبيل الله**، **وآثروا الاستشهاد على الحياة ، فكان النصر الحاسم : وكان الفتح المبين وكان تحقيق وعد الله تعالى فى قوله: « كتب الله لاغلبن أنا ورسلى ان الله قوى عزيز »**

وفى قوله سبحانه : **« ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم » .**

وانه ليسترعى الانتباه فى سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الذين كانوا أشد الناس معارضة له فى أول الدعوة صاروا بعد اسلامهم من أعظم المسلمين مؤازرة له ، لانهم اندفعوا الى نصرة الاسلام بأضعاف القوة التى كانوا يعارضون بها الاسلام رغم انهم يعلمون ان الاسلام يقتضيهم الجهاد بالنفوس والدماء والاموال، ولكن هداية الله ، وجلال الشريعة وعظمة الرسول صهرتهم ، وجعلتهم يؤثرون الجهاد والتضحية والاستشهاد فى نصرة العقيدة وحماية الوطن وعزة الاسلام .

ثم اختار الله تعالى نبيه لجواره ، بعد ان هدى الامة ، ودرب القادة ، وعلم الصحابة ، وخرج فى مدرسته الكبرى خير أمة أخرجت للناس ، فكان منهم الفاتحون الذين افتدوا الاسلام بأرواحهم فنشروه فى الافاق ، وكان منهم الخلفاء الراشدون الذين ضربوا أروع الامثال فى الحكم القائم على الشورى والعدل والحق والخير والايثار ، وكان منهم العلماء الذين أكبوا على القرآن الكريم ، وعلى الحديث الشريف يستنبطون منهما الفقه والتشريع والاحكام والاداب ، وكان منهم علماء يجتهدون فى البحث والكشف ، والتأليف فى أنواع المعارف النافعة للناس .

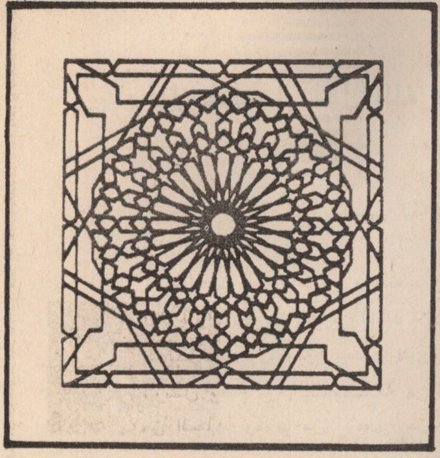

فنشأت من هذا كله حضارة انسانية جديدة تقتبس من هنا ومن هناك ولكنها تعتمد أول ما تعتمد على الاسلام وتظهر فيها خصائصه على الالسنة ، وعلى الاقلام ، فاستحقت ان توصف بأنها حضارة اسلامية، واستحقت ان نفاخر بها جميع الحضارات واستحقت ان يشيد بها المنصفون من الدارسين فى الشرق والغرب وان لم يدينوا بالاسلام .

أيها الاخوة

لنجعل نبينا العظيم رائد هذه الحضارة الاسلامية مثلنا الاعلى فى الجهاد الذى ننهض به اليوم ، فاننا اذن سننتصر على قوى الشر والبغى فنطهر ديارنا ونسترد حقوقنا وانى **أسأل الله سبحانه وتعالى ان نحتفل بذكرى مولد سيدنا رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم فى العام القادم وتكون القدس قد تحررت من أيدى الغاصبين وعادت فلسطين لاصحابها الشرعيين وتطهرت أرض العروبة من قوى الشر رافعين راية النصر تحت قيادة زعيمنا وقائدنا البطل الرئيس جمال عبد الناصر .**

والله معنا ومن كان الله معه فلابد ان ينتصر .
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أول خطبة لرسول الله في أول جمعة بالمدينـــة

خطب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فى أول جمعة صلاها بالمدينة فقال :

« الحمد لله » احمده واستعينه واستغفره واشهد به وأومن به ولا اكفره واعادى من يكفره واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله ارسله بالهدى والنور والموعظـــة على فترة من الرسل وقلة من العلم وضلالة من الناس وانقطاع من الزمان ودنو من الساعة وقرب من الاجل ، من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فقد غوى وفرط وضــل ضلالا بعيدا ، واوصيكم بتقوى الله فانه خير ما أوصى به المسلم المسلم ان يحضه على الاخرة وأن يأمره بتقوى الله فاحذروا ماحذركم الله من نفسه : ولا أفضل من ذلك نصيحة ولا أفضل من ذلك ذكرا ، وان تقوى الله لمن عمل به على وجل ومخافة من ربه عون صدق على ماتبغون من أمر الاخرة ، ومن يصلح الذى بينه وبين الله من أمره فى السر والعلانية لا ينوى بذلك الا وجه الله يكن له ذكرا فى عاجل أمره وذخرا فيما بعد الموت حين يفتقر المرء الى ما قدم ، وما كان من سوى ذلك يرد لو أن بينه وبينه امدا بعيدا ، ويحذركم الله نفسه والله رؤوف بالعباد ، والذى صدق قوله وأنجز وعده لاخلف لذلك فانه يقول عز وجل : « ما يبدل القول لدى وما أنا بظلام للعبيد » فاتقوا الله فى عاجل امركم وآجله فى السر والعلانية فانه من يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له اجرا ، ومن يتق الله فقد فاز فوزا عظيما ، وان تقوى الله يوقى مقته ويوقى عقوبته ويوقى سخطه ، وان تقوى الله يبيض الوجوه ويرضى الرب ويرفع الدرجة ، خذوا بحظكم ولاتفرطوا فى جنب الله ، قد علمكم الله كتابه ونهج لكم سبيله ليعلم الذين صدقوا ويعلم الكاذبين ، فأحسنوا كما احسن الله اليكم وعــادوا اعداءه وجاهدوا فى الله حق جهاده هو اجتبـاكم وسـماكم المسلمين ، ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حى عن بينة ولا قـــوة الا بالله فاكثروا ذكر الله واعملوا لما بعد اليوم فان من يصلح ما بينه وبين الله يكفه الله ما بينه وبين الناس ، ذلك بأن الله يقضى على الناس ولا يقضون عليه ويملك من الناس ولا يملكون منه ، الله اكبر ولا قوة الا بالله العظيم ».

التشريع
الفقه
الأبحاث
الدراسات الصوفية
في
الإسلام

الوحدة الانسانية

الأستاذ
أحمد حسين

لم تعرف البشرية قبل الاسلام دعوة للوحدة الانسانية كما دعا اليها القرآن ، وكما طبقها بالفعل سيدنا محمد فى حياته وأصبحت شريعة اسلامية بعد وفاته . يقول القرآن الكريم :

« يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذى تساءلون به والارحام » .

وهكذا قرر الاصل المشترك لبنى الانسان ودعا الى التراحم بين سائر بنى الانسان .

وقد انبنى على هذا الاصل المشترك ، المساواة فى الطبيعة الانسانية فلا مجال للتعصب للجنس أو الاستعلاء ، ولا سبيل للتفاضل بين أفراد البشر الا بالعمل الصالح وتقوى الله : « يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عندالله أتقاكم » .

ويوضح سيدنا محمد هذا المبدأ بلا مزيد عليه فيقول فى حجة الوداع :

« أيها الناس ان ربكم واحد وان أباكم واحد كلكم لادم وآدم من تراب ، ليس لعربى على عجمى ولا لعجمى على عربى ولا لاحمر على أبيض ولا لابيض على أحمر فضل الا بالتقوى الا هل بلغت اللهم فاشهد » .

وانطلقت هذه الدعوة وسط مجتمع يقوم على التعصب القبلى ، فكل قبيلة تعتبر نفسها هى وحدها البشر ، ومن عداها حتى من ذوى قرباهم من العرب ، لا قيمة لهم ، فكيف بغيرهم من الشعوب ، وكيف بالارقاء ، سودا كانوا أو حمرا .

وأحاط بلال الحبشى وسلمان الفارسى وصهيب الرومى برسول الله فى الصف الاول من الصحابة ، مقدمين على أئمة قريش وأعلامهم الذين ظلوا على كفرهم ، أو تأخروا فى اعلان اسلامهم .

ولم يعرف المجتمع الاسلامى عبر التاريخ حاجز اللون أو ما أصبحنا نطلق عليه اسم التمييز العنصرى ، وهو ما اعترفت به كل الابحاث الحديثة التى كتبت عن الاسلام فى دنيا الغرب . تقول دائرة المعارف للعلوم الاجتماعية الانجليزية وهى تتحدث عن التمييز العنصرى : ان الاسلام من الناحية العقائدية ومن الناحية الواقعية لم يعرف حاجز اللون وهو ما يفسر سرعة انتشاره فى افريقيا ، بينما لم تستطع المسيحية أن تنهض الى مستوى دعوتها .

حقوق الانسان

واذا كانت الدول فى العصر الحديثقد قررت فى ميثاق جماعى ما يسمى حقوق الانسان ، فقد سبق

القرآن الكريم وسبقت سنة رسول الله هذه المواثيق العصرية بأربعة عشر قرنا ٠

حق الحياة :

واذا كان حق الحياة قد قدسته الاديان كلها من قديم واعتبرته المواثيق الحديثة الاصل الذى تتفرع منه باقى حقوق الانسان ، فانه لا يوجد فى القديم ، كما لا يوجد فى الحديث ، من جعل حق الحياة لكل انسان هو حق الانسانية كلها ، فمن قتل انسانا فهو لا يقتل فردا ، بل يقتل البشر جميعا :

« من قتل نفسا بغير نفس أو فساد فى الارض فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحياها فكأنما احيا الناس جميعا » (المائدة ٣٢) ٠

حق الحرية :

ولم تعرف البشرية مصلحا أو زعيما أو قائدا جاء يدعو لمذهب جديد ودين جديد وسلوك جديد ثم ترك الناس أحرارا فى اتباع ما يدعو اليه ، عن طواعية ورضا لا عن اكراه وضغط ٠

– لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى ٠ (البقرة ٢٥٦)

– أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين (يونس ٩٩)

– فذكر انما أنت مذكر لست عليهم بمصيطر [الغاشية ٢١]

ويقرر القرآن حرية الانسان فى اختيار أفعاله :

– فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر (الكهف ٢٩)

ومرة اخرى لم تكن هذه دعوة نظرية ، بل هى دعوة تطبيقية عملية ، ولذلك فقد عايش الاسلام النصرانية ، واليهودية ، والزرادشتية فى فارس ٠ ويصل هذا التعايش ذروته عندما نرى الاسلام يبيح للمسلم أن يتزوج بكتابية من غير دينه ، ويصبح لزاما عليه ان يصاحب زوجته الى الكنيسة كلما رغبت فى الذهاب اليها ٠ فاذا علمنا أن الدين فى القديم كان هو كل حياة البشر أدركنا مدى ما وصل اليه الاسلام من احترام حرية الانسان ومعتقده ٠ ومن هنا قال عمر بن الخطاب كلمته المدوية لعامله على مصر عمرو بن العاص، عندما بلغ مسامعه أنه آذى قبطيا بغير حق:

« يا عمرو متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا »

الاخوة :

واذا كان يحلو لدعاة الثورة الفرنسية أن يقولوا أنها أول من نطقت بالحرية والمساواة والاخوة بين الناس ٠ فقد رأينا كيف سبقها القرآن باثنى عشر قرنا ٠ وينص على الاخوة بصريح اللفظ عندما يقول « **انما المؤمنون اخوة** » ويصور سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام ما يجب أن يكون عليه التضامن والتكافل فى المجتمع الاسلامى بصورة مجازية فيقول :

مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الاعضاء بالسهر والحمى ٠

نظام الحكم :

واذا كان حق الحياة والحرية والتكافل الاجتماعى هى من حقوق الانسان ، فان هذه الحقوق لا يمكن أن تصان الا من خلال حكم صالح ، والحكم الصالح له أساس يقوم عليه ، ومنهاج يعمل من خلاله ٠ فأما الاساس فهو العدل وأما المنهاج فهو الشورى ٠

العدل اساس الملك

جاء فى القرآن الكريم :

– ان الله يأمر بالعدل ٠

– واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل (النساء ٥٨)

– وامرت لأعدل بينكم (الشورى ٥١) ٠٠

ويصل القرآن الى الذروة فى غرس وجوب العدل مع كل البشر حتى لو كانوا أعداء للانسان وسبق لهم أن ظلموه فيقول :

ولا يجرمنكم شنآن قوم على الا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى (المائدة ٨) وهكذا يصبح العدل هو أساس الملك والحكم والاجتماع البشرى ٠

والشورى منهاج الحكم :

وينهى القرآن عن الحكم المطلق ، ويدعو للشورى فيصف المؤمنين بأن « أمرهم شورى بينهم » ويأمر الله سيدنا محمدا أن يشاور أصحابه ليكون قدوتهم فى ذلك فيقول له : « **فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الامر** » [آل عمران ١٩٠] ويضاعف فى خطورة هذا التكليف لسيدنا محمد أن يشاور أصحابه أنه جاء بعد غزوة أحد التى انهزم فيها المسلمون ، وكان انهزامهم نتيجة مخالفتهم لرأى رسول الله قبل المعركة ، ومخالفتهم لامره فى خلال المعركة. فجاء القرآن يطلب من سيدنا محمد أن يعفو عنهم ويستغفر لخطئهم ولا يكف عن استشارتهم ولا يكتفى القرآن بجعل التشاور منهاجا للحكم والحكام، بل انه ليفرضه على الفرد العادى مع أسرته فى بعض الظروف :

فان ارادا فصالا عن تراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما (البقرة ٢٣٣) وسنرى عند عرض تفاصيل السيرة ، كيف كان سيدنا محمد يستشير أصحابه فى مختلف الشئون العامة فى السلم والحرب ٠ بل سنرى كيف استشارهم أحيانا فى أخص خصائصه كما حدث فى موضوع الافك وما دار حول السيدة عائشة من أقاويل ٠

رضا المحكومين على الحاكم :

واذا كانت القاعدة التشريعية قد تتحدد بالسلب كما تتحدد بالايجاب ، فما سكت عنه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم مع وجود دواعى الكلام يؤلف قاعدة

تشريعية تساوى ما تكلم فيه ، اذ يدل على أنه كان سكوتا مقصودا لذاته .

من ذلك سكوته عن تعيين خليفة له مع شدة حرصه على أن يكون هذا الخليفة هو أبو بكر الصديق ، فدل هذا السكوت على أنه لم يشأ ان يفرض الامر على المسلمين فرضا ، وأن يترك ذلك لمحض اختيارهم .

وتظهر شدة حرصه على أن يكون أبو بكر خليفته ، فى أكثر من تصرف أقدم عليه قبيل وفاته فقد طلب من الصحابة الذين كانت لبيوتهم أبواب تفتح على المسجد ان يسدوا هذه الابواب كلها باستثناء ابى بكر . وعندما مرض رسول الله مرض الموت طلب ممن حوله أن يكلفوا أبا بكر ان يصلى بالناس ، فلما خولف أمره وأبلغ عمر ان يصلى بالناس غضب الرسول صلوات الله عليه ، وكرر أمره ان يكون المصلى بالناس هو ابو بكر . ولم يهدأ سيدنا محمد ويطمئن الا بعد أن قام ابو بكر يصلى بالناس ، وقام الرسول من فراش المرض ليصلى بنفسه وراءه .

وكان بحسب سيدنا محمد أن يقول للناس الخليفة من بعدى هو ابو بكر ليكون ذلك تشريعا نافذا ، ولكنه لو فعل ذلك لاصبحت قاعدة الحكم فى الاسلام وراثية أو بالتعيين ، وهو ما لم يرده رسول الله ، ومن هنا اكتفى بالتلميح دون التصريح ، ليظل الامر شورى بين المسلمين فيمن يولونه عليهم .

العلاقة بين الحاكم والمحكوم :

وقد كان هذا الفهم هو الذى جعل أبا بكر يسرع غداة مبايعته الخلافة ليخطب الناس واضعا لهم الدستور الذى يحدد العلاقة بين الحاكم والمحكوم قال :

« أيها الناس لقد وليت عليكم ولست بخيركم ، فان أحسنت فاعينونى واذا أسأت فقومونى ، أطيعونى ما أطعت الله ، فان عصيته فلا طاعة لى عليكم ! . وطاعة الله هنا تعنى خضوعه للشريعة كما حددها القرآن والسنة يعمل فى ظلهما ويطبق أحكامهما وهو ما نسميه فى لغة العصر الحديث بسيادة القانون وهو آخر ما انتهت اليه الحضارة الانسانية باسم الديمقراطية الاسلام والعدالة الاجتماعية .

واذا كان الاسلام كما رأينا يتضمن اقدس ما تتضمنه المبادىء الديمقراطية الحديثة ، فأنه يتضمن كذلك أثمن ما فى المبادىء الاخرى التى كانت تناقض الديمقراطية ونعنى بها الاشتراكية بمقولة انها لا تحقق للناس الا حرية سياسية . وتظهر الاشتراكية حدبها على العمل الانسانى وتشجب الرأسمالية وتتهمها بأنها تستغل الاجراء ، وقد سبقها الاسلام بثلاثة عشر قرنا الى مثل هذه المبادىء ، فالعمل وليس رأس المال هو مصدر الانتاج ، ومن هنا حرص الاسلام على أن يحصل كل عامل على ثمرة كده ، وحارب فائدة رأس المال التى تمتص ناتج العمل بدون وجه حق . وقد استخدم القرآن الكريم أعنف التعبيرات فى زجر رأس المال والتنديد به اذ يقول :

« يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا ان كنتم مؤمنين فان لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله ، وان تبتم فلكم رؤوس اموالكم لا تظلمون و لاتظلمون » (البقرة ٢٧٨_٢٧٩)

الزكاة :

ولم يقف القرآن عند تقويض سلطان رأس المال بحظر الفائدة ، بل لقد قرر مبدأ لم تعرفه البشرية من قبل ، وهو اعتبار الفقراء شركاء للاغنياء فى بعض أموالهم ، بما يضمن لهم تحقيق الحد الادنى اللازم للحياة ، وذلك من خلال تشريع الزكاة الذى هو احد اركان الاسلام الخمسة . ويخطىء من يتصور ان الزكاة نوع من الاحسان ، فالاحسان لا يكون الا على سبيل التطوع اما الزكاة فهى حق لمستحقيها : جاء فى القرآن الكريم :

– والذين فى أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم [المعارج ٢٥]

ولقد حارب ابو بكر المسلمين المرتدين ، ولم يكن مظهر ارتدادهم الا أن منعوا الزكاة ، وتصور بعض المسلمين ان ذلك وحده لا يجيز حربهم ، ولكن أبا بكر رضى الله عنه ، رأى فى منع الزكاة تقويضا للمجتمع الاسلامى من أساسه .

وقد رتب الفقهاء على ذلك أن المستحقين فى الزكاة شركاء فى أموال دافعى الزكاة ، بحيث يستطيعون اقتضاء حقهم بشتى الطرق اذا امتنع المستحقة عليهم عن دفعها ، بما فى ذلك استعمال القوة .

العلاقات الدولية وفض المنازعات :

ووضع القرآن الكريم وسنة الرسول ، اسس العلاقات بين المجتمعات مما نطلق عليه فى العصر الحديث اسم القانون الدولى ، فلكل دولة وجماعة بشرية ، حق البقاء فى سلم وأمان ، ومن هنا يحذر القرآن من الاعتداء على الاخرين بقوله :

– ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين

قداسة المعاهدات :

فاذا ابرم مجتمع عهدا مع مجتمع آخر ، فان هذا العهد يجب ان يكون مقدسا ، وهو مايحاول المجتمع الحديث ان يصل اليه دون ان يوفق لذلك ، فالمعاهدات تنقض بمجرد ان يقوى احد الطرفين على نقضها ، أما الاسلام فيجعل ذلك من الامور المحظورة :

– واوفوا بعهد الله اذا عاهدتم (النحل ٩١)

– وأوفوا بالعهد ان العهد كان مسئولا (الاسراء ٣٤)

ـ الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم [التوبة ٧].

المحافظة على السلام :

والسلام هو الاصل فى علاقة المجتمعات ببعضها يقول القرآن الكريم :

ـ وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله (الانفال ٦١) .

ـ فان اعتزلوكم والقوا اليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا [النساء ٩٠]

فض المنازعات الدولية :

ونجد فى القرآن اخر ما انتهى اليه الفكر البشرى فى فض المنازعات الدولية ، عن طريق التحكيم والمصالحة ، والقضاء بموجب الحق والقانون والاتفاقات الدولية . فان أبى أحد الطرفين الا أن يمضى فى اعتدائه لاخذ ماليس من حقه فقد أصبح على الاسرة الدولية ان تتدخل لردع العدوان . فاذا تم ردع المعتدى ، فقد وجب الفصل فى النزاع على اساس من الحق والعدل .

كل هذه المبادىء بهذا الترتيب نراها مسجلة ومقررة فى القرآن الكريم :

ـ وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما ، فان بغت احداهما على الاخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء الى أمر الله فان فاءت فاصلحوا بينهما بالعدل واقسطوا ان الله يحب المقسطين .

فى الاحوال الشخصية والمدنية :

واذا كان هذا هو مدى جلال المبادىء الاسلامية فى حكم العلاقات العامة ، فباستطاعتنا أن نتصور ، الاحكام الذى نظم به ادق العلاقات الشخصية ، والمعاملات المدنية ، مما جعل الباحثين يقفون مذهولين من عظمة هذا التشريع واتساع مداه ، ولندع بعضا منهم يتحدثون .

يقول جيبون وهو واحد من أعظم علماء التاريخ والباحثين : ان الشريعة الاسلامية عامة فى أحكامها يخضع لها اعظم ملك وأقل صعلوك فهى شريعة حيكت باحكم منوال شرعى وليس لها مثيل فى العالم .

وقال ليودورش : ان الاسلام دين طبيعى انسانى اقتصادى ادبى ولم اذكر شيئا من القوانين الوضعية الا وجدته مقننا فيه ـ ولقد وجدت فيه حل المسالتين اللتين تشغلان العالم طرا . الاولى فى قول القرآن : **انما المؤمنون اخوة . فهذه اجمل المبادىء** الاشتراكية ، والثانية فرض الزكاة على كل ذى مال وتخويل الفقراء حق اخذها غصبا اذا امتنع الاغنياء عن دفعها طوعا ـ وهذا هو دواء الفوضوية .

وقال ماسينيون : يمتاز الاسلام بأنه يمثل فكرة مساواة صحيحة .

وللاسلام ماض بديع من تعاون الشعوب وتفاهمها ، وليس من مجتمع آخر له مثل ما للاسلام من ماض كلله النجاح فى جمع كلمة مثل هذه الشعوب الكثيرة المتباينة على بساط المساواة فى الحقوق والواجبات ، ولقد برهنت الطوائف الاسلامية الكبرى فى افريقيا والهند الشرقية والجماعات الصغيرة منهم فى الصين والهند على أن الاسلام يستطيع أن يوفق بين العناصر التى لا سبيل للتوفيق بينها .

وهكذا ينتهى بنا استعراض الجانب التشريعى من القرآن : انه اذا عد فى العالم بعض افراد باعتبارهم عظماء البشر من الناحية التشريعية ، مثل حمورابى فى بابل القديمة ، وصولون فى اليونان وواضعوا الالواح الاثنى عشر فى روما ، وجامعو مدونة جوستنيان . فان سيدنا محمدا وما جاء به من التشريع يجب ان يوضع على رأس هؤلاء جميعا ، فقد ذهبوا وذهبت قوانينهم ولم يعد يذكرهم الا العلماء والمتخصصون ، اما سيدنا محمد وشريعته فباقية سائدة ، وهذا مدى نصاعتها وانسانياتها وكمالها .

ويكون سيدنا محمد أعظم المشرعين بعد كونه اعظم الحكماء والفلاسفة والمصلحين .

وأعظم مؤسس دولة وحضارة

على ان سيدنا محمدا لم يقف عند حد كونه حكيما أو مصلحا أو مشرعا لجماعة من الناس أو دولة من الدول بل انه كان مؤسس دولة وخالق حضارة انسانية كبرى كان مقدرا لها ان تكون المشعل الوضاء للعالم خلال ستة او سبعة قرون على الاقل ، وما الحضارة الاوروبية الحديثة التى نعيش فى ظلها من الناحية العلمية الا امتداد لهذه الحضارة الاسلامية ، فقد كانت هى الباعثة عليها والمحركة لها والاسس التى قامت عليها . فالاجماع منعقد على ان اوروبا بدأت نهضتها بالاصلاح الدينى وقد تم هذا الاصلاح تحت وهج الاسلام وانتصار الاسلام فى الحروب الصليبية ، والنهضة العلمية والكشفية تمت بما انتقل الى الاوروبيين من علوم العرب والمسلمين خلال احتكاكهم بالشرق الاسلامى فى الحروب الصليبية ، ومن خلال اضواء الاسلام المشعة فى الاندلس وفى جزيرة صقلية .

إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون

فضيلة الشيخ عبد الجليل عيسى

٤١

وجه الينا بعض السادة من قراء مجلة منبر الاسلام عددا من الاسئلة التى شغلت اذهانهم وغاب وجه الصواب فيها على الكثيرين ، وقد اجبنا فى العدد الماضى عن بعض هذه الاسئلة وفى هذا العدد نجيب على السؤال التالى من اسئلة المواطن عبد العزيز احمد منصور من ديرب نجم وهو : من هما هاروت وماروت ، وما مكانهما وما جنسهما وما خطيئتهما وماذا فعلا ؟

نقول : انه لابد من عرض آيات القرآن الكريم التى جاءت فى هذا الموضوع ثم شرحها الشرح الحالى من الاسرائيليات ثم نعقب على ذلك بما افتراه اليهود فى هذه القصة ٠

قال سبحانه فى اليهود :

[ولما جاءهم رسول من عندالله مصدق لمامعهمنبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كانهم لا يعلمون ٠ واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من أحد حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه وما هم بضارين به من أحد الا باذن الله ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم ولقد علموا لمن اشتراه ماله فى الاخرة من خلاق) ٠ آية ١٠١ ، ١٠٢ البقرة ٠

أى ، أن اليهود طرحوا كتاب الله الذى جاء لهدايتهم وراء ظهورهم ، أى ، أهملوه واتبعوا ما تتلوه الشياطين على ملك سليمان ٠٠ الخ ٠

والمراد بالشياطين هنا هم خبثاء الانس الذين قال سبحانه فى بعضهم (**واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم**) آية ١٤ البقرة ، وقال فيهم وفى شياطين الجن [**وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا شياطين الانس والجن يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا**) ٠٠ الخ ٠ آية ١١٢ الانعام ٠ و(على) بمعنى (عن) يقول العربى ٠٠ رضى فلان على ، يريد ، رضى عنى ٠

(السحر) شاع استعماله فى كل عمل يدق على الناس سببه والمشهور منه ما كان بتدخل الشياطين والشياطين واستراق السمع والسحر والكهانة كل أولئك أشار القرآن الى أن عناصرها موجودة من يوم أن خلق الله السموات والارض اقرأ قوله تعالى (ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين) آية ٥ تبارك ٠ وقوله : (**انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب ٠ وحفظا من كل شيطان مارد ٠ لا يسمعون الى الملا الاعلى ويقذفون من كل جانب**) آيات ٦و٧ ، ٨ الصافات . وقد كثر استعمال السحر منذ عهد البابليين والكلدانيين والفراعنة قبل موسى عليه السلام ، أنظرذلك فيماحكاه الله عزوجل عن ملا فرعون لما جاءهم موسى بمعجزاته ، موجهين الخطاب لفرعون : (**قالوا أرجه وأخاه وأرسل فى المدائن**

حاشرين ، يأتوك بكل ساحر عليم) آية ١١١ ، ١١٢ الاعراف • والمشهور من السحر نوعان : الاول تمويه **وتخييل للناظرين** على أنه تغيير لحقيقته الشىء ، وما هو بتغيير ، قال تعالى فى سحرة فرعون (**فاذا حبالهم وعصيهم يخيل اليه من سحرهم انها تسعى**) آية ٦٦ طه ، وقال سبحانه (**سحروا أعين الناس**) آية ١١٦ الاعراف أى موهوا على الناس حتى ظنوا أن الحبال حيات •

والثانى هو مزاولة بعض النفوس الخبيثة من الانس بواسطة مردة الجن الشريرين الكفرة **افعالا يكون لها أثر فى شخص آخر كما سيأتى بعد** وهذا النوع من المخلوقات المستترة عن الناس تحدث عنهم القرآن كثيرا مما يدل على أنهم اقسام كاقسام بنى آدم ، فمنهم المؤمن والكافر ، والطائع والعاصى ، قال تعالى فى جنود ابليس منهم (**انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم ، انا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون**) آية ٢٧ من سورة الاعراف •

وجاء فى سورة الجن من أول آية ٧ الى آية ١٦ ما يبين كثيرا من أحوالهم واقسامهم • وقال سبحانه فيمن آمن منهم (**واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا انصتوا ، فلما قضى ولوا الى قومهم منذرين ، قالوا يا قومنا انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه يهدى الى الحق والى طريق مستقيم ، يا قومنا أجيبوا داعى الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم**) آيات ٢٩ و٣٠ و٣١ من سورة الاحقاف ، وهذه الايات صريحة فى أن الرسل عليهم السلام مرسلون للثقلين (الانس والجن) •

وقال الله فى ذلك ايضا (**سنفرغ لكم أيها الثقلان ، فبأى آلاء ربكما تكذبان ، يا معشر الجن والانس ان استطعتم أن تنفذوا •• الخ**) آيات ٣١ ، ٣٢ ، ٣٣ الرحمن •

ومما يجب التنبيه له أن من مخلوقات الله ما لا يمكن أن يراه انسان على صورته الحقيقية ولكن يراه متمثلا فى صورة مادية وأشهر هذه المخلوقات : **الملائكة والجن** •

أما الملائكة ، فقد جاء ذلك فى القرآن والسنة ، **ففى القرآن** ، قوله تعالى فى الحديث عن بشارة جبريل **لمريم بعيسى عليهم السلام : [فارسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا)** آية ١٧ مريم •

وأما السنة ، فما رواه البخارى فى الحديث عن جبريل عندما جاء الى النبى ، صلى الله عليه وسلم ، وهو جالس بين أصحابه فى صورة رجل عليه آثار السفر ، وسأله عن الايمان ، والاسلام ، والاحسان ، ثم عن الساعة •• الى آخر الحديث ، وبعد انصرافه قال النبى ، عليه الصلاة والسلام : **هذا جبريل جاء يعلمكم أمور دينكم** •

وأما الجن ، فظاهر قوله تعالى : **وحشر لسليمان جنوده من الجن والانس والطير فهم يوزعون**) آية ١٧ النمل • وقوله جل شأنه ، فى الحديث عن نقل عرش بلقيس : (**قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك وانى عليه لقوى أمين**) آية ٣٩ النمل • وقوله تعالى اثناء الحديث عن ملك سليمان : (**ومن الجن من يعمل بين يديه باذن ربه ومن يزغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير**) آية ١٢ سبأ • وقوله عز وجل ، عن سليمان أيضا : (**قال رب اغفر لى وهب لى ملكا لا ينبغى لاحد من بعدى انك أنت الوهاب • فسخرنا له الريح تجرى بأمره رخاء حيث أصاب • والشياطين كل بناء وغواص • وآخرين مقرنين فى الاصفاد • هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب]** آيات ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٣٩ ص • فظاهر هذه الايات يدل على أنهم كانوا ممثلين فى صورة بشر • وأما تمثلهم بصورة مادية مختلفة غير الانس من الحيوانات الاخرى فأخبارها مستفيضة على ألسنة كثير من العقلاء ، وان كان بعض المخرفين بالغ فى هذا ، وبنى عليه ما هو بالدجل أشبه • ولولا أن القرآن الكريم أخبرنا عن هذين النوعين من المخلوقات لما أمكن للعقل البشرى أن يدرك حقيقتهما ، فقد أخبرنا القرآن أن الجن خلقوا من نار (**ولقد خلقنا الانسان من صلصال من حمأ مسنون • والجان خلقناه من قبل من نار السموم**) آية ٢٦ ، ٢٧ الحجر • أما الملائكة فقد جاء فى بعض الاحاديث انهم خلقوا من نور •

وما أنزل على الملكين » معطوف على قوله (**السحر**) عطف بيان • « **بابل** » بلد قديم بالعراق كان يكثر فيه السحر • « **هاروت وماروت** » اسمان للملكين وهو بدل من قوله (الملكين) ، فالمعنى وما انزل على الملكين المسميين هاروت وماروت ، أنزل عليهما بمدينة

بابل وصف السحر ، وذلك أن شياطين الجن اكثروا من تعليم شياطين الانس فى هذا الزمن كيف يتصلون بهم لمساعدتهم فيما يريدون ، فأنزل الله سبحانه وتعالى على هذين الملكين هذا العلم الذى كان معروفا للشياطين ، ولا يعلمه الملك ولا أكثر الناس ، فعلمه لهذين الملكين ليتصلا بالناس فى صورة رجلين ، أنزل عليهما وصف السحر وماهيته وكيفية الاحتيال به ليعرفاه الناس فيجتنبوه . **فالمؤمنون عرفوه فتجنبوه، وشياطين الانس عرفوه وعملوا به** ، واختصت بابل بالانزال لانها كانت أكثر البلاد عملا بالسحر ، كما تقدم ، **(وما يعلمان من أحد حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر)** . الضمير عائد على الملكين ، **والفتنة المحنة والاختبار لتمييز المطيع من العاصى** ، ومعنى لا تكفر اى لا تعمل بما تتعلمه من السحر الذى هو من قبيل الكفر ، ومعنى هذا **أن الملكين لا يعلمان السحر الا لتحذير الناس منه ، وليفرقوا بينه وبين المعجزة** ، فلا يغتروا بصاحبه حتى لا يجرهم تصديقه الى زعم أنه نبى ، وهذا غرض عظيم خصوصا فى بلد كثر فيه تضليل الناس به [**فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه**] الضمير فى « يتعلمون » عائد على « أحد » وهو نكرة فى سياق النفى .

فيفيد التعدد ، فصح الجمع ، وذكر فى هذه الجملة نوعا خاصا من السحر ، وهو ما يحاول فيه الساحر افساد العلاقة الزوجية وهذا من أفظع مفاسد السحر .

وقد تعرض علماء الفقه فى كل مذهب من مذاهب المسلمين من قديم الزمن لعقاب من يفعل ذلك من الانس ، فقال بعضهم : بقتله ، وقال بعضهم ، ان تسبب فى هلاك يقتل ، والا يعذب بما دون القتل . وهل يقتل كفرا أو حدا الى آخر ما قيل فى ذلك .

(وما هم بضارين به من أحد الا باذن الله) لما نسب فى الاية السابقة الضرر الى السحر دفع بهذه توهم أن يكون السحر مضرا بذاته بحيث لا يتخلف عنه الضرر ، فقرر أنه لا يحصل منه الا ما يأذن الله به . وضمير « هم » فى قوله « وما هم » عائد على السحرة من الانس الذين علمهم خبثاء الجن السحر ، والضرر هو ما يشعر به المسحور من ألم أوغيره ، ومعنى اذنه تعالى وتخليته بين السبب ومسببه وان شاء منع كما منع حرق النار لابراهيم عليه السلام الى ما قرره ابن خلدون فى مقدمته فى (باب الكلام على السحر) ص ١٠٣ المطبعة الشرفية وما قرره كبار المفسرين من المحققين البعيدين عن التخريف .

ومع هذه القدرة التى مكن الله بعض الجن منها ، فان الله اقتضت حكمته الا يترك لهم باب التصرف مفتوحا على مصاريعه يفعلون ما يشاءون واينما شاءوا ، ولاعانوا من غرروا بهم من الانس فى الانتصار فى الحروب على أعدائهم من البشر ، وهذا ما لم يكن ، بل قيد تصرفاتهم هذه بحدود لا يتجاوزونها ، فلا يفعلون الا ما أذن لهم فيه . واذا تأملنا هذا العالم الذى نعيش فيه ، نرى أنه لولا هذه الحكمة الالهية التى حفظت المخلوقات بعضها من بعض ، لهلك أكثر الناس لا على يد الجن فحسب ، بل حتى من الحشرات القاتلة التى تجوس خلال الديار والوديان والغابات اناء الليل واطراف النهار وتمر بجوار النائمين والاطفال ، بل لهلك كل من يجاور أو يقرب من كل مريض مرضا معديا ، ولكننا نرى كثيرا من الاصحاء الذين يعاشرون المرضى خصوصا فى القرب ، لا يصابون .. فما هذا الا بحفظ الله القائل : **(ان كل نفس لما عليها حافظ)** آية ٤ الطارق . **ان كل مخلوق من المخلوقات سخر الله له من يحفظه مما يؤذيه من غير أن يشعر هو به ، وقد لا يخطر له على بال . فسبحان العليم بخلقه الرحيم بهم .**

(ولقد علموا) أى اليهود الذين نبذوا كتاب الله واستبدلوا به السحر . **(لمن اشتراه)** أى اختار السحر **(من خلاق)** أى نصيب من نعيم الاخرة قال تعالى **(فمن الناس من يقول ربنا آتنا فى الدنيا وماله فى الاخرة من خلاق)** آية ٢٠٠ البقرة . **(ولبئس كلمة ذم (ماشروا به انفسهم)** أىباعوا حظوظ انفسهم من النعيم الدائم بثمن زائل . **(لو كانوا يعلمون)** خطره أى لنفروا منه ، وهذا جار على من يعلم حقيقة الشيء الضار ولم يبتعد عنه كان علمه بمنزلة الجهل .

ومن كل هذا نعلم جهل من يقول ان الملكين هاروت وماروت قد عصيا الله عز وجل حيث علموا الناس السحر الضار فحكم سبحانه عليهما بالعذاب الدائم الى يوم القيامة . قال ابو السعود فى تفسيره لبيان بطلان هذا الجهل بعدما شرح الايات السابقة على الوجه الصحيح قال : وأما ما يحكى من أن الملائكة لما اعترضوا على تفضيل آدم عليهم وقالوا نحن خير منه ، قال سبحانه لهم : اختاروا منكم ملكين وأنا اهبطهم الى الارض لتروا ماذا يفعلان ؟ فاختاروا هاروت وماروت وكانا من افضلهم ، فأهبطهم الى الارض بعدما ركب فيهما الشهوة ، ونهاهما عن القتل ، وشرب الخمر ، والزنا ، فاختصمت اليهما ذات

يوم امرأة من أجمل النساء اسمها زهرة ، وكانت من أهل فارس أو من قبيلة لخم ، وكانت على خصومة مع زوجها فلما رأياها افتتنا بها ، فراوداها عن نفسها فأبت وقالت الا أن تقتلا زوجى ، فقتلاه ثم طلباها ، فقالت لا الا أن تشربا الخمر ، فشربا ثم طلباها ، فقالت لا حتى تسجدا للصنم ، ففعلا ثم طلباها ، فقالت لا الا أن تعلمانى ما أصعد به الى السماء ، فعلماها الاسم الاعظم ، فدعت به ، فصعدت الى السماء فمسخها الله كوكبا ، وهو المعروف الان بكوكب الزهرة .

وأما هما فخيرهما الله تعالى بين عذاب الدنيا وعذاب الاخرة ، فاختارا عذاب الدنيا ، فهما الان يعذبان ببابل ، معلقان بشعورهما ، يضربان بالسياط الى قيام الساعة .

فكل هذا من مفتريات اليهود ليتلفوا به عقول المسلمين فيبتعدوا عن الصواب ويخسروا الدنيا والاخرة .

وليست هذه القصة : هى الوحيدة ، من المفتريات الإسرائيلية ، التى قصدوا بها تشويه القرآن ، وتعريضه لما لا يليق به ، بل ملأوا الجو بأكاذيب اخرى دسوها فى التفاسير . ومن المؤسف أن يقع فى حبالهم بعض كبار المفسرين ، فاقرأ ان شئت شيئامن خبائثهم هذه عند تفسير قوله تعالى [**وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبى الا اذا تمنى القى الشيطان فى امنيته .. الخ**] آية ٥٢ الحج . وقوله تعالى : **أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى)** آية ١٩ ، ٢٠ النجم . وما افتروه على داود عليه السلام عند تفسير ، الخصمين الذين تسوروا المحراب ، التى شرحت فى العدد السابق ، وما افتروه عليه هو أنه أحب امرأة جميلة ، فأرسل زوجها للقتال ، فقتل ، الى آخر ما لوثوا به سمعته عليه السلام ، وليس هذا فحسب ، بل اذا تتبعت ما قالوه فى قصة يوسف عليه السلام مع امرأة العزيز ، ولوط مع بناته لرأيت هولا فظيعا .

ومن المؤلم أن يدون بعض المفسرين هذا النوع من التضليل ، فى كثير من التفاسير دون بيان بطلانه وخطره على عقائد المسلمين مع أن القرآن صريح فى مدح الملائكة وتنزيههم عن مخالفة أمره ، قال تعالى ردا على من عبدوا الملائكة وقالوا انهم بنات الله (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون . يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون الا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون) آيات ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ الانبياء . قال تعالى (والملائكة وهم لا يستكبرون يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون) آية ٥٠ من سورة النحل .

« بم استحق بنو اسرائيل اللعنة ؟ »

اللعنة : الابعاد من رحمة الله . جاءت لعنة بنى اسرائيل وطردهم من رحمة الله على لسان داود فى الزبور وعيسى ابن مريم فى الانجيل ، فكانت لعنتهم فى الكتابين ..

ذلك اللعن الشنيع الذى ادى الى مسخهم بسبب عصيانهم واعتدائهم اللذين يتمثلان فى انهم كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه . والمعنى : لا ينهى بعضهم بعضا عن معاودة منكر فعلوه ، او عن منكر ارادوا فعله وانكشفت اماراته وعدت آلاته . او المعنى : لا ينتهون ولا يمتنعون عن منكر فعلوه ، بل يصبرون عليه ويداومون على فعله . يقال : تناهى عن الامر وانتهى عنه اذا امتنع عنه وتركه .

لبئس ما كانوا يفعلون ، من تركهم التناهى عن المنكرات والدنايا ، فهو يفضى الى الفوضى والاباحية وعدم الاكتراث وفقد المبالاة فى ارتكاب اية فاضحة مخزية .

وهو يدل على بلادة الطبع وخسة النفس ، ثم على انتزاع الحمية والحياء من قلوبهم ، الامر الذى نزل بهم من سماء الانسانية الى حضيض البهيمية ، فلامكان بينهم للقيم الاخلاقية والمعانى السامية ، ولا سلطان لهم الا سلطان المادة الزائلة الحقيرة ، والشهوة الحيوانية الدنيئة .

قال الله تعالى :

« لعن الذين كفروا من بنى اسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون : كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه ، لبئس ما كانوا يفعلون »

الوجدان العربي المشترك في الشعر الحديث

الدكتور أحمد الحوفي

— ٦ —

هتف الشعراء بالوجدان العربى المشترك فى تعاطف العرب وتآلفهم ، وفى صراعهم للاحتلال ، وفى تفجعهم على شهدائهم وأبطالهم .

فاذا ماقيض الله تعالى للعرب أسباب الفرح فى أى بلد من بلدانهم ، كان الشعراء يهتزون فى الوطن العربى كله لهذا الفرح ، فيصورون فرحهم وفرح العرب جميعا .

رابعا — الفرح المشترك

كانت أهازيج البهجة فى اقليم من الوطن العربى تتجاوب بها بقية الاقاليم ، وكثيرا ما صور الشعراء أفراح العرب المشتركة ، وابتهجوا بها .

١ — فحينما احتفلت سورية سنة ١٩٢٨ بعيد استقلالها ، حياها شوقى بقصيدة ، أشاد فيها بالاحياء من الاحرار ، وبالشهداء الابطال ، ونوه بما بين مصر وسورية من اخاء ، ومن ضيق بقيود الاستعمار :

بنى البلد الشقيق عزاء جار
أهاب بدمعه شجن فسالا
قضى بالامس للابطال حقا
واضحى اليوم بالشهداء غالى
يعظم كل جهد عبقرى
أكان السلم أم كان القتالا
وما زلنا اذا دهت الرزايا
كأرحم ما يكون البيت آلا

ثم حضهم على الاتحاد والعمل الدائب فى السلم وفى الحرب ، ودعاهم الى الاعتصام باخاء المسلمين والمسيحيين ، والى الحرص على التئام الشمل ، وذكرهم بوعود الاستعمار الخادعة وعهوده المنقوضة ، ليأخذوا حذرهم :

بنى سورية التئموا كيوم
خرجتم تطلبون به النزالا
سلوا الحرية الزهراء عنا
وعنكم هل أذاقتنا الوصالا ؟
وهل نلنا كلانا اليوم الا
عراقيب المواعد والمطالا ؟
عرفتم مهرها فمهرتموها
دما صبغ السباسب والدغالا [١]
دعوا فى الناس مفتونا جبانا
يقول : الحرب قد كانت وبالا
وكونوا حائطا لا صدع فيه
وصفا لا يرقع بالكسالى
وعيشوا فى ظلال السلم كدا
فليس السلم عجزا واتكالا

٢ — ولما احتفلت سنة ١٩٣٠ بعيد استقلالها ، حياها عباس العقاد — من مصر — بقصيدة ، ختمها بنصح السوريين ان يصونوا ما بينهم من حب واتحاد ، لا تجد الفتنة ثغرة تتسرب اليهم منها بسبب اختلاف الدين .

وقد حبب اليهم الاعتصام بالتآلف والاتحاد ، لانهم قاسوا أهوال الاستعمار ، واستشهد فى تحرير الوطن مسلمون منهم ومسيحيون ، وكان بارعا فى استنكاره ان يتنازعوا على السماء وأرضهم نهب لغيرهم ، وفى تذكيرهم فى مقام النصيحة بانهم ورثة الانبياء ، فليسوا بحاجة الى نصح :

هذى مواطنكم وتلك قلوبكم
وشجت على الاهواء والاهوال [٢]
ما فى المدامع من شعار كنيسة
يوم الحنين ولا شعار هلال
فيم اختلاف مصفدين تضمهم
قبل الوفاء سلاسل الاغلال ؟
امنازعون على السماء وأرضكم
نهب لكل منازع وموال ؟
كونوا — ولا نصح لجيل نبوة —
فى العالمين هداية الاجيال
من بعلبك خذوا المثال لرأيكم
يوم الخلاف وتلك خير مثال
فيها لموسى والمسيح وأحمد
أثر وللوثن القديم البالى

٣ — وحينما نال المغرب استقلاله ، تجاوب الشعراء بتهنئته ، وللشاعر مفدى زكريا — من الجزائر — عدة قصائد فى بضع سنوات ، منها قصيدة فى سنة ١٩٥٥ ، أنشدها الملك محمدا الخامس ، وأثنى فيها على المجاهدين الذين استردوا حرية وطنهم بصبرهم وثباتهم وتأييد الله لهم ، وهنأ الشعب والملك ، ونصح لهم ان يستمسكوا بحقوقهم كاملة ، وحذرهم ان يرضوا بأنصاف الحلول :

قالوا نريد فقيل للاقدار
كونى فكانت رجة الاقدار
قالوا نريد فقال ربك نلتم
فمشيئتى وارادة الاحرار
يا أيها الملك الحبيب محبة
وتحية من حافظ لجوار
ياشعب يهنك ما بلغت من المنى
فاسعد بيوم كرامة وفخار
طالب بحقك كاملا وحذار ان
ترضى بأنصاف الحلول حذار
واذكر دم الشهداء وارع ذمامهم
واخلص لعرش محمد المختار

٤ — ولما ظفرت الجزائر المجاهدة باستقلالها ، تجاوبت بالتهنئة والبهجة قصائد الشعراء ، كقول المدنى الحمزاوى — من المغرب — فى قصيدته :

اليكم أشقائى وأهلى وجيرتى
بنى الحرة العرباء عاطفتى الحرى
اليكم تحايا العرب فى كل موطن
وتهنئة تسرى الى ربعكم عطرا
صبرتم فكان النصر خير نتيجة
هنيئا لشعب العرب اذ نلتم النصرا
كذا فليكن عزم الشعوب اذا صحت
تنال الذى ترتاد أو تبلغ الحشرا

فهو يناديهم بأنهم اخوته الاشقاء ، وبانهم أهله ، وهم فى الوقت نفسه جيرانه ، على انهم فوق هذا كله أبناء العروبة الابية الحرة .

وهو لا يزجى اليهم تحيته وتهنئته وحده ، أو تحية المغرب وتهنئته وحده ، بل يزجى اليهم تحيات اخوتهم العرب وتهانيهم جميعا من كل اقليم فى الوطن العربى الكبير .

وقد انتهز صالح جودت — من مصر — فرصة مهرجان أبى القاسم الشابى ، فتمنى لو ان العمر امتد به ليشهد استقلال تونس ، ويصور أفراحه وأفراحها :

يا ليته عاش الى عهدكم
عهد [الحبيب] البطل الاغلب
ليشهد الليل وكيف انجلى
وانكسر الصلب على الاصلب
ويلتقى بنزرت فى عرسها
مجلوة المسبح والملعب
كانت متاعا لغريب الحمى
فأصبحت مقبرة الاجنبى

وهكذا كان شعراء الامة العربية يتناغون بالفرح ، ويتصايحون بالترح ، ويتداعون الى نضال الاستعمار والثورة على الاحتلال ، ويؤكدون بشعرهم الصادق أن العرب أمة واحدة تربطها أوثق الروابط .

والحق أن الشعراء كانوا وما زالوا يمهدون للوحدة التى نأمل أن ينبلج فجرها ويسطع ضحاها .

---

[١] السباسب : جمع سبسب وهو الصحراء والارض الواسعة . الدغال : جمع دغل وهو الشجر الكثير الملتف .
[٢] وشجت : اتصلت واشتبكت .

تطبيقات

امرأة

من أظهر الامثلة على الطابع الإنسانى، للشرع الاسلامى ، أحكامه فى المرأة ، والرقيق • وهما مثلان ، وأن دلا على انسانية الشرع الاسلامى ، الا أن الامر انعكس فيهما ، فبدا أمر الشرع الاسلامى بشأنهما ، دليلا عند خصومه أو عند الذين تخفى عليهم حكمته ، أو عندالذين استسلموا التيار حضارة وثقافة ، مغايرة للحضارة التى قامت على أسس من الاسلام ، بدا لهم ان حكم الاسلام فى المرأة وحقوقها والرق ، وحقوقه ، حكم تأخر وتخلف •

ولكى نعرف ما فعله الاسلام من أجل المرأة ، لابد ان نعرف كيف كانت تعامل قبل نزول القرآن لا عند العرب وحدهم ، بل عند الامم كافة •

فالمرأة قبل الاسلام كانت عارا يتخلص منه أبوها وأولياؤها الذكور بوأدها أى قتلها حية

وقد أشار القرآن الى ذلك :

« واذا بشر أحدهم بالانثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم • يتوارى من القوم من سوء مابشربه أيمسكه على هون أم يدسه فى التراب الاساء ما يحكمون »

ثم وردت الى ذلك اشارة ثانية

« أم اتخذ مما يخلق بنات وأصفاكم بالبنين ، واذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلا ظل وجهه مسودا وهو كظيم »

وفى سورة التكوير : **واذا الموءودة سئلت بأى ذنب قتلت »** وقد استقرت عادة الوأد حتى قيل « وأد البنات من المكرمات وقد يلتمس للرجال العذر ، اذا هم حزنوا ، اذا رزقوا بالبنات ، فقد كانت المرأة متاعا تورث ، كما يورث غيرها من عناصر المال ، كالبهائم وأثاث المنازل ، وكان يحق للابن ان يتخذ من زوجة أبيه ، زوجا له ، وهو ماسماه القرآن **بزواج [المقت] — وقد يكون الزواج أقل ما يصيب** المرأة من الشرور، فقد كان للابن الذكر حق التصرف فى زوجات أبيه بالبيع أو بالهبة •

وكانت **المرأة اليهودية ، احط درجة عن المرأة**

والرّق

الأستاذ فتحي رضوان

العربية فقد كان لابيها أن يبيعها قبل بلوغها وكان للابن الذكر ان يفعل ذلك ، وكلنا نعرف ماذا كان مكان المرأة الهندية فى عهد بعثة الرسول بل فى القرن العشرين ، فقد كان زواج الاطفال متفشيا ، فكانت الطفلة دون الخامسة تزف الى صبى فى مثل سنها أو أقل ، فاذا مات حرم عليها الزواج ، واصبح مرآها مما يجلب نحس الطالع وغالبا ما يموت زوجها الطفل ، دون ان يدخل بها ، فاذا بلغت سن المراهقة ، واصبحت صالحة للزواج كتب عليها الترمل الى آخر العمر .

وكانت الى جانب هذه العادة ، عادة حرق الزوجات ، ولعلهما عادتان متكاملتان ، فالارملة التى يموت عنها زوجها ان لم تحرق مع زوجها وعاشت بعده ، نفر منها المجتمع ، وتحاماها الرجال وفر منها الناس كأنها برصاء . ولذلك كان من اكبر أعمال الحركة الوطنية الهندية ، مكافحة هذه الافات الاجتماعية المدمرة ، وقد لقيت عناء شديدا فى اقتلاع جذورها .

وقد بقيت المرأة على هذا الوضع المؤسف والمخزى معا ، حتى بعد البعثة المحمدية بقرون عديدة .

حسبك ان تعلم ان مؤتمرات كنسية كانت تعقد ، للبحث فى هل للمرأة روح كروح الرجل ، ام ان لها روحا كروح الحيوانات كالكلاب ، والثعالب . بل ان احد هذه الاجتماعات فى روما قرر أنه لا روح لها على الاطلاق ، وانها لن تبعث فى الحياة الاخرى

وفى القرون الوسطى اشتدت الغيرة على المرأة ، واشتد سوء الظن بخلقها وطبيعتها ، فحرمت من الظهور فى المجتمعات، وشاعت عادة اقفال العفة، وهى اقفال من حديد ركبت فى أحزمة خصصت لتلبسها النساء ، حول خصورهن ، اذا غاب عنهن أزواجهن ، فى سفر ، ثم تغلق بمفاتيح يبقيها الزوج معه ، لا تفارقه لحظة .

بل ان بعض المجتمعات وضعت على فم المرأة قفلا تروح معه وتعود [١] وأحسب أن هذا القفل كان لا يقفل الا عند خروجها من دارها ، حتى لا يدور بينها وبين الرجال حديث ، تغويهم به الى الرذيلة ، فماذا فعل الاسلام ، أنه قفز بها قفزة ضخمة ، فقد وضعها الى جانب الرجل تماما ، فجعل لها من الحقوق ما له ، وكلفها مثله بالتكاليف الدينية والمدنية . فهى ترث ، كما يرث ، وتملك كما يملك وتبيع وتشترى ، وتهب وتوصى ، وتؤجر وتوكل ، ولها أن تزوج نفسها اذا بلغت سن الرشد ، ولا يجوز لوليها ان يزوجها على عكس ارادتها ، أو ان يزوجها ، قبل ان يعرف رأيها ، من خلف ظهرها ، واذا هم بشىء من ذلك ، وأراد ان يفرض عليها زوجا بعينه ، كان لها أن ترفض ذلك [٢]

وفى القرآن الايات الكثيرة التى تقرن المرأة بالرجل، وتساوى بينهما من ذلك قوله تعالى « **فاستجاب لهم ربهم أنى لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض** » ثم قوله تعالى « ومن يعمل من الصالحات **من ذكر أو انثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون** » ويفيض القرآن كما تفيض أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فى احترام المرأة ، يدل على ذلك الاية الكريمة : ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم أزواجا لتسكنوا اليها ، وجعل بينكم مودة ورحمة » .

ولم يرتفع الاسلام بمركز المرأة اجتماعيا واقتصاديا فحسب ، بل انه رفع قدرها أدبيا وروحيا ، فالمرأة مكلفة بالصلاة والصوم والحج ، والزكاة . وقد أشركها الاسلام، وهو بعد حركة تكافح وتلاقى الشدائد ، فقد كانت اسماء بنت ابى بكر ، هى التى تحمل الى رسول الله وابيها الطعام ، وهما لائذان بغار حراء ، وكانت تتخذ نطاقين لتحمل فيهما هذا الطعام ، ولذلك سميت بذات النطاقين ، فلما اشتد ساعد الاسلام ، كانت السيدة عائشة زوج رسول الله تعضل بكل ما يجرى فى الحركة ، فسمعت الكثير من أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم ، وحفظتها ، ونقلتها بعد وفاته ، فكانت مصدرا من أهم مصادر السنة وقد قال رسول الله **صلى الله عليه وسلم عنها خذوا نصف دينكم عن هذه الحميراء » مشيرا اليها .**

(١) الاسلام دين الهداية والاصلاح ص١٨٧ فريد وجدى .

(٢) فى الحديث لا تنكح الايم حتى تستأمر ولا البكر حتى تستأذن : ان الثيب احق بنفسها من وليها والبكر تستأمر وسكوتها اذن .

والثالث أنها تأتى بعد أبى هريرة فى الرواية عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، فقد روى أبو [هريرة] ٥٣٧٤ حديثا وروت السيدة عائشة ٢٢١٠ .

ولما ثارت مسألة الخلافة عن الرسول، وأختيرأبو بكر لها دون على ، هددته فاطمة بنت رسول الله وزوج الامام على بأنها ستدعو الله عليه ، فبكى ابو بكر . وقال لا حاجة لى فى بيعتكم ولما ولى على الخلافة ، قاومته السيدة عائشة ، واشتركت فى الحرب التى اعلنها بعض كبار الصحابة ضده . فأحكام القرآن ، والاسلام ، فى شأن المرأة والتسوية بينها ، وبين الرجل والاعتراف لها ، بالارادة الكاملة والحرية غير المنقوصة ، طبقت فى الاسلام عمليا وظهرت آثارها فى المجتمع .

وقد قرر عليها الاسلام العلم فريضة ، كما قرره على الرجل اذ قال رسول الله : « طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة » ولم يفرض العلم على المرأة من قبيل تهذيبها وتحليتها كزوجة بل ان الفقهاء أجازوا لها الانتفاع بهذا العلم فى الشئون العامة فالامامان الطبرى والظاهرى أجازا لها القضاء عموما ، واجاز لها ابو حنيفة القضاء .

وهذه المشاركة من جانب المرأة المسلمة فى الشئون العامة وهذا التكريم الذى عبرت عنه الايات القرآنية ، يثبت كم تتخلف المرأة الغربية بعد أربعة عشر قرنا من الاسلام ، فقد جرى استفتاء فى سويسرا سنة ١٩٦٦ فى هل تمنح المرأة حق العضوية فى الانتخابات أم تحرم منه فاسفر استفتاء عام ، عن تقرير حرمانها .

قارن هذا بما ثبت من معارضة امراة لعمر بن الخطاب ، الخليفة الثانى ، وهو يتحدث على منبر المسجد عن المغالاة فى المهور ، فذكرته امرأة كانت تصلى فى المسجد بالاية « وان أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم احداهن قنطارا فلا تاخذوا منه شيئا أتاخذونه بهتانا واثما مبينا » وهى آية تدحض رأى عمر ، فاقر لها بصحة رأيها وقال : أصابت امرأة واخطأ عمر وتدل هذه الواقعة على كثير : تدل أولا على صلاة النساء فى المساجد ، وعلى حفظهن للقرآن وقدرتهن على الجدل ، ثم على عدم تهيبهن الحديث فى المجالس العامة ، ثم على احترام اكبر رجال الدولة لحقهن فى المناقشة وابداء الرأى .

وقد روى عن الرسول صلى الله عليه وسلم حديثه الذى راح عنوانا على الرأفة بالمرأة ، والحدب عليها فقد قال « رفقا انجشة بالقوارير » وكان (انجشة) يحدو الابل : أى يغنى لها لتسرع فى السير : فآذى ذلك النساء الراكبات لهذه الابل ، لذلك دعاه الرسول الا يسرع فى حدائه .

ولما خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبته الاخيرة ، المعروفة بخطبة الوداع ، لم ينس ان يوصى الرجال بحسن معاملة النساء .

ولكن يأخذ خصوم الاسلام عليه فى شأن المرأة أربعة أمور :

أولا – قول الله تعالى : الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم .

ثانيا – انه جعل نصيب المرأة فى الميراث نصف نصيب الرجل

ثالثا – انه اباح للرجل ان يتزوج مثنى وثلاث ورباع .

رابعا – انه أباح للرجل ان يطلق زوجته ، دون الرجوع اليها ودون تعويضها .

أما ان القرآن قال ان الرجال قوامون على النساء فقول صحيح من ناحيتين : من ناحية تقريره لماكان واقعا عند نزول القرآن ولما استمر فى غير بلاد المسلمين حتى اليوم فالاسلام لم يفرضه فى بلاد البوذيين والبراهمة والمسيحيين واليهود .

ولسنا نود ان نقول انه طبيعة الامور . ولكنا نود ان نقول انه كان قائما قبل الاسلام وكان شائعا عند بدء البعثة الاسلامية ، ثم استمر الى اليوم فى العالم كله بأسره تقريبا ولكن هذه القوامة فى الاسلام مشروطة بحدين أولهما :

« ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة »

ثانيهما — ان قوامه الرجل على المراة مبينة فى الاسلام ، فليست هى قوامة بطش ولا استباحة لعقلها اوارادتها او ازدراء بشخصيتها .

فالقوامة تكاد تكون مساواة لايفرق بين العضوين فيها الا درجة واحدة فى مجتمع كانت الفوارق بينهما درجات ودرجات لعلها لو قيست لبلغت مائة درجة .

ولم يكن ممكنا لدين يجعل للاعتبارات العملية وحقائق الحياة مكانها اللائق بها ، فى كل ما يقننه ويقرره ، ان يتجاهل حقيقة وضع المرأة فى المجتمع ، ويعلن نبذها لكل ولاية للرجل فانه لو فعل ، لكان حكمه نقشا على الماء ، اونفخا فى الهواء . ولكنه بالخطوة التى خطاها ، وهى فى واقع الامر خطوات ، قرر للمرأة حريتها ، وفتح أمامها أبواب التقدم والتحرر ، والسيادة واعترف بالامر الواقع وهو أن الاسرة ككل وحدة انسانية لابد لها من رئيس ، ولابد للرئيس من حقوق الولاية ، والافشت الفوضى ، ولكن هذا الرئيس محدود السلطة ورياسته هدفها رعاية المرءوسين لا البطش بهم — ولا الاستعلاء عليهم — ولا تجاهل ارادتهم ولو فعل ذلك ، لما حماه الشرع ، ولما جعل

(١) الاسلام دين الهداية والاصلاح محمد فريد وجدى ص ١٨١ .
(٢) المصدر السابق .

لخروجه على حدود ولايته ، قيمة ولا أقام لها وزنا .
فاذا راى الرجل والمرأة بعد ذلك ، ان يتقاسما الامور ، واستقامت حياتهما فليس في الاسلام ما يمنع من ذلك .

• • •

اما كون نصيب المرأة دون نصيب الرجل فى الميراث اذ هو النصف فهذا أيضا تقدم بل هو ثورة على أوضاع المجتمعات الانسانية كلها فى ذلك فالمرأة العربية التى اصبحت ترث نصف مايرثه أخوها ، منذ أربعة عشر قرنا كانت هى نفسها تورث كالمتاع بل كانت تقتل وتحرم من الحياة ثم هى بعد ذلك افضل من السيدة الفرنسية فى القرن العشرين التى لم يكن لها ذمة منفصلة عن ذمة زوجها والتى بقيت محرومة من صرف مبلغ من مصرف الا بامضاء زوجها الى جانب امضائها .

ولكن الاسلام راعى فى تقديره نصيبها بالنصف ثلاثة امور [أولها] ما كان معمولا به عند بدء الدعوة الاسلامية ، فقد كانت المرأة تورث ولا ترث (ثانيا) انها معفية من الانفاق على بيتها وأولادها (ثالثا) ان للمرأة حق استثمار مالها ، حرة بغير اشراف ، أو رقابة من ذويها الذكور سواء كانوا ازواجا ، أو آباء ، او ابناء ، وقد توفق فى هذا الاستثمار فتفوق ثروتها ثروة زوجها .

على ان للاب ، اذا شاء ، ان يسوى بين ابنائه وبناته بطريق الهبة ، حال حياته ، وقد أجاز الشرع الاسلامى الوصية للوارث ، وغير الوارث فى حدود الثلث وقد أصبح هذا مقررا الان فى قوانين المواريث بمصر .

اما ان الاسلام قد أباح للرجل ان يجمع بين اربع زوجات ، فذلك لان الاسلام على منهجه فى التطور جاء فى وقت كان الرجال فيه يتزوجون بغير قيد مطلقا ، وقد بلغ عدد زوجات النبى داود حسب الثابت فى القرآن تسعا وتسعين والثابت من تعدد الزوجات بقى ممارسا حتى القرن السابع عشر بعلم الكنيسة

وقد اشترط الاسلام أن يعدل الرجل بين زوجاته والا فلا يحق له ان يتزوج سوى واحدة ، وقرر القرآن صراحة ان الرجال لن يعدلوا بين النساء ولو حرصوا ، فكأنه حرم الزواج بأكثر من واحدة ، وقد ذهب فعلا البعض الى القول بهذا . فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «**من كانت له امرأتان فلم يعدل بينهما بعث يوم القيامة وشقه ساقط**» ومع ذلك فان زواج الرجل بأكثر من زوجة يقع الوزر فيه ، على الزوجات اللائى يقبلن ان يتزوجن رجلا تزوج قبلهن . ولو تطور المجتمع ، ورفضت النساء الزواج برجل متزوج لتحقق ما هيأ القرآن له بنصه على استحالة العدالة بين الزوجات .

وقد تؤثر المرأة أحيانا ان يكون لزوجها زوجة اخرى تعرفها ، وتعرف أولاده منها ، وما ينفقه عليهم من ان يكون له خليلات مجهولات ، وأن يعيش معها مخادعا كاذبا لا تعرف شيئا عن حقيقة صلاته ، ولا فيم ينفق أمواله .

وقد تدرج المجتمع الغربى فى الاعتراف بالخليلات ، فأجاز لهن طلب التعويض ، وأجاز للولد غير الشرعى طلب النفقة .

وليس لدينا شبهة فى أن تطور المجتمع ، هو الذى يضيق من نطاق تعدد الزوجات ، وهو الامر المشاهد حتى فى ريف بلادنا الذى تكثر فيه حالات تعدد الزوجات لانحطاط مستوى الرجال والنساء اقتصاديا واجتماعيا .

واخيرا ان الاسلام قرر للمرأة الحق فى أن تشترط على زوجها حقها فى طلب الطلاق اذا تزوج عليها اخرى .

اما فحسبنا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه أنه أبغض الحلال الى الله . وأن المجتمع الحديث كله ، أصبح لا يمارس الطلاق فقط بل يسرف فى هذه الممارسة ، ولو حرم الاسلام الطلاق ، لصادم الطبيعة البشرية ، ولدفع الرجال والنساء فى حرج شديد ، ولجعل الحياة الزوجية جحيما لا فكاك منه ، الا بالموت ، أو الجنون .

فالزواج شركة لا تتم الا باتفاق الطباع ، ولا يتم هذا الاتفاق ، فى جميع الاحوال . فما العيب فى فض شركة ، عواقب بقائها بغير اتفاق ، أوخم من فضها وقد يكون فضها ، أدعى الى استئنافها بعد حين على اسس اكثر دواما .

والاسلام لم يقرر هذا الحق مطلقا ، فقد رسم له منهجا فقد أمر الرجال بأن يسرحن زوجاتهن عند الطلاق باحسان ، والا يرهقها ، أو يستبقى عنده مالها وعليه ان يوفيها بمؤخر صداقها : وعليه ان ينفق خلال فترة عدتها ، اى حتى يثبت أنها ليست حاملا ، **حتى تستطيع الزواج بسواه . فان ادعت انها** لم يأتها الحيض ، استمر ينفق عليها ، **ولو لبثت على هذا الانكار** سنين ، كما ذهب أبو حنيفة .

ولا يطلق الرجل زوجته الا بعد ان يرسل كل من الزوجين حكما ليصلحا بينهما .

جملة القول أن جميع ما قرره الإسلام ، فى حقوق المرأة ، وواجباتها ، وفى الزواج والطلاق اعترف بالامر الواقع: ولم يلتزم به، او يقف عنده: بل فتح جميع الابواب للتحرر منه ، والسمو عليه ، بحيث يصبح الزواج مقصورا على واحده وعنه يصبح الطلاق أمرا نادرا ، وعنه تصبح الفوارق بين المرأة والرجل ، هى فوارق الطبيعة ، وحدها التى لا سبيل الى الغائها .

وقد جرى الاسلام فى تحرير الرقيق، والغاء الرق، على مايجرى عليه دائما ، فىكل مايريد أن يلغيه من الشرور ، او يفرضه من العقوبات .

فالاسلام لم يلغ الرق لا لانه يريد الابقاء عليه بل لانه كان يريد الغاءه فى الواقع. اذلو الغاه طفرة لانفض الناس عنه، واعتبروا رسوله، مجنونا يهذى فالرق كان اساسا من أسس الحياة الاقتصادية والاجتماعية . فالغاؤه فى الحال كان بمثابة نفى المجتمع الذى جاء الرسول لهدايته والاخذ بيده فى مدارج التقدم والتطور . لذلك ترك الرق ، كمبدأ لتستهلكه وتقضى عليه اخلاقيات المجتمع الإسلامى والاسس التى قررها الاسلام

فبدأ بتحديد مصادر الرق ، **فلم يعد ثمة الا مصدر واحد فقط للرق ، هو الوقوع فى أسر المسلمين فى حرب مشروعة ، يعلنها الامام بقصد اعلاءكلمة الحق والدين وفيما عدا ذلك لايسترق الانسان، فلايسترق بدين ، ولا يسترق لبيع ، ولا يسترق فى حرب قبلية ، ولا حرب بقصد الحصول على الغنائم ..**

ثم التمس لتحرير الرقيق او فك الرقاب، عشرات من المبررات ، وكأنما يتخذ منها مجرد ذرائع لالغاء الرق

وحينما جاء الاسلام — كان الرق نظاما شرعيا معترفا به ومقبولا، وقد أخذت به جميع الامم تقريبا، فاليونان والرومان اقروه كما اقره افلاطون وارسطو، والمسيحية لم تستنكر الاسترقاق ولم تعمل على ابطاله، بل قد نصح بعض القديسين العبيد ان يطيعوا سادتهم ، والصبر على أحوالهم ويذكرون لهم ان استرقاقهم مستند الى اصول الهية .. بل ان آباء الكنيسة كانوا ينافسون امراء الاقطاع فى اقتناء العبيد .

وقد جاء فى رسالة بولس الرسول للعبيد :

« ايها العبيد أطيعوا سادتكم، حسب الجسد بخوف ورعدة فى بساطة قلوبكم كما للمسيح

« ولا بخدمة العين ، كمن يرضى الناس بل كعبيد المسيح عاملين مشيئة الله من « القلب خادمين بنية صالحة كما للرب ليس للناس ، عالمين ان مهما عمل كل واحد من الخير « فذلك سيناله من الرب عبدا كان أم حرا » .

وقد كان حال العبيد فى ظل القانون الرومانى بالغا حد السوء ، فقد كان فى وسع السيد أن يقتل عبده ، بلا حساب او عقاب ، او شعور بالاثم او وخزة من ضمير ، والقوانين التى كانت تصدر للتخفيف على العبيد تبين كيف كانوا ضحايا نظام ظالم قاس لا يرحم ، فقد صدر قانون الامبراطور بترونيا وهو يحرم على السادة الزام عبيدهم بمقاتله الوحوش الا بأذن من القاضى

وفى عهد الامبراطور (انتوفان) صدر امر يقضى بان من يقتل عبده يعاقب بغرامة ..

ولما صدر فى عهد الامبراطور كلوبوس قانون يعتبر فيه قاتل العبد مرتكبا لجناية القتل ، الغى بمجرد وفاة ذلك الامبراطور

وفى سنة ١٦٨٥ صدر قانون ينص على أنه اذا اعتدى أحد الزنوج بأقل اكراه على سيده او أحد الاحرار ، او ارتكب اخف السرقات ، فان جزاءه القتل .

ومن هنا جاء قولنا ، ان الاسلام لو الغى الرق ، لما ظهرت خصائصه الانسانية التى ظهرت بابقائه الرق ، والعمل على الغائه تدريجيا .

فانه الى أن يزول الرق ، اعتبر الرقيق انسانا ، واعتبره مساويا لسيده ، وبذلك اعلن أن انسانية الانسان ، لا تزول بأى سبب لا بالرق ولا بالمعاداة والحرب ، فالانسان لا يفقد حقوقه كانسان .

قرر الاسلام : **من قتل عبده قتلناه ، ومن جدع عبده جدعناه ، ومن اخصى عبده قتلناه ! .**

ثم قال : اخوانكم خولكم اى عبيدكم ، جعلهم الله تحت أيديكم ، فمن كان اخوه تحت يده ، فليطعمه مما يأكل ، وليلبسه مما يلبس » .

وحرم الاسلام على المسلمين ان يخدشوا احساس هؤلاء الارقاء ، بمجرد التسمية الجارحة ، فقال « لا يقل أحدكم عبدى ولا أمتى ، ولكن ليقل فتاى وفتاتى وغلامى » ثم قال : « من كانت له جارية فعلمها وأحسن اليها وزوجها كان له أجران » .

وقد طبق المسلمون هذه المبادىء ، فقد ولى رسول الله صلى الله عليه وسلم بلالا ، وقد كان رقيقا حبشيا المدينة وفيها وجوه العرب وساداتهم . وكان كثير من الموالى ، فقهاء ، يعلمون الدين فى الامصار الاسلامية المختلفة (٥)

ولما ذهب عمر بن الخطاب الى الشام ليبرم معاهدة مع أهل دمشق استصحب رقيقا له ، فكان يركب هو مرحلة ، ويركب عبده مرحلة ، وهكذا فلما وصلا الى المدينة كان العبد فوق الدابة ، وكان الخليفة وراءها وقد كان مندوب المسلمين ، فى مفاوضة المقوقس حاكم مصر ، عبادة بن الصامت ، وهو زنجى .

وقد وصل كثير من الارقاء الذين تحرروا مناصب الدولة الكبرى فكانوا وزراء وتولى بعضهم الملك

وقد قرن الفقهاء بالاجماع ان مكاتبة العبد مستحبة ، ويقصد بها ، ان يتفق العبد مع سيده على أن يدفع لسيده ثمن حريته ، بأن يعمل ويحصل على مال يدفعه الى مالك رقبته ، مقسطا ، وقد استحسن الفقهاء ان يدع السيد عبده ليعمل ويحصل على الثمن الذى وعد به .

وخرج الفقهاء على القاعدة المقررة من أن البينة على من ادعى ، واليمين على من أنكر ، انحيازا الى الارقاء وتخفيفا عليهم ، فاذا ادعى غلام انه حر، وادعى آخر انه عبده ، كان على الغلام اليمين فان اداه صدق مالم يقدم الاخر بينه .

وقضت الشريعة بأن من يتزوج أمته ، ورزق منها بأولاد ، فقد تحررت ، ولا يجوز له أن يبيعها ، فان مات كملت حريتها ، لان أولادها يكونون احرارا .

وقد اوصى الرسول صلى الله عليه وسلم وهو يجود بنفسه المسلمين « بالصلاة وما ملكت أيمانكم » وقال رسول الله أيضا « لقد أوصانى حبيبى جبريل بالرفق بالرقيق حتى ظننت أن الناس لا تستعبد ولا تسترق » .

ويذهب البعض الى أن ظن هنا ،بمعنى اعتقد أو أيقن فلها فى اللغة هذا المعنى أيضا .

ولكى يعجل الاسلام بانتهاء الرق ، بعد كل هذه الضوابط ، التى تعدم الفارق بين العبد والحر ، فقد جعل كفارة كثير من الذنوب ، فك الرقبة ، أى اعتاق العبيد ، وجعل من مصارف الزكاة ، تحريرهم ومن ذلك :

« فلا اقتحم العقبة ، وما ادراك ما العقبة، فك رقبة ، أو أطعام فى يوم ذى مسغبة ، يتيما ذا مقربة » .

ثم :

« ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة ، الى أهله الا ان يصدقوا ، فان كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة الى أهله وتحرير رقبة مؤمنة » .

لا يؤاخذكم الله باللغو فى ايمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان ، فكفارته اطعام عشرة مساكين من أوسط ماتطعمون أهليكم أو كسوتهم أو تحرير رقبة » .

« والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا، فتحرير رقبة من قبل ان يتماسا » .

فلينظر الناس الى ما تؤمن به حضارة الغرب اليوم ، من أن غير أهلها ، هم دماء مهدرة ، وحرمات مستباحة بل ان أصحاب الارض الاصلاء لانهم من غير الفاتحين ، وان كانوا من دينهم ، يعاملون معاملة دون معاملة البهائم ، ويفرض عليهم الجهل والعجز ، الى أبد الابدين ، وليعرفوا كم كان الاسلام متقدما .

البنك الأهلى المصرى

يضع أوعيته الادخارية فى خدمتكم

صندوق التوفير

يقبل الودائع من ٢٥ قرشا - بفائدة ٣ ½ ٪ سنويا

شهادات الاستثمار

بانواعها الثلاثة

• ذات القيمة المتزايدة مجموعة أ • ذات العائد الجارى مجموعة ب • ذات الجوائز مجموعة ج

ودائع لأجل

بفائدة تصل إلى ٤٪ سنويا

بنك المدرسة

لطلبة المدارس

يقبل الودائع من ٢٠ مليما

البنك الأهلى المصرى

خبرة ٧٢ عاما فى كافة الاعمال المصرفية

من قصص السنة

مثل المؤمن

فضيلة الشيخ محمود أحمد هاشم

فى رحاب النبى صلوات الله وسلامه عليه تنتشر الروحانية الصادقة ، وتشرق الحكمة الناطقة ، وتنبثق الموعظة الحسنة ، ويأخذ العلم دوره الكريم فى هداية المسلمين : ومجالس النبى مشرقة يحف بها أصحابه الاطهار مضيئين كالنجوم ، وادعين هادئين ، ويطرح النبى صلى الله عليه وسلم عليهم المسألة من العلم فتاخذ عقولهم المتفتحة باحثة وفاهمة ، ويدير النبى دفة المجلس ليرشدهم بحكمته كما فى هذا الحديث : قال البخارى رحمه الله : حدثنا قتيبة حدثنا اسماعيل بن جعفر عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان من الشجر شجرة لا يسقط ورقها وانها مثل المسلم فحدثونى ما هى فوقع الناس فى شجر البوادى قال عبد الله ووقع فى نفسى أنها النخلة فاستحييت ثم قالوا حدثنا ما هى يا رسول الله قال : هى النخلة •

وفى رواية اخرى : قال عبد الله : فحدثت أبى بما وقع فى نفسى فقال : لان تكون قلتها أحب الى من ان يكون لى كذا وكذا •

فى هذا الحديث الشريف محادثة طيبة ، وحوار هادىء جميل ، يطرح فيه النبى المعلم صلوات الله وسلامه عليه المسألة على أصحابه فى جو من المطارحة العلمية الهادفة ، وقد أتى صلوات الله وسلامه عليه بجمار وقال « ان من الشجر شجرة لا يسقط ورقها وانها مثل المؤمن ! » •

ويتضح وجه الشبه بين المسلم والنخلة بما رواه الحرث بن أسامة من وجه آخر عن ابن عمر قال : كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فقال : **ان مثل المؤمن كمثل شجرة لا تسقط لها أنملة اتدرون ما هى قالوا : لا قال هى النخلة لا تسقط لها انملة ولا تسقط لمؤمن دعوة**

وفى رواية اخرى يتبين وجه الشبه بينهما بما هو اعم وأشمل وذلك من طريق الاعمش قال حدثنى مجاهد عن ابن عمر قال بينا نحن عند النبى صلى الله عليه وسلم اذ أتى بجمار فقال : ان من الشجر لما بركته كبركة المسلم •

قال ابن حجر : وبركة النخل موجود فى جميع اجزائها مستمر فى جميع أحوالها فمن حين تطلع الى ان تيبس تؤكل أنواعا ثم بعد ذلك ينتفع بجميع اجزائها حتى النوى فى علف الدواب والليف فى الحبال وغير ذلك مما لا يخفى وكذلك بركة المسلم عامة فى جميع الاحوال ونفعه مستمر له ولغيره حتى بعد موته •

وبهذا يتضح لنا ما ينبغى أن يكون عليه المسلم ، وما يجب ان يقوم به من صلة وثيقة ، وعبادة مخلصة بربه سبحانه وتعالى ، ومعاملة حسنة طيبة مع اخوانه المسلمين فيخالقهم بخلق حسن ، ويعمل على جلب الخير لهم : واداء مصالحهم ، وتفريج كربهم لان من فرج عن مسلم كربة من كرب الدنيا فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ، فالمسلم فى حياته العامة والخاصة نفع وخير ، وبركة وبر

ولا يقتصر نفعه وخيره على نفسه وأهله ، وذويه وعشريته وانما يمتد نفعه وخيره الى سائر الناس ، والمؤمن شأنه كله خير سواء كان فى السراء او فى الضراء فان اصابته سراء فشكر له الجنة ، وان اصابته ضراء فصبر فله الجنة **وخير المؤمن الكثير الوفير يبدأ من « لا اله الا الله » وهى أفضل شعب الايمان وينتهى باماطة الاذى عن الطريق ، وهى أدنى شعب الايمان كما قال صلى الله عليه وسلم : ؟ الايمان بضع وسبعون شعبة فافضلها قول لا اله الا الله وأدناها اماطة الاذى عن الطريق والحياء شعبة من الايمان ولقد ضرب الله سبحانه وتعالى مثلا كلمة طيبة وهى كلمة التوحيد كشجرة طيبة وهى النخلة كما هو رأى الجمهور** فعن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذات يوم ان الله تعالى ضرب مثل المؤمن شجرة فأخبرونى ماهى فوقع الناس فى شجر البوادى **وكنت صبيا فوقع فى قلبى انها النخلة فهبت رسول الله صلى الله عليه وسلم أن اقولها وانا أصغر القوم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الا انها النخلة » فقال عمر يا بنى لو كنت قلتها لكانت أحب الى** من حمر النعم وفى هذا توقير الكبير وتقديم الصغير

اياه فى القول وانه لا يبادره بما فهمه وان ظن انه الصواب .

وفيه ايضا اشارة الى حقارة الدنيا فى عين عمر لانه قابل فهم ابنه لمسألة واحدة بحمر النعم مع عظمها .

هذا وان الشجرة الطيبة أصلها ثابت فى الارض ضارب بعروقه فيها وفرعها وهو أعلاها وراسها فى السماء ، والكلمة الطيبة « كلمة التوحيد » أصلها التصديق بالجنان وفرعها اقرار باللسان ، وأكلها عمل الاركان .

يتضح هذا من قوله تعالى فى ذلك :

« ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء . تؤتى أكلها كل حين باذن ربها ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون » .

وقد كرم الله سبحانه وتعالى مريم حين ألجأها المخاض الى جذع النخلة فاعتمدت عليه عند الولادة وجاءها الامر والنداء ان تهز الجذع لتساقط النخلة الرطب انها امارات الرضا ، وعلامة ان الله معها ولا ينساها فقد ذلل لها الصعاب ومهد لها الاكل من الشجرة الطيبة « النخلة » فالتمر يساعد على الولادة بسهولة .

قال تعالى فى شأن مريم :

« وهزى اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا فكلى واشربى وقرى عينا فاما ترين من البشر احدا فقولى انى نذرت للرحمن صوما فلن أكلم اليوم انسيا » ..

وفى كثير من آيات القرآن الكريم يرد ذكر النخل مما يدل على أنه طيبا حيث قدمه الله على بقية الثمرات فى عديد من الايات .

وقد أخرج الامام البخارى ومسلم واحمد قوله صلى الله عليه وسلم :

« من اصطبح كل يوم سبع تمرات لم يضره سم ولا سحر ذلك اليوم الى الليل »

ومن العلماء من خصصه بتمر المدينة ومنهم من أطلقه

ولا شك أن تعفن الأمعاء وانتشار الديدان سموم تضر بحياة الجسم وقد ثبت طبيا ان التمر يعالج تلك السموم .

اما السحر فمن الناحية النفسية حيث أخبر النبى وهو لا ينطق عن الهوى فاذا ما علم الانسان ذلك ووقر فى قلبه فلا شك انه سينضم الى العلاج الجسمانى علاج التمر النفسانى حيث أنه الذى وصفه الصادق الامين صلوات الله وسلامه عليه وحيث انه يعمل على سكون الجسم وعلاجه من السموم والاضرار .

وفى المركز القومى للبحوث اثبت البحث العلمى ان البلح غذاء كامل ويفيد فى علاج امراض العيون والجلد والانيميا والنزيف ولين العظام والبواسير ويساعد المراة الحامل على الولادة بسهولة .

كما ثبت ان للبلح سعرات حرارية ومواد معدنية وسكرية ويحتوى على كثير من الفيتامينات المعروفة .

لا غرابة اذن فى أن يشبه النبى صلى الله عليه وسلم المؤمن بالنخلة حيث استودع الله سبحانه فيها من الخصائص والفوائد ما لم يكن لشجرة غيرها : وفى ذلك عبرة لاولى الالباب بأن الله سبحانه يميز بعض الاشياء عن بعض لحكم وأسرار فهو سبحانه يضع الامور فى نصابها ، ويسخر الكون بكائناته الحية ، ونواميسه وافلاكه وسائر المظاهر الطبيعية من نبات وأشجار ، وزروع وثمار ، وانهار وبحار ، وليل ونهار « **وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ان الانسان لظلوم كفار** » .

وواجب المؤمن حيال هذه النعم الجليلة ان يتلقاها بالشكر ، وقد وجه القانون الالهى عناية المسلمين لحمد الله وشكره موضحا ان لشكر الله على آلائه تمرة طيبة وتلك هى الزيادة فى الفضل « **لئن شكرتم لازيدنكم** »

وليس الشكر قولا تردده الالسنة فقط ، او يقينا يتاكد فى القلب فحسب ، وانما هو ايضا عمل وسعى فالذى يعمل ويجيد العمل ويتقنه انما هو شاكر لنعم ربه ذاكر لخالقه مستجيب للتوجيه الالهى : « **فاذكرونى أذكركم واشكروا لى ولا تكفرون** » .

واذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم يضرب مثل المؤمن هكذا فى النفع والمعروف والخير والبر فمعنى هذا أن تلك هى الصورة المثالية التى يجب أن يكون عليها المؤمن

انه يجب أن يكون خيرا ، وبارا ، ونافعا فى كل اعماله وأحواله وفى كل ظروفه وملابساته .

وأن يتحاشا الشر ، ويربأ بنفسه أن يقع فى شر ، أو أن يصيب منكرا ، أو يمنع خيره عن الناس .

وانما رسالة المؤمن أن يحب لاخيه ما يحب لنفسه **فان اصابه خير أو وصل فى سعيه الى خير فعليه ان يمنح اخوانه المسلمين وأن يدلهم عليه وأن يشيع فى حياته مكارم الاخلاق فلا يبخل على الناس بخيره : وانما يكون معطاء كريما يحب الخير لاخوانه وفى ذلك تضافر لقوى المجتمع وتماسك للاخوة الاسلامية يحقق الخير العميم والنصر الكريم وفى ذلك فليتنافس المتنافسون .**

تفسير القرآن

وعلى أى منهج ينبغى أن يكون!

الدكتور مصطفى زيد

بمناسبة ماينشر بعنوان (تفسير عصرى للقرآن) أقدم هذا المنهج توطئة لمناقشة ماتورط فيه صاحب ذلك التفسير فى المقالات القادمة ·

(١)

من الحقائق التاريخية الثابتة ، ان القرآن الكريم قد انزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم منجما، وان انزاله قد استغرق ثلاثا وعشرين سنة هي مدة الرسالة، وأنه كان يتنزل آية آية، وآيتين آيتين ، وآيات آيات، فاذا احتاج موقف ما الى سورة بتمامها أنزلت تلك السورة ، لانه كان يتنزل - فى معظم الاحيان - ليواجه مشكلات الحياة واحداثها بما تحتاج اليه من الحلول ، وليرسم للضالين والحيارى طريق الخلاص من ضلالهم وحيرتهم ، وليهدى البشر جميعا الى طريق النور ، والمشكلات تتجدد مع كل يوم ، وأسباب الحيرة والغواية تولد مع كل موقف عصيب ، والحاجة الى النور الهادى وسط دياجير الظلام بدهية لا تحتاج الى دليل ! ··

ومما لاشك فيه أنه كان ممكنا بالنسبة لقدرة الله - ان ينزل القرآن كله على الرسول دفعة واحدة ، لكن حكمة الله اقتضت ان ينزل منجما على النحو الذى نزل به، ليتيسر لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبين للناس ما نزل اليهم ، فيهىء لهم بهذا فرصة العمل به ما داموا قد فهموه، ولحكم أخرى يؤكد هذا قوله عز وجل لنبيه : « **وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم !** » ، وما روى عن أبى عبد الرحمن السلمى من قوله : [حدثنا الذين كانوا يقرئوننا القرآن : **كعثمان بن عفان ، وعبد الله بن مسعود ·· وغيرهما - أنهم كانوا اذا تعلموا من النبى صلى الله عليه وسلم عشر آيات، لم يجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل · قالوا : فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعا** (·

من أجل هذا : عكف المسلمون منذ الصدر الاول على تفسير القرآن ، واشتهرت من الصحابة أناس بامامتهم فى التفسير ، من بينهم الخلفاء الاربعة (ابو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلى) رضى الله عنهم ، والعبادلة الاربعة (عبد الله بن عباس : وعبد الله بن مسعود ، وعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن عمرو] رضى الله عنهم ، ومن بينهم كذلك بعض كتاب الوحى كأبى بن كعب، وزيد بن ثابت، ومن بينهم ابوهريرة ، وجابر بن عبد الله ·

ولم يخل عصر بعد عصر الصحابة من مفسرين للقرآن، لكنهم جميعا كانوا يتاهبون لهذا العمل العظيم بدراسات واسعة : فلم يكونوا يجرؤون على التفسير الا بعد أن يدرسوا البلاغة العربية دراسة واعية ، ويحيطوا بالسنة النبوية احاطة شاملة ، ويحفظوا مبادىء الشريعة الاسلامية وأصولها حفظا يتمكنون معه من الاستنباط والتفريع ·

وعندما كانوا يتصدون للتفسير ، كانوا يلتزمون بمنهج علمي فى تفسيرهم للقرآن ، فلا يسمحون لانفسهم بالخروج · وهذا المنهج يقوم على ثلاث

دعائم : أولاها هى تفسير القرآن بالقرآن، والثانية هى تفسير القرآن بالسنة الصحيحة ، والثالثة هى تفسير القرآن بما أثر عن العرب فى الجاهلية وعند ظهور الاسلام من اساليب فى التعبير : ومعان للمفردات ! ..

(٢)

اما تفسير القرآن بالقرآن فهو يتناول الناحية المعجمية لالفاظ القرآن ، والناحية الاسلوبية فى آياته وسوره والناحية الموضوعية فى الموضوعات التى عالجها اكثر من مرة ، بأكثر من اسلوب ».

تتجلى الناحية المعجمية فى استخدام القرآن لالفاظ اللغة العربية ، فان لالفاظ القرآن معجما يكاد يكون خاصا بها . وعلى من يتصدى لتفسير آية او أكثر من آياته ان يتتبع مفرداتها فيه ، والمعانى التى استعملت هذه المفردات لادائها ، ليختار من بين هذه المعانى ما يناسب آيته التى يفسرها ، وما يتفق والموضوع الذى تعرضه ..

اما الناحية الاسلوبية فتتجلى فى السياق الذى وردت فيه الاية، وفيما صح من سبب لنزولها، فكثيرا ما يحدد سياق الاية المعنى الذى جاءت لتبينه ، ويوضح سبب نزولها المعنى الذى يتبادر انه هو معناها ، وان دلت الاية بعموم لفظها على غيره معه ! ..

وأما الناحية الموضوعية فهى الزم ما تكون لمفسر يقوم منهجه على موضوعات القرآن ، لا على ترتيبه فى المصحف . وكلا المنهجين فسر به القرآن الكريم ، ووحدة الحكم واتفاقه فى المواضع الكثيرة اصل لابد من رعايته فى التفسير على كلا المنهجين ، فلابد اذن من العناية بالموضوع فى القرآن الكريم كله ، عند تفسير احدى الايات التى تناولت ذلك الموضوع بالبيان » ! ..

ونضرب مثلا لتفسير القرآن بالقرآن (من جوانبه الثلاثة) تفسير قوله تعالى فى سورة المائدة : « يأيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لايضركم من ضل اذا اهتديتم » .

فمن الناحية المعجمية نتتبع كلمة « ضل » او (مادة الضلال) فى معجم الفاظ القرآن ، فنجدها قد وردت فى اكثر من مائة وأربعين موضعافيه، واستعملت فى معظم هذه المواضع لتدل على احد معنيين : مطلق الضلال ، وهو يشمل اى انحراف : من المؤمن بالعصيان ، ومن الكافر بالكفر ، او ضلالا معينا خاصا هو الكفر . وبعرض هذه المعنيين على قوله (لايضركم من ضل ..) **نجد ان خصوص الكفر يجب ان يكون هو المراد هنا ، لان الناحية الاسلوبية للاية تفرضه ، وذلك ان الآية نزلت** بسبب جماعة من المؤمنين آلمهم أن يبقى اهلوهم على الكفر ولايسلموا مثلهم ، هذا هو سبب نزولها ».

أن الاية التى قبلها يقول الله عز وجل فيها : واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله ، والى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا » ، وهؤلاء هم الكفار ....

ونصل الى الناحية الموضوعية ، فنجد انهاتلتقى مع الناحيتين المعجمية والاسلوبية فى وجود ارادة الكفر بالضلال فى الاية ، **فاننا لو اردنا به مطلق الانحراف الذى يشمل المعصية من المؤمن لكان فى الاية اعفاء من واجب الامر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وهذا الواجب يقرره القرآن الكريم فى آيات اخرى بأكداسلوب وأقواه،** حيث يقول الله عز وجل : « **ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر » ،** ويقول : « **كنتم خير امة أخرجت للناس : تأمرون بالمعروف ، وتنهون عن المنكر ، وتؤمنون بالله » ،** ويقول : **لعن الذين كفروا من بنى اسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لايتناهون عن منكر فعلوه ، لبئس ماكانوا يفعلون » ، واذن** فليس من الممكن ان تعفى هذه الاية المؤمنين من واجب الامر بالمعروف والنهى عن المنكر، لان القرآن لايناقض بعضه بعضا ....

(٣)

على أن السنة — وهى بيان القرآن الكريم — تؤكد ان المراد بالضالين فى الاية الكفار ، لاعصاة المؤمنين ، فقد روى عن ابى بكر رضى الله عنه انه قال : « **يا أيها الناس ، انكم تقرأون هذه الاية : يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم ، لا يضركم من ضل اذا اهتديتم » وانكم تضعونها على غير موضعها ، وانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : أن الناس اذا رأوا المنكر فلم يغيرون — اوشك الله أن يعمهم بعقابه » . وهذا الحديث كما نرى يربط بين الاية وبين الامر بالمعروف والنهى عن المنكر ويعتبره تفسيرا لها ، من حيث ان فهم الاية على أن فيها اعفاء من الامر بالمعروف والنهى عن المنكر ينافى الحديث ، لان فى هذا الفهم وضعا للاية على غير موضعها . ومعنى هذا بعبارة أخرى أن الضلال فى عبارة الاية ليس مرادا به الانحراف من المؤمن ، ولكن المراد به الكفر ..**

(٤)

ولا غنى لمن يتصدى لتفسير القرآن عن التمكن من اللغة العربية بعلومها الكثيرة ، ولا عن الالمام بلغة العرب فى الجاهلية وصدر الاسلام ، اى فى عهد الرسالة ونزول القرآن ، فان من العبارات التى وردت فى القرآن عبارات لا يستطاع فهمها الا على ضوء ما كان العرب يتحدثون به فى جاهليتهم .

كذلك لاغنى عن الالمام بأصول التشريع ومبادئه ، وبحقائق الاسلام وعقيدته ، ليتسنى التفسير على منهج واضح سليم .

ونكتفى اليوم بهذا التمهيد ، لنلتقى فى العدد القادم ان شاء الله .

(للبحث بقية)

الطريق إلى الله

الطريق الى الله ملىء بالامل .. الامل بلا حدود .. وبلا قيود .. الامل الذى لا يستطيع أن يقتله الظلام مهماكان حالكا ، ولا أن يطفىء نوره اليأس مهما كان قاتلا ..

الطريق الى الله يملأه النور .. ليس فيه ظلمات تخفى وراءها أشياء مبهمة .. ولا سراديب تتوه فيها الحقيقة ولا التواءات مسدودة أو انحناءات تجعلك تشعر بالضياع .. ربما العكس هو الصحيح .. فالابتعاد عن الله ، هو الذى يلقى بك فى بحر الظلمات . .ويجعلك تائها تدور حول نفسك .. ضائعا تبحث عن كيانك .

والله موجود فى كل واحد فينا .. حتى أولئك الذين تمتلىء حياتهم بالاثام فى لحظة من اللحظات تسقط كل الحجب عنهم .. وترتفع كل الاغطية المصطنعة .. وتصيح قلوبهم يارب .. وتتجه انظارهم الى السماء وهم لا يشعرون .

وأقصر الطرق الى الله ، وأطولها هو الايمان .. ولكن : هل الايمان طريق سهل ؟ .. هل هو مجرد

الأستاذ أحمد زين

كلمات يرددها طرف اللسان ولا تصل الى القلب ، ولا تهز النفس بعنف لتفيق ؟ وهل الايمان طريق صعب لا يصل اليه الانسان الا بعد جهد كبير ! .. وهل هو الطريق المستحيل وسط ما نعيش فيه من دنيا تجذب بقوة .. وحياة تشد الى متاع الدنيا .. وأشياء يحققها العلم هى أقرب الى المعجزات ؟

اين الايمان من هذا كله ؟ واين الانسان ؟ !

وقبل أن أبدأ حديثى أقف لحظة .. ان كل شىء تحقق فى هذه الدنيا كان وراءه ايمان به .. كان وراءه انسان مقتنع بفكرته ، يجاهد فى سبيلها ، ويتخطى العقبات واحدة بعد الاخرى ويقدم التضحيات وراء التضحيـات حتى يحقق فكرته ، وتبرز الى الوجود ..

كل ما تحقق كان وراءه ايمان قوى بشىء ما يمكن أن يتحقق .. واستطاع الايمان أن يمسح بيده حبات العرق وتعب الابدان . .وسهر الليالى .. وسخرية الناس .. واستطاع أن ينتصر . وكل انسان عمل لفكرة أو لشىء،وهو غير مؤمن به..غير مقتنع به لم يستطع أن يصل الى النجاح .. الايمان هو الوقود الذى يغذى .. وهو القوة التى تتضاءل أمامها كل ما تستطيع أن تهبه الحياة .. بل هو القوة التى ترتفع فوق الحياة نفسها .. فنجد الانسان يقدم حياته طائعا مختارا فى سبيل ما يؤمن به ..

ومهما حاولنا أن نفلسف الامور أو نعقدها أو نلبسها اثوابا براقة ، فان حفنة مؤمنة ، بشىء ما لابد أن تصل اليه وتحققه ، .. لايستطيع الزمن أن يهزمها ولا أن تقتلها الاحداث ، ولا أن تقتلعها الاعاصير ، والزوابع مهما عنفت .. واذا كان هذا صحيحا فى الطريق الى العلم ، أو الى التقدم ، فكيف يكون فى الطريق الى الله ؟ ..

ومرة أخرى .. ولنبدأ من أول الطريق : ما هو الايمان ؟ كلمة صغيرة تحتاج الى مجلدات لشرحها .. ولكنها تحتاج الى أن تكون بعيدة عن التزمت الذى يقتلها ، والصعاب التى تجعلها أشبه بالطلاسم التى لا تجد لها حلا .. **وخلق الانسان ضعيفا »** .. هكذا قال الله سبحانه وتعالى .. ولذلك فان ضعف الانسان لا يمكن أن يبعده عن الطريق الى الايمان .. كلنا ضعفاء .. كلنا محتاجون الى رحمة الله قبل عدله ، والا ما بقى على الارض بشر .. كلنا يستطيع أن يتقرب الى الله خطوة خطوة .. ودرجة درجة ... وفى كل خطوة .. وفى كل درجة يشعر أن الصلة بينه وبين الله تزداد . ويحس بصوت الله داخل نفسه يقوى ويشتد .. ونظل نتضرع

وتتضرع .. وتملأ عيوننا الدموع مرة .. ويملأ قلوبنا الندم مرات .. ولكننا نمضى ونمضى .. حتى نصل :

أمل لا يهتز

وأولى الخطوات التى نتشبث بها .. والتى نمضى على طريقها .. هى أمل لا يهتز أبدا .. لا يتزعزع مهما حدث .. انه « **لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون** » .. هكذا قال الله تبارك وتعالى .. واذا كان الله قد وضع اليأس فى مرتبة الكفر ، فانه لا مكان لليأس فى الطريق الى الله .. الطريق الى الله ملىء بالامل .. الامل بلا حدود .. وبلا قيود .. الامل الذى لا يستطيع أن يقتله الظلام مهما كان حالكا ولا أن يطفىء نوره اليأس مهما كان قاتلا ..

وكم أحاطت بنا الظلمات .. وكم تلفتنا حولنا فلم نبصر شيئا .. وكم وقفنا حائرين « لاندرى ماذا نفعل ، ولا نعرف لاى طريق نسير .. وأحسسنا بكل شىء يتخلى عنا .. وشعرنا أن كل من فى الارض يعمل ضدنا .. وأحسسنا أنه لم يبق شىء .. أى شىء .. ثم جاءت رحمة الله لتبدد الظلمات .. ووجدنا الطريق ينير .. وأحسسنا بكل شىء حولنا يتحول .. الى الطريق الصحيح .

حتى الرسل مرت بهم لحظات يأس قاتلة ، فقد قال الله تعالى : « **حتى اذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا** » .

واذا كان الله تبارك وتعالى قد شطب كلمة اليأس من الطريق اليه .. فيجب أن نمحوها من حياتنا .. وان نستيقظ كل صباح يملؤنا الامل فى الله .. وأن نعرف « ان مع العسر يسرا » .. وليس بعده بل معه .. وأن تتجدد امالنا كل يوم .. مع كل فجر . نرجو الله ونتوجه اليه .. تلك أول خطوة على الطريق .. اذا تخلينا عنها فان اقدامنا تضل .. ونفوسنا تضيع .. وحياتنا تصبح قطعة من العذاب المرير ..

ولكن ما معنى الامل ؟ ! .. هل معناه التمنى ؟ ! هل معناه أحلام اليقظة ؟ ! .. هل معناه التوهم ! .. هذه أشياء بعيدة كل البعد عن معنى الامل فى الطريق الى الله .. فلا التمنى يستطيع أن يحقق شيئا ولا أحلام اليقظة يمكنها أن تتحول الى حقائق ولا التوهم يحل المشاكل ..

الامل هو نور يهدينا الى الطريق .. هو أن نحاول ونحاول ونحاول .. ولا نيأس أبدا .. هو أننا اذا فشلنا فى خطوة ، فلنعرف ان هناك خطوات اخرى لم نجربها .. واذا وقفنا امام عقبة ، فلنتأكد أن هناك عدة طرق لكى نتجاوزها .. واذا وجدنا انفسنا عاجزين اليوم .. فغدا سنجد أنفسنا قادرين .. ومن هنا يتبين اننا نستطيع أن نتحرك مهما كانت الظروف .. ومهما أحاطت بنا المصاعب ومهما احسسنا أن القيود تكبلنا .. هو احساس داخلى باننا أكبر من كل عقبة .. وأقوى من كل ما هو صعب ، واجرا من ان نهاب شيئا .. واكبر من ان نعترف بأن هناك فى الدنيا مستحيلا على الله سبحانه وتعالى .

تلك أول خطوة فى طريقنا الى الله .. أمل لا يتزعزع فى ان الله سيتقبل منا .. فاذا لم يتقبل اليوم .. فسنعمل الكثير غدا ، واذا ضعفنا هذه اللحظة .. فسنتغلب على ضعفنا فى اللحظات القادمة .. واذا أزلنا الشيطان فسيدخلنا الله فى رحمته .. واذا أحسسنا بالضياع فسنجد أنفسنا حتما .. واذا ابتعدنا عن الطريق الى الله فلدينا القوة لان نقترب منه مرة أخرى ، وسنعمل على ذلك .. أمل حقيقى يملؤنا بأننا سنصل اذا كانت لدينا النية الصافية والقلب المتطلع .. والنفس التى تريد ..

فلنبدأ الخطوة الاولى اليوم .. انها ليست صعبة .. لنبدأ على الطريق ، ولنعد اليه كلما أخرجنا ضعفنا منه .. أو كلما استطاع الشيطان أن يزحزحنا عنه .. المهم ألا نيأس أبدا .. حتى لا نضل .. ولا نصبح قوما كافرين .

الجهاد و الفداء ...

الأستاذ على حلمى

للامة الاسلامية تاريخها المجيد ، الحافل بأروع آيات البطولة والتضحية والفداء من أجل اعلاء كلمة الله ، وارساء قواعد الحق والعدل وصون ، الحرية والكرامة وتحقيق العزة التى أرادها الله لعباده (ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين) ٠

ولقد تجلت روح الفداء بين ابناء هذه الامة من يوم أن تغذوا بتعاليم الاسلام ، وارتووا بمعانى القرآن ٠ وتشبثوا بمواقف الرسول عليه الصلاة والسلام ، فسجل لهم التاريخ أسمى آيات التضحية والفداء فى سبيل عقيدتهم ٠ وفى سبيل حرية أوطانهم ، حتى صارت تلك الفدائية مثلا يحتذى على مر العصور وتوالى الايام ، ولقد استمدوا تلك الفدائية من ايمانهم بربهم ، وتمسكهم بمبادىء دينهم والتفافهم حول قائدهم عليه الصلاة والسلام .

القرآن معلم الفداء الاول :

وحينما نمعن النظر فى القرآن الكريم نجد هذا الكتاب الالهى الخالد هو المعلم الاول لدروس التضحية والفداء ، وهو الموجه الى معنى البذل والاقدام، فهو يجعل الجهاد فريضة محكمة ، وركيزة مطلوبة ٠ من حرص عليها وصدق فيها عز ، ومن أهملها أو خادع فيها ذل ، قال تعالى : [**وجاهدوا فى الله حق جهاده**] ٠

وأرشدنا أن الجهاد يكون ببذل الاموال وتقديم الانفس عن طيب خاطر ، والتضحية بكل ما يملك الانسان فى سبيل ربه ، ففى ذلك الخير كل الخير ، عزة فى الدنيا ونعيم دائم فى الاخرة ٠

قال تعالى :

[**انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وانفسكم فى سبيل الله ٠ ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون**) ٠

وقال تعالى :

(**ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة**) ٠

وكلام الله جلت قدرته هو الذى يأخذ بيد الفدائى ، وينير له الطريق ، حتى يصل الى غايته ، فى رضاء واطمئنان ، فان الذى يخيف الانسان من المسارعة الى العمل الفدائى هو التهيب من لقاء الموت والرهبة من انتهاء الحياة ، ولكن القرآن الخالد يسكب فى نفس المؤمن ، ويلقى فى روعه بتلك المعانى السامية ، وهذه الحقيقة التى لا ريب فيها ، ولا معدل عنها ، وهى أن الموت حق ، وهو آت لابد منه ، ولا وسيلة للتخلص منه (**كل من عليها فان**) (**نحن قدرنا بينكم الموت وما نحن بمسبوقين**) ٠

وأكد أنه لا سبيل الى الفرار فقال : (**أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج مشيدة**) (**قل ان الموت الذى تفرون منه فانه ملاقيكم** » **وما دام الموت** لابد منه ، ولا محيد عنه ، فان الموت فى موطن كريم خير من الموت فى موضع لئيم ٠

واذا لم يكن من الموت بد

فمن العجز أن تموت جبانا

وما دام الامر كذلك ، فان المؤمن ينطلق الى ساحات الجهاد معتمدا على ربه واثقا فى نهاية سعيدة : هى النصر أو الشهادة ، غير هياب ولا وجل (**قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون ٠ قل هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين ونحن نتربص بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا ، فتربصوا أنا معكم متربصون**) ٠

ويوضح القرآن أن طريق الفداء ليس مفروشا بالورود والرياحين ، وانما هو طريق شاق ، له متاعبه وتبعاته ، لكنه طريق المجد وسبيل العزة والكرامة ،

واذا كان المجاهدون الفدائيون ينالهم شىء من الالم أو الجراح فى هذا الطريق ، فان الاعداء المبطلين يصيبهم مثل ذلك أو أكثر ، وهناك فرق بين الفريقين ، فالمجاهدون يتطلعون الى الجنة ، ونهاية أعدائهم الى الجحيم .

(ولا تهنوا فى ابتغاء القوم ان تكونوا تألمون فانهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لايرجون وكان الله عليما حكما] .

المثل الاعلى فى الفداء :

ولقد كانت حياة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم الوانا شتى من الجهاد والفداء والتضحية بكل ما يملك فى سبيل ربه ، ونصرة دينه والدفاع عن الحق ، حتى كان المثل الاعلى والقدوة الحسنة لمن حوله من المجاهدين .

وما زالت تملا سمع الزمن وتسجل بمداد من نور : تلك المواقف الخالدة لرسول الاسلام عليه الصلاة والسلام ، ففى ليلة الهجرة يقدم على الرحلة الخطيرة المحفوفة بالاهوال والعظائم : بعد أن تآمرت جموع الشرك على البطش به والنيل منه ، حتى قال القرآن الكريم (واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين) . وحينما يصل مع أبى بكر الى الغار والكفار يقفون على بابه ، يقول له صاحبه مشفقا : يا رسول الله لو نظر أحدهم الى موطىء قدميه لرآنا.فلا يضطرب الرسول ولا يخاف ، بل يطمئن أبا بكر فى عزة وثقة قائلا (ما ظنك باثنين الله ثالثهما : لا تحزن ان الله معنا] .

ولقد كان للرسول صلى الله عليه وسلم مواقف بطولية فى الحروب التى خاضها ضد المشركين واليهود ، فنراه يتقدم نحو العدو عند اشتداد الموقف فى سرعة وثبات جأش ، حتى قال على بن ابى طالب **[كنا اذا حمى البأس واحمرت الحدق اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فما يكون أحد اقرب الى العدو منه ، ولقد رأيتنى يوم بدر ونحن نلوذ برسول الله صلى الله عليه وسلم - وهو أقربنا الى العدو - وكان من أشد الناس يومئذ بأسا) .**

ولقد أثرت هذه الروح فى أصحابه فخلقت منهم الابطال الميامين والفدائيين المثاليين ، فهذا على بن ابى طالب يتلقى دروس الفداء ، ويفهمها ويهتدى بنورها ، حتى قال تلك الكلمة المشهورة (والله ما أبالى أن دخلت على الموت أو خرج الموت الى) وكان يقول (والذى نفس ابن ابى طالب بيده لالف ضربة بالسيف أهون على من ميتة على الفراش فى غير طاعة الله) .

وموقفه ليلة الهجرة لا يحتاج الى تعريف ، فلقد فدى رسول الله بنفسه وحياته ، وهو يعلم أن القوم متربصون له بالباب بسيوف مشهورة ، وعيون متطلعة الى سفك الدماء ، ولكن الله تعالى قد كتب له السلامة والنجاة .

الصوفية فى إلهامهم

التمسك بالله تعالى

الأستاذ حسن كامل الملطاوى

فالعقل ان يتمسك العبد بالله ولا يميل عما قضاه ، والكتاب بشير نذير ، والنبى رسول كبير ، بلغ الكتاب وفسره ، ما كذب الفؤاد ما غيره ، فمن اتبع الرسول فقد استمسك بالعروة الوثقى، وكان مع ربه ثابتا لا يتغير .

جاءت السطور المتقدمة فى رسالة بعث بها سيدى وشيخى الشيخ عبد السلام الحلوانى ، طيب الله ثراه ، الى تلميذه الصالح المبارك الصديق التقى السيد/سالم جمعه ، حفظه الله ورعاه ، وهى ترشدنا بكلماتها النورانية الى التمسك بالله على هدى الكتاب والسنة ، فى العسر واليسر ، والمنشط والمكره ، والسراء والضراء ، والسر والعلانية ، وذلك شان المؤمنين الصادقين ، اهل الوفاء والتمكين الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا على الطريقة فغمرهم نور الحقيقة .

ويقول سيدى الشيخ : فالعقل ان يتمسك العبد بالله ، وهو قول حق يؤيده كتاب الله الكريم فى قوله تعالى مؤنبا بنى اسرائيل (أتامرون الناس بالبر وتنسون انفسكم وانتم تتلون الكتاب افلا تعقلون) فقد نفى العقل عنهم حين نصحوا غيرهم ولم ينصحوا انفسهم ، ونفس الانسان أقرب اليه من نفس غيره ، وهى اولى بالرعاية واحق بالعناية ، ومن عجز عن أدب نفسه كان عن ادب غيره أعجز .

اما عدم الميل عما قضاه الله : فيقتضى الرضا والتفويض اليه فيما كان وما يكون ، لانه سبحانه لا يقع فى ملكه الا ما يريد : وانما يجرى القضاء باحكام الله ، الست تراه تعالى يقول لاحب احبابه سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم (واصبر لحكم ربك فانك باعيننا) كما قال له (فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل) وقال ايضا (واصبر فان الله لا يضيع أجر المحسنين) وغير ذلك كثير فى كتاب الله عز وجل .

وقد اجتمع لمولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم الصبر من أطرافه ، فصبر على الطاعات وما فيها من التكاليف ، وصبر على المصيبات وما فيها من التصاريف وصبر على الناس وما فيهم من المتاعب وصبر على العواقى وما فيها من الفتن ، اما السيئات فلم يكن لها عليه سبيل : فقد شرح الله صدره ، ووضع عنه وزره ، فهو المعصوم بعصمة الله ، والطاهر المطهر بامره سبحانه.

وقد جعله سبحانه اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الاخر وذكر الله كثيرا ، لذلك حرص السادة الصوفية على ان يكونوا على صورة أصحابه الاعلام الذين لم يدعوا مجهودا فى مرضاة الله ورسوله الا بذلوه ، فاخذوا بالعزائم والمجاهدات ، دون الرخص والتاويلات : ويقول سيدى جلال الدين الرومى رضى الله عنه فيما ترجمه عنه من الفارسية الى العربية صديقى الفاضل الشيخ الصاوى شعلان مد الله فى عمره :

« ولقد كان الاولون فى بعض ما أحل لهم ازهد منا فيما حرم علينا ، وكانوا لصغائر الذنوب اشد استعظاما منا لكبائر المعاصى، حتى كادوا يفوقون بفطرهم صومنا ، ويتحدون بنومهم يقظتنا ، وربما تركوا سبعة ابواب من الحلال من أجل باب من الحرام يخشونه، فعملوا صالحا ، وكسبوا حلالا ، واكلوا طيبا ، وانفقوا برا ، وقدموا اجرا ، فعش ايها المؤمن فى ذكراهم كانك معهم ، ولا تسلط الهوى فى نفسك ، ولا تدع الاحجار المتراكمة من الخطايا تحطم قلبك ، فان الفخار اذا انكسر لا يرقع ولا يعاد طينا .

« ان الظواهر أضلت ابليس فلم ير من جوهر آدم الا الماء والطين ، واضلت الظواهر ابا جهل حين نظر بعينيه الى سيدنا محمد القرشى ، صلى الله عليه وسلم ، على انه يتيم ابى طالب ، ولم يره على انه رسول الله ، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله . وما ذنب البستان اذا قصرت عن جنى ثماره وما ذنب النهار اذا اغمضت العين عن شهود انواره » .

ويقول السادة الصوفية ان الله تعالى من رحمته بعباده تعرف الى خلقه بما يلائمهم ، فتعرف الى العامة بخلقه فقال سبحانه (أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت . والى السماء كيف رفعت . والى الجبال كيف نصبت . والى الارض كيف سطحت) وتعرف الى الخاصة بكلامه وصفاته ، فقال تعالى ، (افلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا) وقال تعالى (وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين) وقوله تعالى (ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها) ، وتعرف الى الانبياء بنفسه كما قال تعالى (وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا) .

والقرآن الكريم كلام الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، انزله سبحانه على رسوله صلى الله عليه وسلم فبلغه كما أنزل اليه ، وفسر ما أجمله من أحكام الله تعالى ، فكانت السنة مبينة للشرع ومتممة له ، والخواص يذوقون من حلاوة القرآن ما لا يذوقه العوام ، لان الكلام على من على وحكيم من حكيم ، ويعطى الله فى فهمه ما يشاء لمن شاء من غوامض خطابه ، وخواص اشاراته .

ويقول سيدى عامر بن عبد الله رضى الله عنه : قرات ثلاث آيات من كتاب الله عز وجل استعنت بهن على ما أنا فيه ، فاستعنت بقوله تعالى (وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله) فقلت : ان اراد ان يضرنى لم يقدر أحد ان ينفعنى ، وان أعطانى لم يقدر احد أن يمنعنى . وقوله تعالى (فاذكرونى اذكركم) فاشتغلت بذكره عن ذكر من سواه . وقوله تعالى (وما من دابة فى الارض الا على الله رزقها) فوالله ما اهتممت برزقى منذ قراتها فاسترحت .

وقد اشتغل الناس بهم الرزق عن الرازق ، مع انه سبحانه ضمن الرزق لكل دابة فى الارض ، وكان الاولى مع هذا الضمان الصادر من القادر المقتدر ان يشتغل العباد بربهم وهم مطمئنون على وصول ارزاقهم اليهم من الاسباب التى اقامها وكلفهم أن يسعوا فيها درءا للتواكل والكسل ، وربطا بين العمال والعمل : فان افضل ما اكل العبد انما يكون من كسب يده ، وقد

كتب الانبياء عليهم الصلاة والسلام عيشهم بايديهم : ويرحم الله امير الشعراء شوقى اذ يقول :

من احسن الامثال فيما احسب
الخبز لا يعطى ولكن يكسب
موسى الكليم استؤجر استئجارا
وكان عيسى فى الصبا نجارا

وقد رعى صلى الله عليه وسلم الغنم ، وعمل وكيلا أجيرا فى أموال السيدة خديجة رضى الله عنها فى شبابه الباكر .

ومن عجيب أمر الله تعالى أنه يرزق عبده المال ويثنى عليه انفاقه ، ويذمه فى البخل به ، لاظهار الاحكام ، وبيان الحلال والحرام ، والتبشير بالثواب ، والتخويف من العقاب ، فقد اظهر امره ، واخفى قدره ،ليهنأ العاملون بامره ،وتسقط حجة المستندين فى التقصير الى قضائه وقدره .

ويقول سيدى الامام القشيرى رضى الله عنه فى لطائف اشاراته عند قوله تعالى (فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام) :

« المسلم لا يتحرك فى باطنه عرق للمنازعة مع التقدير ، فان الاسلام يقتضى تسليم الكل بلا استثناء ، ومن استثقل شيئا من التكليف او بقى منه نفس لكراهية شىء فيعد غير مستسلم لحكمه.

« ويقال نور فى البداية هو نور العقل ، ونور فى الوسائط هو نور العلم ، ونور فى النهاية هو نور العرفان ، فصاحب العقل مع البرهان ، وصاحب العلم مع البيان ، وصاحب المعرفة فى حكم العيان .

« ويقال من وجد انوار الغيب ظهرت لهخفايا الامور ،فلا يشكل عليه شىء من ذوات الصدور عند ظهور النور ، وقال صلى الله عليه وسلم « اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله » .

« ويقال اول اثر لانوار الغيب فى العبد ينبهه الى نقائص قدره ومساوىء غيه ، ثم يشغله عن شهود نفسه مما يلوح لقلبه من شهود ربه ، ثم غلبات الانوار على سره حتى لايشهد السر بعد ما كان يشهد ، كالناظر فى قرص الشمس تستهلك انوار بصره فى شعاع الشمس ، كذلك تستهلك انوار البصيرة فى حقائق الشهود ، فيكون العبد صاحب الوجود دون الشهود ، ثم بعده خمود العبد بالكلية ، وبقاء الاحدية بنعت السرمدية .

ويقول سيدى ابن عطاء الله السكندرى فى حكمه : اجتهادك فيما ضمن لك وتقصيرك فيما طلب منك دليل على انطماس البصيرة منك » وهو فى هذه الحكمة البالغة يوجهنا بمنطق سليم الى العمل للاخرة ، لان الله سبحانه ضمن لنا رزق الدنيا ولم يضمن لنا رزق الاخرة ، ومع ان رزق الدنيا مضمون ومكفول فقد بذلنا فيه كل جهودنا المستطاعة ولم يمنعنا الضمان من بذلها، وكان الاحرى ان نسعى بالمثل أو اكثر للاخرة سعيها ، فلا نقصر فى طلبها وهى غير مضمونة .

ويقول سيدى ابراهيم بن ادهم رضى الله عنه : اعربنا فى الكلام ولحنا فى الاعمال ، فياليتنا لحنا فى الكلام وأعربنا فى الاعمال) وهو ايضا يشير الى عنايتنا بالظواهر واهمالنا البواطن ، فاننا نحرص على ان تنطق السنتنا الكلام صحيحا ، ولا نعبأ بفساد أعمالنا ، وكان الاولى ان نعكس اذا لم نستطع تصحيح الناحيتين معا .

ولست انسى ما حييت تجربة تربوية وقعت لى فى شبابى ونفعتنى طول حياتى ، وذلك انى كنت مرشحا للترقية وتهيأت لى ظروف الفوز بها من كل جانب ، ولكنى لم اظفر بها ، فوقع فواتها منى موقعا سيئا ضاق له صدرى ، وجزعت به نفسى ضيقا شديدا ، فرأيت ان ازور سيدى الشيخ عبد السلام لانفس الشدة، وبينما انا راكب اليه ، وفى وسط الطريق ، اذا بهاتف رحمانى يهتف فى صدرى : ده ده انت هاتعمل زى اللى بيقول فيهم ربنا (ومن الناس من يعبد الله على حرف فان أصابه خير اطمأن به وان اصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والاخرة ذلك هو الخسران المبين) فانقلب ضيقى الى خوف من الله تعالى واستغفرت ربى وانبت وتبت اليه وسألته العفو عنى ، وصرفت نفسى عن الاشتغال بموضوع الترقية كلية ، وما كدت اصل الى سيدى الشيخ حتى قصصت عليه امر الهاتف فابتسم رضى الله عنه وقال لى : دى خواطر القرآن عظيمة جدا ، وكأنه يقول لى: الزم ما نصحك به ربك وارض بقضائه وان كان على غير ما تحب ، وكنت بعد ذلك اخاف ان أشتغل بأمر الترقية قليلا أو كثيرا حتى جاءتنى الترقية ذا تيوم على غير انتظار ، وسبحان الله الفعال لما يشاء ، وتعودت بعد ذلك ان اترك ما اريد لما يريده ربى عز وجل ، وتأكد لى مما جرت به المقادير صدق ما ورد فى الحديث الشريف : ما كان لك فهو آتيك على ضعفك وما ليس لك فلن تدركه بقوتك .

هذا وكما تتفاضل أقدار الناس فى الدنيا ، كذلك تتفاضل درجاتهم فى الاخرة [انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللاخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا] ويقول السادة الصوفية ان المؤمنين يتفاضلون فيما بينهم ، فالعباد يفضل الله بعضهم على بعض فى زكاء الاعمال ، والعارفون يفضل بعضهم فى صفاء الاحوال ،فقوم تفاضلوا بصدق القدم ، وقوم تفاضلوا بعلو الهمم ، والتفضيل فى الاخرة أكبر ، فالعباد تفاضلهم بالدرجات ،قال صلى الله عليه وسلم « انكم لترون أهل عليين كما ترون الكوكب الدرى فى أفق السماء وان ابا بكر وعمر منهم » .

ويقول سيدى حاتم الاصم رضى الله عنه : عجبت ممن يعمل بالطاعات ويقول انى أعملها ابتغاء مرضاة الله ، ثم تراه أبدا ساخطا على الله رادا لحكمه ، أتريد ان ترضيه ولست براض عنه ؟ كيف يرضى عنك وأنت لم ترض عنه . وهو بذلك يحذرنا من السخط على المقدور مهما كان مرا ، فنكون مع الله على ما أراد، ولا نميل عما قضاه كما قال سيدى الشيخ عبد السلام رضى الله عنه . ويقول سيدى حاتم أيضا : أربعة يندمون على أربعة :

المقصر اذا فاته العمل ،
والمنقطع عن أصدقائه اذا نابته نائبة ،
والمكن منه عدوه بسوء رأيه ،
والجرى على الذنوب .

ويقول السادة الصوفية : أصل الطاعة ثلاثة اشياء : الخوف والرجاء والحب . واصل المعصية ثلاثة أشياء : الكبر والحرص والحسد .

ويقول سيدى ابو على الدقاق رضى الله عنه فى الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا : الاستقامة لها ثلاثة مدارج : اولها التقويم ثم الاقامة ثم الاستقامة ،فالتقويم من حيث تأديب النفوس، والاقامة من حيث تهذيب القلوب ، والاستقامة من حيث تقريب الاسرار .

ويرشدنا السادة الصوفية الى ان الطاعات يجب ان يصحبها الاخلاص والصدق ، وان تكون خالية من الرياء ، ويعرفون الاخلاص بانه التوقى من ملاحظة الخلق ، والصدق بانه التنقى من مطالعة النفس ، فالمخلص لا رياء له ، والصادق لا اعجاب له . ويقول الامام الجنيد رضى الله عنه : الاخلاص سر بين الله تعالى وبين العبد ، لايعلمه ملك فيكتبه ولا شيطان فيفسده ولا هوى فيميله . ويقول سيدى سهل التسترى رضى الله عنه : أهل لا اله الا الله كثير والمخلصون منهم قليل . ويقول السادة الصوفية : ما أخلص عبد قط أربعين يوما الا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه .

ويفرق السادة الصوفية بين الصادق والصديق فيقولون ان الصادق من صدق فى أقواله ، والصديق من صدق فى جميع اقواله وافعاله واحواله . وأقل الصدق عندهم استواء السر والعلانية . ويقول السادة الصوفية فى علاج امراض النفس على ذكر الله تعالى ذكرا كثيرا ، ويقولون ان الذكر ركن قوى فى

طريق الحق سبحانه وتعالى ، بل هو العمدة فى هذا الطريق ولا يصل احد الى الله تعالى الا بدوام ذكره عز وجل .
ولذلك يقول سيدى وشيخى الشيخ على عقل رضى الله عنه فى الهامه الفورى الذى نقلناه عنه :

ان الطريق هى الذكر الكثير فلذ
بالذكر هذا هو التقوى هو القدم

كما يقول رضى الله عنه :

والعاشقون لهم فى الحب ان صبروا
روض من العز لم يذبل له ثمر
مياهه الذكر والتقوى منابعه
والعلم والدين والايات والعبر
خل المعارف للعشاق تقطفها
ان كنت منهم فسر واسهر كما سهروا

وذكر الله عند السادة الصوفية على قسمين : ذكر اللسان ، وذكر القلب ، والتأثير لذكر القلب ، فاذا كان العبد ذاكرا بلسانه وقلبه فهو الكامل فى وصفه فى حال سلوكه .

ويقول سيدى الشيخ على عقل رضى الله عنه فى ذكر القلب:

وقفت على نجوى الاله جوانحى
لذلك قلبى منزل كله ذكر
واخليت قلبى من مناجاة غيره
فاصبح طودا لا يزلزله الغير
أسارع مشتاقا وأسكت هائما
وانطق اجلالا وما عاقنى سير
ففى صحوتى شوق وفى غفوتى هوى
وفى مشيتى علم وفى وقفتى سر

ويقول فى أثر ذكر اللسان على القلب رضى الله عنه :

رب يسر لى وأحسن موقفى
ذاك قلبى طالما منك شفاه
ولسانى لم يكن الا لكم
لم أحرك بسوى الله الشفاه

ويرشدنا رضى الله عنه الى التمسك بالخالق وعبادته وذكره، ويحذرنا من الاشتغال بالخلائق فيقول :

اذا مارمت أسباب السعادة
تمسك فى حياتك بالعباده
وان رمت النجاة الجأ اليه
وان رمت العطاء فدع عباده
علامة حبك الرحمن عندى
قيام الليل والذكر الشهاده
ولولا الذكر ما كسبت قلوب
بقدر الذكر تكتسب الافاده
فنينا فى المحبة عن سواه
وادركنا بتقواه وداده
دموع الناس من حزن ولكن
دموع العارفين من العباده
وما خاب امرؤ لله يسعى
ويجعله من الدنيا مراده

ويندد رضى الله عنه بأهل الغفلة عن الله تعالى فيقول :

من لم يذوقوا ذكر خلاق السما
هم والبهائم فى المقام سواء
بل ربما فطن البهيم لربه
والغافلون عن الهدى بلهاء
والاصل فى الدنيا المحبة والهدى
لولا الهدى لم تخلق الاشياء

ويتعرض السادة الصوفية لفضائل ذكر الله تعالى فيقولون انه غير مؤقت ، بل ما من وقت من الاوقات الا والعبد مأمور بذكر الله اما فرضا واما ندبا . والصلاة وان كانت أشرف العبادات فقد لا تجوز فى بعض الاوقات . والذكر بالقلب مستدام فى جميع الحالات ، ويقول فى ذلك سيدى ابو بكر الشبلى رضى الله عنه :

ذكرتك لا انى نسيتك لمحة
وايسر ما فى الذكر ذكر لسانى
وكدت بلا وجد أموت من الهوى
وهام على القلب بالخفقان
فلما ارانى الوجد أنك حاضرى
شهدتك موجودا بكل مكان
فخاطبت موجودا بغير تكلم
ولاحظت معلوما بغير عيان

ويقول بعض العارفين : لولا ان ذكره تعالى فرض على لما ذكرته اجلالا له ، مثلى يذكره ؟ ولم يغسل فمه بألف توبة .ومن خصائص الذكر أن الله تعالى يذكر فى مقابلته ذاكره فيعطيه ويرقيه لانه تعالى يقول [فاذكرونى أذكركم] ويتعرض سيدى القشيرى فى لطائفه فى اشاراته الى فضل الله على الامة المحمدية فى ذلك فيقول انه سبحانه قال لبنى اسرائيل [اذكروا نعمتى التى انعمت عليكم) بينما قال للامة المحمدية (فاذكرونى أذكركم ولا شك ان ذكر المنعم أكبر من ذكر النعم . وكأنه رضى الله عنه أراد ان يبين لنا الا نقف فى معرفة الله عند التحدث بنعمه ، بل نذكره تعالى مع التحدث بها ، فنجمع بين الفضيلتين وتغمرنا بركات المنعم المتفضل بالعطاء والثواب وما أكرمه عز وجل حين يمنح عبده التوفيق للطاعة ويثيبه عليها ، ويمدحه بها مع ان الفضل فضله والعبد ملكه .

ويقول السادة الصوفية : اذا تمكن الذكر من القلب ، فان دنا منه الشيطان صرع [كما يصرع الانسان اذا دنا منه الشيطان] فتجتمع عليه الشياطين فيقولون : ما لهذا ؟ فيقال: قد مسه الانس . ويقول سيدى سهل التسترى رضى الله عنه : ما من يوم الا والجليل سبحانه ينادى : يا عبدى ما أنصفتنى ، أذكرك وتنسانى ، وادعوك الى وتذهب الى غيرى ، وأذهب عنك البلايا وأنت معتكف على الخطايا ، يا ابن آدم ما تقول غدا اذا جئتنى ؟

وحين يتعرض السادة الصوفية للحديث القدسى : « انا جليس من ذكرنى » ، فيقولون للذاكرين : ما الذى أفدتم من مجالسة الحق سبحانه ، وكأنهم بذلك يقولون من لم يستفد فهو غافل عن ذكره سبحانه ، ولو كان ذاكرا حقيقة لاستفاد . ولذلك يقول سيدى أبو على الدقاق رضى الله عنه : الذكر منشور الولاية ، فمن وفق للذكر فقد أعطى المنشور ، ومن سلب الذكر فقد عزل .

وكم رأيت ذاكرين من ذوى الهمة فى أتباع القطب الاكبر وشيخنا الاشهر سيدى الحاج محمد أبى خليل ساكن ضريحه المشرق بالزقازيق ، طيب الله ثراه ، ولا أنسى أنى مرة طلبت فى مولده المبارك من صديقى الراحل الشيخ احمد غلبون رحمه الله رحمة واسعة ان يصحبنى لزيارة بعض الاحباب فى سرادقهم : فقال لى انتظر حتى أكمل الاسم الذى أذكره فقلت له كم بقى عليك لاتمام ذكره فقال عشرة آلاف ، فانظر كيف كانت همته فى طلب الله تعالى حتى صارت الالاف عنده فى الذكر كالاحاد ، ولا تعجب أن يكون هذا حال الذاكرين الله كثيرا فقد توج الله بهم أرباب المقامات الجليلة فى قوله الكريم [ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما) .

الاسلام يكرم الانسان

الدكتور محمد غلاب

يتميز العصر الراهن بأنه يقدم الينا مشهدا من اشد المشاهد قتومة ورهبة ، وهو منظر الانسانية وهى تجهد نفسها فى الكفاح للتخلص من القلق ، والظفر بالامن الثابت والاطمئنان المستقر ، ورغم ذلك فان بعض مناطق هذه الانسانية تسودها الحروب الشاملة ، والمعارك الطاحنة ، والمعامع القاسية التى لا ينظر فيها الى حقوق الانسان اية نظرة من نظرات الاحترام او الرعاية ، وكأننا امام نوع من اناس مسحورين او مسعورين قد استولى عليهم لون من الوان الخبل جعلهم يبذلون جهودهم فى محاولة قهر اوبئة الطبيعة وانقاذ الانسانية منها ، ولكنهم لا يستطيعون ان يتخلصوا من الحروب التى تبذر بذور الهدم والفزع ، فبينما نرى فريقا منهم يستنفدون قواهم ونشاطهم فى التعلم والبحث لينتزعوا اخوتهم من بين براثن الامراض التى تقتادهم الى الموت ، نشاهد فريقا آخر يقذف بهؤلاء الاخوة جماعات هائلة الى موت اكثر فظاعة واشد ازعاجا ، والحق ان تلك المفارقة المروعة تحملنا على الاعتقاد بأن التقدم والعلم اللذين هما من معبودات العصر الراهن واللذين يخلط الناس بينهما الان خلطا ضالا ليسا سوى وثنيين زائفين لا يستحقان العبادة ولا التقديس لان البربريه العلمية السائدة فى حقبتنا الراهنة ، والتى تفرض نفسها على الجميع فى طغيان صفيق ، هى تتمثل تمثلا رمزيا مرعبا فى « قاذفات القنابل » التى تورد الموت والفناء بكميات ضخمة ، والتى تقوض بلا حساب آمال البشرية ومدنياتها فضلا عن القضاء على حياة الابرياء دون أى شعور او احساس والتى تبرهن لكل ذى عقل على ان التراجع المعنوى ، او التقهقر الخلقى لاشد المجتمعات رغدا واكثرها رفاهية هو دائما ممكن او متوقع ، وان هذه المدنية المتلألئة هى ابراج متشامخة ، ولكنها سهلة التحطم والانهيار ، وبالتالى هى اضغاث احلام اقصر من اعمار الزهور ، وان ذلك التقدم المستمر الساطع ليس سوى اوهام مجسمة وخطيرة لانه عندما تنتصر وحشية الغريزة او الطمع او حب الامتلاك فى جانب من جوانب الكرة الارضية ، تتقهقر الانسانية على الفور ، وتمد مذابح الحرب أذرعتها الجهنمية ، فتتناول بالمئات والالاف من التعساء الغافلين الذين لا ذنب لهم الا انهم وجدوا فى عصر اولئك الاشرار الاشقياء فتقذف بهم فى فوهة الهوة التى تشبه اناء داناؤوس الذى يبتلع ولا يمتلىء وعندما تضع تلك الحرب أوزارها نرى الاناسى المنهكين المرهقين يشرعون فى التنقيب عن قواعد تقليدية مما تتصور فيه امكانية كبح جماح هذه الوحشية ولو على صورة مؤقتة ، واذن فان أنبل ما يقدمه الكاتب النزيه الى المجتمع اذ ذاك هو أن يذكر الجميع على الدوام بتلك القواعد التقليدية التى تحدد الانظمة والوقائع والعدل ، والتى بغيرها لا تكون هناك مدنية جديرة بالحياة ، وتلك القواعد موجودة فى الاديان الموحاة ولا ريب اننا نحن المسلمين نجد هذه الضالة المنشودة والرغبة المبتغاة على أكمل صورها ماثلة فى مبادىء

الاسلام وأوامره التى هى – بالنسبة الى جميع المؤمنين – مرشد موثوق به لتحقيق سيادة العدالة ، واحترام حقوق الانسان •

على أنه من الامور المعترف بها لدى الجميع ، ان الاناسى يتجهون دائما الى الله فى اوقات المحنة ، او فى آونة الازمات العامة الكبرى كتلك التى نجابهها فى هذا العصر اى فى الحقبة التى تتجه فيها النفوس نحو الحق الاساسى • وفى هذا يقول احد مشاهير المفكرين الفرنسيين ما نصه : « ان الانسان يكون أشد تغلغلا فى الحقيقة ، واستنكارها لها حين يكون اكثر تدينا » (ص ١١٣) من كتاب « بضع شهادات » تاليف بول بورجيه •

وكذلك فكرة تقسيم باسكال الانسانية الى ثلاث طوائف هى نابعة من فكرة دينية • ومجملها ان بنى الانسان ثلاثة أقسام : فريق يعبدون الله لانهم وجدوه ، وفريق يستخدمون انفسهم للتنقيب عنه ، وهم لم يجدوه بعد • واخيرا فريق يعيشون دون ان يبحثوا عنه ولا أن يجدوه •

فأما الاولون فهم عقلاء وسعداء . واما الاخيرون فهم مجانين واشقياء ، واما الاوسطون فهم عقلاء وأشقياء (ص ١١٣ من الكتاب السالف) •

هذا التقسيم يمكن تطبيقه حين يتعلق الامر بعامة الانسانية وسوادها الاعظم ، ولكنه يكون اشد اهمية حين يراد تطبيقه على العلماء الذين يتراسون اليوم مصير المدنية الحديثة •

وهؤلاء العلماء الذين ينتسبون الى الفريق الاخير فى تقسيم باسكال والذين يحيون دون ان يبحثوا عن الاله ودون ان يجدوه هم مسئولون عن مظهر العلم القاسى والخالى من الروح • وهم فى حالة نفسية تنحصر فى ان تنظر الى الانسانية على أنها مدفوعة بدوافع قوية عامة ليس للفرد فيها سوى دور الموجة فى البحر ، ونواميس الطبيعة تدفعهم الى ان يهملوا الانسان والا يعتبروه سوى مجموعة من الظواهر التى تتكون وتتفرق بلا انقطاع . وقد اذاعوا ذلك الخطأ الفادح ، وهو ادخال الحالات النفسية فى البيولوجيا والفيزيقا والكمياء الى حد أن الطبيعة كلها لم تعد سوى سلسلة متتابعة من الظواهر تحكمها محدودية ضيقة وتسير عبثا بلا بدء ولا نهاية • ولا ريب أن تصور الكون على هذا النحو يقتضى ان يكون الدين والاخلاق بلا معنى خاص ولم يعودا بعد سوى ظواهر خاضعة لشروط حتمية كالنشأة والازهار والموت •

واكثر من هذا أن النواميس الكونية قد تضاءلت عند هؤلاء الوضعيين حتى انتهت الى الانحصار فى نوع من التوازن الميكانيكى انبجس من اخلاط العناصر المهوشة وهذا الانبجاس قد نشأ عن مجرد الحركات التدرجيةلقوى المادة • ومن ثم هم يجدون من العبث تصور تدخل أى نظام الهى كما يدهشهم أن يكون للانسان حق امتياز خاص • وذلك ادراك للكون تبدو فيه مدنيه الانسان اشد قسوة من البربرية • كما يصفها الاستاذ بيرجريه احد مشاهير ابطال روايات اناتول فرانس » •

وعلى النقيض من ذلك خطة الفريقين الاخرين من علماء باسكال اى الذين ينقبون عن الاله وجدوه او لم يجدوه لان هذا البحث – ايا كانت نتيجته – ينمى فى نفوسهم معنى المسئولية كما يقوى فى عقولهم التيقن بصلاحية الانسان للحكم ومقدرته على النطق بالكلمة الحاسمة وهو امتياز خاص يرجح الانسان على بقية الموجودات •

ولا ريب ان هؤلاء العلماء الاخيرين لديهم عن الكون فكرة لا تقل اتساعا ولا شمولا عن فكرة الوضعيين • وبالتالى ليسوا أقل منهم فى أية ناحية من نواحى الاحاطة والدراية . ومن آيات ذلك انه لا يوجد تعريف للكون أبدع ولا أدق من تعريف باسكال المؤمن : « ان الكون هو فلك غير متناه ، مركزه فى كل مكان ، ومحيطه لا يوجد فى أى مكان » •

حقا انهم كالوضعيين يخضعون لتعاليم الواقع ، ونتائج التجارب العلمية ولكنهم لا يخلطون العالم المادى بالعالم الروحى • ونحن نرى ان اولئك العلماء الذين يعنون بالبحث عن الاله لا يضعون امام ضخامة الكون وتعقيداته الا الانسان وحده اذ هو الجدير بمواجهته على سبيل التفرد • وفى هذا يقول باسكال ايضا : « نحن شىء ان لم نكن كل شىء » •

غير اننا نحن المسلمين – فيما يتعلق بالسير فى الطريق المستقيم – لسنا فى حاجة الى أن نبحث عن مرشد سوى القرآن لاننا اذا نظرنا فيه نظرة فاحصة متمعنة ، الفيناه محتويا على أفضل التعاليم وأكثرها مدعاة للاعجاب عن عظمة الكون وعن قوة الطبيعة القاهرة وخصوبتها ونواميسها العامة ، وقوانينها الخاصة • وامام هذه الطبيعة يركز القرآن على خلق الانسان وتكوينه ، اى ضعفه المادى تجاه العظمة الالهية • ولكنه يذكره أيضا بقيمته الخاصة التى تتلالا

في القوة العقلية التي ميزه بها ليدرك هذا الكون ، والتي تجعله قادرا على الاحتفاظ بعظمته ولو في وسط البأساء . اذ يذكر ان الله جل وعلا قد ميزه باعز خلقه واكثرهم حظوة لديه وهو العقل الذي يخاطبه البارى على أثر خلقه اياه بقوله : « وعزتى وجلالى ما خلقت خلقا أعز منك ، فبك اعطى ، وبك امنع ، وبك أثيب ، وبك اعاقب » . كما تجعله قادرا على الشعور بكرامته التى رفع شأنه بها على الكائنات الاخرى « ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا » (آية ٧٠ من سورة الاسراء) . وسخر لكم الفلك لتجرى فى البحر بامره وسخر لكم الانهار وسخر لكم الشمس والقمر دائبين ، وسخر لكم الليل والنهار وآتاكم من كل ما سألتموه ، وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها » (آيات ٣٢ و ٣٣ و ٣٤ من سورة ابراهيم) .

وكذلك جعله يشعر بحقوقه فى هذا العالم ، وامره بالمطالبة بها فى جميع الظروف .

حقا نحن من هذا العالم ، ونحن نخضع لنواميسه التى تؤيدنا احيانا ، وترهقنا احيانا اخرى ، ولكننا لا تستطيع شيئا ضد هذه القوة الكامنة فينا وهى نفوسنا :

ومما لا شك فيه أن تلك السلسلة الطويلة من الاجيال البشرية التى تتيه فى ظلمات التاريخ قد احست كل ذلك على صور تتفاوت خفاء ووضوحا لانه دائما وفى كل مكان تطفو الحاجة الملحة الى الايمان والامل ، وهى حاجة مشتركة بين الجميع بل هى موجودة حتى لدى اولئك الذين يكرهون انفسهم على خنقها او على مقاومتها .

ولا جرم ان الاسلام من بين جميع الاديان هو الوحيد الذى يقدم الى الكافة اى الى العلماء والدهماء على السواء شرح هذه الحاجة المرتبطة بالكائنات البشرية ارتباطا لا انفصام له ولا فكاك منه ، اذ هو فى الواقع يعلمنا انه يوجد ـ فى اساس كل طريق تقتاد السائر فيها الى الغاية العليا ـ تدخل الهى مباشر وان كل انسان يأتى الى الحياة يحمل فى قلبه خاتم الوحى الاساسى ، وهو الميثاق الاول الذى اخذه البارى جل جلاله على جميع بنى الانسان فى عالم ما وراء الاشباح بعد ان اوضح لنفوسهم قبل حلولها فى عالم الاجسام طبيعتى الخير والشر وما بينهما من فروق متعلقة وعملية وما يترتب على مزاولة كل منهما من نتائج فى الدنيا والاخرة ، وابان لها كل ما يجب عليها ان تعرفه قبل أن ترد عليه تعالى وقبل ان تتعهد به امامه فى حرية وتمام اختيار « ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها ») آيتى ٧ و ٨ من سورة الشمس) .

وبعد أن أنار لها طريق فهم الاسئلة قبل الاجابة عليها شرفها بأن جعلها طرفا معه فى هذا الميثاق الاول « واذ اخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين . او تقولوا انما اشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون » (آيتى ١٧٢ ، ١٧٣ من سورة الاعراف) .

وهكذا يكون كل انسان يجحد الاله جانيا بسبب انكاره او رفضه وحيا تلقاه ـ قبل ارسال الانبياء ـ من الله مباشرة وفى وضوح لا سبيل الى الشك فيه ، ويكون قد غدر بميثاق عرف مشتملاته معرفة جلية قبل ان يتعهد بقبوله فى أتم انواع الحرية وأكملها . واذن فمن العلم الفطرى الضرورى الذى سبق كل استعداد ، بل كان اساسا لاول استعداد هو الايمان بالاسلام كما ان من شطور هذا العلم الفطرى شرح وتعليل تفرده من بين الاديان بالكونية المطلقة التى لا ينازع فيها أى عقل سليم « وقالوا لو كنا نسمع او نعقل ما كنا فى أصحاب السعير » (آية ١٠ من سورة الملك) .

وهذا العلم الفطرى ذاته هو الذى يسوغ ذلك الشغف الحاد الذى استولى على الانسانية منذ نشأتها ، وتلك اللهفة المتقدة التى لا ينطفىء لهيبها بازاء الشعور بالحاجة الملحة الى الالوهية والغالبه ، وهو يتمثل فى التوقان الدائب الى التنقيب عن تلك الالوهية بصورة لا تكل ولا تمل .

وفى الحق ان العقليات القوية المستقيمة لم تبد قط الملل من هذا التنقيب ، ولم تتراجع عن حركة الصعود فوق درجات سلم الماضى لتكشف أصل الموجودات ومنشأها . وهو ذلك المنشأ الذى القت عليه الايات القرآنية اضواء كشافة تبصرة لكل ذى عقل مستقيم ، وقلب منير ، ونفس صافية ، اوتذكرة لاعادة ما علمته النفوس قبل الميثاق الاول ، وقبل هبوطها الى الاجسام ثم اغفلتها عنه الانحرافات البدنية التى اقتضتها طبيعة المادة ثم ادركتها رحمة الله جل وعلا فأرسل الانبياء ليشعوا فى جنباتها انوار الوحى المرشد الهادى حتى تنقطع حجج الانحراف الجبرى الذى لا يدلهم فيه اول مرة ، ولكنهم مسئولون عنه بعد اتيان ذلك الوحى

بوضوحه مسئولية تامة «لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما» (آية ١٦٥ من سورة النساء) .

ومهما يكن من الامر فان اولئك الذين لم ينحرفوا اصلا عن الميثاق الاول او الذين انحرفوا قسر ارادتهم ثم استرشدوا بنور الوحى فاهتدوا هم وحدهم الذين ليس فى مقدرة الريب او القلق ان يحولهم عن الغاية المبتغاة . وهى العثور على جوهر النفس كما انشأه الخالق .

وللظفر بهذه الغاية المثلى ينبغى بذل مجهود عظيم عميق جلد فى التطهير الباطنى الذى يقدم القانون الاسلامى معالمه الى جميع المؤمنين على السواء ولكن لا يستفيد منه الا العاملون المخلصون الذين يضعون نصب أعينهم كشف النقاب عن اسراره والاستيلاء عليها .

حقا اننا نستطيع ان نفهم فى سهولة كيف ان التربية المنحرفة والاوهام المتأصلة والموروثات الزائفة والاحكام المستبدة والغرائز المتمردة على القواعد الراسخة والقيم الثابتة ، يمكن ان تحجب عن الاناسى تلك المعانى الدينية او الفطرية ، ولكننا يجب علينا ان نضيف الى هذا كله فى حقبتنا الراهنة تأثير تلك الفكر الملحدة الناشئة عن تصور الكون وفهم العلم على صورة معوجة ملتوية ، وهو تصور وفهم ذلك الفريق من العلماء او ادعياء العلم الذين اشرنا اليهم فى مبدأ هذه الكلمة ، والذين يقصون اقصاء تاما فكرة الاله ، ويتخلون نهائيا عن كل بحث يتعلق بالمبادىء والغايات فى ذاتها .

ومن ثم قد وجد لدى اولئك العلماء او المتعالمين نوع من التشاؤم الاساسى وتغلغل الى أبعد اغوار نفوسهم ، وغلف بغلاف سميك تلك الفكر المنقبضة عن محدودية الحياة البشرية لا سيما لدى علماء العصور الحديثة وكانت نتائج ذلك مشئومة على الكافة التى لم تتسلح معنويا ضد نظرياتهم التى لا تعرف للاخلاق عينا ولا اثرا . ولم تعد المجتمعات عندهم سوى خدعة ضخمة يسود فيها الاقوياء الضعفاء اى ان تلك النظريات قد فتحت الابواب على مصاريعها لحكم القوة واحتقار العدالة ، والابادة المنظمة للجماهير البشرية . ولقد تنبه «نيتشة» لهذه الكوارث فى القرن التاسع عشر حيث قال : «ان القرن العشرين سيكون هو القرن الكلاسيكى للحرب» (ص ١٣٥ من كتاب بيجى تأليف دانيال هاليفى) .

وعلى هذا النحو يجب ان يكون الايمان الان – اكثر منه فى أى وقت آخر – عزيزا نفيسا لدى جميع الاناسى ذوى النيات الحسنة لانه يتعارض مع الموج العارم المتصاعد للبربرية الحديثة التى تكاد تشمل العالم .

ومن هذا كله يتضح ان الاسلام – اذ يربط برباط محكم ضيق بين الروحى والمادى والاخلاق والسياسة ، والاجتماعيات والاقتصاديات – هو يتجاوب مع جميع حاجات الانسان لكى تزهر وتتفتح فى حرية وسلامة وقوة . وهو يضمن ويحترم جميع حقوق الانسان وعلى الاخص حقوق الحياة فى شعوب مختلفة واصقاع متباينة كما تقتضى ميول الناس وأذواقهم . «يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم ان الله عليم خبير» (آية ١٣ من سورة الحجرات) . ولا جرم ان التعارف الذى أمر به القرآن يقتضى الالفة ، وان الالفة لا تتحقق الا باحترام الحقوق الانسانية والمساواة المؤسسة على معرفة الاخوة المنصوص عليها فى قول القرآن «انا خلقناكم من ذكر وانثى» وفى قوله : «ان اكرمكم عند الله اتقاكم» .

ولكن كيف يمكن ان يحترم اولئك المسلمون المنتشرون فى العالم اذا كانت الارض التى تقلهم خاضعة لضغط فريق من الاجانب ، او موضع اشتهاء وترقب لفريق آخر ؟

ومهما تكن موضوعات تفكيراتنا فى هذه الاوقات العصيبة فان فكرنا يعود دائما وعلى غير قصد منا الى الغوص فى محن الوطن العربى ، وذلك لانه لا يوجد فرق بين الامة والوطن ، فوطنيتنا مؤسسة على روابطنا الاخوية ، وعلى الشرف والكرامة الاسرية ، وعلى كل ما من شأنه ان يغذى وينمى الكائنات وهى لا تهدد احدا ، لان حب الوطن عندنا لا يخرج عن المبادىء القرآنية ، وبالتالى **هو لا يقتاد الافراد الى الانحراف بايحائه اليهم مطامع مشئومة كالطغيان والاستعلاء والاعتداء والافساد «تلك الدار الاخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الارض ولا فسادا والعاقبة للمتقين»** (آية ٨٣ من سورة القصص) **«ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين !** (آية ١٩٠ من سورة البقرة) **وانما هو يربيهم ويكونهم على العدالة والاعتدال والجنوح للسلام اذا بدأ به خصومهم «وان جنحوا للسلم فاجنح لها»** (آية ٦١ من سورة الانفال) **وهو يعودهم على الحرص الشديد على العزة فلا يسمح لهم بأن يهدروا كرامتهم فيعرضوا السلم على المعتدين او على المستعلين «فلا تهنوا وتدعوا الى السلم وانتم الاعلون والله معكم ولن يتركم اعمالكم» (آية ٣٥ من سورة محمد) «فان لم يعتزلوكم ويلقوا اليكم السلم ويكفوا أيديهم فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم واولئكم جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا»** (آية ٩١ من سورة النساء) .

الجهاد فى الإسلام

الأستاذ حسن الشيعة

انظر الى السحب واقرأ آية العجب
وطر الى الشهب وارفع راية الغلب

اكتب هذه الكلمة فى اليوم الحادى والعشرين من شهر صفر ، والثامن والعشرين من شهر أبريل ، وهو اليوم الذى ودعنا فيه أبطالنا الطيارين الثلاثة ، الذين استشهدوا فى جبهة القتال — الى مقرهم الاخير ، فلهم جنة الخلد ، هم وزملاؤهم المستشهدون ، ولنا الاقتداء بهم ، والسير على آثارهم ، والاقدام على مثل ما أقدموا عليه .

يقول سبحانه وتعالى « فليقاتل فى سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالاخرة ، ومن يقاتل فى سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجرا عظيما » ،

وليس هذا التحريض القوى للمجاهدين على الاستقتال فى موقف القتال الا لان المعركة معركة فاصلة ، تقرر المصير فى هذه الحياة ، معركة الحق والباطل ، والخير والشر ، فان كان النصر فيها للحق والخير ، رجع كل شىء الى أصله وعلا الحق علوا كبيرا ، كما هو المأمول بقوة الله وتقديره ، والا فالموت خير من حياة يتحكم فيها سفلة أشرار ، شردتهم الحياة شذر مذر ، ولم يجدوا لهم مجمعا الا فى قلب البلاد العربية [فلسطين] بعد أن تجنسوا بعشرات الجنسيات فى كل بلد يستعيرون الاقامة فيها .

ان مادة [جهد] وما اشتق منها مثل جاهد ، ويجهد ، وجهاد ، موجودة بكثرة عجيبة فى القرآن الكريم ، وذلك لعظم درجة الجهاد عند الله ، مثل :

١] يا أيها النبى جاهد الكفار والمنافقين ، واغلظ عليهم .

٢] انفروا خفافا وثقالا ، وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم فى سبيل الله .

٣] وجاهدوا فى الله حق جهاده .

٤] لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا بأموالهم وأنفسهم .

٥] والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا

٦] لايستوى القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر والمجاهدون فى سبيل الله

ويكفى هذا القدر ، لان اثبات مادة [جهد] وما اشتق منها بحاجة الى حيز كبير من القرطاس ، متعدد الصفحات منوع الاشتقاقات .

قد تأتى كلمة [الجهاد] فى القرآن الكريم بالمعنى لا باللفظ ، مثل قوله تعالى [فليقاتل فى سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالاخرة ، ومن يقاتل فى سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجرا عظيما] ، فان القتال فى هذه الاية الكريمة هو بلا ريب بمعنى الجهاد ، وعلى هذا التأويل يكون بين الكلمتين عموم وخصوص ، فان الجهاد أعم من القتال ، لانه قد يكون جهادا معنويا ، وذلك كالمجاهدة النفسية عند أهل التصوف ، أما القتال فانه أخص من الجهاد ، لانه منحصر فى مجاهدة العدو وقتاله ، كحالنا اليوم مع الصهاينة الانذال الارذال .

نلاحظ أن هذه الاية الكريمة قدمت فى الذكر فعل [يقتل] على فعل [يغلب] فقالت [.. ومن يقاتل فى سبيل الله فيقتل أو يغلب ..] مع أن القتل اعدام ، والغلب هو غاية مايتمنى المحارب من عزة وفخار ، فهى قد قدمت العدم على الوجود ، على حين أن المتعارف فى منطق الناس هو العكس ، وتأويلى لذلك انه تحريض للمقاتلين فى سبيل الله على الاقدام ، واسترخاص النفوس فى هذا المجال ، وقد عبر سبحانه بالتحريض على القتال فى آية أخرى بقوله [يا أيها النبى حرض المؤمنين على القتال ..] .

ماغرست بذرة الاسلام فى أرضه الطيبة الا بالجهاد ، ولا أينعت وأنبتت نباتا حسنا الا بالجهاد ، ولا انتشر الاسلام فى الخافقين بسرعة لاتتصورها عقول البشر الا بالجهاد ، ولا دك الحصون لاكبر دول العالم يومئذ : فارس والروم : الا بالجهاد ، ولا تخطت تعاليمه الحدود ، وجاوزت الافاق ، الى الذين آمنوا به ، والذين لم يؤمنوا ، وآتوا الجزية عن يد وهم صاغرون — كل ذلك لم يقع الا بالجهاد ، والتضحية بالنفوس ، والبذل بالمال ، والايمان الكامل بالله الواحد القهار .

ان منابت الجهاد ، والتضحية بالنفس ، وعمق العقيدة ، أساسهن الاول غزوات رسول الاسلام صلوات الله عليه ، والاساس المتين يبنى عليه البناء المشيد ، وهذه الغزوات فيها العبر ، وفيها المبتدأ والخبر ، وفيها الفلسفة الصادقة الحكيمة التى نعرف منها كيف بدأ دين الاسلام قويا ، وكيف اشربت نفوس العرب فى أولاهم عقيدة التوحيد نظيفة قوية ، لاعوج فيها ولا امتا ، فجاءت بالمعجزات ، وخوارق العادات ، وأشرف التضحيات .

خذ مثلا غزوة بدر الكبرى ، ترى ان المقداد بن عمر يقول للقائد الاعظم رسول الاسلام : « امض لما أمرك الله ، فنحن معك ، والله لانقول لك كما قالت بنو اسرائيل لموسى : اذهب أنت وربك فقاتلا انا هاهنا قاعدون » وكما قال له — صلوات الله عليه — سعد بن معاذ : «امض لما اردت ، فوالذى بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ، ماتخلف منا رجل واحد ، ومانكره أن نلقى عدونا ، وانا لصبر [جمع صابر] عند الحرب صدق [جمع صادق] عند اللقاء ، ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك » ولما نظر رسول الله كثرة المشركين ، وقلة المسلمين قال : « اللهم لاتخذلنى ، اللهم انشدك ماوعدتنى » وقد قاتل المسلمون حتى انقطعت سيوفهم ، مثل عكاشة بن محصن الاسدى ، وقد عوضه الرسول سيفا غير سيفه ، فقاتل به حتى نصر الله المسلمين .

خذ مثلا ثانيا ، غزوة أحد ، فقد قتل سيدنا حمزة عم النبى ، وقد لقى المسلمون فى هذه الغزوة كثيرا من الشدة ، وكثيرا من القتلى ، وقد أنزل الله على نبيه [ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا ، بل أحياء عند ربهم يرزقون ، فرحين بما آتاهم الله من فضله ، ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم، ألا خوف عليهم، ولاهم يحزنون] وكان مما أصاب المسلمين فى هذه الغزوة أن كسرت رباعية النبى ، وجرحت شفته السفلى ، وجرحت وجنته ، ورمى بالحجارة ، حتى سقط فى حفرة ، فأخذ على بن ابى طالب بيده ، واحتضنه طلحة ابن عبد الله ، حتى استوى قائما وانتزع أبو عبيدة بن الجراح حلقتين من المغفر [وهو زرد ينسج على قدر الرأس] كانتا قد نشبتا بوجهه .

خذ مثلا ثالثا ، هو غزوة الاحزاب، التى حرض فيها اليهود كثيرين من القبائل العربية ، ليئدوا الاسلام وهو وليد ، وليهلكوا محمدا صاحب رسالته .

حرضوا عليه قريشا ، وغطفان بناحية نجد ، واشجع ، وبنى قريظة ، والمنافقين، وطوائف من بنى كنانة ، وأهل تهامة فهال الرسول الكريم هذا التجمع ، فدعا ربه بقوله [اللهم منزل الكتاب ، سريع الحساب ، أهزم الاحزاب ، اللهم اهزمهم وزلزلهم] وقد استجاب الله دعاء نبيه بأن الهم سلمان الفارسى رضى الله عنه بأن يشير على الرسول الكريم بحفر الخندق حول المدينة ، وقد شارك صلوات الله عليه فى حفر هذا الخندق ، فكان يحمل التراب على كتفه ، ويفتت الصخر بالمعول وقد قال تعالى فى هذه الغزوة [فأرسلنا عليهم ريحا ، وجنودا لم تروها] ، فقد هبت ريح الصبا ليلا ، فقلعت اوتادهم، والقت عليهم الابنية ، وكفأت قدورهم ، وسفت عليهم بالتراب ، ورمتهم بالحصباء، وسمعوا فى معسكرهم تكبير المسلمين ، وقعقعة سلاحهم ، فارتحلوا هربا فى ليلتهم ، وتركوا مااستثقلوه من متاعهم ، فكانوا كما يقول المثل العربى [انج سعد فقد هلك سعيد] فارتفعت راية الجهاد والاسلام الى السماء ، ونزلت راية الاحزاب الى أسفل سافلين ، ودفنت تحت الثرى [ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا ، وكفى الله المؤمنين القتال ،وكان الله قويا عزيزا] .

وختاما أحيى شهداءنا فى الميدان ، السابقين واللاحقين بقول الشاعر الحماسى

يجود بالنفس ان ضن الجبان بها
والجود بالنفس أسمى غاية الجود

من أحكام الشريعة الإسلامية وآدابها

المستشار
محمد خاطر

لقد وعدنا فى مقالنا السابق (الذى اوضحنا فيه أن المهر يجب بالعقد فى الزواج الصحيح وبالدخول فى الزواج الفاسد) . أن نتابع البيان فى أحكام المهر وقضاياه ، مع التعرض لما يجرى عليه العرف من معاملات فى ذلك .

ـ واليوم نعرض لبيان ما **يصح تسميته مهرا وما لا يصح .وهل المنفعة تصلح أن تكون مهرا أم لا ؟ مع بيان الحكم اذا ما صحت التسمية ، والحكم عند فسادها ومتى يجب مهر المثل مع بيان الاسس التى يقوم عليها تقديره .**

ـ ونرى قبل أن نعرض لتفصيل الاحكام فى هذه الموضوعات وما فيها من خلاف بين الفقهاء أن نبين **المقصود من المال عندهم** ، ذلك لان البحث فى المسائل المعروضة من المهر يقتضى ذلك اذ هو يقوم عليها ، وتتفرع مسائله على الخلاف بينهم فى تعريف المال ، وهل المنافع داخلة ضمن الاموال أم لا ؟ واليك البيان :

يرى فقهاء الحنفية أن المال هو كل ما يمكن حيازته والانتفاع به على وجه معتاد ، وعلى هذا لا يكون الشىء مالا عندهم الا اذا توافر فيه أمران (١) أمكان حيازته . ٢) امكان الانتفاع به على وجه معتاد ، وبناء على هذا الاساس فى تحديد المال، كانت المنفعة غير داخلة فى تعريفه عند الحنفية لعدم امكان حيازتها وحدها .

أما غير الحنفية من الفقهاء فانهم يرون ان المنافع من بين الاموال لانهم لا يشترطون فى المال امكان احرازه بنفسه بل يكفى أن يمكن حيازته بحيازة أصله ومصدره ـ والمنافع تحاز بحيازة مصادرها ، فان من يحوز بيتا ينتفع بسكناه ويمكنه أن يمنع غيره من

الانتفاع به الا باذنه ومظهر المالية واضح فيه حينئذ وكذلك من يملك سيارة وهكذا ..

وبناء على هذا الخلاف بين الفقهاء **فى تعريف المال** وفى مدى شموله للمنافع من عدمه . **كان خلافهم فيما اشترطوه لصحة تسمية المهر .**

فلقد اشترط فقهاء الحنفية لصحة تسمية المهر فى العقد أن يكون المسمى مالا متقوما معلوما علما ليس فيه جهالة فاحشة . وقد عرفت رأى الحنفية فى تعريف المال والمقصود منه ورأى غيرهم فيه .

أما الشافعية فانهم لا يشترطون لصحة تسمية المهر فى العقد أن يكون المسمى مالا متقوما ، بل يصح تسمية ما ليس بمال مما يجوز أخذ العوض عنه ، ودليلهم فى ذلك ما روى عن سهل بن سعد ان النبى صلى الله عليه وسلم جاءته امرأته فقالت يارسول الله انى قد وهبت نفسى لك . فقامت قياما طويلا : فقام رجل فقال يارسول الله زوجنيها ان لم يكن لك بها حاجة : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **هل عندك من شىء تصدقها اياه ؟ . فقال ما عندى الا ازارى هذا ،** فقال النبى صلى الله عليه وسلم ان اعطيتها ازارك **جلست لا ازار لك . فالتمس شيئا . فقال ما أجد شيئا . فقال التمس ولو خاتما من حديد . فالتمس فلم يجد شيئا . فقال له النبى صلى الله عليه وسلم هل معك من القرآن شىء ؟ . قال نعم سورة كذا وسورة كذا لسور يسميها فقال له النبى صلى الله عليه وسلم . قد زوجتكها بما معك من القرآن . متفق عليه .**

فاخذ الشافعية من هذا الحديث الدليل على أنه لا يشترط لصحة التسمية أن يكون المهر المسمى مالا متقوما لان المسمى فى الحديث وهو السورة من القرآن لا يوصف بالمالية .

أما الحنفية فقد استدلوا لرأيهم بما جاء فى القرآن الكريم . اذ يقول الله جل شأنه « **وأحل لكم ما وراء ذلكم أن تبتغوا بأموالكم** » . فشرط الله جل شأنه فى الاية أن يكون المهر مالا . فما لا يكون مالا لا يكون مهرا ولا يصح تسميته فى العقد - كما قال الله تعالى أيضا - « **وان طلقتموهن من قبل أن تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم** » . فقد امر الله جل شانه بتنصيف المفروض فى الطلاق قبل الدخول ، وذلك يقتضى أن يكون المفروض محتملا للتنصيف ولا يكون كذلك الا اذا كان مالا .

وقالوا فى الحديث السابق انه خبر آحاد ولا يترك نص الكتاب بخبر الاحاد هذا فضلا عن أن الحديث ليس فيه ذكر لتعليم القرآن حتى يقال انه سمى ما ليس بمال - والظاهر من معنى الحديث ان الرسول زوجه اياها بسبب ما معه من القرآن وبحرمته وبركته تشجيعا لحفظة القرآن وتكون الباء فى الحديث (زوجتكها بما معك) بمعنى اللام أى لاجل ما معك وليست للتعويض وأن هذا المعنى يؤيده ما ورد فى حديث ابن عباس حيث قال فيه « **فاذا رزقك الله فعوضها** » . ويكون المهر فى هذه الحالة لم يسم فى العقد والواجب حينئذ هو مهر المثل . والنكاح جائز لان جواز العقد لا يتوقف على التسمية أصلا كما أن التسمية اذا فسدت التحقت بالعدم فيصير الامر كانه تزوجها ولم يسم شيئا فالنكاح صحيح حينئذ ويجب مهر المثل .

وذلك لان تسمية ما ليس بمال فى عقد الزواج كانت كالشرط الفاسد ، والنكاح لا تبطله الشروط بل يصح العقد ويلغو الشرط »

وبناء على هذا الخلاف فيما يصح تسميته من مهر فى العقد كان الخلاف على أساسه فى كثير من المسائل : فاذا تزوج شخص امرأة وجعل مهرها أن يطلق ضرتها أو الا يتزوج عليها أو الا يخرجها من بلدها ، فلا تصح آية واحدة من هذه المنافع أن تكون مهرا لانها لا تقدر بمال وان كانت منفعة للزوجة وذلك عند الحنفية الذين اشترطوا لصحة تسمية المهر فى العقد أن يكون المسمى مالا . ومن ذلك ومما اورده الفقهاء من تفريعات يبين أن المنفعة اذا كانت من المنافع التى يستحق فى مقابلها المال كزراعة الارض وسكنى الدار جاز أن تكون مهرا .

فانت ترى من هذه النظرة نحو عقد الزواج وأنه لا تبطله الشروط الفاسدة متميزا بذلك عن عقود المعاوضات . مقدار سمو هذا العقد ومقدار ما أحاطته الشريعة الغراء من رعاية : وعمق نظرتها اليه نظرة تتفق مع ما للاسرة من كيان وخطر .

ويزيد هذه النظرة وضوحا ماحفلت به قواعد الفقه الاسلامى من أسس عامة لتقدير مهر المثل حين فساد التسمية ، وما راعته من حقوق متعددة تتعلق بالمهر . كحق الشرع فى مقداره وبيان حده الادنى وأنه لا يملك أحد اسقاط وجوبه ، كما روعى كذلك حق اولياء الزوجة فى الاعتراض اذا زوجت نفسها بأقل من مهر المثل ، وحقها هى كذلك فى الاعتراض اذا زوجها الولى بأقل من مهر المثل ، وهكذا من الحقوق المتعددة التى تعطيك صورة واضحة عن مقدار اهتمام الشريعة بالعقد وتمامه فى جو من الرضا والاتفاق مع مراعاة ما لكل اسرة من تقاليدها فى مهور بناتها فى اطار احكام الشريعة ، وفى النظرة الى التماثل حين تقدير مهر المثل ومراعاة مثيلات الزوجة فى كل شىء من اسرة ابيها واعطائها الحق فى الاعتراض على ذلك .

وحين نبسط الاحكام والصور فى تقديرات مهر المثل وأسس تقديره وما ينشأ بين الطرفين من خلافات بشأنه سترى من خلال قضاياه **كيف حرصت الشريعة الغراء على تقرير حقوق المرأة ، وكيف حافظت عليها ، وكيف نالت المرأة من حقوق . ماكانت تمتع بها أبدا الا فى ظلال الاسلام وحكامه .**

نبي الهدى وإمام المجاهدين

عن جابر بن عبد الله ، رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال [أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلى — نصرت بالرعب مسيرة شهر ، وجعلت لى الارض مسجدا ، وطهورا — فأيما رجل من أمتى أدركته الصلاة فليصل ، وأحلت لى الغنائم ولم تحل لاحد قبلى ، وأعطيت الشفاعة ، وكان النبى يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى الناس عامة] .

خواص خمس اختص الله بها نبيه الكريم محمدا بن عبد الله بن عبد المطلب الامين تكريما له ولامته وشرفه بها على سائر الانبياء والمرسلين الذين بعثهم بالحق الى العباد من قبله ، كما كرم أمته وشرفها ببعثته ، وجعلها خير أمة . [كنتم خير أمة اخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله] . وهكذا اذا ما شاء الله وكان القائد موهوبا ومظفرا ، كان جنده كذلك ، يضفى عليهم من روحه ، وينفث فيهم من ايمانه ، وعزمه يحدوهم الى النضال والكفاح والايمان والامل ، ويقودهم الى النصر والظفر والعزم والثقة . والراوى للحديث : جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام الانصارى السلمى أبو عبد الرحمن ، صحابى جليل مشهور روى الكثير من الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وشهد غزوة العقبة ، وغزا تسع عشرة غزوة ، وتوفى سنة ٧٨ ثمانية وسبعون من الهجرة عن أربع وسبعين عاما ..

أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلى من الانبياء — وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم هذا فى غزوة تبوك . وهى آخر غزواته صلى الله عليه وسلم .. وهذا يفيد ان كل خاصية من هذه الخواص الخمس التى جاء بها الحديث الشريف قد اختص الله بها نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم دون غيره ممن سبقه من الانبياء . وتكريما له وتعظيما ، واعلاء لقدر أمته . فهو خاتم الانبياء وأكرمهم جميعا عليه تعالى

ولا يعترض على هذا بأن نوحا عليه السلام كان مبعوثا الى أهل الارض بعد الطوفان — لانه لم يبق الا من كان مؤمنا معه ، ولان هذا العموم لم يكن فى أصل بعثته ، وانما اتفق بالحادث الذى وقع : وهو انحصار الخلق فى الموجودين بعدهلاك سائر الناس ..

وأما نبينا صلى الله عليه وسلم فعموم رسالته من أصل البعثة ... وقد يقال : ان دعاء نوح باغراق جميع من لم يؤمن به ، يدل على أنه كان مبعوثا الى الناس كافة ، لانه لا عقاب الا بعد الانذار والاجابة عليه : ان دعاء نوح عليه السلام قومه الى توحيد الله عز وجل بلغ بقية الناس لطول مدة اقامته بينهم ، فلما لم يستجيبوا وتمادوا فى الشرك والضلال ، استحقوا العقاب .. وهناك احتمال بانه لم يكن فى الارض عند ارسال نوح الى قومه غيرهم .. فتكون بعثته خاصة لكونها الى قومه فقط وبعثة نوح على هذا تكون عامة فى الصورة لعدم وجود غيرهم ، ولو اتفق وجود غير قومه لم يكن مبعوثا اليهم .

وظاهر قوله صلى الله عليه وسلم : أعطيت خمسا ، انه لم يختص بغير ذلك ولكن هذا غير مراد . فقد روى أبوهريرة رضى الله عنه : [فضلت على الانبياء بست . منها واعطيت جوامع الكلم ، وختم بى النبيون] . وفى رواية مسلم : [جعلت صفوفنا كصفوف الملائكة] . وبعض الرواة والمحدثين أوصل الخواص التى اختص بها نبى الهدى دون غيره من الانبياء الى سبع عشرة خاصة .

نصرت بالرعب مسيرة شهر . وروايات أخرى : [نصرت بالرعب يقذف فى قلوب اعدائى] . [ونصرت على عدوى بالرعب ولو كان بينى وبينهم مسيرة شهر] وجعلت الغاية شهرا حيث لم تكن المسافة بين بلد النبى الامين وبين بلاد أعدائه تستغرق فى السير مسافة أكثر من مسيرة شهر فقط فى الزمن ... وقد نصر الله نبيه الكريم بالرعب ، وقذف بالخوف فى قلوب أعدائه عندما كانوا يسمعون أنه وجه اليهم جيشا لمحاربتهم وقد استقر فى اذهان اعداء النبى ، أن أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم جند الله الغالبون لا يرهبون الموت ولا يخشون الاعداء ، بل يستعذبون الموت والفداء فى سبيل نصرة عقيدتهم ودينهم وأوطانهم ، وتطهير ديار العرب والاسلام من الشرك والوثنية والضلال . . ولا شك

فضيلة الشيخ محمد وهيب

أن الرعب وشدة الفزع اذا حل فى صفوف جيش من الجيوش فعل به مالا تفعله آلات الحرب من القذائف والصواريخ ، وحلت به الهزيمة لا محالة . فحب الفداء والاستبسال فى القتال هو طريق النصر وسبيل الانتصار على الاعداء وقد نصر الله الكريم النبى وصحبه بما وهب من سلاح الايمان والتقوى .. ايمان راسخ ،وعقيدة حية ثابتة وتمنيات للموت فى سبيل اعلاء كلمة الحق وردع الباطل ، ونصرة الدين ، وتطهير الديار ، وبما ألقى فى قلوب اعدائهم من خوف وخور ، وحرص على الحياة .. واليهود هم أحرص الناس على حياة أيا كانت الحياة عزيزة او مهينة ذليلة [ولتجدنهم أحرص الناس على حياة] فهم لا يرغبون فى الموت لما اقترفوا من آثام . [الذين آمنوا يقاتلون فى سبيل الله والذين كفروا يقاتلون فى سبيل الطاغوت ، فقاتلوا أولياء الشيطان ان كيد الشيطان كان ضعيفا] « ولا تهنوا فى ابتغاء القوم ان تكونوا تألمون فانهم يألمون كما تألمون ، وترجون من الله مالا يرجون وكان الله عليما حكيما» .. يأمر الله المؤمنين الا يضعفوا فى قتال أعدائهم الذين أعلنوا عليهم الحرب ، وشنوا عليهم الغارات من كل مكان ، والحرب بلا ريب كلها آلام وشدة وابتلاء يقول الله عز وجل مخاطبا أولياءه المؤمنين ان كنتم تتألمون من الجراح والاذى التى تصحب الحرب عادة فان أعداءكم أعدائى يتألمون كذلك غاية الالم ، ولكن فرق شاسع بينكم وبينهم ، فهم لا يطالبون بحق ولا يعملون لاقرار عدل أو سلام ، ولا يرجون من وراء القتال اجرا من الله ، وأنتم عبادى المؤمنين تقاتلونهم بغية الحق والعدل والسلام وترجون من الله الاجر والثواب والفوز فى الدنيا والاخرة ، والله يعلم نياتكم وأعمالكم وهو العزيز الحكيم يجازى كلا بما يعمل .

ومن هنا نعلم أن الله تعالى اختص نبيه الكريم دون غيره من الانبياء والمرسلين بهذه الخاصية التى توالت بسببها الانتصارات لجيوش المؤمنين المجاهدين تحت راية نبى الهدى والاسلام ، كما تعددت الهزائم لجيوش أعدائه حيث عم الفزع تسائر وحداتها وجميع أفرادها ، بفضل ما أختص الله به القائد ، وبما توافر من قوة ايمان وثقة وعزم وتصميم وعمل وطلب للشهادة وتمنى الموت فى سبيل الله والاوطان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم واذا لابد للايمان أن يصاحبه عمل ،والعمل لايكون ذا جدوى بدون علم .. لذا كان من أقدس واجبات القتال والجهاد : الاعداد للحرب والتخطيط لها ، وتحديد وقتها ومكانها وتقدير ظروفها وتوفير قوتها وعتادها حتى تكون حربا ظافرة وحاسمة وفاصلة .

ومن أقدس واجبات القتال والنضال والحرب كذلك تماسك الجبهة الداخلية ، ووقوف جميع أفراد الامة صفا واحدا خلف القائد يحمون ظهر الجيش فى الميدان ، ويمدونه بالزاد والعتاد والسلاح ، ويضمدون الجراح — يمدونه بقوة الارادة والعزم والثقة بالله فى النصر [وما النصر الا من عند الله] . وليس ذلك واجبا على الرجال فقط وانما هو واجب مقدس على الرجال والنساء جميعا ، فقد كانت نساء المؤمنين على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يضمدون الجراح ويسقين الماء بل ويشاركن فى القتال .. والتاريخ يعيد نفسه فما حدث فى ٥ يونيو سنة ١٩٦٧ من نكسة للعرب مثله مثل ما كان للعرب يوم احد ، وما حدث فيها من جراح عميقة بالغة ، واحداث مباغتة مؤلمة للعرب .. ولكن سرعان ما استعاد المؤمنون قوتهم ودعاهم البشير النذير الى استئناف الجهاد والنضال ضد الاعداء واستجابوا لدعاء الله والرسول وخرجوا للجهاد ولقاء جيش الاعداء وكان كثيفا وجبن الجيش الكثيف عن لقاء جيش المؤمنين ، وعاد المؤمنون ينعمون بنعمة السلام والسلامة مع رغبتهم الملحة فى القتال ، وفازوا بثواب الله ورضاه .. قد تفضل سبحانه وتعالى على عباده المؤمنين وقذف فى قلوب أعدائهم الرعب ، وباء هؤلاء الاعداء بالخذلان والخسران . قال تعالى : [الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما اصابهم القرح للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا ، وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل ، فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم] .

[وجعلت لى الارض مسجدا وطهورا فايما رجل من أمتى أدركته الصلاة فليصل] خص الله نبى الهدى والاسلام بهذا فجعل له ولامته الارض كلها مواضع للسجود فى الصلاة ، فلا تختص صلاة من الصلوات بموضع دون غيره أو مكان دون مكان آخر ... وذلك على خلاف غيرها من الامم السابقة ، فقد كانوا يصلون فى بيتهم وكنائسهم ، وجاء هذا فى رواية لابن عباس رضى الله عنهما .. [ولم يكن أحد من الانبياء يصلى حتى يبلغ محرابه] .

وقد قيل : انما أبيح للامم السابقة فى موضع يوقنون طهارة هذا الموضع بخلاف هذه الامة فقد ابيح لها الصلاة فى جميع الارض الا فيما يتيقنون نجاسته — والطهور هو المطهر لغيره .. ورواية لانس بن مالك رضى الله عنه : [وجعلت لى كل الارض طيبة مسجدا وطهورا] .. وطيبة : طاهرة ممتى دخل وقت الصلاة فى أى مكان من الارض فليصل من وجبت عليه الصلاة .. ومن لم يجد ماء ولا ترابا ووجد شيئا من اجزاء الارض يتيمم به ويصلى — حيث الصيغة هنا صيغة عموم . وخص بعض الائمة التيمم بالتراب دون غيره محتجا برواية مسلم . وهى : وجعلت لنا الارض كلها مسجدا وجعلت تربتها لنا طهورا . اذا لم نجد الماء .. واستدل بصيغة العموم فى الرواية الاولى : مالك وأبو حنيفة رضى الله عنهما . وفى رأيهما أن لفظ التراب قد يكون من تصرف الراوى للحديث فذكر التراب لانه أكثر ما يصعد على وجه الارض ..

[وأحلت لى الغنائم ، وأعطيت الشفاعة وكان النبى يبعث الى قومه خاصة ، وبعثت الى الناس عامة] كانت الامم السابقة على أمة محمد صلى الله عليه وسلم على قسمين :

١ — قسم لم يؤذن له فى الجهاد ليست له مغانم من الحروب أو اسلاب .

٢ — وقسم اذن لهم بالجهاد — لكن كانوا اذا غنموا شيئا لم يحل لهم أن يأكلوه وجاءت نار فاحرقته .. وأعطيت لى الشفاعة العظمى يوم القيامة . فهو الشفيع المشفع فى الامة والمتولى اراحة الناس من هول يوم الحساب .. وهو صلى الله عليه وسلم : المنادى فى هذا اليوم العصيب : أصحابى أصحابى . والانبياء قبله بعث كل منهم الى قومه خاصة وبعث نبى الهدى والاسلام الى الناس عامة من عرب وعجم . ورواية أخرى : [وأرسلت الى الخلق كافة] . فشمول دعوته صلى الله عليه وسلم عموم لرسالته [ان الدين عند الله الاسلام] .. [ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه] .. ويستفاد من الحديث : تعديد نعم الله تعالى على العباد ، وأن الاصل فى الارض الطهارة ، وان صحة الصلاة لا تختص بالمسجد المبنى لذلك — فاليه سبحانه وتعالى نضرع ان يشفع الرسول الكريم فينا ، وان يحقق لنا ولامتنا العربية النصر على الاعداء فى معركتنا الفاصلة معركة الحق والعدل والسلام ، حتى تزول آثار العدوان وتعود أرض فلسطين العربية السليبة للعرب تحت ظلال راية قائد النصر ورائد العرب السيد الرئيس جمال عبد الناصر : انك على ما تشاء قدير . يا نعم المولى ويانعم النصير

لقمان الحكيم وابنه في كتاب الله تعالى

فضيلة الشيخ
أحمد كامل الخضري

ذكرنا فى مقالنا السابق · وصية الله تعالى بالاحسان للوالدين · ورعاية حقوقهما ·· ووجوب طاعتهما فيما لا معصية فيه ·

ونتابع هنا الكلام على بقية قصة لقمان · فنقول وبالله التوفيق : ــ يقول جل ذكره « يابنى انها ان تك مثقال حبة من خردل فتكن فى صخرة أو فى السموات أو فى الارض يأت بها الله ان الله لطيف خبير » ·

هذه هى الوصية الثانية من وصايا لقمان الحكيم لابنه ــ وهى الا يحقر صغائر الامور · وان يعنى بعمل الحسنات · ولو كانت صغيرة · ويتباعد عن المنكرات · ولو كانت تافهة ــ لان الله سبحانه وتعالى · جلت عظمته ·· وشاءت قدرته يأتى بالحسنة أو السيئة · التى يفعلها الانسان ·· ويحصيها ويحاسب عليها حتى لو كانت صغيرة مثل حبة الخردل · وفى أخفى مكان كقلب صخرة · أو فى السموات · أو فى الارض لانه سبحانه وتعالى لطيف لا تخفى عليه خافية · خبير يعلم حقائق الاشياء وأسرار الامور ··

فكأن لقمان الحكيم رحمه الله يقول لابنه ·· اعلم يابنى أن الله سبحانه وتعالى عليم علما لا نهاية له · يعلم دقائق الامور وخوافى الاشياء · وانه قادر على كل شىء · ومطلع على كل أمر فكن على حذر منه سبحانه وتعالى · وراقبه فى كل أفعالك · واعلم أنه يوم القيامة يحاسبك على كل تصرفاتك · ويجازيك على كل أعمالك على النقير والقطمير والقليل والكثير · ان خيرافخير · وان شرافشر ــ يقول جل ذكره « **فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره· ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره** » الايتان رقم ٧ ، ٨ من سورة الزلزلة ··

فالله سبحانه وتعالى يحصى جميع أعمال العباد ·· من خير وشر · مهما كانت صغيرة ودقيقة · ويأتى بها يوم القيامة · ويرى كل انسان عمله · ويجازيه عليه جزاء عدلا ··

والذرة النملة الصغيرة ·· او هى الحبة الدقيقة من التراب الذى يلصق باليد ــ والخردل معروف ·· واحدته خردلة ــ ومثقال يعنى وزن ··

قال ابن عباس ــ مامن مؤمن ولا كافر · عمل خيرا أو شرا فى الدنيا · الا أراه الله اياه يوم القيامة ــ فأما المؤمن فيرى حسناته وسيئاته ·· فيغفر الله له سيئاته ·· ويثيبه بحسناته ــ وأما الكافر فيرد حسناته ويعذبه بسيئاته ·

وقال محمد بن كعب القرظى رحمه الله ــ فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ــ يعنى أن الكافر يجازى فى الدنيا على الخير الذى يعمله فى نفسه وماله وأهله وولده حتى يخرج من الدنيا وليس له خير ــ ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ــ يعنى أن المؤمن يجازى فى الدنيا على عمل الشر الذى عمله · فى نفسه وماله وأهله وولده · حتى يخرج من الدنيا وليس عليه شر ··

قيل كان بعض الصحابة يأتيه السائل · فيستقل ان يعطيه الثمرة أو الكسرة من الخبز · ويقول هذاليس بشىء يثاب عليه المرء · انما نثاب على مانعطيه ونحن نحبه ·· أى لقوله تعالى « ويطعمون الطعام على حبة

مسكينا ويتيما وأسيرا » الاية رقم ٨ من سورة الانسان ٠٠ وذلك فى وصف الابرار ٠ والثناء عليهم ٠٠

كما كان بعضهم يتهاون بالذنب الصغير ٠ كالنظرة مثلا ويقول انما أوعد الله بالنار على فعل الكبائر ٠٠ وليس فى هذا اثم .. فأنزل الله هاتين الآيتين الكريمتين ترغيبا فى عمل الخيرحتى القليل منه. فانه ينمو ويكثر ٠٠ وتحذيرا من عمل الذنوب حتى اليسير منها ٠٠ فان الذنب مهما كان يسيرا فانه كبير عند الله تعالى ٠٠

وكان ابن مسعود رضى الله عنه يقول ٠٠ احكم آية فى القران ـ **فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ٠ ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ٠**

وكان المصطفى صلى الله عليه وسلم يسميها ـ الجامعة الفاذة ٠٠٠ والمرء ٠ اذا علم ان الله تعالى يجازى على الكبير والصغير من السيئات والحسنات ٠ وانه لا تخفى عليه خافية ٠٠ وامتلأ قلبه بذلك وتحققه فانه يتحاشى فعل المنكرات ٠ ويبتعد عن السيئات ٠٠ ويجتهد فى عمل الصالحات ٠٠ وتحصيل الطاعات ٠٠ وهذا هو سبيل المؤمن الصالح الكريم ٠

قيل ان ابن لقمان قال لابيه ٠٠ ياأبت ان عملت الخطيئة حيث لا يرانى احد كيف يعلمها الله ٠٠ فاجابه لقمان بما حكاه الله تعالى عنه فى هذه الاية « يابنى انها ان تك مثقال حبة من خردل الخ الاية ٠٠٠٠

واللطيف اسم من أسماء الله تعالى الحسنى ٠٠ والاصل فى معنى اللطيف انه الذى يعلم دقائق المصالح وغوامضها ٠ ومادق منها ومالطف ٠٠ ثم يسلك فى ايصالها الى من يستحقها سبيل الرفق من غير عنف ـ فاذا اجتمع الرفق فى الفعل ٠ واللطف فى العلم .. فقد تم معنى اللطيف .. ولا يتحقق كمال ذلك فى الفعل والعلم ٠ الا لله سبحانه وتعالى ٠٠

والله سبحانه وتعالى لطيف بعباده ٠ يقول جل ذكره « الله لطيف بعباده يرزق من يشاء وهو القوى العزيز » الاية رقم ١٩ من سورة الشورى ٠ ومن لطف الله تعالى خلقه الناس جميعا من نفس واحدة ٠ هو آدم عليه السلام ٠ ثم خلق له زوجا منه ٠٠ هى حواء أم البشرية ٠ رضى الله عنها ثم خلق لنا الانعام وهى الابل والبقر والغنم والماعز وجعل لنا فيها منافع كثيرة ٠ منها الاكل من لحومها والشرب من البانها ٠ واللبس من أشعارها وأصوافها وأوبارها ٠ والركوب والزينةوحمل الاثقالوالامتعة عليهاـ وخلقه ايانا فى بطون أمهاتنا فى ظلمات ثلاث ـ يقول سبحانه « **خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها وانزل لكم من الانعام ثمانية ازواج : يخلقكم فى بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق فى ظلمات ثلاث ذلكم الله ربكم له الملك لا اله الا هو فانى تصرفون** » الاية رقم ٦ من سورة **الزمر**

والظلمات الثلاث كما قال ابن عباس رضى الله عنهما ٠ هى ظلمة البطن وظلمة الرحم وظلمة المشيمة ٠٠

فالله سبحانه وتعالى يحفظ الجنين فى هذه الظلمات الثلاث . ويطعمه ويغذيه بواسطة السرة ، الى أن يخرج لعالم النور . فيلهمه التقام ثدى أمه وامتصاصه من غير تعليم ولا تلقين ٠٠

كذلك من لطفه تعالى انه يغلق البيضة عن الفرخ ٠٠ وانه يلهمه التقاط الحب فى الحال ٠٠

ومن لطف الله تعالى بعباده انه اعطاهم من النعم فوق كفايتهم وكلفهم من العمل دون طاقتهم ٠٠

ومن لطف الله تعالى وعجيب صنعه ٠ اخراجه اللبن الابيض الصافى الشهى النافع من بين الفرث والدم ٠٠ والعسل الحلو الذى هو شفاء للناس من النحل ٠ والابريسم ـ الذى هو من أحسن الاقمشة وأجودها من الدود ٠ والدر الجميل من الصدف ٠٠٠

وأعجب من هذا كله ٠٠ خلقه سبحانه وتعالى الانسان من نطفة قذرة ٠ وتسويته فى أحسن صورة ٠ حيث جعل له عينين ينظر بهما ٠ واذنين يسمع بهما ٠ وشفتين يتناول بهما المطعومات والمشروبات ، وانفايشم به ٠ ولسانا يتكلم به ٠ ويدين يعمل بهما ، وقدمين يمشى عليهما ٠٠ ومنحه العقل وجعله أهلا لمعرفته ٠ وحاملا لامانته ٠ ومشاهدا لملكوته ٠ من أرض وسماء ونجوم وشمس وقمر ـ وهذا كله رفق عظيم وفضل كبير ٠٠ لا يمكن تقديره ٠٠ ولا حصره «**وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ان الله لغفور رحيم** » الاية رقم ١٨ من سورة النحل ٠

وحظ العبد من اسمه تعالى (اللطيف) الرفق بعباده ٠٠ والتلطف بهم فى أمر الدعوة اليه سبحانه ٠ والهداية الى السعادة الاخروية. من غير ازدراء ولا عنف ولا تعصب ولا خصام ٠٠

(والخبير) كذلك اسم من أسمائه تعالى الحسنى ـ ومعناه انه لايعزب عنه الاخبار الباطنة. . ولا يجرى فى الملك والملكوت شيء ٠ ولا تتحرك ذرة ولا تسكن ٠ ولا تضطرب نفس ولا تطمئن ٠٠ الا ويكون عنده خبر ذلك كله ـ وهو بمعنى العلم ٠ الا أن العلم اذا أضيف الى الخفايا الباطنة ٠ سمى خبرة وسمى صاحبه خبيرا ٠

وحظ العبد منهذا الاسم الكريم٠٠أن يكون خبيرا بقلبه ٠٠ فيعرف صفاته وخفاياه ٠ من غش وخيانة وحقد ٠ واظهار الخير مع اضمار الشر ٠ والاخلاص مع اخفاء عكسه ٠٠

فمن خبر قلبه ونفسه وعرف مكرها وخداعها ٠ وحاذرها وعاداها ٠ **وخالفها واستطاع قهرها ٠٠ ذاكرا قوله تعالى** « ان النفس لامارة بالسوء الا مارحم ربى » فهو جدير بأن يسمى خبيرا ـ وكان من أهل **السعادة فى الدنيا والاخرة ٠٠**

وللكلام بقية ٠٠ فالى اللقاء فى العدد القادم ان شاء الله تعالى ٠ وبالله التوفيق ٠

الجهاد والجندية في تعاليم الإسلام

سماحة مبشر الطرازي الحسيني

أهمية الرمي

ذكرنا فى قسم « القوى المادية » اقوالَ المفسرين فى المراد عن القوة فى قوله تعالى « **وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة** » وقلنا : ان القول الاول فى تفسير القوة : انها جميع أنواع الاسلحة والالات التى تكون قوة فى الحرب ضد العدو ، وهو قول الامام النسفى والزمخشرى والبيضاوى وغيرهم ·

وقلنا : ان المراد من قول النبى صلى الله عليه وسلم فيما رواه الامام مسلم عن طريق عقبة بن عامر « **الا ان القوة الرمى** » كل مايرمى به نحو العدو فى العهد الاول الاسلامى وفيما بعده ، بحيث يشمل جميع القوى القديمة والحديثة ، ذلك لان كل قوة تعتمد على الرمى والدفع ، ولهذا قاله ثلاث مرات وهو على المنبر · فنقول : ولهذا فان **الاسلام اعتنى كل الاعتناء بالرمى وتعلمه والتدريب عليه** ، وقد وردت فيه أحاديث صحيحة · منها ما رواه الامام مسلم فى صحيحه عن عقبة بن عامر رضى الله عنه أنه قال ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « **ستفتح عليكم الروم ، ويكفيكم الله ، فلا يعجز أحدكم أن يلهو بأسهمه** » ·

شرح ما فى الحديث

قوله صلى الله عليه وسلم « **ستفتح عليكم الروم** » **بصيغة** المجهول يعنى : سيفتح الله عليكم بلاد الروم بجهادكم فى سبيله ، وكانت الروم احدى الدولتين العظيمتين ، اللتين تتنافسا فى فرض القوى على جزيرة العرب وبسط الاستعمار عليها ، **وكان هذا الاخبار معجزة من الرسول صلى الله عليه وسلم ، فقد وقع الفتح من بعده على يدى أصحابه مما دل على صدق نبوته صلى الله عليه وسلم** ·

وقوله « **ويكفيكم الله** » أى شر أهل الروم مما يكنون من سوء القصد والتسلط على العرب ·

وقوله « **فلا يعجز احدكم أن يلهو بأسهمه** » ترغيب صريح وأمر ضمنى بالتدرب على الرمى ·

قال على القارى فى شرح هذا الحديث : قوله « **فلا يعجز الخ** · ألفاء فيه سببية ، كأن قيل ان الله تعالى يفتح لكم عن قريب الروم وهم رماة ، ويكفيكم الله تعالى بواسطة الرمى شرهم ، فاذن لا يعجز أحدكم أن يلهو بأسهمه اى عليكم ان تهتموا بشأن النضال وتمرنوا فيه وعضوا عليه بالنواجذ ، حتى اذا زاولتم محاربة الروم تكونوا متمكنين . وقال المظهر : يعنى أهل الروم غالب حربهم الرمى، وانتم تتعلمون الرمى ليمكنكم محاربة أهل الروم ، وستفتح عليكم · ويدفع الله عنكم شر أهل الروم ، فاذا فتح لكم الروم فلا تتركوا الرمى وتعلمه بأن تقولوا لم نعد نحتاج فى قتالهم الى الرمى . بل تعلموا الرمى وداوموا عليه ، فان الرمى مما يحتاج اليه ابدا » · انتهى ·

ومنها ما رواه الامام البخارى عن سلمة بن الاكوع رضى الله عنه انه قال : **خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على قوم من اسلم (قبيلة) يتناضلون بالسوق (موضع) فقال ارموا بنى اسماعيل (** بحذف حرف النداء ، لعله تعبير عن العرب) **فان أباكم (اسماعيل) كان راميا ، وأنا مع بنى فلان (لاحد الفريقين) فأمسكوا بأيديهم ، فقال مالكم ؟ (يعني : لا ترمون] قالوا وكيف نرمى وأنت مع بنى فلان· قال : أرموا وانا معكم كلكم** »

أقول : وفى هذا الحديث مايدل على حرص النبى صلى الله عليه وسلم على الرمى والمناضلة بين أصحابه لما فيها من تعلم الرمى والتدرب عليه

استعدادا لما يتمكنون به لمحاربة الاعداء فى المستقبل ، والمناضلة هنا كانت مسابقة بين الفريقين ٠

ومنها ما رواه الامام الترمذى وابن ماجه عن عقبة بن عامر رضى الله عنه انه قال : **قال رسول الله صلى الله عليه وسلم** : « **ان الله تعالى يدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة ، صانعه يحتسب فى صنعه الخير ، والرامى به ومنبله** ، وارموا واركبوا ، **وان ترموا احب الى من أن تركبوا ، كل شىء يلهو به الرجل باطل ، الا رميه بقوسه ، وتأديبه فرسه، وملاعبته امرأته،فانهن من الحق** » ٠

أقول : قوله صلى الله عليه وسلم « يحتسب فى صنعه الخير » تنبيه بأن احتساب الخير فى صنع السهم شرط لدخول صانعه فى الجنة ، لان الاعمال بالنيات ، ولكل امرىء ما نوى كما فى الحديث الصحيح ٠

وقوله : « **ومنبله** » بتشديد الباء الموحدة وتخفيفها مع كسرها ، مناول النبل [السهم] للرامى مساعدة له فى الرمى ، سواء كان السهم ملكا للمنبل أو الرامى ، من قولهم : نبلت الرجل (بالتشديد من التفعيل) اذا ناوله السهم ، وبهذا المعنى انبلته من الانبال (باب الافعال) ٠

وقوله صلى الله عليه وسلم « **وارموا واركبوا** » أى لا تقتصروا على الرمى ، وتعلموا الركوب ايضا ٠

وقوله : « **وأن ترموا أحب الى من أن تركبوا** » أى بدون الرمى ، فان الرمى يمكن راكبا كما يمكن راجلا ، ففيه ترغيب واضح للتدريب على الرمى وعلى الركوب والفروسية ، كما يدل عليه أخر هذا الحديث ٠

وفى رواية هذا الحديث زيادة رواها فيما رواه ابو داود والدارمى ، وهى « **ومن ترك الرمى بعدما علمه** (من العلم) **رغبة عنه** (أى اعراضا عن الرمى) **فانه نعمة تركها** ، أو قال كفرها » ٠

قال على القارى فى شرحه : قوله « فانه نعمة تركها أو قال كفرها » علة لجواب الشرط (وهو من ترك) المقدر أى فليس منا ، أو قد عطى » اقول : أو قال كفرها ٠ شك من الراوى ٠ وهو من الكفران يعنى كفران النعمة ، والضمير راجع الى قوله « نعمة » وفى الحديث وعيد شديد على من ترك الرمى ولم يلازم عليه بعد تعلمه ٠

ومنها قوله صلى الله عليه وسلم « **من بلغ** ؟ أى مكان الغزو) **يسهم فى سبيل الله فهو له درجة فى الجنة ، ومن رمى بسهم فى سبيل الله فهو له عدل محرر** (أى كان اعتق رقبة) رواه الامام البيهقى فيما رواه عن ابى نجح السلمى عمرو بن غبسة رضى الله عنه ٠

ومن رباط الخيل

وقوله تعالى « **ومن رباط الخيل** » معطوف على قوله « **من قوة** » فالامر بالاعداد يشمل على رباط الخيل وجوبا ، قال الامام النسفى فى تفسيره : هو (يعنى رباط الخيل) اسم للخيل التى تربط فى سبيل الله ، أو هو جمع ربيط كفصيل وفصال ، وخص الخيل من بين ما يتقوى به من الحيوان (وهو يعم على الفيل والبعير ، والبغال والحمير أيضا) كقوله تعالى « **وجبريل وميكال** » انتهى، يعنى حيث خصهما بالذكر من بين الملائكة ، للتشريف لا للتخصيص ٠

وقال الامام الخازن : **وربط الخيل للجهاد من أعظم مايستعان به، روى أن رجلا قال لابن سيرين أن فلانا أوصى بثلث ما له للحصون ، فقال ابن سيرين يشترى به الخيل ويربطها فى سبيل الله** » انتهى ٠

أقول : ان ما أفتى به ابن سيرين انما يتبنى على زمانه ٠ وقد وردت أحاديث صحيحة فى اقتناء الخيل للجهاد فى سبيل الله ، كما وردت فى ركوب الخيل والتدرب عليه ٠

منها ما رواه الامام البخارى والامام مسلم عن عروة بن الجعد البارقى رضى الله عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **الخيل معقود فى** نواصيها الخير ، الاجر والغنيمة » وفى هذا الحديث حث وترغيب لاقتناء الخيل وتربيتها واعدادها ٠

ومنها ما رواه الامام البخارى عن ابن هريرة رضى الله عنه انه قال : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« **من احتبس فرسا** [يعنى قام بتربيته وحفظه لاستعماله وركوبه) **فى سبيل الله ، ايمانا وتصديقا بوعده ، فان شبعه وريه وروثه وبوله فى ميزانه يوم القيامه ، يعنى حسنات** » ٠

أقول : وفى الحديث تنبيه على أن يكون احتباس الخيل بنية الجهاد ، وعن ايمان وتصديق بما وعده الله تعالى للمجاهدين حتى ينال الحسنات فى ميزانه ، أما اذا كان لغرض الركوب ولقضاء حاجاته فى السفر والحضر فله ما نواه .

ومنها ما رواه الامام البخارى ومسلم عن ابى هريرة رضى الله عنه انه قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« **الخيل ثلاثة ، هى لرجل أجر ، ولرجل ستر ، وعلى رجل وزر ، فأما الذى هى له أجر فرجل ربطها فى سبيل الله، ورجل ربطها تغنيا وتعففا، لم ينس حق الله فى رقابها ولا ظهورها (بأن أحسن اليها ، وحمل عليها منقطعا فى الطريق الى أهله ابتغاء مرضاة الله) فهى لذلك الرجل ستر ، ورجل ربطها فخرا ورياء فهى على ذلك الرجل وزر** » ٠

أقول : روينا الحديث اختصارا ، وفيه ما يؤيد تعليقنا على الحديث السابق عليه ٠

سباق الخيل

روينا فيما سبق ما ورد من الحديث الصحيح فى المناضلة (أى المسابقة) فى رمى السهام ، وذلك حرصا منه صلى الله عليه وسلم على تدريب المسلمين على الرمى ، والحصول على مهارة كاملة فيه ٠

وقد وردت أحاديث صحيحة فى سباق الخيل أيضا ، وذلك لغرض نشر الفروسة بين ابناء الاسلام ، وتعويدهم على الركوب المنضبط الثابت فى كل حالة من الحالات ٠ وبالخاصة عند لقاء العدو وللجهاد فى سبيل الله عز وجل ٠

منها ما رواه البخارى والامام مسلم عن عبد الله بن عمر رضى الله عنه أنه قال :

« **ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سابق بين الخيل التى أضمرت ، من الحفياء وأمدهاثنية الوداع ، وبينهما ستة أميال ، وسابق بين الخيل التى لم تضمر ، من الثنية الى مسجد بنى زريق وبينهما ميل** » .

شرح ما فى الحديث

قوله « **سابق** » أى أمر بالمسابقة وأجريت على مشهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضى الله عنهم ، وقوله « **أضمرت** » فى القاموس : الضمر (بالضم وبفتحتين) الهزال ولحاق البطن ، وضمر الخيل تضميرا ، علفها القوت (ما تقتات به وتعيش من علف قليل) بعد السمن ، وكذلك أضمرها اضمارا ، والمضمار الموضع الذى يضمر فيه الخيل » انتهى .

وقال السيوطى فى شرح الحديث « الاضمار أن تعلف الفرس حتى يسمن ويقوى ، ثم يقلل علفها بقدر القوت وتدخل بيتا وتغشى بالجلال حتى تحمى وتعرق فاذا جف عرقها خف لحمها وقويت على الجرى .

وقوله « الحفياء » موضع على أميال من المدينة ، وفى القاموس بتقديم الياء على الفاء ايضا » .

وقوله « ثنية الوداع » منخفض من التلال عند النزول الى المدينة »

أقول : وفى هذا الحديث تشريع لسباق الخيل ، وقد اعتنى به رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضى الله عنهم أى اعتناء ، وفى تعيين مسافة السباق بين الخيل المضمرة وغير المضمرة مراعاة طاقة الخيل للجرى الى أمد السباق وغايته ، حكمة من الرسول الحكيم عليه الصلاة والسلام .

ومنها مارواه الترمذى وابو داود والنسائى عن أبى هريرة رضى الله عنه انه قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **لا سبق الا فى نصل ، أو خف ، أو حافر** » .

أقول : ان هذا الحديث تشريع وتخصيص للسباق فى النصل (وهو حديد السهم . والرمح ، والسيف) والخف (وهو البعير صاحب الخف) والحافر (وهو الفرس صاحب الحافر) .

كما فى الحديث من جواز أخذ المال على هذا السباق . فقد قال صاحب النهاية فى الفقه الاسلامى : قوله « لا سبق » هو بفتح الباء ما يجعل من المال رهنا على المسابقة » وقال الخطابى : الرواية الفصيحة بفتح الباء ، والمعنى لا يحل أخذ المال بالمسابقة الا فى آه .

وقال على القارى فى المرقاة فى شرح هذا الحديث ما نصه :

« وفيه اباحة أخذ المال على المناضلة لمن نضل ، وعلى المسابقة على الخيل والابل لمن سبق ، واليه ذهب جماعة من أهل العلم ، لانها عدة لقتال العدو ، وفى بذل الجعل عليها ترغيب فى الجهاد ، وقال سعيد بن المسيب : ليس فى رهان الخيل بأس اذا أدخل فيها محلل (يعنى أن يكون فى سبيل العدة للجهاد) والسباق بالطير والرجل وبالحمام وما يدخل فى معناه مما ليس من عدة الحرب ولا من باب القوة على الجهاد ، فأخذ المال عليه قمار محظور » انتهى .

« الاخاء »

من الله على قوم وذكرهم نعمته عليهم اذ جمع قلوبهم على الصفاء ، وردها بعد الفرقة الى الالفة والاخاء فقال تعالى : « واذكروا نعمة الله عليكم ، اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا »

ووصف الله نعيم الجنة وما اعد فيها لاوليائه من الكرامة اذ جعلهم اخوانا على سرر متقابلين .

وقد سن رسول الله [صلى الله عليه وسلم] الاخاء وندب اليه وآخى بين الصحابة . وقال : المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا .

وقد ذكر الله تعالى أهل جهنم وما يلقون فيها من الالم اذ يقولون : « مالنا من شافعين ولا صديق حميم »

وقال على [رضى الله عنه] : رجل بلا اخ كشمال بلا يمين . وانشدوا

وما المرء الا باخوانه
كما يقبض الكف بالمعصم
ولاخير فى كف مقطوعة
ولاخير فى الساعد الاجزم

وقال زياد : خير ما اكتسب المرء الاخوان ، فانهم معونة على حوادث الزمان ، نوائب الحدثان ، وعون فى السراء والضراء . ومن كلام على [رضى الله عنه]

عليك باخوان الصفاء فانهم
عماد اذا استنجدتهم وظهور
وان قليلا الف خل لصاحب
وان عدوا واحدا لكثير

وقال عبد الله بن طاهر : المال غاد ورائح ، والسلطان ظل زائل ، والاخوان كنوز وافرة ..

المساواة في الإسلام

الدكتور سليمان الحكيم

ان المساواة حق ومنحة من الله سبحانه وتعالى منحها للناس جميعا لانها من المظاهر الانسانية الكريمة وأساس من الاسس الهامة للمجتمع السليم ٠ ولكن لم تكن هذه المساواة محققة فى العصور الماضية والازمان الغابرة وايام الجاهلية قبل ظهور الدين الاسلامى الحنيف وكان النظام السائد فى هذه الازمان النظام الطبقى الذى يحتم الفوارق الشاسعة بين الافراد فكانت هناك طبقة الاغنياء أصحاب المال والثراء وطبقة الفقراء من ليس لهم مال ولا ثراء والفرق بينهما كبير وظاهر وطبقة الاشراف والعظماء وطبقة العبيد والارقاء والمعاملة بينهما مختلفة ٠ فالغنى يتعالى ويتفاخر على الفقير بماله وجاهه يستعبده ويسخره فىاعماله وقضاءحاجاته يعامله كدابة خلقت لخدمته والعمل على طاعته لا كانسان مثله ٠

والعظيم ينظر الى من دونه فى الحسب والنسب نظرة كبرياء ، واحتقار لا نظرة انسان لاخيه الانسان ٠ ولم يفكر فى يوم من الايام ان العظمة لله وحده وأن الله هو العظيم المتعال وأن المخلوق فى دار الفناء مقيم وأن حياته فى الدنيا قصيرة لن تدوم وان الله سبحانه وتعالى هو الخالق الحى القيوم الذى لا يفنى ولا يموت ولما جاء الاسلام وانتشر نوره فى الافاق وجاء القرآن الكريم بآياته البينات كان من بين فضائله على العالم والبشر أن دعا الى المساواة بين الناس والعمل على ازالة الفوارق والنظام الطبقى حفظا لكرامة الانسان ٠وبين للعالم أجمع أن الله سبحانه وتعالى خلق الناس جميعا من أب واحد وأم واحدة أو بمعنى آخر خلقهم من مصدر واحد وهو الطين الذى خلق منه آدم وكان الاب لجميع البشر وصدق الله العظيم اذ قال فى كتابه الكريم «انما المؤمنون اخوة »فالكل بذلك عند اللهسواء لافرقبين انسان وانسان ولا فضل لغنى على فقير ولا لابيض على اسود ولا لعربى على أعجمى الا بالتقوى ٠ وجاء فى كتاب الله العزيز ٠

« يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم ان الله عليم خبير » ٠

ويقول الله تعالى ،

« يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيراونساء واتقوا الله الذى تساءلون به والارحام ان الله كان عليكم رقيبا » ٠

لقد بين القرآن الكريم أن المال مال الله وأنه سبحانه وتعالى هو الذى يبسط الرزق لعباده ويقدر لحكمة يريدها لانه الخبير العليم بهم وبأحوالهم ٠

«ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر انه كان بعباده خبيرا بصيرا »

ان الله سبحانه وتعالى يبسط الرزق للغنى ويعطيه من مالهلا ليستأثر بهلنفسه اويخصبه ذاتهفيحبسه على نفسه او يصرفه على لذاته وفىاغراضه ورغباته وانما أعطاه المال مشروطا بأن جعل فيه حق معلوم للسائل والمحروم وما هو الا أمين عليهحارس له يؤديه اليهم كما امر الله سبحانه وتعالى فى كتابه العزيز لانه جلت قدرته لم يحرم الفقير أو المسكين من المال بل أعطاه نصيبا منه عن طريق بجعله حقا فى مال أخيه الغنى وديعة لديه وأمانة عنده ٠

ويقول القرآن الكريم :

« وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا » ٠

« والذين فىأموالهم حق معلوم للسائل والمحروم»

« وآتوهم من مال الله الذى آتاكم »

ولقد كان هذا التشريع الاسلامى الحكيم أحد السبل المؤدية الى المساواة بين الناس ٠

واذا ما رجعنا الى عصر ما قبل الاسلام لوجدنا أنه من مظاهر عدم المساواة بين الناس انتشار الرق والاسترقاق • وكان الناس يتفاخرون بكثرة ما يملكون من الارقاء الذين كانت تقام لهم سوق خاصة يعرضون فيها للبيع والشراء كما تباع وتشترى السلع والمتاع والمواشى والاغنام • وكان للانسان فى هذه الحقبة من الزمان الحق فى ان يمتلك أخيه الانسان ويتصرف فيه كسلعة من السلع وكان لا يعامله معاملة البشر أو كانسان بل كان يضعه فى مصاف الانعام يستعبده ويسخره ويضربه ويعذبه اذا ما أخل بأوامره او خرج عن طاعته

فلما جاء الاسلام دعا الى نبذ الاسترقاق ونهى عن الاستعباد توصلا الى الحرية والمساواة بين البشر وحفظا لكرامة الانسان التى ارادها الله سبحانه وتعالى له فى قوله الكريم « **ولقد كرمنا بنى آدم** » •

لقد أوصى الاسلام بالتخلص تدريجيا من هـذه الظاهرة الاجتماعية المشينة التى كانت متفشية أيام الجاهلية • ووعد فى سبيل ذلك الوعود الغالية الثمينة حثا للقضاء عليها نهائيا • ولقد انزلت فى هذا الشأن الاية الكريمة : « **فلا اقتحم العقبة وما ادراك ما العقبة فك رقبة** » •

وعد الله سبحانه وتعالى عباده جزاء **فك الرقبة** — (تحرير العبد من الرق) وخلاصه من العبودية ليخرج الى نعيم الحياة والحرية — كفارة الذنوب (غفران الذنوب) وبهذا حبب الدين الاسلامى السمح الناس فى الاسراع فى عتق ارقائهم وعبيدهم واخلاء سبيلهم رغبة وطمعا فى المغفرة من الذنوب • وبهذا الاجراء الحكيم عمل الاسلام على التخلص من الرق والقضاء على الاسترقاق دون ان يتأثر المجتمع كما كان هذا الاجراء احد الوسائل التى عملت على ايجاد المساواة بين الناس • وكان الاسلام لا الغرب أول من نادى وعمل على تصفية الرق وبفضله اندثرت هذه الظاهرة تدريجيا مع مرور الزمن •

ومن وسائل الاسلام الاخرى التى تشعر الانسان بروح المساواة فريضة الصلاة وهى الركن الثانى للاسلام • فعند القيام بأداء هذه الفريضة فى صلاة الجماعة يقف الجمع من المصلين بين يدى الله جنبا الى جنب فى صف واحد والكل سواء أمام الله الغنى بجوار الفقير والعظيم بجوار البسيط ليؤدى فريضة الله ابتغاء الرحمة والرضاء • واذا ما انقضت الصلاة تصافح الاخوان • وهذا مظهر رائع من مظاهر المساواة فى الاسلام • وكذلك فريضة الحج حيث يتوافد الكثير من الناس من كل فج عميق الغنى منهم والفقير الى بيت الله لتأديتها فى مظهر واحد ولباس واحد وشعار واحد تاركين وراء ظهورهم مظاهرهم الدنيوية من غنى ومال وعظمة وجاه وزوج وأولاد وأهل وصحبة وعزيز وغال للسعى وراء مطلب واحد وغرض واحد هو التقرب من الله والاستغفار من الذنوب والدعاء بالمطلوب •

ان تجمع هذه الالاف المؤلفة من البشر على اختلاف حالهم واجناسهم ولونهم ووطنهم ولغتهم فى مظهر واحد بمكان واحد وتحت سماء واحدة سعيا وراء غرض واحد لمن أعظم المساواة والاخاء بين المسلمين •

ومن أبلغ ما ذكر فى شأن المساواة بين الناس ما جاء بالقرآن الكريم عن عتاب الله سبحانه وتعالى لنبيه المختار وحبيبه محمد صلى الله عليه وسلم على ماكان من أعراضه عليه الصلاة والسلام عن ابن أم مكتوم حين جاءه يسأل عن أمر دينه لرغبته فى التفقه فى أمور الدنيا والدين وانشغاله عنه عليه الصلاة والسلام بدعوة سادة قريش علهم أن يستجيبوا له.

والقرآن الكريم يقول : « **عبس وتولى • أن جاءه الاعمى • وما يدريك لعله يزكى • أو يذكر فتنفعه الذكرى • أما من استغنى • فأنت له تصدى • وما عليك الا يزكى • وأما من جاءك يسعى • وهو يخشى • فأنت عنه تلهى • كلا انها تذكرة** • » •

وفى سبيل الدعوة الى المساواة اوصى الدين الاسلامى المسلمين « بالشورى » وحثهم على أن يكون امرهم شورى بينهم حتى لايكون لفرد أى سلطان على آخر او يتحكم انسان فى أمر انسان غيره • او ينفرد البعض بآرائه ويلزمها الاخرين •

وقال الله سبحانه وتعالى فى كتابه العزيز مخاطبا الرسول عليه الصلاة والسلام « فبما رحمة من الله **لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لا نفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الامر فاذا عزمت فتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين** »

ان الاسلام يدعو دائما الى المساواة بين الناس كما يدعو الى الفضيلة والاخلاق الكريمة ويثبت فى كل آية من آيات الله القدير فضله على البشرية والمجتمع والانسانية •

وصدق الله العظيم فى قوله :

« **الر كتاب انزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور باذن ربهم الى صراط العزيز الحميد** » •

« **ان هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم أجرا كبيرا** » •

حقوق الإنسان في الإسلام

الأستاذ عبد المنعم المغربي

للانسان مكانة رفيعة فى تعاليم الاسلام ، أساسها أن الله خلقه بيده ونفخ فيه من روحه ، وأسبغ عليه نعمه ، وجعل فجاج الارض وآفاق السماء مسخرة له ، وفى ذلك يقول جل شأنه : « **ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا** » ، وقال أحد العارفين : ان للانسان علاقتين متقابلتين ، احداهما بالله تقوم على تبعيته لمن سواه ورباه والاخرى بالعالم كله تقوم على سيادته له وتمكنه منه وارتفاقه لعناصره المختلفة ، قال تعالى : « **الله الذى سخر لكم البحر لتجرى الفلك فيه بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون . وسخر لكم مافى السموات وما فى الارض جميعا منه ان فى ذلك لايات لقوم يتفكرون** » .

ولما كانت مكانة الانسان على هذا المستوى الرفيع فان الشارع ضمن له حقوقا تصونه وتدعمه ، وتمنع عنه أسباب الزلل والهبوط ، لعل أولها أن يحيا موفور الكرامة عزيز النفس لا يشكو حيفا ولا هوانا .. والواقع أن كلمة التوحيد فى الاسلام ركن ركين فى حقوق الانسان ، ذلك أن الايمان بالعبودية لله وحده ، يجعل المؤمن تام الحرية ، فهو لا يثنى ظهره الا لله راكعا أو ساجدا ، وهو لا يذوب بين مشاعر الرغبة والرهبة ، بل يبقى مكتمل الشخصية يعلم أن الامور كلها بيد الله ، وأن أهل الارض مهما بلغوا لا يخرجون عن طوعه « **ان كل من فى السموات والارض الا آتى الرحمن عبدا ، لقد أحصاهم وعدهم عدا ، وكلهم آتيه يوم القيامة فردا** » والايمان بهذه المثابة هو أساس التحرر الصحيح ، ثم ان تعاليمه المؤكدة هى التى تقرر حق الامان ضد أى عدوان . وذلك مثل قوله صلى الله عليه وسلم « **كل المسلم على المسلم حرام ، دمه وماله وعرضه** » وقوله : « **الايمان قيد الفتك ، لا يفتك مؤمن** » أى أن الايمان يربط اليدين بقيد ثقيل يمنعهما من الاساءة والظلم ، فلا يكون المؤمن فاتكا ولا يتوقع منه أذى ! وقوله أيضا « **ظهر المؤمن حمى الا بحقه** » أى أن المؤمن لا يجوز أن يعتدى عليه بضرب أو جلد الا أن يسىء الى غيره فيقتص منه ! أما أن تستباح حرمته ، ويضام فى نفسه أو حقوقه فلا ... !!

والانسانية مكرمة فى اى اهاب ، فلا فارق بين لون ولون ، وقد عنف النبى صلى الله عليه وسلم صاحبه أبا ذر تعنيفا قاسيا لانه عير زنجيا بلونه ، وقال له انك امرؤ فيك جاهلية . ومن ثم يرفض الاسلام التفرقة العنصرية رفضا باتا . والانسانية مكرمة وان اختلف الدين فقد أقام الاسلام علاقات الود والبر والتراحم بين أبنائه وأتباع الاديان الاخرى ، وأمر باحسان جوارهم والاقساط اليهم ومواساتهم أحياء وأمواتا ، وقد ثبت

أن النبى صلى الله عليه وسلم قام لجنازة يهودى مرت به ، فقيل له : انها ليهودى ! فقال : أليست نفسا ؟ والانسانية مكرمة وان اختلفت حظوظ الدنيا وقل المال ، فان الاسلام يرد عظمة الانسان الى خصائصه النفسية والفكرية ، ومواهبه الروحية والمعنوية ، ويجعل قيمة الافراد والطوائف صعودا وهبوطا وفق هذا الميزان العادل يقول رسول الله : « **ليس الغنى عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس** » .

ولكى يؤدى الانسان رسالته الحيوية على خير الوجوه ، لابد أن يستمتع بجملة من الحريات الاساسية المهمة ، وهذه الحريات هى الحرية الدينية والحرية الفكرية ، والحرية السياسية ، والحرية المدنية ..

وقد كفل الاسلام لجميع البشر هذه الحريات الاربع ، وتضمنت تعاليمه من النصوص والحدود ما يحقق وجودها ، ويرد أى اعتداء عليها .

فبالنسبة الى الحرية الدينية نرى الاسلام أعطى كل امرىء حقه فى اعتناق العقيدة التى آثرها ، ورفض كل اكراه للضغط على ضميره وتغيير وجهته التى ارتضاها ، والقاعدة التى تقوم عليها هذه الحرية قوله جل شأنه : « **لكم دينكم ولى دين** » وقوله : « **لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى** » .

والواقع أن القتال الذى خاضه الاسلام قديما انما نشب لتقرير تلك الحرية المهدرة ، ومنح الانسان حقه فى التمسك بالعقيدة التى انشرح بها صدره ، واقتنع بها فكره قال تعالى : « **فان كذبوك فقل لى عملى ولكم عملكم** » وقال : « **فان اسلموا فقد اهتدوا وان تولوا فانما عليك البلاغ والله بصير بالعباد** » وقال « **وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة** » اى حتى ينتفى من المجتمع كل ضغط على الناس لتحويلهم عن ايمانهم ، وادخالهم فى معتقد لا يحبون .. !!

أما حرية الفكر فقد غالى الاسلام بالعقل الانسانى ونوه بوظيفته واعتمد عليه فى انشاء الايمان الحق كما اعتمد عليه فى توجيه الحياة الصحيحة ومن معالم الايمان أن ينظر الانسان الى الامور نظرة مجردة ، لا يتقيد فيها بعرف شائع ، ولا بتقليد متبع ، بل يبحث عن الحقائق وحدها ويطرح التخامين والظنون « **ولا تقف ما ليس لك به علم : ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا** » .

والانسان ــ حسب تعاليم الاسلام ــ مطالب بالتأمل فى آفاق الكون ، والغوص وراء أسراره ، وقراءة كتابه المفتوح ، وهو حر فى استخلاص المعارف التى يصل اليها ، لا يلزمه الدين بنظرية معينة تخالف منطق العقل ونتائج البحث « **قل أنظروا ماذا فى السموات والارض** ... » « **أو لم ينظروا فى ملكوت السموات والارض وما خلق الله من شىء** » وأبعد الناس عن الاسلام انسان مغلق الذهن ، محكوم بالاوهام والترهات ، محروم من هذه الحرية الفكرية العظيمة ، وفى هؤلاء يقول الله جل شأنه « **سأصرف عن آياتى الذين يتكبرون فى الارض بغير الحق ، وان يروا كل آية لايؤمنوا بها وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا ، وان يروا سبيل الغى يتخذوه سبيلا** » .

والحرية السياسية أساسها حق الانسان فى أن يبدى رأيه دون وجل ، وأن ينتقد ما قد يقع من أخطاء ، وأن يشارك فى قيادة آمنة الى الخير ، وحمايتها من الشر ، لقد قال ابو بكر للناس عندما اختير خليفة لهم انى وليت عليكم ولست بخيركم ، أطيعونى ما أطعت الله فيكم ، فان عصيته فلا طاعة لى عليكم .

٢ ـ حقوق الانسان فى الاسلام

والحاكم والمحكوم فى الاسلام امناء على الصالح العام للامة كلها ، على الحاكم أن يستشير وعلى غيره أن يشير بالرأى وألا يصدر مشورته عن هوى أو أثرة ..

وللحق قداسة فى تقريره بالقول وفى تنفيذه بالعمل فاذا غاص الحق من القول أو العمل ضاع المجتمع كله ، وفى الحديث « **لا تقدس أمة لا يقضى فيها بالحق : ولا يأخذ الضعيف فيها حقه من القوى غير متعتع** ، أى غير قلق ولا مستضعف .

أما الحرية المدنية فهى ضد العبودية وضياع الشخصية ، وتوفيرها للانسان يعنى أن يتصرف كيف يشاء فى شئونه الخاصة والعامة غير متقيد الا بمعالم الشريعة والقانون ، فهو حر فى ملبسه ومسكنه ومطعمه وسفره أو اقامته والحرفة التى يفضل والزوجة التى يختار .. الخ .

وهذه الحرية صدى الفطرة ، فلا تصادر مادامت فى دائرة العرف المقرر ، وهى الحرية التى عناها عمر ابن الخطاب لماقال لواليه ــ وقداساء التصرف مع أحد المواطنين ــ « **متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا ؟** » .

وعلى ضوء هذا الحق المقرر لكل انسان جاء الخطاب الالهى للبشر كافة .

« **وقل اعملوا فسيرى الله عملكم** » وقوله « **ولكل درجات مما عملوا وليوفيهم أعمالهم وهم لا يظلمون** » .

ان الانسان خليفة الله فى أرضه ، هو نفس من روحه الاعلى ، وقبس من نوره الاسنى ، ويجب أن تضمن له بهاتيك الحقوق جميعا حتى يؤدى رسالته العتيدة أداء تسمو به الحضارة ، ويتقدم به ركب المدنية الى الامام .

أساليب التوعية

الدكتور مصطفى الرافعى

نحن الان فى أحرج الاوقات فليس أمامنا الا حركة وامكانات لشعب أصيل يتمسك بعقيدته ويعتصم بدينه وانه لمن الممكن أن تكون القيم الدينية أساسا للتدريب الاخلاقى فى شتى الوجوه ٠

ولابد لتحقيق هذا الممكن أن تنشأ دعوة جادة قوية لجماهير الامة الاسلامية والعربية لتصلح هذه الامة ذات الدين على ما صلح عليه أولها ، وان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « لا يصلح آخر هذه الامة الا على ما صلح عليه أولها » وانه لكلام لا يخرج عن نتائج التجارب الصادقة والحقائق الواقعة فحيث جمعت الدعوة الصالحة فى أولها أمة متمزقة فان الدعوة الصالحة حين تعود ، تعود معها الامة الممزقة الى اجتماع واتحاد ٠

والدعوة الدينية التى أريدها هى التوعية. فلسنا بازاء الدعوة لدين جديد ولكنه عود الى تسيير الدين فى مساره الصحيح ، ولن يسير سيرا صحيحا الا اذا انتقلت تعاليمه من العقيدة القويمة الى الوعى والشعور فى الافراد والجماعات ، وان تكون هذه التوعية سالكة سبيلها الصحيح فتكون بالحكمة والموعظة الحسنة والجدل بالتى هى أحسن وكما قال سبحانه « **ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن** » ٠

والدين الذى ارتضاه الله هو الاسلام وهو دين القيمة الذى تحتشد فيه الكمالات وتلتمع فيه الامال ويتحقق به الرخاء والسعادة فى الدارين ٠ ولا ضرورة هنا لتفصيل ما به من عبادات ومعاملات وما يفضى اليه كل من هذين الى نعمة وخير ٠

ولكنا نتحدث عن الشريعة الاسلامية فى أصولها التى تجمع أوجه النشاط الفردى والجماعى فى مجالات الحياة المختلفة من سياسة حكم وسياج حقوق وواجبات ونظم فى الاجتماع والاقتصاد على نحو لا يشوبه نقص بل هو يبهر العقول ، ولا ينتقصه الا من أساء فهمه أو رآه غير مطبق فلا يمكن استنتاج شىء من غير تطبيقه لامدحا ولا ذما ٠

والدعوة الى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة فى اطارها العام انما تكون أمرا بالمعروف ونهيا عن المنكر ، وهذه ميزة الامة الاسلامية وبها فضلت على كل الامم فى قوله تعالى « **كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر** » فكان الامر والنهى شرطا فى التقدم على الامم والامتياز على الجماعات والشعوب ٠

وفى الامكان ان نحصر الدعوة الى سبيل الله فى هذه الحدود الاربعة :

أولها : الحكمة وهى مخاطبة العقول والنفوس معا ، أما العقول فخطابها بالمنطق الذى لا يخرج عن نصوص الدين ٠ وارجو أن الح على هذه النقطة لئلا يعود الامر بنا الى الانقسام كما حدث قديما بين فرق المسلمين ٠ لان المنطق المجرد البعيد عن النصوص ليس دينا ولذلك أوجب على نفسى وعلى من دعوا بالحكمة أن يكون منطقهم منطقا دينيا يستند الى أصول القرآن والسنة والحديث ٠ واما النفوس فلابد من مراعاة حاجاتها واحتمال طاقاتها حتى لا تخرج الحكمة عن القصد والسداد ٠

وثانيها : الموعظة الحسنة ومع كونها من الحكمة فان المراد بها أن تمس الدعوة المشاعر والوجدانات حيث تكون الادلة والامثلة مستمدة من واقع الناس وما يفهمونه من الكلمات والاراء ٠

وثالثها : الجدل بالتى هى أحسن وهو ما يناسب كل حالة من اقامة الادلة التى تدفع الوهم وتصلح الاخطاء دون شتم أو غضب أو عدوان ٠ وذلك بالجدل للخصم الذى يقنعه الدليل بالجدل الحسن والموعظة النافعة ٠

أما رابعها : فهو الدافع الاضطرارى حين لا تنفع

الحكمة ولا الموعظة ولا الجدل الحسن ويكون بالتلويح بالقوة ثم باستعمالها ضد العدو العنيد لانه لا سبيل غيرها ، ثم لا سبيل لترك العدو يتمادى فى عدائه بل لابد من اتقاء خطره وتدميره ونواياه ٠

والدعوة الى ردع المعتدى قائمة فى القرآن على قدم وساق ، فالله سبحانه يقول « **يأيها النبى جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم** » ويقول «**وليجدوا فيكم غلظة** » ويقول « **وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة** » ٠

وقتال العدو المعتدى العنيد أمر لا مفر منه ولا مهرب « **كتب عليكم القتال وهو كره لكم** » وقتاله لعلو الدين وابتغاء نصره عامل فى القوة يضاف الى السلام وربما كان أول عامل فى النصر الاكيد ٠

وحين نذكر الجهاد نريد به جهاد النفس من الداخل وجهاد العدو من الخارج والعدو القريب من الانفس هو شهواتها فى الافراد وليس أسوأ منها اذا صارت شهوة جماعة تخرج على الاجماع فتكيد للامة وتحبط عملها وتفكك وحدتها ٠

وأساليب الدعوة الى سبيل الله فى عمومها لا يخرج منها القريب ولا البعيد ولا الحبيب ولا العدو بل كلها متماسكة مترابطة لا تصلح الا بهذا التماسك والترابط ، لانه لا يمكن النظر الى جزء من الارض دون باقى أجزائها ولا الى شعب من الشعوب دون كل شعوبها ٠

وفى القرآن الكريم وتفاصيل السنة الاضواء الهادية المشرقة للامر بالمعروف والنهى عن المنكر وتكليف الاكفاء القادرين بحمل لواء الدعوة الاسلامية ، فهم الذين يستطيعون نقل التعاليم الدينية الى مستوى الوعى عند الافراد والجماعات كتابة وخطابة وتدريسا ، وهم جميعا مسئولون لانهم المعنيون بأنهم أهل الذكر ٠

وأهل الذكر هؤلاء مندوبون ليكونوا فى الطليعة من الدعوة والصدارة منها على أن يكون كل منهم قدوة حسنة لئلا تزل دعوته عن القلوب كما يزل المطر عن الصخرة الملساء . والحق أن الداعى اذا لم يكن قدوة فانه لا يستطيع أن يعرف الحكمة ولا يهتدى الى الموعظة الحسنة ولا يتخلق باللين أمام الاصدقاء ولا بالشجاعة أمام الاعداء ٠

والله سبحانه ينعى على الذين يتصدرون للدعوة بينما السنتهم فى جانب وقلوبهم فى جانب ظاهرهم فى طريق وباطنهم فى طريق ، كالنفوس المشعثة لا تجتمع من داخلها فكيف تقدر على جمع من هو فى خارجها ؟ فيقول الله سبحانه « **أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم** » ويقول سبحانه « **طاعة وقول معروف فاذا عزم الامر فلو صدقوا الله لكان خيرا لهم** » ويقول سبحانه وتعالى « **ولتعرفنهم فى لحن القول والله يعلم أعمالكم** » فعرف سبحانه فى هذه الايات النفوس المتفرقة والتى لا يكون عليها اجتماع ولا منها انتفاع ٠

الجُنّة ...

فاهلُ بدر أحد فالشجرة
فكلهم فالامة المبشرة

بدر : جاء فى الصحيح « لعل الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم ٠ ٠ وعدتهم ثلاثمائة وبضعة عشر وأهل أحد : هم الذين شهدوا وقعتها وهم يلون أهل بدر فى الفضيلة سواء استشهدوا بها كالسبعين أم لا ٠ وكان أهلها ألفا منهم ثلاثمائة من المنافقين الذين رجع بهم عبد الله بن أبى ابن سلول وكان المشركون ثلاثة آلاف رجل: واصطف المسلمون بأصل احد والمشركون بالسبخة ، وجعل النبى صلى الله عليه وسلم عبد الله بن جبير أميرا على الرماة بالنبل وهم خمسون ٠ وقال احموا ظهورنا واثبتوا مكانكم فلما التحم الحرب شرع المسلمون فى أخذ الغنائم فقال الرماة : غلب أصحابكم فما تنتظرون ؟ فقال أميرهم أنسيتم قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقالوا والله لنأتين الناس ونصيب من الغنيمة ، وحملوا كلامه على ان المراد مادام الحرب قائما فلما أتوهم رجع الكفار فقتلوا من المسلمين سبعين منهم سيد الشهداء حمزة قتله وحشى ، وشج وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكسرت رباعيته ٠

فالشجرة : أى من بايعوا بيعة الرضوان تحتها **لقوله تعالى : « لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة » وكانوا ألفا وأربعمائة وقيل وخمسمائة خرج بهم النبى صلى الله عليه وسلم عام ست من الهجرة لزيارة البيت الحرام ٠ والاعتمار بهم** ، لم يكن معهم سلاح الا السيوف فنزلوا بأقصى الحديبية فصده المشركون عن دخول مكة فأرسل اليهم عثمان يعلمهم أنه جاء معتمرا لا مقاتلا فاشيع أنهم قتلوه فقال النبى صلى الله عليه وسلم عند ذلك : « **لا نبرح حتى نناجزهم الحرب** » **ودعا الناس عند الشجرة للبيعة على الموت أو أن لايفروا فبايعوه على ذلك ٠ ووضع صلى الله عليه وسلم شماله فى يمينه وقال : هذه عن يد عثمان أى على فرض حياته ثم تبينت حياة عثمان وصالحهم صلى الله عليه وسلم على شروط وهى أن يوضع الحرب بينه وبينهم عشر سنين ، وأن يؤمن بعضهم بعضا ، وأن يرجع فى هذا العام ويأتى للعمرة**

فى شرح عقيدة أهل الجنة

في العام القابل وأن من جاء ممن تبعه لا يردونه ، ومن جاء من قريش مؤمنا يرده ، وكره المسلمون ذلك فقالوا يا رسول الله انا نرد ولا يردون قال : نعم • من ذهب اليهم فأبعده الله ، ومن جاء منهم فسيجعل الله له مخرجا حتى أسلم أبو جندل وجماعة وانحازوا بجبل يقطعون الطريق على قريش فأرسلوا له صلى الله عليه وسلم باسقاط الشرط وأن يأخذهم عنده ، وتحلل المسلمون بالحلق والذبح ورجعوا الى المدينة وقال صلى الله عليه وسلم : « لا يدخل النار أحد ممن بايع تحت الشجرة » • رواه أبو داود والترمذى وصححه •

فكلهم : باقى الصحابة أفضل من غيرهم قال صلى الله عليه وسلم : « لا تسبوا أصحابى فوالذى نفسى بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه » أى نصفه • رواه مسلم •

وقال صلى الله عليه وسلم : ان الله اختار أصحابى على العالمين سوى النبيين والمرسلين واختار لى من أصحابى أربعة أبا بكر وعمر وعثمان وعلى فجعلهم خير أصحابى وفى أصحابى كلهم خير ، واختار أمتى على الامم » أخرجه البزار فى مسنده •

فضيلة الشيخ محمد خليل الخطيب

فالامة المبشرة : أى باقى الامة أفضل من سائر الامم قال تعالى : « كنتم خير أمة أخرجت للناس » • وقال صلى الله عليه وسلم : « أنتم توفون سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على الله » رواه أصحاب السنن •

ولا تخض فيما جرى من حرب
أو أولن واحذر سهام الرب
فكلهم مجتهد عدول
زكاهمو العليم والرسول

لاينبغى للمسلم أن يخوض فيما شجر بين الصحابة رضوان الله عليهم من حروب ومنازعات • قال صلى الله عليه وسلم : « اذا ذكر أصحابى فأمسكوا) • والصحابة مجتهدون عدول زكاهم الله سبحانه وتعالى ونبيه صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى : « محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار » • وقال تعالى « كنتم خير أمة أخرجت للناس » وقال تعالى : « وكذلك جعلناكم أمة وسطا » أى عدولا وقال تعالى : « يوم لا يخزى الله النبى والذين آمنوا معه نورهم يسعى بين أيديهم وبايمانهم » وقد أحبهم النبى صلى الله عليه وسلم وأثنى عليهم وأوصى أمته بعدم سبهم وبغضهم واذاهم وماوردمن المطاعن فعلى تقدير صحته له محامل وتأويلات ومع ذلك لا يعادل ما ورد فى مناقبهم •

خير النساء مريم فاطمة
آسية خديجة عائشة

ونعتقد أن أفضل النساء مريم بنت عمران الصديقة والدة عيسى عليه السلام وفاطمة بنت النبى صلى الله عليه وسلم وفاطمة أفضل • روى الترمذى وصححه : « حسبك من نساء العالمين مريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وآسية امرأة فرعون • وفى الصحيح فاطمة سيدة نساء هذه الامة وروى النسائى عن حذيفة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : هذا ملك من الملائكة استأذن ربه ليسلم على وبشرنى أن حسنا وحسينا سيدا شباب أهل الجنة وأن أمهما سيدة نساء أهل الجنة •

وأفضل أمهات المؤمنين : أى أزواج النبى صلى الله عليه وسلم كما قال الله تعالى « وأزواجه أمهاتهم » فى الحرمة والتعظيم خديجة بنت خويلد ، وعائشة الصديقة • قال صلى الله عليه وسلم : كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء الا مريم وآسية . وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام •

واحمد « محمد » نعمان
ومالك « أئمة » أركان

ونعتقد أن الائمة الاربعة وباقى الائمة كلهم على هدى من ربهم وبصيرة فى دينه ولا التفات لمن قال فيهم ماهم بريئون منه أما الامام احمدبن محمدبن حنبل فولد فى سنة مائة وأربع وستين فى بغداد وكان أبوه والى سرخس فنشأ مكبا على طلب العلم وسافر فى سبيله أسفارا كثيرة الى الكوفة والبصرة ومكة والمدينة واليمن والشام والثغور والمغرب والجزائر وفارس وخراسان وصنف المسند فيه ثلاثون ألف حديث دون

الكسب الحلال والمصرف الحلال

فضيلة الشيخ عبد الحكيم سرور

المكرر وله كتب فى التاريخ والناسخ والمنسوخ والرد على من ادعى التناقض فى القرآن والتفسير ، وغيرها ، وكان أسمر اللون حسن الوجه طويل القامة يلبس الابيض ، وسجنه المعتصم ثمانية وعشرين شهرا لامتناعه عن القول بخلق القرآن ولما ولى المتوكل أكرم الامام ابن حنبل وكان لا يولى أحدا الا بمشورته وتوفى سنة مائتين واحدى وأربعين هـ فى خلافته • واما محمد : فهو الامام الشافعي المولود سنة ١٥٠ محمد ابن ادريس بن العباس بن عثمان بن شافع الهاشمى القرشى المطلبى • أبو عبد الله أحد الائمة الاربعة عند أهل السنة واليه انسبت الشافعية كافة ولد فى غزة بفلسطين : وحمل منها الى مكة وهو ابن سنتين وزار بغداد مرتين وقصد الديار المصرية سنة ١٩٩ فتوفى فى القاهرة قال المبرد : كان الشافعي أشعر الناس وادبهم وأعرفهم بالفقه والقراءات وقال الامام ابن حنبل ما أحد ممن بيده محبرة أو ورق الا وللشافعي فى رقبته منة • برع فى الادب واللغة والشعر ثم اقبل على الفقه والحديث وأفتى وهو ابن عشرين سنة وله تصانيف كثيرة اشهرها الام فى سبع مجلدات وتوفى سنة ٢٠٤ هجرية •

نعمان : هو الامام الاعظم أبو حنيفة النعمان بن ثابت امام الحنفية الفقيه المجتهد المحقق أحد الائمة الاربعة عند أهل السنة • قيل أصله من أبناء فارس ولد بالكوفة وكان يبيع الخز ويطلب العلم فى صباه ثم انقطع للتدريس والافتاء وأريد للقضاء فرفض ورعا فحلف عليه المنصور العباسى ليفعلن فحلف أبو حنيفة أنه لايفعل فحبسه ثم أطلقه وكان قوى الحجة ، قال الامام مالك يصفه : رأيت رجلا لو كلمته فى هذه السارية أن يجعلها ذهبا لقام بحجته ، وكان كريما فى أخلاقه جوادا حسن المنطق والصورة جهورى الصوت اذا حدث انطلق فى القول وكان لكلامه دوى • قال الامام الشافعي : الناس عيال فى الفقه على أبى حنيفة وولد سنة ثمانين وتوفى سنة مائة وخمسين هجرية •

مالك : هو الامام مالك بن أنس بن مالك الاصبحى امام دار الهجرة • واحد الائمة الاربعة عند أهل السنة واليه تنسب المالكية مولده ووفاته فى المدينة • كان صلبا فى دينه بعيدا عن الامراء والملوك وشى به الى جعفر عم المنصور العباسى فضربه سياطا انخلعت له كتفه ووجه اليه الرشيد العباسى ليأتيه فيحدثه فقال : العلم يؤتى فقصد الرشيد منزله واستند الى الجواد فقال مالك : يا أمير المؤمنين من اجلال رسول الله اجلال العلم فجلس بين يديه فحدثه وله الموطأ من أصح كتب الحديث وغيره • وولادته سنة ثلاث وتسعين ووفاته سنة ١٧٩ هجرية •

نسأل الله تعالى أن يأخذ بنا الى نهجهم ويحشرنا معهم وما ذلك على الله بعزيز وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم •

كلّ بناء يبنى وكلّ صرح يشيد – لابدفيه لكى يظهر جميلا • ويبدو رائعا – من دقة فى الاختيار وسلامة فى الذوق ، وحسن فى التنسيق ، والانسان مادة وروح وما أجدر هذا البناء الذى خلقه الله وكرمه وأعلى شأنه وأعظم سمته ما أجدره الا تمتد اليه يد تشوهه أويد تعبث بهفتذهب أبهتهوروعة بنائهوأول ما يقضى على هذا السمت الحسن أن يدخل عليه صاحبه وسائل وأجزاء ليست منه وانما هى دخيلة عليه لانها مواد غريبة عن الجسم وليست من مادته فان مادته انما خلقها الله من نظافة تامة وحل مقيم ، وهذه التنمية انما تكون من مواد طيبة يكسبها صاحبها من طريق الكد والكدح والتوصل الى المال فى مقابل يجعله حلالا حتى لا يكون أكلا للمال بالباطل وبغير مقابل ولا شك ان الجسم اذا مادخل فى تكوينه جزء من مال حرام أثر ذلك فى تكوينه بل وأثر فى روحانيته وفى معنويته بل وفى سلوكه نفسه فقد قال بعض الصالحين انى لاعصى الله سبحانه وتعالى فأجد اثرذلك فى دابتى وامراتى والجسم والروح دعامتان قويتان فى حياة الانسان وفى داخلية نفسه وفى مدى علاقته بالناس « ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لايحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه ان الله بالغ أمره » هذا وكل سلوك للانسان وكل عمل له وكل رزق يحاول الوصول اليه أو ادراكه فانه ينبغى أن تلازمه النية الطيبة وأن يتخلى عن الحرام فرسول الله صلى الله عليه وسلم يجعل العمل والفكر لابد أن تملأ جوانبه نواحى التسليم لله والتوكل عليه والاخلاص فى الاتجاه والتحرى فى التوصل الى المال فتراه يقول « لوتوكلتم على الله حق التوكل لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا » والامة فى هذا كالفرد وان قدرة الله قد تذهب المال أو تمحق منه البركة فلا تجد الامة ما تحقق به الامال أو تقضى على الشرور التى قد تحيط بها أو تحدق بجوانبها •

ان المال الذى يجعله الله بين يديك قد يكون حلالا وطيبا ثم تشويه حرمة أو يدخل اليه تلوث فاذا بذلك كله قد امتد اليه فى كل نواحيه فينقطع عن الله ويبتعد عن الجادة فلا يقبل له دعاء ولا يحسن له يوم القيامة مصير ولا يعظم الله له أجرا •

لقد روى ابن عباس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : **« ياسعد بن أبى وقاص أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة والذى نفس محمد بيده ان العبد ليقذف اللقمة الحرام فى جوفه وما يتقبل منه عمل أربعين يوما وايما عبد نبت لحمه من سحت فالنار أولى به » وهل النار الا نار الدنيا بضياع البركة والكساد الذى تبور به السلع ويمحق الله به ما كان من أموال وانجازات ونتاج وأما نار الاخرة فهى الماحقة المضيعة أعاذنا الله وحفظنا •**

ان الكسب الحلال هو طريق الخير فى هذه الحياة فلم اذن يسارع كثير من الناس الى التخبط فى المكاسب بحيث يحاول الناس كسب المال من أى طريق وبأى أسلوب لا يبالى أمن حلال جمع أم من حرام أكل ويكون كل همه أن يملأ جيبه أو تحشى خزائنه

ولقد حدثتك ان الامر كله بيد الله ان شاء بارك وان شاء أهلك فلا تكن من الطاغين الجبارين الذى يظنون انهم يجمعونه لا خوف عليه وانه فى أمن وأمان وطمأنينة وأستقرار وانه لا تخشى عليه الجائحات ومن ثم يصبح الانسان فى حرص شديد وبغى أكيد « أن الانسان ليطغى أن رآه استغنى » ولهذا كله حارب الاسلام التكالب على الدنيا بمثل ما حارب به التبتل والانقطاع عن العمل اذ أن التكالب يقطع الانسان عن ربه ويجنبه الخير وطريقه فها هو صاحب الجنتين الوارفتين اللتين تكاثر بهما على صاحبه وماذا كان من شأنه فى حياته

لقد قال لصاحبه « أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا ودخل جنته وهو ظالم لنفسه قال : ماأظن ان تبيد هذه ابدا وما اظن الساعة قائمة ولئن رددت الى ربى لاجدن خيرا منها منقلبا (٣٤ – ٣٦ الكهف) • هذا تكالبه وهذا حرصه بل أنه لطغيانه الذى لبس عليه الامر وأوقعه فى الطغيان فظن أن ما أعطى له لا يؤخذ منه وأن هذا التكاثر لن يبيد ولن يذهب أو يضيع بل أنه قد أنكر البعث والعقاب والثواب فماذا حصل ؟ وماذا وقع له ؟

يارب احفظ عبادك الموحدين وخذ بأيديهم واتمم لهم نورهم ولقد ، كان من أمر هذا الرجل ، قوله سبحانه : « واحيط بثمره فأصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها وهى خاوية على عروشها ويقول ياليتنى لم أشرك بربى أحدا » (٤٢ الكهف) •

اخواننا وأحباءنا أنه اذا كان الاهمال والكسل ممجوج فما أشد وما أبخس التكالب الذى قد يؤدى الى خبث الكسب حفاظا على الجمع الكثير وادراكا للمال الوفير مما يقطع صلة الانسان بأخيه بل بأمه وأبيه ثم تكون عاقبة أمره خسرا « من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم أعمالهم فيها وهم فيها لايبخسون أولئك الذين ليس لهم فى الاخرة الا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون)

وأعلم ياأخى ان ليس الغنى فى جمع المال فقط انما هو غنى النفس وقناعتها وفى صالح الاعمال وأجادتها يقول صلى الله عليه وسلم « ليس الغنى عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس » والفقر أو قلة المال ليس منقصة وانما النقص فى عدوانك على مال الغير أو مال الامة أو الخداع فى الكسب أو التفنن فيه أو

الكذب فى البيع والشراء أو التدليس فى السلعة وما الى ذلك فهذا هو رسول الله صلى الله عليه وسلم عاشها عيشة الكفاف ولو أراد جبال مكة ذهبا لكانت له فلم يعش عيشة السرف والترف وآثر التقشف والتعفف وقد روى الترمذى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «عرض على ربى أن تكون جبال مكة كلها ذهبا فقلت لا ياربى أجوع يوما وأشبع يوما أن جعت رجوتك ودعوتك وأن شبعت حمدتك وشكرتك» وهذا هو الرضا على كل الاحوال الذى يكون من المؤمنين ولقد ضرب لنا المثل العملى وبدأ بنفسه لقد كان ينام على الحصير مع قدرته وامكانياته وأثر الحصير فى جنبه الشريف فقال له أصحابه لو اتخذنا لك يارسول الله وطاء ؟ فما كان جوابه ؟ لقد بين لهم ما ينبغى أن يتخذه كل مسلم دستورا له فى الحياة حتى يكون لبنة طيبة صالحة للمجتمع تخط فيه خطوط العزة والقوة يقول صلى الله عليه وسلم «مالى وللدنيا ما أنا فى الدنيا الا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها» ولقد أخذ الرسول صلى الله عليه وسلم يوما وبرة من بعير ثم نظر الى أصحابه فقال أنه لا يحل لى من مالكم ولا هذه الوبرة» بل ان نبى الله نوحا خط فى ذلك خطا مستقيما يقول عندما سئل كيف وجدت الدنيا يانبى الله ؟ يعنى بعد طول تجربة فى عمر طويل قال: وجدتها كدار لها بابان دخلت من أحدهما وخرجت من الاخر» وبمثل هذا يجب أن يفهم الناس الحياة فلا تمتد عيونهم الى أموال غيرهم وانما يجتهدون فى الحصول على المال الحلال فى اخلاص ويقين واتجاه الى الله ومن ثم يتجنبون الطغيان والزلل بل الحفاظ على أموال الناس فضلا عن أموال الدولة لتكون أمة قوية يخاف بأسها وتهاب فى معاملاتها وهذا هو عمر ابن عبد العزيز وقد جاء اليه احد عماله ليعرض عليه بعض أعمال ولايته فيظلان فى ضوء مصباح خفيت حتى اذا انتهيا من عرض ما يتصل بالامة بدأ يسأله عن ابنائه فقام عمر فأطفأ المصباح بنفسه فلما سأله الوالى مستفسرا قال عمر لما انتهينا وأصبحنا فى عمل خاص حرم علينا أن نستغل أى مال من أموال بيت المال مهما قل. وبهذا تستطيع الامة أن تسود وأن تتألق بين الامم. ولقد كان أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم أبعد الناس عن الشبهات فى الكسب وفى الاخذ وفى الصرف واليكم عمر بن عبد العزيز يقول للشعب عندما تولى أمرهم الا أخبركم بما أستحل من مال الله عز وجل: جلبابى لشتائى وقيظى وبما يسعف من الراحلة لحجى وعمرتى وقوتى بعد ذلك كقوت رجل منكم لست بأرفعهم ولا بأوضعهم ثم يقول خائفا من الله مع هذا التحفظ الشديد يقول: ثم لا ادرى بعد ذلك أيحل لى أم لا ؟ انهم قد عمقوا جميعا فى فهم قوله تعالى: «ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون».

انهم كانوا يمضون على سنة الرسول صلى الله عليه وسلم ويعملون بمقتضى قوله: لن تزول قدما ابن آدم حتى يسأل عن ماله من أين اكتسبه وفيم انفقه.

ان كل فرد مسلم يعتبره الاسلام مسئولا وراعيا لرعية ينبغى أن يدق فى كسبه وأن يحاسب نفسه وأن يوقظ ضميره حتى لاينسى أو تطغى فما أحد ولى من أمر المسلمين شيئا لم يحفظهم بما يحفظ به نفسه الا لم يجد رائحة الجنة وهكذا نجد كل فرد من أفراد الامة مسئولا مسئولية كاملة فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته وهى مسئولية تبرز فى معنى التواصى بالحق الذى جاء فى القرآن الكريم «والعصر ان الانسان لفى خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر».

وبذلك كله كان يذكر عمر كل مسئول أمامه بمسئوليته لا يفتأ يذكره به ليلقى عن كاهله عبء المسئولية وخيركم من اهدى الى عيوب نفس لقد أصدر عمر منشورا يذكر فيه الولاة لئلا تتسرب الشبهات الى نفوسهم ممثلين فى عتبة اذ قال له انه ليس بكدك ولا كد أبيك ولا كد أمك فأشبع المسلمين فى رحالهم مما تشبع به فى رحلك وأياكم والتنعم وترى أهل الشرك ولبوس الحرير والله عز من قائل يقول «فليؤد الذى أوتمن أمانته» وان الكسب والانفاق من أعظم الامانات واتقاء الشبهات استبراء للدين والعرض.

واذا كان هذا هو الكسب الحلال وهو واجب أن يراعى من المسلمين فى عامتهم وخاصتهم فان الاسلام قد حرص على أن يأمر اتباعه بألا يأكلوا ألا طيبا فان الله طيب لايقبل الا طيبا والله يقول: «يأيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا انى بما تعملون عليم» وأن يكون المصرف حلالا بأن يكون وسطا كما بينه لنا **المولى «والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما» وكما يوجهنا المولى بقوله تعالى: «ولا تبذر تبذيرا ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا» أن أطيب ما ينفقه الانسان انما هو مال ينفقه على أهله فعن أبن مسعود رضى الله عنه أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: «اذا أنفق الرجل على أهله نفقة يحتسبها فهى له صدقة» متفق عليه.**

قراءة القرآن

الدكتور بدوى طبانة

انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون

والذكر فى هذه الآية هو كتاب الله تعالى وقرآنه المجيد الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ..

وقد وردت هذه الاية فى سورة الحجر بعد ماورد من قول الكافرين لمحمد صلى الله عليه وسلم « **يأيها الذىنزل عليهالذكر انك لمجنون ، لو ما تاتينا بالملائكة ان كنت من الصادقين** » ثم قول الله تعالى « **ما ننزل الملائكة الا بالحقوما كانوا اذا منظرين** » اىوما تأخر عقابهم بكفرهم واستهزائهم وتكذيبهم للرسول الصادق الامين .

ولذلك كان قوله تعالى « **انا نحن نزلنا الذكر** » ردا لانكارهم واستهزائهم فى قولهم « **يأيها الذى نزل عليه الذكر** » **ولذلك قال** « **انا نحن** » فأكد انه تعالى هو الذى نزله على القطع واليقين ، وانه حافظه فى كل زمان ومكان مما تعرض له غيره من الزيادة والنقصان والتبديل والتحريف ، وانه لا يكل هذا الحفظ الى غيره ، اذ لو كان من قول البشر لتطرق اليه النقصان والزيادة كما تطرق الى كل كلام قاله واحد من البشر .

وذهب بعض المفسرين الى ان الضمير فى « له » لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، كقوله تعالى « **والله يعصمك من الناس** »

ولم يبق كتاب من الكتب سليما من آفات التحريف وعلل الزيادة والنقصان مابقى بعد القرآن الكريم منذ أنزل علىمحمد صلوات الله عليه ومنذ جمعه الصديق أبو بكر ومنذ كتبه الكتاب الحافظون بأمر ذى النورين عثمان الى هذا الزمان ثم الى أن يرث الله الارض ومن عليها ..

وليس الكلام فى قراءة القرآن جديدا ، وان كانت جدة القرآن لا تبلى ، وكذلك جدة النظر فيه ومحاولة الفحص على أسراره ، والبحث عن عميق أغواره ، لا يمكن ان تتطرق اليها أسباب البلى ، وتطاول الازمان خير شاهد على تلك الحياة التى يحياها القرآن فى الصحف المطهرة ، وعلى الالسنة الرطبة بذكر الله ، وفى أعماق قلوب المؤمنين .

وما أكثر المحققين من العلماء الذين تحدثوا فى قراءة القرآن ، واحصوا وجوه تلك القراءة أو طرق الاداء لالفاظ الكتاب الكريم .

● ● ●

وقد اختار ابو بكر بن مجاهد شيخ القراء فى بغداد (ت ٣٢٤ هـ) قراءة سبعة من أعلام القراء الحافظين فاقتصر عليها ، وعرفت باسم « القراءات السبع » وعرف أصحابها الذين روى قراءاتهم ابن مجاهد « القراء السبعة » وها هى ذى أسماؤهم على حسب ترتيب سنى وفاتهم :

(١) عبد الله بن عامر بن يزيد بن تميم بن ربيعة المتوفى سنة ١١٨ هـ

(٢) عبد الله بن كثير المكى القرشى المتوفى سنة ١٢٠ هـ

(٣) عاصم بن أبى النجود الاسدى الكوفى المتوفى سنة ١٢٧ هـ

(٤) أبو عمرو بن العلاء بن عمار بن عبد الله البصرى المتوفى سنة ١٥٤ هـ

(٥) حمزة بن حبيب بن عمارة بن اسماعيل الزيات التيمى المتوفى سنة ١٥٦ هـ

(٦) نافع بن عبد الرحمن بن أبى نعيم المتوفى سنة ١٦٩ هـ

(٧) الكسائى أبو على بن حمزة الاسدى المتوفى سنة ١٨٩ هـ

وقد ذكر بعض المحققين السبب فى اشتهار هؤلاء السبعة دون غيرهم ، وهو أن عثمان رضى الله عنه لما كتب المصاحف ووجهها الى الامصار وكان القراء فى العصر الثانى والثالث كثيرى العدد ، فأراد الناس ان يقتصروا فى العصر الرابع على ما وافق المصحف ، فنظروا الى امام مشهور بالفقه ، والامانة فى النقل ، وحسن الدين وكمال العلم ، قد طال عمره ، واشتهر أمره ، واجمع أهل مصره على عدالته •

وافردوا من كل مصر وجه اليه عثمان مصحفا اماما هذه صفة قراءته على مصحف ذلك المصر ••

فكان أبو عمرو بن العلاء من أهل البصرة •

وحمزة بن حبيب وعاصم بن ابى النجود من أهل الكوفة وسوادها •

وابو على الكسائى من أهل العراق •

وعبد الله بن كثير من أهل مكة •

وعبد الله بن عامر من أهل الشام •

ونافع بن عبد الرحمن من أهل المدينة •

وكلهم ممن اشتهرت امامتهم ، وطال عمرهم فى الاقراء وارتحل الناس اليهم من البلدان والحق العلماء بهؤلاء السبعة ثلاثة وهم :

أبو جعفر يزيد بن القعقاع ، وهو تابعى ، توفى سنة ١٣٠ هـ

ويعقوب بن اسحاق الحضرمى امام أهل البصرة توفى سنة ٢٠٥ هـ

وخلف بن هشام الاسدى ، توفى سنة ٢٢٩ هـ

وقد اشترطوا لصحة القراءة وقبولها شروطا رفضوا ما خالفها وأهم هذه الشروط ،

١ ــ ان تكون القراءة متواترة صحيحة النقل والاسناد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم على أنها قرآن •

٢ ــ ان يجتمع على هذه القراءة عامة المسلمين ، والعامة عندهم ما اتفق عليه أهل المدينة واهل الكوفة ، وربما جعلوا الاعتبار بما اتفق عليه نافع بن عبد الرحمن المدنى ، وعاصم بن أبى النجود الاسدى الكوفى •

٣ ــ **ان تجىء هذه القراءة على الفصيح من لغة العرب** • ولذلك قالوا ان قراءة الامامين نافع وعاصم أولى القراءات ، وأصحها سندا ، وأفصحها فى العربية ويتلوها فى الفصاحة خاصة قراءة أبى عمرو ابن العلاء والكسائى •

٤ ــ **ان يوافق لفظ القراءة خط المصحف الذى هو الامام باجماع الصحابة • ولذلك** قال مالك رحمه الله فيمن قرأ فى صلاة بقراءة ابن مسعود او غيره من الصحابة مما يخالف المصحف : لم يصل وراءه •

واذا شرع القارىء فى قراءة ينبغى ان يستمر على القراءة بها ، وكرهوا ترداد الاية بقراءات مختلفة كما يفعله أهل زماننا وعدوه ابتداعا وقالوا انه لم يرد فيه شىء عن المتقدمين •

ومتى فقدت القراءة شرطا من الشروط السابقة حكم بأنها قراءة شاذة ولا يقرأ بشىء من الشواذ فى الصلاة ولا غيرها لانها ليست قرآنا ، لان القرآن لا يثبت الا بالتواتر ، والقراءة الشاذة ليست متواترة ، ومن قال غير ذلك فغالط أو جاهل •

فلو خالف القارىء وقرأ بالشواذ انكر عليه قراءتها فى الصلاة وغيرها عند أصحاب الشافعى • واتفق فقهاء بغداد على استتابة من قرأ بالشواذ •

ونقل ابن عبد البر اجماع المسلمين على انه لا تجوز القراءة بالشواذ ، ولا يصلى خلف من يقرأ بها •

● ● ●

وفى تبيين وجوه شواذ القراءات وايضاحها الف ابو الفتح عثمان بن جنى كتابا سماه « المحتسب » وكان تعلق ابن جنى بعلم العربية وتفرعه فيه هو الذى اوحى اليه أن يؤلف فى تلك الشواذ كتابه ، ولا يجرى مع الذين ينكرونها ويدفعونها ، فقد يكون فيما يعدونه شاذا ما تلطف صنعته ، ولذلك لم يتخير فى كتابه من القراءات الشاذة الا مالطفت صفته ، وأغربت طريقته ، ولم يقصر عن وجه من وجوه الاعراب •

ولكنه مع هذه العناية بشواذ القراءات يؤكد انه حين يدرسها ، ويشرح وجوهها ، ومكانها من علم العربية ، لا يفعل ذلك فسحا بخلاف القراء المجتمع فى أهل الامصار على قراءتهم او تسويغا للعدول عما أقرته الثقاة عنهم !

وكان محمد بن الحسن بن مقسم [ت ٣٥٤ هـ] يقرأ بحروف يخالف الاجماع ويستخرج لها وجوها من اللغة والمعنى ، وكان يعمد الى تصحيف الكلمة واستخراج وجه بعيد لها ، مع كونها لم يقرأ بها أحد •

وقد ذكر أبو بكر الخطيب أنه مما طعن به على أبى بكر ابن مقسم انه عمد الى حروف من القرآن فخالف الاجماع فيها ، وقرأها على وجوه ذكر انها تجوز فى اللغة العربية • وشاع ذلك عنه عند أهل العلم فأنكروه •• وارتفع الامر الى السلطان ، فأحضره واستتابه بحضرة القراء والفقهاء ، فأذعن بالتوبة ، وكتب محضرا بتوبته ، وأثبت جماعة من حضر ذلك المجلس خطوطهم فيه بالشهادة عليه •

ونقل الخطيب عن أبى طاهر بن أبى هاشم المقرىء صاحب ابن مجاهد فى كتابه الذى سماه البيان قوله فى ابن مقسم انه زعم ان كل ما صح عنده وجه فى العربية كحرف من القرآن يوافق خط المصحف فقراءته جائزة فى الصلاة وغيرها ، فابتدع بقيله ذلك بدعة ضل بها قصد السبيل ، واورط نفسه فى مزلة عظمت بها جنايته على الاسلام وأهله ، وحاول الحاق كتاب الله من الباطل ما لا يأتيه من بين يديه ولا من خلفه ، اذ جعل لاهل الالحاد فى دين الله بسىء رأيه طريقا من بين يدى اهل الحق بتخير القراءات من جهة البحث والاستخراج بالاراء ، دون الاعتصام والتمسك بالاثر المفترض •

وقد كان شيخ القراء أبو بكر بن مجاهد يسأل ابن مقسم عن بدعته المضلة باستتابته منها ، وأشهد عليه الحكام والشهود المقبولين عند الحكام بترك ما أوقع نفسه فيه من الضلالة بعد ان سئل البرهان على صحة ماذهب اليه فلم يأت بطائل ، ولم يكن له حجة قوية ولا ضعيفة. ولكنه بعد ان أعلن توبته، واظهر الاقلاع عن بدعته، عاد الى ماكان ابتدعه ، واستغوى به أصاغر المسلمين ممن هم فى الغفلة والغباوة دونه ، ظنا منه ان ذلك يكون للناس دينا، وان يجعلوه فيما ابتدعه اماما ، ولكنه لم يعد ماضل به مجلسه ، لان الله تعالى قد أعلمنا انه حافظ لكتابه من لفظ الزائغين، وشبهات الملحدين بقوله تعالى « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » .

ذلك صنيع واحد سول له علمه بالعربية ان ينظر الى صورة الكلمة فى المصحف فيصحفها باعجام الحروف واهمالها ، ويضبطها على حسب ما تحتمل حروفها من الحركات ، ثم يؤول ما صور له وهمه وجرأته على كتاب الله ، وخروجه على ماأجمع عليه الحافظون لكتاب الله . وربما كان أكثر منه جرأة واشد بلاء ابن شنبوذ (ت ٣٢٣هـ) الذى تفرد بقراءات شواذ كان يقرأ بها فى المحراب ، وأمر بالرجوع فلم يجب ، فأمر الوزير ابن مقلة به فصفع حتى مات ، وكان يعتمد على ألسنة فى القراءة توافق العربية وان خالفت المصحف .

وانما دفع أمثال هذين الرجلين الى تلك الجريرة والجرأة على كتاب الله اغترارهم بما عرفوا من علم العربيه ، وتصريف كلماتها . وتاويل معانيها ، فبعدو عن القصد ، وحادوا عن الصراط المستقيم ، بتطلعهم الى الشهرة المبيره والامامة الزائفة . وتلك احدى جنايات العلم على أصحابه الذين لا يتدبرون ، ولا يذكرون ماهو خير وأبقى .

حدث بعض المتقدمين قال : رأيت فى المنام كأنى فى المسجد الجامع أصلى مع الناس ، وكان ابن مقسم قد ولى ظهره للقبلة ، وهو يصلى مستدبرها فأولت ذلك مخالفته الائمة فيما اختاره لنفسه من القراءات

● ● ●

وبعد فاذا كانت روح الاسلام تدعو الى البحث والتدبر ، واذا كان باب الاجتهاد يتسع لاكثر القضايا التى يعتمد عليها الدين ، وتقوم عليها عقيدة المسلمين فى الايمان والعبادات والمعاملات وقواعد السلوك التى يحجر فيها الاسلام على حرية التفكير ، بل هو يشجعها ويحث عليها ، ويدعو القران الكريم فى كثير من أياته اليها - فان مجال الاجتهاد يضيق عن محاوله التصرف فى كلمات الله ، ومحاولة التعالم فيها ، ولم يجتهد واحد من حملة كتاب الله ورواته فى لفظ من ألفاظه أو فى حرف من حروفه ، وانما أدى كما سمع ، ونقل كما حفظ ووعى .

ولا تبديل لكلمات الله ..

الصبر

عن عائشة (رضى الله عنها قالت : قلت : يا رسول الله ، الا تستطعم الله فيطعمك ؟ قالت : وبكيت لما رأيت به من الجوع فقال :-

يا عائشة والذى نفسى بيده لو سألت ربى أن يجرى معى جبال الدنيا ذهبا لاجراها حيث شئت من الارض ، ولكن اخترت جوع الدنيا على شبعها ، وفقر الدنيا على غناها ، وحزن الدنيا على فرحها ياعائشة، ان الدنيا لاتنبغى لمحمد ولا لال محمد ، يا عائشة ، ان الله لم يرض لاولى العزم من الرسل الا الصبر على مكروه الدنيا ، والصبر عن محبوبها ، ثم لم يرض الا أن يكلفنى ما كلفهم فقال : « فاصبر كما صبر اولو العزم من الرسل » والله مالى بد من طاعته ، وانى - والله - لاصبرن كما صبروا جهدى ولا حول ولا قوة الا بالله .

سيد الاستغفار

عن شداد بن اوس (رضى الله عنهما) قال : قال رسول الله) صلى الله عليه وسلم) : « سيد الاستغفار أن يقول العبد :- اللهم انت ربى لا اله الا أنت خلقتنى وأنا عبدك ، وانا على عهدك ووعدك ما استطعت ، أعوذ بك من شر ما صنعت ، ابوء لك بنعمك على وأبوء بذنبى فاغفرلى فانه لا يغفر الذنوب الا انت » . اخرجه البخارى

وتمام الحديث « من قالها من النهار موقنا بها فمات من يومه قبل ان يمسى فهو من اهل الجنة ، ومن قالها من الليل وهو موقن بها فمات قبل ان يصبح فهو من اهل الجنة .

الإسلام

الأستاذ احمد وافي

الاسلام باركانه الخمس ذات السبعين شعبة ، يتبلور فى حقيقتين توأمتين ، واضحتين أجلى الوضوح ، اولاهما : التوحيد الالهى المحض ، مجردا من التعدد الوثنى الهائم فى تيهاء الجهالة وعشواء الضلال ، فلا اله الا اللهوحده ،لا شريك له ،ولا معبود سواه ، [قل هو الله احد ، الله الصمد ، لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفوا أحد] ! .. وثانيتهما المساواة بين بنى الانسان فى حق الحياة ، كتساويهم فى عبادة الله ، فضلا عن تساويهم اساسا فى الخلق والايجاد ، فلا تفاضل فيهم ، ولا تفاوت ، الا بالتقوى والعمل الصالح ، لقوله تبارك وتعالى ، [يا ايها الناس ، انا خلقناكم من ذكر وانثى ، وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، ان اكرمكم عند الله اتقاكم — ١٣ سورة الحجرات] وقوله : [ولكل درجات مما عملوا ، وما ربك بغافل عما يعملون — ١٣٢ سورة الانعام] ..

فالتوحيد الالهى ، مفتاح المساواة ومدخلها ، وهى منه شعاع نوره ، وقطر سحابه ، وبهما معا تلتقى الارض بالسماء ، وتمضى حياة الناس سوية سواء الفطرة التى فطر الله الناس عليها، [فاقم وجهك للدين حنيفا ، فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ، ذلك الدين القيم — ٣٠ سورة الروم] ..

وانها لرحمة الله بعباده يبسطها عليهم ظلا ظليلا ، ويشرعها لهم دينا قيما (وربك الغفور ذو الرحمة) فما به من حاجة اليهم احسنوا أو أساءوا ، فمن عمل منهم صالحا فلنفسه ، ومن اساء فعليها ، ولا يظلم ربك أحدا .

تبليغ وبيان ، وقدوة حسنى : بلا ارغام ولا اكراه [لا اكراه فى الدين ، قد تبين الرشد من الغى — ٢٥٦ البقرة) .. ولا شك فى ان واقع الحال الان ، متصلا بتاريخ هذه الشعوب ، وماضيها فى الاسلام ، خليق ان يحفز على مضاعفة هذه الجهود الطيبة لسد الفراغ وتبديد الظلام ، ونشر نور المعرفة والايمان ..

ويبقى ان نذكر، ولاننسى، ان ما يعترى الاسلام الان منشحوب وذبول فى هاتيك الاقطار ، بعد ماكان من نضرة وازدهار ، انما هو بعض ما اصابها من سيئات الاستعمار ومناكره طوال عدة قرون فلقد كان من اهدافه الاولى محاربة الاسلام فى معاقله ، وتوهينه فى نفوس اهله ، ليضعفوا ويتفرقوا وتذهب ريحهم ، وكانت وسائله الى ذلك بث الافكار المريبة ، والمذاهب المنحرفة ، فى عقول المسلمين وعقائدهم ، خلف شعارات انسانية زائفة،كمعاهد تعليم ، وجامعات علوم ، ودور علاج ، مع نشر بحوث ومؤلفات استشراقية ، ظاهرها النزاهة ، وخدمة العلم والتاريخ والحضارة الانسانية، وبلطنها التضليل والتلفيقوالكيد للاسلام! وقداستطاع الاستعمار بقوته وسيطرته ، وفى غفلة المسلمين وتقاطعهم ، ان يحاجز بينهم وبين مناهل دينهم الصافية ، فاختلطت الامور عندهم، وغمت الحقائق عليهم ، حتى بات منهم من لايعرف ان الاسلامدين عالمى يقوم على الحق والعدل والعلم والحضارة ، ويساوى بين الناس كافة ، أبيضهم واسودهم واقربهم واقصاهم ، لا يختص به جنس دون جنس ، ولا امةدوناخرى ، (وما ارسلناك الا رحمة للعالمين ١٠٧ الانبياء] و [قل يا ايها الناس انى رسول الله اليكم جميعا — ١٥٨ الاعراف) ..

ومما افشاه الاستعمار من افتراءات على الاسلام ، انه الدين الذى يترخص فى اباحة الرق ، ويجيز — فى زعمهم — استعباد الانسان للانسان ، ويهولون فى تاكيد هذا الزعم بما كان قد جرى عليه بعض الامراء والسروات ضعاف الايمان او المتاولين من المسلمين ، خلال فترات غلب عليهم فيها الترف ، وشهوات الدنيا ، وقد تلاشى هذا تماما ، فلا وجود له اليوم فى الحياة الاسلامية ، على ان الرقيقلم يكن عند هؤلاء فىعهودهمالبعيدة ،اذلالا واستعبادا واهدارا للادميةعلىنحو مايصوره الاستعمار فالمعروف — يقينا — انهم يرفعون الارقاء الى مصاف ابنائهم واخوتهم الخلص ، بل ويؤثرونهم بالرفاهية والتكريم ، ويستخلفونهم فى الحكم والثروات، وكان منهم الملوك واصحاب السلطان وابطال الجهاد فى المعارك الكبرى دفاعا عن الاسلام واوطان المسلمين ، كصلاح الدين الايوبى وسيف الدين قطز والظاهر بيبرس ، فى الحروب الصليبية وغارات المغول المدمرة ، فهؤلاء وامثالهم كانوا من المماليك ، اى من الارقاء ، .. على ان الرق ، مخففا كان او مغلظا ، وعلى اى حال من احواله ، ليس الا عملا مجافيا لروح الاسلام ، ومخالفا لمفاهيمه ومقرراته ، وقد تلقف الاستعمار هذه الظاهرة المتخلفة ، واستغلها فى اتهام الاسلام بالطبقية المتعسفة، وكان لهذا الافتراء الخبيث اثره فيمن لا يعرفون الاسلام من اهله وغير اهله ، وما زال هذا دأب الصهيونية والاستعمار فىتحالفهما الشرير الى يومنا هذا ، ينسجون به المؤامرات والثورات الانفصالية المضادة لنهضات التحرر فى الدول حديثة العهد بالاستقلال ! ..

ولا شىء هو اكثر تضليلا ، وكذبا على الاسلام ، من هذا الاتهام المسموم ، فالنص القرانى — كما اوردنا — قاطع بان الناسجميعا سواء فى الخلق ، واكفاء فى حق الحياة ، وميزان تفاضلهم هو التقوى بكل مشتقاتها من الخير وصالحات الاعمال ، وقد استعلن الاسلام بهذه الحقيقة فى وجه جاهلية صماء عاتية كان تركيبها الاجتماعى مثقلا بميراث طبقى جائر من اظهر معالمه الرق ؟!

ومن المحقق تاريخيا ان الرق ، قبل الاسلام ، كان فاشيا ، ضاربا جذوره فى اعماق المجتمعات البشرية قاطبة ، لا فى جزيرة العرب وحدها ، ففى كل مواطن العالم الكبير ، كان منالرسوخ والتمكن فى حياة الناس بحيث صار فيهم شيئا لا غناء عنه ، ولافكاك منه ، بل بلغ عند كثير من الشعوب حد التقديس باعتبارهم اياه اصلا من اصول العقيدة الدينية ، وعنصرا من عناصر الفلسفة العلمية والاجتماعية ، فعلى هذا كان اليهود والاغريق والرومان ، واهل القارة الاوربية جميعا ، قبل الاسلام ، وبعده ، تطفح حياتهم بالرق فى اقسى وازرى مظاهره ! ..

كانوا يسرفون على الارقاء باشق الاعمال وافدحها ، ويتكسبون بعرقهم فى اعمال الاخرين لقاء اجور يقبضها السادة ، وليس للعبيد سوى الحرمان والهوان ؟

وفى الساحات العامة كانوا يقذفون بهم الى الوحوش الكواسر بعد تجويعها فلا تلبث ان تفتك بهم فتكا مروعا ، بينجلجلةالتصفيق من جماهير السادة والنظارة ، وهتافات اعجابهم وابتهاجهم ؟!

ولشيوع الرق حينذاك كانت له اسواق ومصافق وتجارات رابحة ؟ !

وربما كان هذا العامل (المادى) هو الذى جعل العبرانيين (بنى اسرائيل) اول من مارسوه ، وتاجروا به ، وكالعهد بهم ، ووفاق طبيعتهم العنصرية ، كانوا لا يسترقون الا الغرباء من غير اليهود ؟ اشباعا لغريزة حقدهم على البشر ، واستعلانا بالامتياز الموهوم الذى افتتنوا به طوال العصور ! ..

لم يكونوا يقنعون باستخدام الارقاء ، مقهورين ، فى أعسر الاعمال واشقها فى المزارع والحفائر ونقل الاثقال ، وانما كانوا ايضا يستغلونهم استغلالا شائنا فى حانات الخمور .

واندفاعا مع هذه الغريزة الاستغلالية المتحللة من قيود الشرف والفضيلة ، كانوا يثيرون العداوات ويشعلون الحروب ، ويرافقون الجيوش ، يقدمون الاسلحة ويشترون الاسرى ثم يبيعونهم فى اسواق النخاسة بالربح الفاحش ؟ ! كانوا هكذا فى حروب الروم والفرس ، وفى حروب القوط (الاسبان) مع مسلمى

دين التوحيد والمساواة

الاندلس ، وكذلك كانوا ــ بصورة او اخرى ــ فى الحروب الاقليمية ، والعالمية الى اليوم ؟

وقد تغيرت العهود وتناسخت القرون ، والغى الرق بقوانين دولية ولكن هؤلاء اليهود ، ومن يسلكون مسلكهم من دول الاستعمار ، مازالوا مسترسلين فيه باساليب اشد توحشا ، فهم فى فلسطين مثلا وعلى مشهد من العالم كله ، يمارسون رقا دمويا وجماعيا ، وامريكا التى تشد على ايديهم وتؤزرهم فى اذلال وابادة الشعب العربى هناك ، هى نفسها قد قامت ، كدولة ، على اساس الرق موسعا وفظيعا فى صورتين ، الاولى ، ابادة الهنود الحمر اصحاب البلاد ، واغتصاب ارضهم واتخاذها وطنا جديدا لعصابات من المغامرين المختلفى الاوطان واللغات ، ومنهم تكونت امريكا الدولة الكبرى ذات الخمسين ولاية ، وزعيمة العالم الحر ــ كما يدعون ــ ؟ والصورة الثانية ، اغارة هؤلاء الافاقين المغامرين على بلاد الساحل الافريقى وجمع الملايين من اهلها العزل ، ثم سوقهم مكبلين بالحديد ، وتسخيرهم تحت ضرب السياط ، وطلقات الرصاص ، فى زرع وتعمير الارض المغتصبة ، وبناء المدن والمنشئات والمستعمرات وناطحات السحاب وغيرها ، ، مما لا يخلو واحد منها من عرق ودموع ودماء الملايين من هؤلاء الافريقيين المعذبين ؟!

.. وحتى الان ، وبعد مرور اربعة قرون ، ورغم قانون التحرير الامريكى الصادر فى عهد لنكولن منذ اكثر من مائة عام ، ورغم القوانين الدولية التى الغت الرق وقررت محو الفوارق العنصرية واللونية ، رغم هذا كله ، فان امريكا تحيا الى اليوم حياة التفرقة العنصرية بوجهها القبيح ، فالسود هناك محرومون من المساواة فى الجامعات والمعاهد العلمية ، ممنوعون من استعمال الفنادق والمشارب ، ووسائل النقل التى يستعملها البيض ، ومثل هذا التفريق العنصرى غير الانسانى قائم بصورة انكى واقبح فى بعض الشعوب الافريقية ، المحكومة باقليات بيضاء فى حمى دول الاستعمار الغربى كأمريكا وانجلترا ؟ وهذا هو الرق بعينه فى اشنع صوره واشكاله ؟

اما الاسلام ، فليس من هذا فى شىء قط ؟

لقد كان الرق عند ظهور الاسلام منتشرا ومتمكنا ــ كما قلنا ــ يستقطب أغلب المعاملات والعلاقات بين الناس ، فتقرير هدمه دفعة واحدة ، بالتحريم المطلق ، سيحدث ــ لا محالة ــ تخلخلا كبيرا فى البناء الاجتماعى والاقتصادى ، والارقاء انفسهم سيواجهون بتحريرهم جملة ، حالا جديدة لا يتسق لها المجال المعيشى المستقر والمحدود ، وقد يلقون بذلك ضياعا بضيرهم ويضير المجتمع كله ، وقد حدث ان رجلا اسمه « زنباع » اشتد فى ايذاء فتى يملكه ، فلما علم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بذلك انكره غاضبا ، فاعتق الرجل فتاه من فوره ليرضى الرسول عليه السلام ، غير ان الفتى تساءل حائرا ، فمولى من اذن ؟ فقال رسول الله ، (مولى الله ورسوله) وكفله صلى الله عليه وسلم حرا الى اخر حياته ؟!

وكانت وسائل الاسلام فى التخلص منه تعنى تحريمه وجوبا ، ولكن باسلوب الترغيب ، والاقناع والقدوة ، وبتنمية مشاعر الاخوة الانسانية المتعاطفة فى السادة والمسودين ، حتى يصبحوا جميعا ــ كما قال الرسول عليه السلام ــ اخوانا يتقاسمون الحياة مطعما وملبسا واعمالا وآدابا ، فى محبة خالصة ومشاركة عادلة .

ولهذا المعنى ، وبهذا الاسلوب ، افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حياته النبوية بعملين يخالفان اعتى تقاليد قومه ، بادئا فيهما بنفسه .

الاول : ان قريشا كانت ابتدعت تقليدا طبقيا ، يتميزون به من العرب فى شعائر الحج ، فكانوا لا يقفون على عرفات ولا يفيضون منه ، مثلما يفعل العرب ، فلم يرض رسول الله عن هذا التمييز ، وجهر بانكاره ، وتقدم فوقف على عرفات وافاض منه مع الناس ، ونزل الوحى مؤيدا ذلك بقول الله تعالى : (ثم افيضوا من حيث افاض الناس واستغفروا الله ان الله غفور رحيم ــ ١٩٩ من سورة البقرة) ؟ ..

والثانى : كانت زوجته السيدة خديجة تملك الفتى زيد بن حارثة ، فاستوهبها اياه ، ثم اعتقه وتبناه ، فلما بلغ مبلغ الرجال خطب له زينب بنت جحش بنت عمته اميمة وكانت من اجل واشرف بنات بنى هاشم ، وكان مثل هذا الزواج محظورا بالتقاليد ، فانهم ما كانوا ليزوجون بناتهم (الحرائر) من الارقاء حتى لو اعتقوا واصبحوا احرارا ! .. ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم انفذ هذا الزواج ــ غير المتكافىء فى تقاليد قومه ــ ضاربا به اول معول فى ركن عتيد من اركان الفوارق الطبقية ، ومحققا به اول مظهر من مظاهر المساواة بين الناس ، سادة وارقاء ! ..

ومما يجمل ذكره هنا ان زيدا هذا صار بطلا من ابطال الاسلام الخالدين ، صحب رسول الله فى اشد احوال الدعوة خطرا ومعاناة ، وشهد المشاهد كلها ، واقامه الرسول عليه السلام اميرا على كثير من السرايا وجيوش الجهاد ، وقد استشهد وهو امير على جيش المسلمين فى « مؤتة » وكان تحت امرته فيها جعفر بن ابى طالب ، وعبد الله بن رواحه ، وخالد بن الوليد ، وثلاثتهم من سادة العرب ومن ابطالهم المقدمين ؟ !

وكان اسامة بن زيد بالموضع الاثير من رسول الله بعد ابيه ، وقد عقد له على الجيوش ، واقامه وهو ابن ثمانى عشرة سنة اميرا على جيش المسلمين لمقاتلة الروم ، وفى هذا الجيش (سروات الناس وخيارهم وفيهم ابو بكر وعمر) ؟

وامتدت هذه الرعاية بالارقاء والموالى والضعفاء ، فشملت الكثيرين ورفعت الاكفاء منهم من حضيض الرق وذله ، الى سنام البطولة والتكريم ، ومنهم : عمار بن ياسر مولى بنى مخزوم ، وبلال ابن رياح مولى بنى جمح ، وخباب بن الارت مولى ام انمار ، وعبد الله بن مسعود مولى عقبة بن ابى معيط ، وسلمان الفارسى من موالى يهود بنى قريظة ، وصهيب بن سنان الرومى مولى عبد الله بن جدعان ، وسالم مولى أبى حذيفة وامثالهم كثير ..

فهؤلاء ــ على سبيل المثال لا الحصر ــ كانوا ارقاء ، ومن اوطان وجنسيات متعددة ، وذوى الوان مختلفة ، فلما اظلهم الاسلام ، تحرروا وكانوا فيه بصدق ايمانهم ، ابطال جهاد ، وائمة وولاة امصار !

وقد بلغوا من جلال الموضع فى المجتمع الاسلامى ، ان امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه اقام عمار بن ياسر وعبدالله ابن مسعود على امر العراق ، وكتب لاهل الكوفة يقول : (بعثت اليكم عمار بن ياسر أميرا وعبد الله بن مسعود معلما ووزيرا ، وقد جعلت ابن مسعود على بيت مالكم ، وانهما لمن النجباء من اصحاب محمد من اهل بدر ، فاسمعوا لهما واطيعوا واقتدوا بهما الخ) .

ويروى ان المهاجرين الاولين من مكة الى المدينة ، نزلوا بالقصبة الى جانب قباء ، فأمهم فى الصلاة سالم مولى ابى حذيفة وفيهم عمر بن الخطاب وابو سلمة بن عبد الاسد . (ويلاحظ هنا ان هذه التقدمة لسالم كانت فى فجر الاسلام وقبل هجرة الرسول الى المدينة : ويدل هذا على ان الاسلام قد كرم الارقاء وآخى بينهم وبين الاشراف والسادة بل وقدمهم عليهم فى مثل هذه الحالة ، فى وقت مبكر جدا) ..

وعند ما كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يوصى باختيار

من أخلاق القرآن

الفتوة

الدكتور أحمد الشرباصي

كلمة « الفتوة » فى الاصل تفيد معنى الشباب والحداثة ، والشاب الحديث السن يسمى « فتى » ولكن كلمة « الفتوة » كسبت فى الاستعمال معانى أخلاقية كثيرة ، فجاء فى القاموس أن الفتوة هى الكرم : وأن الفتى هو السخى الكريم ، وجاء فى « اساس البلاغة » ان الفتوة هى الحرية والكرم ، كما جاء فى المعاجم غير هذه المعانى ، ونستطيع ان نقول ان كلمة « الفتوة » توحى فى مدلولها العام بمعنى القوة الحسية والقوة النفسية .

وقد توسع بعض علماء الاخلاق فى الاسلام فى تصور المراد من فضيلة « الفتوة » فذكروا انها هى التى يعبر عنها بكلمة « مكارم الاخلاق » ، وجمعوا بينها وبين الحديث الشريف القائل : **ان الله بعثنى لاتمم مكارم الاخلاق ، ومحاسن الافعال »** . ولعل هذا هو السر فى أن الاخلاقيين قالوا فى تعريف الفتوة انها استعمال الاخلاق الكريمة مع الناس ، وكف الاذى عنهم ، واحتمال الاذى منهم ، وقال الفضيل بن عياض ان الفتوة هى الصفح عن عثرات الاخوان ، وقال الحارث المحاسبى ان **الفتوة ان تنصف غيرك ولا تنتصف من غيرك** ، وقال الجنيد : **الفتوة كف الاذى وبذل الندى** ، وقال الهروى : نكتة الفتوة الا تشهد لك فضلا ، ولا ترى لك حقا ، الى غير ذلك من التعريفات التى جالت بكلمة « الفتوة » فى معانى كثيرة من رياض المكارم والفضائل ، حيث ابانوا ان الفتوة تدعو الى نبل التصرف ، والترفع عن الصغائر ، والتصون من الدنايا ، والسماحة فى المعاملة ، والتنزة عما يستحى منه الكريم ، حتى قال ابو حفص النيسابورى : ؟ من يرى الفتيان ولا تستحى منهم فى شمائله وافعائه فهو فتى » . ولا يراد بعدم الاستيحاء هنا الجراة او الوقاحة أو قلة المبالاة بالذنب . وانما يراد به ان الانسان لا يرتكب اى شىء معيب يستحيى منه ، وعلى هذا الوجه فسر بعض العلماء حديث رسول الله عليه الصلاة والسلام : « **اذا لم تستح فاصنع ما شئت** » .

كما ان عدم الاستحياء ههنا لا يعنى ضعفا او هوانا ، لان من أعلام الاخلاقيين من أخبرنا بشعره ان الفتوة ثبات واطمئنان ، وقوة وعزيمة ، فقال :

أن الفتوة ما ينفك صاحبها
مقدما عند رب الناس والناس
ان الفتى له الايثار تحلية
فحيث كان فمحمول على الراس
ما ان تزلزله الاهوا بقوتها
لكونه ثابتا كالراسخ الراسى
لا حزن يحكمه لاخوف يشغله
عن المكارم حال الحرب والباس

واذا كان العلماء قد فرقوا بين « الفتوة » و « المروءة » بأن المروءة اعم من الفتوة ، وان الفتوة نوع خاص من المروءة ، فكل فتوة تعد مروءة ، ولا تعد كل مروءة فتوة ، فان صاحب فضيلة الفتوة لا يصدق فى تحليه بها الا اذا عبر اليها ميدان المروءة الواسع ، وهذا هو ابن القيم يقرر ان المروءة هى استعمال كل خلق

حسن ، واجتناب كل خلق قبيح ، وحقيقتها تجنب الرذائل والدنايا من الاقوال والاخلاق والاعمال ، **فمروءة اللسان حلاوته وطيبه ولينه واجتناء الثمار منه بسهولة ويسر ، ومروءة المال الاصابة ببذله مواقعه المحمودة عقلا وعرفاوشرعا ،ومروءة الجاه أن يخدم به المحتاج اليه ، ومروءة الاحسان تعجيله وتيسيره ٠**

وأما مروءة الترك فترك الخصام والمماراة ، مع تغافل عن عثرات الناس ، والتوقير للكبير ، وحفظ وحرمة النظير ، ورعاية حق الصغير ٠

ويرى ابن القيم أيضا ان المروءة لها ثلاث درجات ، فمروءة الانسان مع نفسه أن يحملها على مايزين ويفصلها عما يشين ، فى سره وجهره ، ومروءته مع الناس أن يحسن معاملتهم ، ويتجنب معهم مالا يحب ان يعاملوه به ، **ومروءته مع الله تعالى أن يستحيى من نظره اليه ومراقبته له ٠** وفى ضوء هذا البيان يسهل علينا ان نعرف لماذا يقرر اهل التصوف ان الفتوة نتيجة وثمرة لحسن الخلق ٠

وهناك طائفة من الصوفية يتجه اهلها بالفتوة الى معنى محاربة النفس ، ومخاصمتها فى سبيل ارضاء الله عز وجل ، ولعل هذا هو معنى قول محمد بن على الترمذى : « الفتوة ان تكون خصما لربك على نفسك » ٠ حتى عبر بعضهم عن هذه النفس الامارة بالسوء بكلمة « الصنم » . فقال ان **الفتوة هى ان تكسر الصنم الذى بينك وبين ربك ، وهو نفسك ،** ويذكر هذا البعض ان ابراهيم عليه السلام كان خليل الرحمن حين كسر الاصنام وجعلها جذاذا كما يقص القرآن الكريم ، وكان هذا هو ما عناه بعضهم حين قال : ان الفتوة فضيلة تأتيها ولا ترى نفسك فيها ٠

● ● ●

ولقد ذكر القرآن الكريم مادة الفتوة فى جملة **مواطن ٠** ولعل أقرب هذه المواطن الى خلق « الفتوة » هو ما ذكره الله تبارك وتعالى فى سورة الكهف عن أهل الكهف حيث قال سبحانه : « **نحن نقص عليك نبأهم بالحق ، انهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى : وربطنا على قلوبهم اذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والارض ، لن ندعو من دونه الها ، لقد قلنا اذن شططا** » ٠

وفى هذه الكلمات الالهية ذكر القرآن المجيد لهذه المجموعة الكريمة طائفة من الصفات ، فهم جماعة من الشبان آمنوا بالله عز وجل ، وقرنوا هذا الايمان بالعمل المتواصل ، فزادهم الله هداية وتوفيقا ، وثبتت قلوبهم على الحق ، فكأنها مربوطة به لاتفارقه ولا تخالفه ، وهم قد قاموا بالدعوة الى الصراط المستقيم ، عن طريق جهرهم بكلمة التوحيد وعقيدة الالوهية لرب السموات والارض ، مع عدم الاشراك به ٠

وقد أخبر القرآن الكريم قبل هذه الكلمات الالهية بأن هذه المجموعة قد هاجرت فى سبيل عقيدتها ودينها ، وضحت بالمقام فى دارها وبين اهلها ، وآثروا الحق على الباطل ، ورجوا من الله الرشاد والهداية ، فقال : « **اذ أوى الفتية الى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيىء لنا من امرنا رشدا** » .

وقد يقال ان حديث القرآن المجيد عن مادة الفتوة لا يظهر فيه التصريح بمعنى المدح ٠ الا فى سورة الكهف ، فى الايات السابقة ، ولكن هذا لا يمنع القول بأن المواطن التى جاء فيها ذكر مادة الفتوة فى القرآن الكريم ، توحى بطريق الرمز أو الاشارة بأن الفتوة القويمة من شأنها ان تكون محمودة ، وفوق هذا لم يذكر القرآن مادة الفتوة فى اى موطن بعيب ٠ لقد جاء ذكر ابراهيم موصوفا بأنه فتى فى قوله تعالى : « **قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم** » ٠ وابراهيم هو ابو الانبياء وخليل الرحمن عليه السلام ٠

وجاء فى القرآن الكريم الترغيب فى زواج الفتيات الموصوفات بأنهن مؤمنات ، فقال : **ومن لم يستطع منكم طولا أن ينكح المحصنات المؤمنات فمن ما ملكت أيمانكم من فتياتكم المؤمنات** » . والزواج سنة الاسلام ، والايمان عماد الدين ٠

وجاء فى القرآن وصف يوشع بن نون تلميذ موسى أو خادمه بانه فتى ، وذلك فى قوله تعالى : « **واذ قال موسى لفتاه لا أبرح حتى ابلغ مجمع البحرين أو أمضى حقبا** » ، وطلب العلم على يد الرسول شرف ، وكذلك العمل فى خدمة الرسول شرف ٠

وجاء فى القرآن ذكر النساء اللواتى يردن التحصن بأنهن فتيات ، فى قوله تعالى : « **ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان اردن تحصنا ، لتبتغوا عرض الحياة الدنيا ، ومن يكرهن فان الله من بعد اكراههن غفور رحيم** » ٠ والتحصن ضد الرذيلة من مكارم الاخلاق وفضائل الخصال ٠

● ● ●

هذا ويقول علماء الاخلاق ان كمال الفتوة لا يكون الا للنبى صلى الله عليه وسلم ، واستدلوا على ذلك بأن كل انسان يقول يوم القيامة : نفسى نفسى ، ولكن النبى وحده صلوات الله وسلامه عليه يقول : أمتى أمتى ٠

ولم ير هؤلاء العلماء بأسا فى أن يطلق على خاتم النبيين لقب « سيد الفتيان » بعد أن استأنسوا لذلك بأن ابراهيم قد ورد وصفه فى القران الكريم بلقب « الفتى » ٠

ومن اروع الوصايا التى يؤدى التزامها الى التحلى بفضيلة « الفتوة » ما جاء منسوبا الى رسول الله عليه الصلاة والسلام ، وفيه قوله : « **أوصانى ربى بتسع اوصيكم بها : اوصانى بالاخلاص فى السر والعلانية ، والعدل فى الرضا والغضب ، والقصد فى الغنى والفقر ، وأن أعطى من حرمنى ، وأصل من قطعنى ، واعفو عمن ظلمنى ، وأن يكون نطقى ذكرا ، وصمتى فكرا ، ونظرى عبرا** » ٠

والكثير من اعلام الصوفية قد وصفتهم سيرهم بأنهم من أهل الفتوة ، وكثير منهم قد تحدثوا عن معانى الفتوة ومقوماتها ، وممن أكثروا الكلام فى هذا الباب هؤلاء الاعلام : جعفر بن محمد ، والفضيل بن عياض، واحمد بن حنبل ، وسهل بن عبد الله التسترى ، والجنيد ، وحاتم الاصم وغيرهم ،

وخير الفتيان هو من يفقه الفتوة فيحسن تصويرها والتعبير عنها ، ثم يحسن التزامها والعمل بما يوائمها ، فهذا هو الامام جعفر محمد الصادق ، **يسأله سائل عن الفتوة** ، فيقول للسائل : **ما تقول انت ؟**

قال : **أن اعطيت شكرت ، وان منعت صبرت .**

فقال الامام : **الكلاب عندنا كذلك .**

فقال السائل : يا ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، **فما الفتوة عندكم ؟ .**

قال : **ان اعطينا آثرنا ، وان منعنا شكرنا .**

وكذلك اقبل « عنوان البصرى » على الامام جعفر الصادق وسأله مرة بعد مرة أن يوصيه بوصية تضمنت المثل الاعلى لاهل الفتوة ، قال له :

« اوصيك بتسعة اشياء ، فانها وصيتى لمن يريد الطريق الى الله تعالى ، والله أسأل ان يوفقك : ثلاثة فى رياضة النفس ، وثلاثة فى الحلم ، وثلاثة فى العلم ، **فأما اللواتى فى الرياضة فاياك ان تأكل مالا تشتهيه فانه يورث الحماقة والبلة ، ولا تأكل الا عند الجوع ، واذا اكلت فكل حلالا ، فان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ماملأ آدمى وعاء شرا من بطنه ، فان كان ولابد فثلث لطعامه ، وثلث لشرابه ، وثلث لنفسه » .**

وأما اللواتى هن فى الحلم ، فمن قال لك : ان قلت واحدة سمعت عشرا ، فقل له : ان قلت عشرا لم تسمع واحدة ، ومن شتمك فقل : ان كنت صادقا فأسأل الله ان يغفر لى ، وان كنت كاذبا فأسأل الله ان يغفر لك ، ومن توعدك فعده بالنصيحة والدعاء .

وأما اللواتى فى العلم فأسأل العلماء ما جهلت ، واياك ان تسألهم تعنتا وتجربة ، واياك ان تعمل برأيك وخذ بالاحتياط فى جميع ما تجد الله سبيلا ، واهرب من الفتيا هربك من الاسد ، ولا تجعل رقبتك فى الناس جسرا »

وكذلك قال الامام : « **الفتى المؤمن اذا غضب لم يخرجه غضبه عن حق ، واذا رضى لم يدخله رضاه فى باطل** » .

ولم يكتف الامام بالقول عن الفتوة وادابها ، بل ضرب امثلة فى الفتوة تعز على طلاب المكارم ، فقد روى التاريخ ان رجلا كان على سفر ، وكان معه الف دينار ، فادركه النوم فنام ، فلما استيقظ لم يجد النقود معه ، ففزع ، ورأى على مقربة منه جعفر رضى الله عنه ، فتعلق به واتهمه بسرقة النقود ، فاخذه الامام الى داره ، واعطاه الف دينار ، وبعد حين وجد الرجل نقوده ، فذهب الى جعفر معتذرا ، وقدم اليه ماله ، فرفض جعفر ان يأخذ المال وقال : شىء اخرجته من يدى لا استرده ابدا . وقد نوه بهذا الموقف الامام ابن القيم واثنى عليه .

علي بن أبي طالب

القاضي والمفتي

المستشار عبد الستار آدم

فتواه فى الطلاق المعلق

الطلاق فى اصطلاح فقهاء المسلمين : هو رفع قيد الزواج الصحيح فى الحال او المآل بلفظ يفيد ذلك صراحة أو كناية أو بما يقوم مقام اللفظ من الكتابة والاشارة .

والاصل فى الطلاق انه ممنوع ومحظور .. وانما أبيح عند الحاجة ووجود سبب من الاسباب الباعثة على الفرقة بين الزوجين .. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« أبغض الحلال الى الله الطلاق »

والطلاق ، فى الكثير الغالب ، يكون منجزا .. كان يقول الزوج لزوجته : طلقتك .. أو أنت طالق أو مطلقة ، بفتح الطاء وتشديد اللام ، أو يقول لها : أنت محرمة .. او انت على حرام — ان كان عرف الناس جاريا على أنهم يستعملون هـذه الالفاظ التى ليست من مادة الطلاق للدلالة على ايقاع الطلاق —

وهذا الطلاق المنجز يقع فى الحال .. وفقط يشترط فى اللفظ الا يكون معلقا على مشيئة الله سبحانه وتعالى . فاذا قال الزوج لزوجته : أنت طالق ان شاء الله : فلا يقع الطلاق ، لانه علق على شىء لا يعلم وجوده .. ويقول الفقهاء انه يشترط فى هذه الحالة أن يكون قوله « ان شاء الله » مسموعا

وكما يكون الطلاق منجزا قد يكون مضافا الى زمن مستقبل وقد يكون معلقا .

والطـلاق المضـاف الى زمن مستقبل هو مـا كانت صيغتـه مضافة الى زمن مستقبل وقصد به وقوع الطلاق عند حلول الزمن الذى أضيف اليه الطلاق . كما اذا قال الرجل لزوجته : انت طالق غدا او بعد اسبوع أو فى أول الشهر القادم .. وهذا الطلاق يقع عند مجىء الزمن الذى اضيف اليه ولا يقع قبل ذلك

والطلاق المعلق : هو ما رتب وقوعه على حصول أمر فى المستقبل بأداة من أدوات الشرط مثل : ان واذا ونحوهما ، سواء أكان هذا الامر للزوج أم للزوجة أم لغيرهما أم كان امرا من الامور التى لا دخل لاحد من الناس فيه .. كان يقول الزوج لامراته : ان خرجت من البيت بغير اذنى فانت طالق .. أو يقول ان دخلت انا دار فلان فزوجتى طالق .. أو يقول لشخص ثالث ان سافرت اليوم فامراتى طالق .. أو يقول لزوجته : أنت طالق ان مات ابوك .

ويشترط فى الطلاق المعلق أن يكون التعليق حقيقيا ، بأن يكون الامر الذى علق عليه الطلاق يحتمل وقوعه فى المستقبل وعدم وقوعه ، أى يصح أن يوجد فى المستقبل وألا يوجد .. فان كان الامر الذى علق عليه الطلاق أمرا يستحيل وقوعه فى المستقبل كما اذا قال لزوجته : ان دخل الجمل فى ثقب الابرة فأنت طالق أو أن وقعت السماء على الارض فأنت مطلقة .. فهذا التعليق لغو لا يقع به الطلاق أصلا .

والطلاق المعلق هو موضوع مقال اليوم لنعرف فيه رأى أمير المؤمنين على بن أبى طالب ، رضى الله عنه ، ورأى فقهـاء المسلمين .. وما يجرى عليه العمل الان .

روى أن رجلا تزوج امرأة وشرط لها ان هو تزوج امرأة اخرى وهجرها أو اتخذ عليها سرية انها طالق وأمرها بيدها .. ولما استفتى الامام على ، كرم الله وجهه ، فى ذلك قال : ان شرط الله قبل شرطهما . فان شاء وفى بالشرط وان شاء امسكها واتخذ عليها ونكح .

وفى رواية اخرى انه ، رضى الله عنه ، قال للزوج : « وليت الحق من ليس بأهله »

ورأى الامام فى هذه المسألة واضح ، وهو أن هذا الطلاق المعلق لا يقع .

والثابت أن تعليق الطلاق والحلف به لم يكن معروفا فى عهد النبى ، صلى الله عليه وسلم ، وكذلك فى عهد الصحابة ، رضوان الله عليهم أجمعين .

ويرى بعض فقهاء المسلمين ، ومنهم ابن حزم ، ان الطلاق المعلق لا يقع به شىء .

اما مذهب جمهور أولئك الفقهاء ، ومنهم الائمة الاربعة مالك والشافعى وأبو حنيفة وابن حنبل ، ان الطلاق المعلق يقع عند حصول الامر الذى علق عليه .

ويذهب ابن تيمية وتلميذه ابن القيم الجوزى الى شىء من التفصيل فيقولان أن الطلاق المعلق الذى بمعنى اليمين لايقع وتجب كفارة اليمين اذا حصل المحلوف عليه — المعلق عليه الطلاق — لحنثه فى يمينه ، وأما الطلاق المعلق الذى على الصفة فانه يقع عند حصول الامر الذى علق عليه الطلاق .

ويقول السيد الاستاذ عمر عبد الله ، رئيس القسم الشرعى ووكيل كلية الحقوق بجامعة الاسكندرية سابقا ، فى كتابه « احكام الشريعة الاسلامية فى الاحوال الشخصية » .

« ان منشأ اختلاف الفقهاء فى مسألة الطلاق المعلق عـدم وجود نص لا فى الكتاب ولا فى السنة . فكل فريق قال بما أدى اليه اجتهاده معتمدا على القياس فى الاستدلال لكون المسألة من المسائل الاجتهادية التى لم يرد فيها نص من الشارع » [راجع الكتاب المذكور الطبعة الرابعة ص ٤٢٥] .

أما ما يجرى عليه العمل الان فهو ما تضمنته المادة الثـانية من القانون رقم ٢٥ لسـنة ١٩٢٩ — ببعض أحـكام الاحوال الشخصية — ونصها :

« لا يقع الطلاق غير المنجز اذا قصد به الحمل على فعل شىء أو تركه لا غير » .

وتطبيقا لهذا النص فان حكم الطلاق المعلق يختلف باختـلاف غرض المتكلم وقصده .. فان كان قصده من تعليق الطلاق على أمر مستقبل وقوع الطلاق عند حدوث الامر المعلق عليه وقع الطلاق عند حصول ما علق عليه ، معاملة له بقصده ، لانه لايريد المقام مع زوجته عند حصول الشىء الذى علق عليه الطلاق .. وان كان غرض المتكلم بالتعليق التخويف والحمل على فعل شىء أو تركه ، وهو يكره الطلاق ولا يريده عند حصول الشىء المعلق عليه ، فلا يقع الطلاق عند حصوله . لان التعليق فى هذه الحالة يكون فى معنى اليمين بالطلاق .. واليمين بالطلاق لغو لايقع به شىء . وكذلك الطلاق المعلق الذى فى معنى اليمين بالطلاق .. فلو قال الرجل لزوجته : « ان دخلت دار جارنا فأنت طالق » ويريد بذلك أن يقع الطلاق عند دخولها هذه الدار .. فان دخلتها وقع الطلاق بمجرد دخولها .. أما اذا كان قصده تخويف زوجته وحملها على عدم دخول هذه الدار فان الطلاق لا يقع عند دخولها

وقد جاء فى المذكرة الايضاحية للقانون رقم ٢٥ لسنة ١٩٢٩،

المشار اليه بشأن المادة الثانية التى تضمنت هذا الحكم : « ان المشرع اخذ فى الغاء اليمين بالطلاق برأى بعض فقهاء الحنفية والشافعية والمالكية وانه أخذ فى الغاء الطلاق المعلق الذى فى معنى اليمين برأى الامام على بن أبى طالب وشريح القاضى وداود الظاهرى واصحابه » .

وبذلك يكون القانون المشار اليه ، كما ورد فى مذكرته الايضاحية قد أخذ فى عدم وقوع الطلاق المعلق الذى فى معنى اليمين برأى الامام على ، كرم الله وجهه ، وهو الرأى السابق الاشارة اليه فى صدر هذا المقال .

وكان الرأى المعمول به قبل صدور القانون السالف الذكر هو رأى جمهور الفقهاء ومنهم فقهاء الحنفية الذين يرون وقوع الطلاق المعلق عند حصول ما علق عليه وكذلك وقوع الطلاق الذى بصيغة اليمين وذلك بالتطبيق للمادة ٢٨٠ من لائحة ترتيب المحاكم الشرعية الصادر بها المرسوم بقانون ٧٨ لسنة ١٩٣١ — والتى لايزال معمولا بها بعد الغاء المحاكم الشرعية والمجالس الملية بالقانون رقم ٤٦٢ لسنة ١٩٥٩ — وتنص هذه المادة على أن تصدر الاحكام طبقا للمدون باللائحة ولارجح الاقوال من مذهب أبى حنيفة ، رضى الله عنه .

وغنى عن البيان انه اذا اختلف الزوجان ، فى أن الزوج قصد الطلاق بالتعليق أم أنه لم يقصده وانما قصد التهديد والتخويف أو الحمل على فعل شىء أو الامتناع عنه ، اذا اختلف الزوجان فى ذلك فان القول قول الزوج بيمينه . فان حلف اليمين على أنه لم يقصد الطلاق ، بل قصد التهديد والتخويف أو الحمل على فعل شىء أو الامتناع عنه ، فلا يقع الطلاق .. واذا نكل الزوج عن اليمين وقع الطلاق .

وغنى عن البيان كذلك أنه يشترط لوقوع الطلاق عند حصول الامر المعلق عليه اذا أراد الزوج بتعليقه الطلاق وقوعه — كما يشترط فى وقوع الطلاق المضاف عند حلول الزمن الذى أضيف اليه الطلاق — يشترط لذلك أن تكون المرأة محلا لوقوع الطلاق عليها عند حصول ما علق عليه الطلاق أو عند حلول الزمن الذى اضيف اليه الطلاق .. وتكون المرأة محلا لوقوع الطلاق عليها اذا كانت زوجة حقيقة أو حكما بأن كانت لاتزال فى العدة من طلاق غير مكمل للثلاث .

يراجع فى كل ما تقدم :

١ — كتاب « عجائب احكام وقضايا ومسائل أمير المؤمنين على بن أبى طالب » جمع السيد محسن الامين ، الطبعة الاولى دمشق سنة ١٩٤٧ .

٢ — كتاب «أحكام الشريعة الاسلامية فى الاحوال الشخصية» تأليف السيد الاستاذ عمر عبد الله رئيس القسم الشرعى ووكيل كلية الحقوق بجامعة الاسكندرية سابقا ، الطبعة الرابعة سنة ١٩٦٤ .

٣ — القانون رقم ٢٥ لسنة ١٩٢٩ - ببعض أحكام الاحوال الشخصية — ومذكرته الايضاحية .

والى الاعداد القادمة لاقدم بعضا آخر من فتاوى وآراء ومسائل الامام على بن أبى طالب ، كرم الله وجهه

والله ولى التوفيق والسداد

بقية مقال « الاسلام دين التوحيد والمساواة »

خليفته وهو مطعون قال ، لو كان سالم مولى ابى حذيفة حيا لعهدت اليه بالخلافة لا اوثر عليه احدا ؟ ..

وقد كان فرض الصلاة فى الاسلام خمس مرات كل يوم ،والحج الى بيت الله الحرام مرة كل عام ، اذانا سماويا بزوال الفوارق ، وتنظيما معلنا لاجتماع الناس ومساواتهم ، لا فرق فى صفوف الصلاة وتجمعات الحجيج ، بين كبير وصغير ، وسيد ومسود ، فالكل سواء بين يدى الله ،ومجرد استشعار هذا المعنى بالعقل والقلب ، وبالممارسة المتكررة ، يقرر حقا ثابتا ، ونظاما مشروعا ، حتى ولو لم يكن هناك نص مكتوب ، وواجب مسطور .

وقد استحدث الاسلام للعتق وتحرير الرقاب منافذ كثيرة ،منها فى قول الله تعالى : —

[فلا اقتحم العقبة ، وما أدراك ما العقبة ، فك رقبة — الآيات ١١ — ١٣ سورة البلد) . (والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة من قبل ان يتماسا — ٣ المجادلة] و [لا يؤاخذكم الله باللغو فى ايمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان فكفارته اطعام عشرة مساكين من اوسط ما تطعمون اهليكم او كسوتهم او تحرير رقبة — ٨٩ المائدة) و (ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة — ٩٢ النساء] و [انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب — ٦٠ التوبة) .

الى غير ذلك من الايات القرآنية الكريمة التى جعلت من تحرير الرقاب كفارة لكثير من الخطايا والذنوب ، وقد وضح ان الاسلام لايكتفى بدعوة المسلمين ، افرادا ، لتحرير الرقيق ، بلجعل منها ايضا مصرفا من مصارف الزكاة العامة ، بأن يشترى ولى الامر من مال الزكاة عبيدا ويعتقهم ؟ .

ومن مواقف النهى عن الرق فى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قوله فى احاديثه الشريفة .

(من اعتق رقبة مؤمنة اعتق بكل عضو منها عضوا منه من النار) (اتقوا الله فيما ملكت ايمانكم .. اتقوا اللهفى الضعيفين، المملوك والمرأة) .

(ايها الناس ان ربكم واحد وان اباكم واحد ، كلكم لادم وادم من تراب : ان أكرمكم عند الله اتقاكم) .

(يا بنى هاشم ، لا يجئنى الناس باعمالهم ،وتجيئونى بانسابكم، فلا فضل لعربى على عجمى ، ولا لابيض على اسود الا بالتقوى والعمل الصالح) .

وجاءه البراء بن عازب فسأله ان يدله على عمل يقربه من الجنة ويبعده عن النار ، فقال له : (اعتق النسمة ، وفك الرقبة) فقال البراء : يا رسول الله ، اليسا واحدا ؟ قال : (لا. عتق النسمة ان تنفرد بعتقها ، وفك الرقبة ان تعين فى ثمنها ..) . الخ ..

والحديث فى هذا طويل ، فحسبنا ما قدمنا منه ، دليلا على ان الاسلام قد نهى عن الرق والعنصرية ، وفتح الابواب والمنافذ الكثيرة للتخلص منهما ، وقرر المساواة والمؤاخاة بين البشر(عمليا) قبل ان تقررهما فرنسا (نظريا) سنة ١٧٨٩ م . وقبل ان يقرر مؤتمر فينا الدولى سنة ١٨١٥ م تحريم الاتجار بالرقيق (ولم يقل تحريم الرقيق) اى بعد الاسلام باثنى عشر قرنا ؟

وغنى عن البيان ان هذه القرارات الدولية المتأخرة : وما قد تلاها من قرارات وقوانين لهيئة الامم المتحدة ، فى تأكيد حقوق الفرد والامة ، وكفالة الحريات الخاصة والعامة ، كل هذه القرارات لم تزد على كونها مكتوبة بلا حركة ولا حياة فالعالم من سائر اقطاره يشقى بالرق امما واوطانا تحت سيطرة القوى الاستعمارية والصهيونية ..

فليس من سبيل لسلامة المسلمين وحماية اوطانهم ،والحفاظ على حرياتهم ومقدساتهم : خلال هذه الامواج المتدافعة من العدوان والمؤامرات ، الا ان يتلاقوا صفا تحت راية دينهم ، ويتواصلوا على ضوء تعاليمه ، وهدى شريعته ، مجاهدين جهاد اسلافهم : وان لهم بذلك — وليس بغيره — النصر والغلب ، والعزة والكرامة ، فذلك وعد الله لا يخلف الله وعده .

(وعد الله الذين آمنوا منكم ، وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الارض ، كما استخلف الذين من قبلهم ، وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم ، وليبدلنهم منبعد خوفهم امنا — ٥٥ من سورة النور)

وصدق الله العظيم .

الرسول القائد

لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا

صدق الله العظيم

الأستاذ رجائى عطية

القيادة لازمة لكلّ جماعة .. اجتماعية كانت أم سياسية أم عسكرية ٠٠ بدونها لايستقيم ٠ ولا يمكن أن يستقيم ٠٠ أمر الناس

يقول أندريه موروا : « بغير قيادة لا يكون عمل عسكرى ، ولا تكون حياة وطنية ، ولا حياة اجتماعية » ٠

وقد كان المصطفى عليه الصلاة والسلام ٠٠ الرسول القائد الذى اجتمعت له كل أسباب القيادة وخصالها ٠٠ سباقا الى ادراك هذه الحقيقة ، وسبر وزنها فى انتظام أمر الجماعات البشرية على اختلاف منازعها .. فكان دوما يوصى المسلمين بقوله :

« اذا كنتم ثلاثة فأمرو أحدكم ٠ »

« كلكم راع ، وكلكم مسئول عن رعيته » .

وفى هذين الحديثين الشريفين تتبدى اهمية القيادة وثقلها فى أى مرتبة من مراتبها ٠٠ ودرجة من درجاتها ٠٠ ويتجلى عظم شأن القائد ٠٠ كل قائد ٠ كبيرا كان أم صغيرا

واذا كان هذا هو شأن القيادة على التعميم ٠٠ فان خطرها فى المجال العسكرى أشد وأعظم ٠٠ وليس من شك أن القيادة الرشيدة الواعية فى المعارك ٠٠ دفاعية أم هجومية ٠٠ هى دعامة قوية من دعائم النصر ٠٠ وقد دعى ذلك قائدا عسكريا فذا كنابليون بونابرت الى ان يقول :

« ان وظيفة القائد العام دقيقة وخطيرة ٠٠ فاقل خطأ قد يودى بحياة الملايين من البشر » .

« لا يوجد جندى ردىء ، بل يوجد قائد ردىء ٠ »

والحق أن المصطفى عليه الصلاة والسلام كان للمؤمنين برسالته خير قائد ٠٠ فى المجال الاجتماعى .. والسياسى .. والعسكرى . وكان توفيقه وسداده فيما قاده من الغزوات، وفى اختياره الصادق لمن كان يعهد اليهم من المسلمين بقيادة سراياه ٠٠ انصع برهان وأقوى دليل على توفر كل صفات القائد الفذ ٠٠ الملهم ٠٠ فيه ٠

كانت حياته عليه الصلوات مليئة بألوان شتى من الجهاد والفداء والتضحية فى سبيل الله ٠٠ ونصرة دينه ٠٠ ورفع كلمة الحق ٠٠ وكان فى جهاده ، وفدائه ، وقيادته للمسلمين ، المثل الاعلى والقدوة الحسنة ٠

كان مثلا وقدوة فى اتباعه للفلسفة القرآنية الحكيمة فى شرعة الجهاد ٠

ومثلا وقدوة فى اعداد المسلمين معنويا وبدنيا للقتال حين تزف ساعته ٠

ومثلا وقدوة فى اعداد الجيوش وتنظيمها والتأهب للمعركة المرتقبة بالاستطلاع وجمع المعلومات وبث الرعب فى نفوس الاعداء ٠

ومثلا وقدوة فى التخطيط للمعركة وفى تسيير دفة القتال والمناورة بقواته ٠

ومثلا وقدوة فى شجاعته وثباته فى مواطن النزال، وصموده حيث يفزع الصناديد والابطال ٠

ثم كان عليه الصلاة والسلام مثلا وقدوة فى انتصاره : فى مواساته للجرحى من المجاهدين المسلمين والبر بشهدائهم ورعاية أسرهم .. وفى رفقه بجرحى الاعداء ورسلهم وأسراهم ٠٠ فى وقت لم يكن فيه للحرب من قانون سوى قانون الغاب ٠

أولا : الرسول القائد والفلسفة القرآنية فى شرعة الجهاد :

من التقسيمات المعروفة لدى علماء المقابلة بين الملل والعقائد تقسيم الاديان الى أديان مقفلة محصورة فى بيئة خاصة ، وأديان دعوة تمتد آفاقها الى آفاق عالمية ٠

والاسلام عند هؤلاء ، ومهما اختلفت مذاهبهم وتباينت مقاصدهم ، هو من ديانات الدعوة ، دين يسرى الايمان به الى أقطار لا تحدها المواضع الجغرافية أو الروابط الجنسية ٠

وعالمية الاسلام ترجع فى نصيبها الأوفر الى طابعه الانسانى ، وهو طابع تستشعره النفس فى القرآن الكريم، كما تدركه فى سنة المصطفى عليه الصلاة والسلام ٠٠ كلاهما ينظر الى الانسان ، فى كل مكان ، ومن أى جنس ، نظرة واحدة ، لا فرق بين انسان وآخر ، وانما هى دعوة تتجه الى الامم جميعا بميزان واحد على سنة المساواة بين الشعوب والاجناس ٠٠ والتماس الهداية لهم جميعا .. لا فضل بين أحدهم وآخر الا بالتقوى والعمل الصالح ٠

يقول جل شأنه :

« يأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم ٠ »

« ان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون » ٠

ويقول نبى الاسلام عليه الصلاة والسلام :

« أيها الناس ٠ ان ربكم واحد ، وان اباكم واحد ، كلكم لادم ، وادم من تراب ، ان أكرمكم عند الله أتقاكم ٠ !

والنظرة الانسانية فى القرآن الكريم ، والسنة النبوية ، لها آثار متعددة فى كل ما يتصل بشئون البشر ٠٠ فى دينهم ٠٠ ودنياهم ٠٠ والقرآن الكريم ، والسنة النبوية ، بهيئان الاسباب ــ بهذه النظرة الانسانية ــ للوحدة العالمية بين الناس كافة ٠٠ ويرشدان الناس ٠٠ كل الناس ٠٠ الى ما يجب أن يأخذوا به أنفسهم ، وينظموا به حياتهم ٠٠ حتى تكمل سعادتهم فى الاولى والاخرة ٠

والاسلام بهذه النظرة الانسانية ٠٠ والافاق العالمية ٠٠ لا يمكن أن يشجع العدوان ٠٠ أو يبيح الظلم والبغى .. لان المناخ الذى يبغى تهيئته للجماعة البشرية ، على اختلاف الاماكن والازمنة ، يعتمد على السلام ٠٠ والمحبة ٠٠ والاخاء ٠

ولكن الاسلام ٠٠ دين السلام بنصوص القرآن الكريم وروحه ٠٠ فى حثه للمسلمين على تحقيق السلام ٠٠ يبغى سلام الحق ، وسلام القوة ٠٠ لا سلاما ذليلا يفرضه العجز أو الضعف ٠٠ لان سلاما هذا حاله من شأنه أن يجر البشرية كلها الى كل شر ، ويحملها كل عناء ٠٠ بتمادى البغاة ، وسدر الطغاة فى غيهم ٠٠ وفسادهم ٠٠ وتنكيلهم بالاخيار ٠

فالاسلام دين حق ٠٠ لانه فى جانب من اهم جوانبه ثورة على الظلم .. جاء لينشر العدل والحق ٠ ٠ ويدعو الى نبذ الظلم ٠٠ فى وقت عم فيه ظلم الانسان لاخيه الانسان ، واستبد الاقوياء بالضعفاء ، وساد بين البغاة قول الشاعر : « ومن لا يظلم الناس يظلم » ٠٠ جاء الاسلام ليقرر ــ بكتابه المبين ــ أن الانسان لا يظلم ، ولا ينبغى له أيضا أن يقبل الظلم ٠٠ الكل ٠٠ كل الناس ٠٠ فى الحقوق سواء ٠٠ لا بغى ولا عدوان ٠٠ ولا ظلم ولا طغيان ٠٠ ولا استرقاق ولا استعباد ٠

وفى الحث على التزام هذه المعانى الكريمة ، وتوعد الظالمين ، يقول سبحانه وتعالى فى كتابه العزيز :

« ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى ، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى ٠ »

« وتعاونوا على البر والتقوى ، ولا تعاونوا على الاثم والعدوان ٠ »

« ألا لعنة الله على الظالمين ٠ »

« فويل للذين ظلموا من عذاب يوم أليم ٠ »

ويقول المصطفى عليه الصلاة والسلام مؤكدا على وجوب مقاومة الظلم :

« ان الناس اذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعذاب من عنده ٠ »

وكراهة الظلم فى القرآن الكريم نابعة من فلسفته فى الاخلاق ٠٠ ومظهر من مظاهر أخلاق القوة الحميدة التى حث المسلمين على التحلى بها ٠٠ وهى قوة سمحة ٠٠ كريمة ٠٠ عادلة ٠

فالصبر قوة ٠٠ لان الضعيف يجزع ولا يقوى عليه ٠

والكرم قوة ٠٠ لان الكريم يثق فى قدرته على البذل ٠

والشجاعة قوة ٠٠ لانها ترفض الجبن والتقاعس والاستخذاء ٠

والعدل قوة ٠٠ لأنه غلبة الانسان العادل على نوازع طمعه وهواه ٠

والحلم قوة ٠٠ لانه مزيج من الصبر والثقة ٠

ومن أخلاق القوة : مقاومة الظلم، ومغالبة النفس ومنعها من ارتكابه « فالمؤمن القوى - كما يقول نبى الاسلام - خير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف ٠ » والقوة ليست فقط فى القوة البدنية ٠٠ ولكنها أيضا فى قوة الخلق ، وفى قوة الحق ، وفى كل شكل حميد من أشكال القوة ٠٠ وأعلاها مقاومة الظلم ، ورد البغى والعدوان ٠

يقول الحق جل شأنه :

« فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم ٠ »

ومقاومة الظلم .. جعلها الاسلام نوعا من أنواع الجهاد يجب على المسلم بذله ٠٠ يثاب عليه ، ويعذب بتركه ٠

وانت أن رجعت الى آيات القرآن الكريم ٠ فلن تجد فيه قتالا مشروعا .. مباحا أو واجبا ... الا مقاومة ظلم ٠٠ أو ردا لعدوان ٠

فالاسلام - فى كتابه العزيز - لم يشرع القتال الا لضرورة :

ضرورة رد العدوان دفاعا عن النفس والعقيدة.

ضرورة حماية الدولة الاسلامية ورد المغيرين عليها ٠

وضرورة الدفاع عن المظلومين الذين أخرجوا ٠٠ أو يخرجوا ٠٠ من ديارهم بغير حق ٠

وضرورة تأمين الدعوة بمقاومة البغاة الذين يصدون عن استماعها الى المستعدين لذلك ٠

وكل هذه الصور فى تشريع الجهاد هى مقاومة لظلم فى شكل من أشكاله ٠٠ وخارج هذا النطاق لن تجد فى شريعة الاسلام قتالا واجبا أو مسموحا به .. بل وستجد نهيا صريحا عن استخدام اى نوع من أنواع الاكراه فى مجال التبشير والدعوة الى دين الهدى والهداية ٠

« لا اكراه فى الدين ٠ » (البقرة ٢٥٦)

« فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم ٠٠ » (البقرة ١٩٤)

« وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين ، واقتلوهم حيث ثقفتموهم وأخرجوهم من حيث أخرجوكم ٠ » (البقرة ١٩٠ ، ١٩١) ٠

وفى هذا النطاق ٠٠ وترسما لهذه المعانى الحكيمة التى جمعتها هذه الايات البينات فى شرعة الجهاد ٠٠ كانت قيادة المصطفى عليه الصلاة والسلام ٠ وكانت حروبه ٠

لم يطلب أبدا الحرب للحرب ، ولم يطلبها وله مندوحة عنها. ولم يكره أحدا قط على اتباع الاسلام ، أو يحارب فكرة يمكن أن تحارب بالبرهان والاقناع ٠٠ وانما حارب فقط القوة الغاشمة التى تحول بينه وبين أسماع الناس المستعدين لسماع دعوته .. كانت حروبه كلها عليه الصلوات حروب دفاع ٠٠ وحق ٠٠ لم يبدأ بالهجوم قط الا على سبيل المبادرة بالدفاع بعد التأكد من نكث العدو للعهد وتبييته النية على قتاله وقتال المسلمين ٠٠ تستوى فى ذلك كل حروبه ٠٠ مع قريش ٠٠ ومع اليهود ٠٠ ومع الروم ٠

يقول جل شأنه مخاطبا رسوله الى الناس كافة :

« ياأيها المدثر ٠ قم فأنذر » ٠

« ياأيها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك ، وان لم تفعل فما بلغت رسالته ، والله يعصمك من الناس ٠ »

وبمقتضى هذا التكليف الالهى بدأ المصطفى عليه الصلاة والسلام ٠٠ الداعية ، والمبشر ، والنذير ٠٠ بدأ يدعو الى توحيد الخالق وعبادته والايمان به منزها عن شوائب النقص والاحتياج والمماثلة لشئ من مخلوقاته .. وعدم الاشراك به .. ونبذ عبادة الاوثان ويدعو الى الامر بالمعروف والنهى عن المنكر وتحكيم العقل والتحلى بالخصال الحميدة ٠ ومحاربة البغى والفساد .. واقامة العدل والحق .. وباقى ما يشرعه الاسلام ويحث عليه مما تنصلح به حال الجماعة الانسانية فى عقيدتها وسنن حياتها ٠

ودعوة هذا شأنها ٠٠ تعتمد على العقل ٠٠ ولا تحتاج فى الايمان بها الى اكراه ٠٠ لان الاكراه يتنافى مع الايمان المطلوب بالنظر ٠٠ والتدبر ٠٠ والتفكير ٠٠ والتأمل ٠٠ ولان الايمان بالاكراه - ان جاز تسميته كذلك - لا قيمة ولا وزن ولا معنى له ٠

لذلك بدأ نبى الاسلام عليه الصلاة والسلام يدعو قومه ليلا ونهارا ٠٠ باللين ، والبرهان ، والبينة ٠٠ بيد أن دعوته سرا ثم جهرا لم تزدهم الا اعراضا ٠٠ واستكبارا ٠٠ وطغيانا ٠

وصبر عليهم المصطفى عليه الصلاة والسلام ٠ صبر على اعراضهم ٠٠ وصبر على تعذيبهم له ولمن آمنوا برسالته ٠٠ وصبر على مساومتهم له وتهديدهم اياه لترك الدعوة ٠

وجرب عليه الصلوات حث المؤمنين على الهجرة الى الحبشة فرارا بدينهم أو حفاظا لارواحهم ٠

وعانى الحصار الذى فرضه عليه الكفار وعلى بنى هاشم جميعا فى شعب أبى طالب بخارج مكة ٠٠ أم القرى ٠

وجرب الالتجاء الى الطائف ، والتماس النجدة من ثقيف .. بيد ان المشركين الغلاظ قابلوه وصحبه بالهزء والسخرية ، وردوهم على أعقابهم ٠

ثم لم يكن أمامه والمؤمنون به بعد أن طال عذاب الكفار لهم ، وتنكيلهم بهم ، الا أن يفارقوا بلدهم ٠٠ وديارهم ٠٠ ويهاجروا الى يثرب ، الى أن يقضى الله تبارك وتعالى أمرا كان مفعولا ٠

وإلى النبى الصابر المحتسب ، وأهل دعوته ، ينزل الاذن بالقتال :

« أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا ، وان الله على نصرهم لقدير ، الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق الا أن يقولوا ربنا الله ٠ »

وأسباب الاذن بالقتال أسباب عامة ٠٠ هى أسباب الجهاد الاسلامى فى سبيل الله فى كل زمان ، وفى كل مكان : منع الظلم ، ودفع البغى والعدوان ٠٠ وقد سار الرسول القائد فى كل حروبه وغزواته على هذه السنة الرشيدة ٠

فى قتاله عليه الصلاة والسلام مع قريش كان يقاتل أناسا أخرجوه والمؤمنين به من ديارهم ٠٠ وعذبوهم .. وآذوهم .. وما زالوا يصدون فى سبيل الدعوة ، ويزداد حقدهم ، وشرهم ٠٠ كلما هالهم انتشارها السريع فى ربوع شبه الجزيرة العربية .. ثم كان فى قتاله معهم دوما ٠٠ فى موقف المدافع ٠٠ أو المهاجم مبادرة الى الدفاع ، حتى لا يترك لهم ميزة المبادأة فى القتال ٠ تستوى فى ذلك غزوة بدر ٠٠ وأحد ٠٠ والاحزاب ٠٠ وفتح مكة الذى لم يقدم عليه الا بعد أن خالفت قريش شروط صلح الحديبية ٠

وفى قتاله عليه الصلاة والسلام مع اليهود لم يكن سوى رادا لعدوان ، أو دافعا لتآمر .. فقد بدأ عليه السلام فمد يده اليهم ٠٠ وعاهدهم على أن يتركهم وما يدينون ٠٠ وأمن لهم على أنهم أهل كتاب ٠٠ الا أنه فوجىء بهم يكيدون له ولاصحابه ، وينكرون عليه دعوته ، ويفرغون سمومهم فى أهل يثرب ليحرضوهم عليه وعلى المؤمنين برسالته .. ثم يتوجون ذلك كله بالتآمر مع غطفان وقريش عليهم فى غزوة الاحزاب ٠٠ طمعا فى افنائهم والقضاء على الدعوة التى بدأ يستفحل أمرها ٠٠ ولم يكن أمام الرسول القائد عليه الصلاة والسلام بعد ذلك كله بد من قتالهم ٠٠ دفعا لظلمهم ، وبغيهم ٠٠ وعدوانهم ٠

ثم لم يكن قتاله لغير هؤلاء وأولاء اكراها على الدخول فى الاسلام .. بل حارب فقط القوى الغاشمة التى تحول بينه وبين ابلاغ الناس المستعدين لسماع دعوته ٠٠ حتى يبلغ ما أمره الله سبحانه وتعالى بتبليغه :

« يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك ، وان لم تفعل فما بلغت رسالته ، والله يعصمك من الناس ٠ »

وقد بدأ الرسول القائد .. عليه الصلاة والسلام ٠٠ بتوجيه رسائله الى ملوك الفرس والروم وحكامهم ٠٠ يدعوهم الى الاسلام ٠٠ ويحملهم - ان تولوا - اثم رعاياهم الذين لم تصل اليهم دعوته ، لحيلولتهم بينه وبين ابلاغها لهم .

من ذلك كتابه لهرقل ملك الروم والذى فيه يقول :

« اسلم تسلم ، والا فعليك اثم الاريسيين [أى الرعية من الزراع والعمال) ٠ »

وقد كان رد بعض هؤلاء الملوك كريما ٠٠ ومنهم من دخل فى الاسلام كالنجاشى حاكم الحبشة ، ومنهم من اقتصر على الرد الجميل دون الدخول فى الاسلام كالمقوقس ، عظيم القبط فى مصر ، الذى كان يئن وشعبه آنذاك من الحكم الرومانى الجائر ٠

ولكن ردود أغلبية هؤلاء الملوك والحكام لم تكن كذلك ٠٠ بل طغوا وتجبروا وخالفوا أبسط قواعد الانسانية ٠٠ ضاربين بكل القيم والخصال الحميدة عرض الحائط ٠

أرسل كسرى ملك الفرس من يقتل النبى عليه الصلاة والسلام ، ويأتيه برأسه !! ٠٠ ولكن الموت كان أسبق اليه ٠

وأقدم هرقل ٠٠ بعد أن استشار بطارقته وعظماء دولته ٠٠ على اضطهاد وقتل من أسلم من عرب الشام ٠٠ وأخذ وبطانته ينفثون سموم الحقد على الدعوة وصاحبها فى قلوب الامراء والاتباع ٠٠ وكان من نتيجة ذلك أن أقدم شرحبيل الغسانى على ضرب عنق رسول رسول الله عليه الصلاة والسلام الى أمير بصرى ٠ عند مؤتة ٠

ومن ثم كان قتال هؤلاء وأولاء لا مندوحة عنه .. تأمينا للدعوة ٠٠ وازالة للقوى الغاشمة التى تصد عن سبيل نشرها وتبليغها ٠٠ وردا لظلم وعدوان وقع على المسلمين ٠٠ ورسلهم ٠

ليس من شك اذن أن الرسول القائد ٠٠ عليه الصلاة والسلام ٠٠ لم يقدم على حرب أو قتال الا دفعا لظلم أو عدوان ٠٠ أو تأمينا للدعوة ، وازالة للعقبات التى تعترضها فلم يبدأ المصطفى (صلى الله عليه وسلم) قوما بحرب ٠٠ ولم يقاتل الا الظلمة البغاة الذين وقفوا فى وجه دعوته ، وبدأوه بالعدوان .. ولم يكن سبقه ٠٠ أحيانا ٠٠ الى الهجوم الا على سبيل المبادرة الى الدفاع بانتزاع ميزة المبادأة بعد التأكد من تصميم العدو على قتاله ٠

ثم كان من سنته عليه الصلاة والسلام أن يخير أعداءه بين أمور ثلاثة : اما الاسلام ، واما معاهدة المسلمين على شروط عادلة يقيمونها ، واما القتال .. وقد حرص الرسول القائد على هذه السنة سواء فيما قاده بنفسه من غزوات ، أو ما بعثه من سرايا ٠٠ ومن وصاياه الى أحد أمراء جنده قوله عليه الصلاة والسلام :

« اذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم الى احدى خصال ثلاث ، لتعلم أن روح العداء سابق على انقاذ الجيش ، وأن التخيير لم يكن الا بدافع الرجاء فى السلم والعدول عن روح العداء ٠ »

ومن وصاياه أيضا عليه الصلوات قوله الى معاذ بن جبل :

« ولا تقاتلوهم حتى تدعوهم ، فان ابو ، فلا تقاتلوهم حتى يبدءوكم ، فان بدءوكم فلا تقاتلوهم حتى يقتلوا منكم قتيلا : ثم أروهم ذلك ، وقولوا لهم : هل الى خير من هذا السبيل ، فلان يهدى الله على يديك رجلا واحد اخير مما طلعت عليه الشمس وغربت . »

وانطلاقا من هذه السنة النبوية .. فان الرسول القائد عليه الصلاة والسلام .. لم يتردد فى العودة بجيشه فى غزوة تبوك – دون مبادرة الى قتال – حين أيقن من انصراف الروم عن القتال فى تلك السنة .. على ما تكبده والمسلمون من عناء ومشقة فى تعبئة الجيش وتجهيزه وسفره لدى علمهم باستعداد الروم وخروجهم للعدوان عليهم .

وبعد ...

هذا هو الرسول القائد .. عليه الصلاة والسلام .. فى اتباعه لتعاليم القرآن الكريم فى تشريعه للقتال وتحديده لنطاقه الواجب أو المسموح به : أن لا اكراه فى الدين ، ولا بغى ولا عدوان ، ولا قتال الا لضرورة يفرضها الدفاع عن العقيدة أو الحق المغتصب .

وقد كان النبى القائد عليه الصلوات .. على اجتنابه العدوان .. يحسن من فنون الحرب ما لم يكن يحسنه المعتدون عليه .. كان قائدا موهوبا بالفطرة .. لا يترك ثغرة الا ويحكم ملئها .. وأدرك بالهامه ، وببصيرته النفاذة ، أن القتال .. قتال الكفار ، والظلمة ، والعتاة .. مفروض عليه ، وعلى أهل دعوته ، لاصلاح امر البشرية .. فحرص عليه السلام على اعداد المسلمين للقتال ، وجمع أسباب القوة والمنعة لهم .. وعمل فى ذلك بحكيم قوله عز وجل :

« وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم ، وآخرين من دونهم لا تعلمونهم . الله يعلمهم . »

والقوة التى تعنيها الاية الكريمة هى كل قوة تشد من أزر المسلمين .. قوة العقيدة .. وقوة الحق .. والقوة المعنوية .. وقوة الدربة والمران ، والسلاح والعتاد .. وغيرها من مظاهر القوة وأشكالها .

ولم تكن تنقص المسلمين الاوائل قوة العقيدة .. ولا قوة الحق .. فقد تأصلت هذه وتلك فى نفوسهم بدين الحق والهداية الذى آمنوا به واعتنقوه .. وبالآيات البينات والاحاديث النبوية التى وصلت بعقائدهم الى ذروة ما يرجى فى ميدان الملل والعقائد .

حرص الرسول القائد اذن على جمع باقى أشكال القوة .. وكانت على الترتيب عنده : القوة الروحية أو المعنوية ، وقوة الدربة والمران ، ثم قوة السلاح والعتاد .. وليس من شك أن اهتمامه عليه الصلاة والسلام بالقوة الروحية ، وتقديمه لها على باقى اسباب القوة ، انما يكشف عن عبقرية حربية ملهمة .. وهى عبقرية تستشعرها النفس المسلمة .. بل وغير المسلمة .. وهى تتأمل انتصارات المسلمين الساحقة ، على أعداء بلغ عتادهم ، وكثرتهم العددية ، أضعاف أضعاف جيوش المسلمين .

(البقية فى العدد القادم)

« ما ولدت العرب اكرم منك »

قال الاصمعى : قصدت فى بعض الايام رجلا كنت اغشاه لكرمه ، فوجدت على بابه بوابا ، فمنعنى من الدخول عليه . ثم قال : والله يا اصمعى ما اوقفنى على بابه لامنع مثلك الا لرقة حاله وقصور يده ، فكتبت رقعة فيها :

اذا كان الكريم له حجاب فما فضل الكريم على اللئيم؟

ثم قلت له : اوصل رقعتى اليه ، ففعل وعاد بالرقعة وقد وقع على ظهرها :

اذا كان الكريم قليل مال تحجب بالحجاب عن الغريم

ومع الرقعة صرة فيها خمسمائة دينار ..

فقلت : والله لا تحفن المامون بهذا الخبر ، فلما رآنى قال : من اين يا اصمعى ؟ قلت : من عند رجل من اكرم الاحياء حاشا أمير المؤمنين . قال : ومن هو ؟ فدفعت اليه الورقة والصرة واعدت اليه الخبر ، فلما راى الصرة قال : هذا من بيت مالى ، ولابد لى من الرجل فقلت : والله يا امير المؤمنين ، انى استحى ان تروعه برسلك ، فقال لبعض خاصته : امض مع الاصمعى ، فاذا اراك الرجل فقل له : اجب امير المؤمنين من غير ازعاج .

فلما حضر الرجل بين يدى المامون قال له : انت الذى وقعت لنا بالامس ، وشكوت رقة الحال ، وان الزمان قد اناخ عليك بكلكله فدفعنا اليك هذه الصرة لتصلح بها حالك ، فقصدك الاصمعى ببيت واحد فدفعتها اليه ، فقال : نعم يا امير المؤمنين ، والله ما كذبت فيما شكوت لامير المؤمنين من رقة الحال ، ولكنى استحييت من الله تعالى ان اعيد قاصدى الا كما اعادنى أمير المؤمنين . فقال له المامون : لله انت !! فما ولدت العرب اكرم منك .

أخي العربي

نقدم لك

سيجارتك المفضلة

- تصنع حاليا بالفلتر المخصوص بجميع عبواتها ..
- على مستوى عال من الجودة تصنيعا ومذاقا ..
- متوافرة فى جميع أنحاء الجمهورية ..

من هدى الرسول
صلى الله عليه وسلم

الأستاذ الرفاعي الباز

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : دلنى على عمل يعدل الجهاد فقال : لا أجده قال : هل تستطيع اذا خرج المجاهد أن تدخل مسجدك فتقوم ولا تفتر ، وتصوم ولا تفطر ؟ قال ومن يستطيع ذلك ؟

اخى القارىء :

الجهاد هو سنام الاسلام ، وذروة الايمان ، وملتقى الارواح المطمئنة وهدف النفوس الراضية المؤمنة وهو ثمرة الغيرة على الاوطان واكبر دليل على قوة الايمان وصدق العقيدة وهو مقياس التحرر ودليل الفكر الناضج والادراك . وهو السياج الحافظ لكيان الامة ، والحصن الواقى لافرادها من سطوة الاعادى ومعاول الانحلال والهدم .

والصحابة رضوان الله عليهم حريصون كل الحرص على عمل الخير وخير العمل دائبون عن البحث عنه مهما كانت المتاعب والاهوال التى تصادفهم . وهذا الرجل الذى سال المصطفى صلى الله عليه وسلم اما أن يكون ضعيفا لا يستطيع الجهاد فالرسول فتح أمامه آفاق العبادة ، وخلق به فى أجوائها الامر الذى لا يستطيعه الا الانبياء والصديقون ومن ارتفعت اقدارهم وتعلقت بالسماء أرواحهم وتلك مرتبة لا يستطيعها ذلك الرجل بدليل قوله ومن يستطيع ذلك ؟ واما أن يكون قويا يستطيع الجهاد فالنبى صلوات الله وسلامه عليه يصرفه اليه ويحمله عليه ، لانه طريق الرفعة الموصل الى درجة الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين .

وميادينه خمسة :

جهاد النفس : بالتخلى عن الرذائل والابتعاد عما حرم الله سبحانه وتعالى والتاسى بهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم والعمل على احياء سنته .

وجهاد الشيطان : بدفع الشكوك والشبهات . والابتعاد عن وسوسته والتعوذ بالله من شره وشر وسوسته « ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون » .

وجهاد الاعداء : وذلك بالذود عن الوطن وتحرير الارض من المستعمرين وبذل النفس والنفيس فى سبيل تحقيق ذلك وهذا هو أعلى درجات الجهاد وهو المقصود من هذا الحديث .

وجهاد المنافقين والملحدين : بالحجة والبرهان .

وجهاد المبتدعين الذين أحدثوا فى الدين ما ليس منه . وجهادهم يكون بتصفية الدين من الشوائب التى علقت به وتخليصه من الاقذار التى عكرت صفوه ، وغيرت طعمه وفتحت الثغرات أمام أعداء الاسلام للطعن فيه والخوض فى ذات رسول الله صلى الله عليه وسلم .

والى هذه الاصول الخمسة يشير قوله تعالى : « والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين » وقوله تعالى « ومن جاهد فانما يجاهد لنفسه ان الله لغنىعن العالمين» وقوله تعالى « وجاهدوا فى الله حق جهاده هو اجتباكم » وقد بينت السنة ذلك وأوضحته ولنتناول هذه المراتب بشىء من الايضاح والتجلية فاولاها : جهاد النفس : بالتربية والتهذيب والتاديب والصقل بطابع الاسلام الصحيح والسمو بها الى المثالية الرفيعة والتدرج بها على مصاعد المجد والكمال ، وتعبئتها بالمعانى

الفاضلة . وتدريبها على طاعة الله فالانسان بنفسه لا بجسمه وبمعنويته لا بماديته .

يا خادم الجسم كم تسعى لخدمته
اتطلب الربح مما فيه خسران

أقبل على النفس واستكمل فضائلها
فانت بالنفس لا بالجسم انسان

وترويض النفس على الفضائل يحتاج الى صبر طويل وكفاح مرير ورقابة دائمة ، لانها ان أهملت فهى عدوة غدارة تدفع صاحبها الى الهلاك والخسران وترديه الى مهاوى الفتنة يقول الله تعالى [وما ابرىء نفسى ان النفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربى] ويقول المصطفى صلى الله عليه وسلم « المجاهد من جاهد نفسه فى طاعة الله » وقال عليه الصلاة والسلام « أعدى عدوك نفسك التى بين جنبيك » ورحم الله الامام البوصيرى اذ يقول :

والنفس كالطفل ان تهمله شب على
حب الرضاع وان تفطمه ينفطم

اذن جهادها واجب مقدس ، وما يزال العبد يجاهدها حتى يفلح ويصبح ربانيا يقول الله سبحانه وتعالى « واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هى المأوى » ويقول الله ايضا « ونفس وما سواها فالهمها فجورها وتقواها قد افلح من زكاها وقد خاب من دساها » .

والنفوس نوعان : نفوس كبيرة وصغيرة . فالكبيرة منها هى التى قد استكملت من وسائل الترقية والتهذيب ما جعلها تحلق فى آفاق العزة وتسمو الى الكمالات وتربو الى الامجاد الخالدة متغاضية عن التوافه . مبتعدة عن المادة الفانية . وليس أمامها الا رضوان الله . وأكبر نفس ظهرت على مسرح الوجود هى نفس اعظم موجود نفس محمد صلى الله عليه وسلم وكذلك نفوس صحابته رضوان الله عليهم أجمعين تلك النفوس التى هزت التاريخ . وغيرت معالمه وايقظت العدالة . وحققت المساواة نفوس حملت لواء المجد وطوفت به فى الافاق تدعو الى الحق وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر . نفوس تجردت من الانانية والانفرادية وداست على الغرائز البهيمية واصبغت بصبغة الله ومن أحسن من الله صبغة .

لقد جاء الى سيف الله خالد بن الوليد خطاب العزل من أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وهو فى يوم النصر بواقعة اليرموك فلم يتأثر ولم يتغير ودخل على أبى عبيدة بن الجراح الامير الجديد وسلم عليه بالامارة ، وألقى اليه مقاليد القيادة وانخرط فى سلك الجيش مطمئنا راضيا لان قلبه سليم وروحه عالية ، لم تتأثر باعاصير المادة ولا بألوانها الباهتة وهذا مثل واحد من مواقف سلفنا الصالح التى لاتخضع لعد والين ملأوا الدنيا بالنور وهزوها بالزئير وأصحاب النفوس الكبيرة يهدفون الى مثل عليا وغايات منشودة يسعون جاهدين لتحقيقها ، لاتفل عزائمهم الشدائد و تثبط هممهم العوائق ، ويتحملون كل انواع اللغوب حتى يصلوا الى كل ما يريدون .

واذا كانت النفوس كبارا
تعبت فى مرادها الاجسام

كل ذلك فى عزة واكرامة وترفع وشمم لا يرضون الذل ولا يركنون للهوان ولا يقرون الضيم وان جادوا بنفوسهم ووضعوها على أكفهم وتقدموا بها الى ربهم والجود بالنفس أقصى غاية الجود يجوعون ولا يطعمون حراما ويمتطون ولا يسألون الناس الحافا .

والنفوس الضعيفة هى التى تركع أمام المغريات ، وتتهاون بالمقدسات ، ولا يهمها أشرقت الاوطان ، أم غربت انتصرت المبادىء أو انهزمت مادامت فى عيشة ناعمة وترف والواقع الذى لا شك فيه ان ضعاف النفوس هم سوس المجتمع الذى ينخر عظامه ومرضه العضال الذى يحطم هيكله بل هم اخطر على الوطن من أعدائه الظاهرين ومقاومة أصحاب هذه النفوس الدنيئة واجبة على كل مواطن يؤمن بالله وبالوطن . جعلنا الله من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه .

« الولد سر ابيه »

كان بيد عمر بن عبد العزيز قبل الخلافة ضيعته المعروفة بالسهلة ، وكانت باليمامة ، وكانت لها غلة عظيمة ، عيشه وعيش اهله منها .

فلما ولى الخلافة قال لمزاحم مولاه ، وكان فاضلا: انى عزمت ان ارد السهلة الى بيت مال المسلمين. فقال مزاحم : أتدرى كم ولدك ؟ انهم كذا وكذا !

فذرفت عيناه فجعل يستدمع ويمسح الدمعة بأصبعه الوسطى ، ويقول : اكلهم الى الله ، أكلهم الى الله !

فمضى مزاحم فدخل على عبد الملك ابنه ، فقال له: الا تعلم ما قد عزم عليه أبوك ؟ انه يريد ان يرد السهلة ! قال : فما قلت له ؟ قال : ذكرت له ولده فجعل يستدمع ويمسح الدمعة بأصبعه الوسطى ، ويقول : أكلهم الى الله !

فقال عبد الملك : بئس وزير الدين انت ! ثم وثب وانطلق الى ابيه ، فقال للآذن : استاذن لى عليه ، فقال : انه وضع رأسه الساعة للقائلة . فقال استاذن لى عليه . فقال : اما ترحمونه ؟ ! ليس له من الليل والنهار الا هذه الساعة . قال : استاذن لى عليه لا أم لك .

فسمع عمر كلامهما ، فقال : ائذن لعبد الملك ، فدخل فقال : علام عزمت ؟ قال : ارد السهلة ! قال ! فلا تؤخر ذلك ، قم الان ! فجعل عمر يرفع يديه ويقول : الحمدلله الذى جعل لى من ذريتى من يعيننى على أمر دينى ، نعم يا بنى اصلى الظهر ، ثم اصعد المنبر فاردها علانية على رءوس الناس قال : ومن لك ان تعيش الى الظهر ؟ ! ومن لك ان تسلم نيتك الى الظهر ان عشت اليها ؟ ! فقام عمر فصعد المنبر وخطب الناس ورد السهلة .

الإسلام يسالم من يسالمه

ظل صاحب الدعوة عليه الصلاة والسلام يدعو الى سبيل الله بالسلم وبالحكمة والموعظة الحسنةفى مكة قبل الهجرة للمدينة · وكان يريد للامة العربية أن تتحرر من الظلم والعبودية وللانسانية أن تعتق نفسها من الشرك والوثنية وكان يود أن يسود العدل والمساواة · ولكن الجاهلية الباغية كانت تبغى أن يعيش الناس فى ظلمات وضلالات وتخلف وجهالات · وكان طواغيت البشر يريدون للشعوب أن تعيش ممزقة مفرقة ومسخرة لخدمة الطبقية الظالمة والقلة الفاجرة

ويحارب من يحاربه

فضيلة الشيخ محمد حافظ سليمان

الباغية . ثم ما لبث هؤلاء الطغاة المستبدون من أئمة العناد أن أعلنوا الحرب على رسالة سيدنا محمد النبى الامى العربى الكريم ·· الحرب النفسية ليصدوا عن سبيل الله فقابلوا دعوة الحق بالعناد والجحود والتحدى السخيف واللؤم العنيف حتى طلبوا أمورا منها أن يأتيهم النبى بالله والملائكة قبيلا وأن يبدل القرآن بغيره مع انهم كانوا يعرفون الحق · ثم ينكرونه ·ويعلمون صدق القرآن ثم يجحدونه ·· وكان النبى يتحمل ويستعين بالصبر على أعداء الله الفجرةالوثنيين ، ولقد عاش الاسلام ثلاثة عشرعاما فى اضطهاد وقد تحمل المسلمون ما شاء الله أن يتحملوا من قسوة وجبروت حتى تطور العداء بين الكفار ومحمد صلى الله عليه وسلم الى أن تآمروا على قتله !! ولكن الله عصم نبيه من الناس ·

وقد سالم النبى أعداءه فلم يسالموه !! لانه لم يؤمر بالقتال · فصبر على حقدهم وغلهم ··والدعوة الحقة لا تعيش فى الظلام ولكنها تقوم على البرهان والوضوح وتخاطب العقل والروح ··

والاسلام دين ينظم الحياة كلها فى جميع المجالات وأطلق الحرية للعقول أن تفكر وتقدر وتدبر لان العقل هبة الله للنفوس وهو الذى يقيها من سيطرة الاوهام ، ويحميها من سلطان الخرافات أما أعداء الاسلام فقد هاجموا وتحزبوا وتكتلوا وتجمعوا ليتآمروا عليه وليغدروا وليمكروا بالنبى صلى الله عليه وسلم فكان لابد للحق من قوة تحميه من المعتدين وتصد عنه الكيد ولابد من سياسة جديدة ينتهجها الاسلام غير سياسة المسالمة والصبر والاحتمال !!

ولقد كان الصابرون الذين استعذبوا العذاب يحبون لقاء الاعداء لقاءا مسلحا لان الاسلام لا يتحمل الضيم · ولان تقوى الله ترفض الذل والاستسلام لاقوام لئام لا تردهم الا القوة ولا يصدهم الا السيف ·· وتلك هى طبيعة البشر من قديم الزمن ··

ولابد أن يقابل العدوان بالكفاح والنضال ليستقيم الامر ويستتب الامن فكان الاسلام ثورة على الاوضاع الفاسدة وعلى الحياة القاسية الجامدة ، وعلى المجتمعات الجاهلة الراكدة وعلى الظلم والظلمات · وعلى التخلف والضلالات وما كانت الحروب الاسلامية الا انتصارا للحق الذى أحيا الضمائر وأنار العقول وحرر النفوس من رجس الاوثان ومن عبادة الاصنام وقد شاء الله للحق أن ينتصر وللاسلام أن ينتشر والله قد أراد أن يجعل من بين رعاة الغنم سادة الامم. ويأبى الله الا أن يتم نوره ويحق الحق بكلماته ثم بددت قوة الحق تلكم المؤامرات الغادرة والمؤتمرات المتحدية الفاجرة وانتصر الحق الذى أيدته قدرة الله العلى القوى والله هو أكبر من كل شىء ولا يعجزه شىء (والله غالب على أمره) وفى النصر تمكين للدين وتأديب للمعتدين · ولا عدوان الا على الظالمين ·

ولقد خاض الاسلام المعارك الحربية مع أقوام لئام كانوا أكثرقوة وعددا. فقد تجمعت ضد الاسلام قوى الشر والباطل · وعناصر الفتن ما ظهر منها وما بطن · وتحرشوا بالمسلمين وحاولوا اغتصاب الارض

الاسلامية وتعاون أعداء الاسلام فى كل مكان والجميع يريدون الكيد للاسلام وللمسلمين • ولكن الله أتم نوره وأكمل دينه وجعل كلمته هى العليا ولم يجعل للكافرين على المؤمنين سبيلا •• لان العدو الذى يحارب المسلمين ترهبه القوة مادام هذا العدولايعرف للخلق سبيلا ولا للعدل طريقا ولا ريب أن موالاة الاصدقاء ومعاداة الاعداء مقدمة هامة للاستعداد للجهاد لان الاعداد النفسى لابد أن يسبق الاعداد الحربى • (**لانتم أشد رهبة فى صدورهم من الله ••**) يعنى أن العدو ترهبه القوة الظاهرة لانه لا يعرف دينا ولا ضميرا وهو لا يخشى الله لانه لا يؤمن به لكفره ، وجحوده • لهذا كان الجهاد حتميا . وكان أجره كبيرا وثوابه عظيما عند الله •

يقول رسول اللهصلى الله عليه وسلم « **لغدوة أو روحة فى سبيل الله خير من الدنيا وما فيها** »

ويقول « **ان أبواب الجنة تحت ظلال السيوف** »

ويقول « **رباط يوم فى سبيل الله خير مما طلعت عليه الشمس** »

ويقول « **من جهز غازيا فى سبيل الله كان له مثل أجره من غير أن ينقص من أجر الغازى شىء** » •

ويقول **عينان لا تمسهما النار عين بكت من خشية الله • وعين باتت تحرس فى سبيل الله** » •

ثم يكون الجهاد فرض عين اذا دخل العدو أرض المسلمين • وعندئذ يتعين على الجميع أن يهبوا للقاء العدو ويمتد هذا الواجب ليصل الى الجيران اذا احتاج المسلمون لمعونتهم ثم يمتد هذا الواجب ليصل فرضه على المسلمين جميعا فى المشارق والمغارب اذا لزم الامر ولا يعفى من هذا الجهاد الا من له أبوان شيخان كبيران يضيعان لو تركهما هذا الابن ••

فاذا تحزب الباطل وتحالف أنصار البغى والطغيان وجب أن تنطلق سهام الاسلام لتصد جيوش الغدر المعتدية على حرية الانسان وأوطان المسلمين ••

وما أكرم الحياة مع الجهاد وما أجمل أن يدعم الاسلام السلام بالنضال وبالدفاع عنه • ويوم تتجمع الجهود • وتحشد الحشود ويتحرك المجاهدون الى اللقاء فى المواقع دفاعا عن الارض والعرض . عن الحرمات والحريات وعن المقدسات ومهبط الرسالات فوق أرض المعجزات •• يومئذ يصان تراث النبوات من عبث الذين يعتدون على الامنين يسلبونهم حقوقهم بغير سند لا لشىء الا للتوسع والتسلط والبغى فى الارض بغير الحق ••

ولقد وجه الاسلام الدعوة لابنائه جميعا بأن يعدوا ما استطاعوا من قوة يرهبون بها عدو الله وعدوهم الذى يريد بهم شرا وضرا ••

وفى زماننا هذا ابتلى المسلمون بفتنة الاستعمار الكريه الذى أنشأ دولة اسرائيل علىأرض فلسطين العربية لتصنع القلاقل والفوضى والهمجية والوحشية •• فى الارض العربية • وكان وجودها غير طبيعى وغير شرعى وهى تستمد قوتها من التآمر الفاجر !! من المستعمر الماكر الذى ساعدها وساندها وتركها حية تسعى وهو الذى أوجدها وصنعها وملأها غرورا وفجورا ولقد جبلت هى على الدس والوقيعة ..والخسةوالخديعة .هذا العدو الخبيث يتأثر باللوم .ولن يتوقف عن الغدر ولن يستمع الى صوت أية جهة تطلب التحقيق أو العدل ••

وقد انتفخت أوداج زعماء الصهيونية كبرا • ملأ رءوسهم طغيانا وكفرا وأنساهم أن اسرائيل سترد على اعقابها خاسرة وأنها ستذهب من حيث أتت •• وقد جمعت من أشتات الارض •• ثم تنمرت وتمردت ثم طغت وبغت ثم ظهرت خستها حيث انسلخت من انسانيتها وآدميتها .وبالامسطهرتبلاد العروبةمن سيطرة الاستعمار البريطانى •• اذ استقلت بلاد قد تجرعت غصص الاحتلال البغيض حينا من الدهر • طهرت مصر والسودان والعراق وسوريا كما استقل الهند وغيره واليوم انزاح عن ليبيا كابوس الاستعمار وقواعده العسكرية والحمد لله رب العالمين ••

واليوم يدافع العرب عن حرية أرضهم فى الوقت الذى اختنقت فيه الرجعية واختفت العنصرية والطبقية الاستبدادية فلا مجال للتهور والطغيان والله يقول « **قد خلت من قبلكم سنن فسيروا فى الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين** ؟ ولابد من تعاون صادق متحد تتآلف فيه القلوب وتتكاتف فيه الجهود •• وتتعاون فيه الامة على تكوين قوة كبرى تحمى المقدسات وتصون أرض النبوات وتصد المعتدين بالقوة اذا لم يجد الحق له وليا ولا نصيرا !!! ويقول عليه الصلاة والسلام (من قتل دون أهله فهو شهيد ــ ومن قتل دون دينه فهو شهيد ــ ومن قتل دون دمه فهو شهيد) ومعنى هذا أن الدفاع عن الاهل والدين والدم والعرض جهاد وعبادة خالصة لله ويقول (من قتل دون مظلمة فهو شهيد) ..والله يقول (والذين قتلوا **فى سبيل الله فلن يضل أعمالهم •سيهديهم ويصلح بالهم ويدخلهم الجنة عرفها لهم• يأيها الذين آمنوا ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم ••**] وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الرجل يقاتل حمية ويقاتل شجاعة ويقاتل رياء فأى ذلك فى سبيل الله ؟ قال من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله وما كان قتال المعتدين الا جهادا فى سبيل الله ولقد كاناسلافنايقاتلون انتصاراًللحقواقامة للعدل وحماية للسلام لا للعنصرية ولا للقبلية و العصبية. والاسلام يعتبر الدفاع عن الوطن والنفس والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان دفاعا مشروعا عن حق الحياة •

تخلف بدون عذر فى غزوة تبوك ثلاثة هم كعب بن مالك وهلال بن أمية ومرارة بن الربيع • فأمر الرسول بمقاطعتهم لانهم لم يأخذوا مكانهم بين الصفوف مع قدرتهم ويسارهم •• قاطعهم النبى وأصحابه حتى ضاقت عليهم الارض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم فانقبضت صدورهم واحتبست نفوسهم حتى أسفوا وندموا وظلوا على هذا الحال خمسين يوما لا يتعامل معهم احد ولا يكلمهم أحد ولا يتصل بهم مسلم حتى ان أحدهم شد نفسه الى عمود المسجد وأقسم ألا يحل

حتى يتوب الله عليه !! وأخيرا تاب الله عليهم لما أنابوا وندموا على ما فعلوا ، وقد جاء فى سورة التوبة (**وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لاملجأ من الله الااليه ثم تاب عليهم ليتوبوا أن الله هو التواب الرحيم**) قد تاب عليهم رحمة بهم وبضميرهم الذى أتعبهم وأنبهم وحاسبهم •• ولا ريب أن الله يقبل التوبة عن عباده وهو القائل (وانى لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى) • ولكن الذين وضعت بين ضلوعهم نفوس بشرية ضعيفة اذا أمروا بالجهاد ضعفوا واستكانوا • **وهذه النفوس لا يطهرها الا الايمان بأن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة • وبأن الارواح والاموال ملك لله لا شريك له فيها اطلاقا وفى هذه النفوس المتخاذلة يقول الله تعالى :**

(واذا أنزلت سورة أن آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله استأذنك أولوا الطول منهم وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين •• رضوا بأن يكونوا مع الخوالف وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا بأموالهم وأنفسهم وأولئك لهم الخيرات واولئك هم المفلحون ، أعد الله لهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم)

وقد يكون الترف مفسده ومضيعة لذوى الغرور والحرص على متاع الحياة الدنيا فاذا أعلن الجهاد وتحتم النضال جاء هؤلاء لا ليتقدموا الصفوف أو يبذلوا المال لتسليح الجيش ولكنهم جعلوا شكر نعمة الله عليهم أن يتخاذلوا حرصا على الدنيا وارضاء لانانيتهم ونزواتهم وأهوائهم وذواتهم •• جاء هؤلاء ليقعدوا مع القاعدين من النساء والاطفال وذوى العاهات و « المرضى » ـ ليقعدوا فى صغار وهوان وذلة ومسكنة واستسلام : وذلك لانهم رضوا بأن يكونو مع الخوالف وطبع على قلوبهم فتبلد حسهم فلم يهمهم الا أن يشبعوا نهمهم فعاشوا جبناء وماتوا أذلاء . أما المجاهدون المناضولن فيؤمنون بأن الجبن لا يطيل الاعمار والشجاعة لا تقصر الاجال فأولئك لهم الخيرات وأولئك هم المفلحون . أعد الله لهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم . والله قد وعد من ينصر دينه بالاجر والمثوبة فقال (**وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ومساكن طيبة فى جنات عدن ورضوان من الله أكبر ذلك هو الفوز العظيم**) ويقول رب العالمين (**الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان** وجنات لهم فيها نعيم مقيم خالدين فيها أبدا أن الله **عنده أجر عظيم**)

والايمان فى قلوب المجاهدين شعلة قدسية ورسالة اجتماعية وعدالة انسانية وأخلاق ملائكية وهو فى ذاته ثورة نفسية على الانحراف ودعوة تحررية ورسالة خالدة تهدى النفوس وتشرح الصدور ••

والاسلام يعتبر المجاهدين دفاعا عن الحق هم جند الله وليس أمتهم فحسب يدافعون عن دينه ومقدساته

واليقين بنصر الله للمؤمنين هو القوة الايجابية التى تحرك دم الحرية فى عروق الابرار الذين تجرى فى عزائمهم حرارة النخوة العربية الاسلامية وهى تأبى على المسلم أن يكون مستسلما جبانا أو مستكينا مهانا • فاذا جاهد المؤمن عدوه وعدو الله تحمل مرارة الظمأ والنصب والمخمصة فى سبيل الله مؤمنا بأن الله يراه وهو يعلم سره ونجواه فلا ضعف ولا استخذاء ولا غدر ولا رياء لان هذه صفات الاذلاء الجبناء الذين عاشوا لانانيتهم وأهوائهم •

والحرب الاسلامية ما كانت يوما ما للمطامع الاستعمارية ولا للمكاسب المادية • ولكنها شرعت لحماية العدل والحق وللمساواة بين الناس ولصيانة الكرامة لكل آدمى على ظهر هذه الارض •• فهى حروب انسانية ضد الوحشية التى هدفها ابادة قوى الشر والبغى ليأمن الناس شرها المستطير وضررها الخطير •• والاسلام لا يمنع أن تقوم العلاقات الانسانية على البر والخير مع من لم يحارب أو يعتدى او يظاهر المعتدين أو يغدر ويطغى •

فاذا اختلس الادمى طبائع سكان المغاور والجبال وأصبح وحشا قاتلا فاتكا يعتدى على الامنين وعلى الاطفال البرءاء فى مدارسهم وعلى العمال فى مصانعهم وعلى الناس فى دورهم وعلى النائمين فى مضاجعهم عندئذ يفرض الاسلام علينا أن نتسلح بكل الاسلحة لارهاب الاعداء ومن هم وراء الاعداء لتثبيت العزة وتدعيم الهيبة ومن مظاهر ذلك أن يصبح كل الاصحاء جيشا مدربا على السلاح ومستعدا فى كل وقت للقاء العدو الخبيث الماكر بشجاعة تامة تستهين بالموت لتوهب له الحياة والمؤمن يصبر راضيا بأن للحروب ضرورات وفيها تحمل مسئوليات وبذل تضحيات لمن يريد النصر المبين على الاعداء الغادرين •

ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الايام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لايحب الظالمين وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين) •

والله يقول فى مسالمة المسلمين ومعاداة المعتدين ••

لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا اليهم أن الله يحب المقسطين انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون]

وهكذا نجد الاسلام يسالم الموالين ويعادى المعتدين والغادرين •

مع القرآن الكريم

الدكتور عبد الله محمود شحاتة

التحـدى !!

نزل القرآن فى بضع وعشرين سنة ، وتألف من سبع وسبعين الف كلمه ونيف ، واكتمل القرآن فى هذه المدة على طريقة معجزة ، يستوى أولها نزولا وآخرها ، فى الاطراد والنظم والبلاغة والغرابة ، بحيث لا يستطيع انسان أن يعين فيما بين دفتيه موضع تنقيح ، أو يومىء الى جهة مسها تهذيب ، أو يستخرج ما يدل على ضعف فى نسقه واطراده ، أو لفظه ومعناه ، ولم يعهد فى تاريخ الارض كله ان كلام انسان من الناس يستمر على مثل هذه الطريقة بضعة وعشرين عاما ، ولا يكون أول ذلك الا بعد أن يبلغ الاربعين ، ثم لا ينتقض ولا يضعف ، ولا تختلف طبقاته ولا يتفاوت أمره فى كل هذه المدة ، مع اختلاف أحوال النفس وأمور الزمن ، ومع احصاء كلامه وجمعه لفظة لفظة ، والذهاب به حفظا وتلاوة ، حتى لا يجد السبيل الى تغيير كلمة واحدة بعد أن تفصل عنه ٠

٠٠٠

ومن أسرار الاعجاز فى هذا الكتاب الكريم ، أنه نزل بلسان عربى مبين ، بين عرب فصحاء ، طبعوا على الصراحة فى الراى والشجاعة فى القول ، والانفة من الذل والضيم ٠

وقد تحداهم القرآن أن يأتوا بمثله ، ثم طاولهم فى المعارضة ، وتنازل لهم عن التحدى بجميع القران الى التحدى بعشر سور مثله ، ثم الى التحدى بسورة واحدة من مثله ، وهم على رغم هذه المطاولة ، ينتقلون من عجز الى عجز ، ومن هزيمة الى هزيمة ، وهو فى كل مرة من مرات هذا التحدى وهذه المطاولة ، ينتقل من فوز الى فوز ، ويخرج من نصر الى نصر ٠

تصور أنه قال لهم فى سورة الطور أول ما تحداهم : « **أم يقولون تقوله بل لا يؤمنون ٠ فلياتوا بحديث مثله ان كانوا صادقين** » ٠

فلما انقطعوا مد لهم فى الحبل وقال فى سورة هود : « **أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين ٠ فان لم يستجيبوا لكم فاعلموا أنما انزل بعلم الله وألا اله الا هو فهل انتم مسلمون** » ٠

فلما عجزوا هذه المرة أيضا ، طاولهم مرة أخرى وأرخى لهم الحبل الى آخره ، وقال فى سورة البقرة : « **وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين ٠ فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التى وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين** » ٠

فكان عجزهم بعد ذلك أشنع وأبشع ، وسجل الله عليهم الهزيمة أبد الدهر ، فلم يفعلوا ولن يفعلوا ٠ ودحضت حجتهم وافتضح أمرهم ، وظهر أمر الله وهم كارهون ٠

معارضة القرآن :

حاول قوم أن يعارضوا القرآن ، متوهمين أنه سجع كسجع الكهان ، فجاءوا بسجع قلق يعارضون به القرآن – وشتان ما بين الحق والباطل – وقد باءت محاولتهم بالفشل ، وأخزتهم أمام الجماهير ، وكان مصرعهم هذا كسبا جديدا للحق ، وبرهانا ماديا على أن القرآن كلام الله القادر ، وما هو بقول شاعر ولا بقول كاهن .

يذكر التاريخ أن مسيلمة الكذاب ، زعم انه أوحى اليه بكلام كالقرآن ، ثم طلع على الناس ببعض الهذر .

يقول الرافعي : ان مسيلمة لم يرد أن يعارض القرآن من ناحية الصناعة البيانية ، وانما أراد أن يتخذ سبيله الى استهواء قومه بهذا السجع القلق .

وما كان مسيلمة فى قوله السجع حاذقا ، ولا فى دعوى النبوة صادقا ، وانما كان اتباعهم اياه كما قال قائلهم « كذاب ربيعة احب الينا من صادق مضر » .

روعة القرآن :

تميز القرآن بحلاوته وطلاوته ، وجماله وروعته ، تلك الروعة التى تأخذ بقلوب سامعيه عند سماعه ، وتستولى على افئدة قارئيه عند قراءته ، وقد أسلم جماعة عند سماع آيات منه ، كما وقع لجبير بن مطعم ، وذلك أنه سمع النبى صلى الله عليه وسلم يقرأ فى المغرب بالطور ، قال فلما بلغ هذه الاية **(أم خلقوا من غير شىء أم هم الخالقون) ، الى قوله المسيطرون كاد قلبى يطير ، قال : وذلك أول ما وقر الاسلام فى قلبى .**

وقصة اسلام ابى ذر واسلام أخيه كان سببها سماع القرآن ، روى عن ابى ذر أنه قال : قال لى أخى أنيس : ان لى حاجة فى مكة ، فانطلق فراث ، فقلت : ما حبسك ؟ قال : لقيت رجلا يقول ان الله تعالى ارسله ، فقلت : فما يقول الناس ؟ قال : يقولون شاعر ساحر كاهن ، قال أبو ذر وكان أنيس أحد الشعراء قال : تالله لقد وضعت قوله على أقراء الشعر فلم يلتئم على لسان أحد ، ولقد سمعت قول الكهنة فما هو بقولهم ، والله انه لصادق وانهم لكاذبون .

ومن ذلك ما روى أن الوليد بن عقبة أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال اقرأ فقرأ عليه : **(ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون)** النحل : ٩٠ ، فقال : أعد ، فأعاد ، فقال : والله ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة ، وان أسفله لمغدق ، وان اعلاه لمثمر ، وما يقول هذا بشر .

الكلمات وحروفها :

ومن الروعة الحقة للقرآن ادراكه لخفايا النفس البشرية وتلمس السبل لبعث عوامل الايمان فى هذه النفس بالرغبة والتشويق والاثارة ، وصوغ المعانى فى عبارة خلابة ولفظ رشيق تكسوه حلاوة الفواصل المتقاربة فى الوزن التى تغنى عن التفاعيل ، والتقفية التى تغنى عن القوافى ، وترى الحرف يكون رفيقا فى موضع الرقة ، شديدا فى موضع الشدة ، فترى هذه الالف اللينة ، التى تختم بها آيات فى سورة النجم ، تصور جلال التكريم الالهى ، والفضل الربانى على النبى الامين فى قوله تعالى : **(والنجم اذا هوى ، ما ضل صاحبكم وما غوى ، وما ينطق عن الهوى ، ان هو الا وحى يوحى ، علمه شديد القوى ، ذو مره فاستوى ، وهو بالافق الاعلى ، ثم دنا فتدلى ، فكان قاب قوسين أو ادنى ، فأوحى الى عبده ما أوحى : ما كذب الفؤاد ما رأى ، أفتمارونه على ما يرى ، ولقد رآه نزله أخرى ، عند سدرة المنتهى ، عندها جنة المأوى)** . النجم ١ – ١٥ .

فالموقف موقف تكريم واسعاد ، والمشهد مشهد النبى الكريم يتخطى الحجب الى فضل هو ذروة المنتهى وجنة المأوى ، فناسب ذلك سهولة الفاصلة وليونه حرف الختام .

واذا عرض القرآن ألوان العذاب أو الوعيد تخير الكلمات الموحية ، والالفاظ المعبرة ، التى تسلك سبيلها الى النفس فتجسم الفكرة وتصور المعنى .

اقرأ قوله تعالى : **(ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن اقرب اليه من حبل الوريد ، اذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد ، ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد ، وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد ، ونفخ فى الصور ذلك يوم الوعيد)** ق ١٦ – ٢٠ .

فهذه الدال من حروف القلقلة مسبوقة بالياء المشبعة تحددصوت الانذار ، وتوائم أسلوب الوعيد ، وتلمس ذلك فى قوله تعالى : **(تكاد تميز من الغيظ)** فلفظ تميز يوحى بالقلق والغضب حتى كأن جهنم سبع مفترس يتحرق شوقا لالتهام فريسته .

واذا قرأت قوله تعالى **(فكبكبوا فيها هم والغاوون)** الشعراء ٩٤ ، استشعرت من لفظ الكبكبة **عنف العذاب الذى يصيب المجرمين حتى أنهم يدفعون** دفعا ، ويدعون دعا ، فيتهاوون جماعة فوق أخرى .

....

الحروف وأصواتها :

« الحرف الواحد من القرآن الكريم معجز فى موضعه لانه يمسك الكلمة التى هو فيها ليمسك بها الاية والايات الكثيرة ، وهذا هو السر فى اعجاز جملته اعجازا أبديا ، فهذا أمر فوق الطبيعة الانسانية ، وفوق ما يتسبب اليه الانسان اذ هو يشبه الخلق الحى تمام المشابهة وما أنزله الا الذى يعلم السر فى السموات والارض » .

سجود

هزنى ما قرأته عن هذا الموضوع لفضيلة المغفور له الشيخ محمود شلتوت فى كتابه ؟ الفتاوى ـ دراسة لمشكلات المسلم المعاصر فى حياته اليومية والعامة ! ٠ وقد دفعنى ما لمسته فيه من فائدة جمة الى تناوله بالعرض والتلخيص ٠ فقد أوضح البحث أن فى القرآن الكريم آيات لا يقل عددها باتفاق المحدثين والفقهاء عن عشر آيات ولا يزيد عددها عن خمس عشرة آية ٠ يأمر بعض هذه الايات بالسجود لله ويذكر بعضها على من سجد لغير الله ٠ ويحكى بعضها عما فى السموات وما فى الارض وعن الملائكة وعن المؤمنين سجودهم لله ٠

وكان النبى صلى الله عليه وسلم اذا قرأ آية من تلك الايات سجد فى نهايتها سجد معه أصحابه السامعون ٠ واستمر الامر على ذلك فى عهد أصحابه والتابعين . وبعد ذلك تناول الموضوع أئمة الفقه وافردوا له بابا مستقلا عرف فى جميع المذاهب بباب « سجود التلاوة » .

وقد اتفق جميع العلماء على أنها مشروعة ومطلوبة . وأعطاها بعضهم حكم الوجوب . وأن تركها مع العلم بها وتحقيق سببها وهو قراءة القرآن موجب للاثم. ورأى آخرون أن تركها مفوت لثواب السنن وأن المداومة على تركها مظهر من مظاهر الجفوة للمشروعات التعبدية الثابتة عن النبى صلى الله عليه وسلم ٠

وآيات سجدة التلاوة حسب الترتيب المصحفى هى :

١ ـ « ان الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون » آخر سورة الاعراف ٠

٢ ـ « ولله يسجد من فى السموات والارض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والاصال » آية ٥١ من سورة الرعد ٠

٣ ـ « ولله يسجد ما فى السموات وما فى الارض

وربما حذف القرآن حرفا فى سياق معين ، وأثبت نفس الحرف فى سياق مشابه ليشير الى معان جمة تلحظها النفس بين السطور وتراها فى ثنايا التعبير ٠

فى الايات الاخيرة من سورة الزمر ، يقول القرآن الكريم : (وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا حتى اذا جاءوها فتحت ابوابها) ، فأشارت الاية الى مشهد من مشاهد الاذلال لهؤلاء الكفار ، فهم وتوف لا يفتح الباب لهم الا بعد احضارهم ، وقال سبحانه بعد ذلك : (وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا حتى اذا جاءوها وفتحت ابوابها) الزمر ٧٣ ، فاشارت الاية الى أن التكريم قد سبقهم بتفتيح أبواب الجنة وانتظار قدومهم ٠

لقد تحدث القرآن عن النار فقال « فتحت » ٠

وتحدث عن الجنة فقال « وفتحت » ٠

فاظهر الاذلال الذى ينال الكافرين بالانتظار على الابواب : والاكرام الذى ينال المؤمنين بالاعداد والاستقبال الذى يسبق قدومهم احتفاء بهم ٠

« ولما كان الاصل فى نظم القرآن أن تعتبر الحروف بأصواتها وحركاتها ومواقعها ، من الدلالة المعنوية ، استحال أن يقع فى تركيبه ما يسوغ الحكم فى كلمة زائدة ، أو حرف مضطرب ، أو ما يجرى مجرى الحشو والاعتراف والاعتراض »

ونجد القرآن اذا تحدث بلسان النملة كانت كلماته كأنها تحكى صوت النملة واذا تكلم بلسان الهدهد كان جرس الكلمات وموسيقاها يحكى صوت الهدهد ٠

قال القرآن على لسان الهدهد : وجئتك من سبأ بنبأ يقين ٠

فالصوت فى القرآن يؤدى غرضه كاملا غير منقوص ، يلين أو يشتد ويهدأ أو يهيج ، ينساب انسيابا كالماء اذ يسقى الغراس أو يعصف عصفا كأنه صرصر عاتية تبهر الانفاس ، ان الابداع الصوتى فى القرآن وانتقاء الكلمات بجرسها ونغمها له أكبر الاثر فى هدايته البالغة ، ونظمه العجيب ، واعجازه الرائع ، وتأثيره فى قلوب سامعيه من العرب والعجم ٠

وما من أعجمى يسمع ترتيل القرآن فهمه أو لم يفهمه ، الا اعترته رقة للشجى والنظم ، وأحس أن هذه الايات تتموج فى نفسه وتجيش نفسه بها ، مع أنه لا يعتريه من ذلك شىء اذا هو سمع الالحان العربية فى الغناء والشعر ، وقد لا يجد فى الموسيقى ضربا أسخف منها لمكان اختلاف الاذواق ، وما نجد ملحدا لا يؤمن بالله الا وهو مؤمن بهذا الاعجاز فى كتابه ، حين يسمعه مرتلا من صوت جميل كأن النبوة حينئذ تلامسه ٠

التـلاوة

عرض وتلخيص محمد فاوى عسر

من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون » الاية ٤٩ من سورة النحل •

٤ ــ « قل آمنوا به أو لا تؤمنوا • ان الذين أوتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجدا ويقولون سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا » •

٥ ــ وقوله تعالى فى سورة مريم بعد أن قص أنباء جملة من رسله الكرام : « أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم وممن حملنا مع نوح ومن ذرية ابراهيم واسرائيل وممن هدينا واجتبينا اذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا » • الاية ٥٨ من سورة مريم •

٦ ــ « ألم تر أن الله يسجد له من فى السموات ومن فى الارض والشمس القمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس وكثير حق عليه العزاب ومن يهن الله فما له من مكرم ان الله يفعل ما يشاء » • الاية ١٨ من سورة الحج •

٧ ــ « يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا وأعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون » • الاية من سورة الحج •

٧٧ ــ « واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالــوا وما الرحمن انسجد لما تامرونا وزادهم نفورا » • الاية ٦٠ سورة الفرقان •

٩ ــ وقوله تعالى فى سورة النمل بعد حــديث الهدهد عن ملكة سبأ ؟ الا يسجدوا لله الذى يخرج الخبء فى السموات والارض ويعلم ماتخفون وما تعلنون • الله لا اله الا هو رب العرش العظيم ! • الاية ٢٥ : ٢٦ من سورة النمل •

١٠ ــ « انما يؤمن بآياتنا الذين اذا ذكروا بها خروا سجدا وسبحوا بحمد ربهم وهم لا يستكبرون ! • الاية ١٥ من سورة السجدة •

١١ ــ « وظن داود أنما فتناه فاستغفر ربه وخر راكعا وأناب » • الاية ٢٤ من سورة ص •

١٢ ــ « ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذى خلقهن ان كنتم اياه تعبدون فان استكبروا فالذين عند ربك يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسئمون » • الايتين ٣٧ ، ٣٨ من سورة فصلت •

١٣ ــ « أفمن هذا الحديث تعجبون وتضحكون ولا تبكون وأنتم سامدون فاسجدوا لله واعبدوا » • الاية ٥٩ ــ ٦٢ من سورة النجم •

١٤ ــ « فلا أقسم بالشفق والليل وما وسق والقمر اذا اتسق لتركبن طبقا عن طبق فما لهم لا يؤمنون واذا قرىء عليهم القرآن لايسجدون » • الاية ١٦ ــ ٢١ م سورة الانشقاق •

١٥ ــ «كلا لئن لم ينته لنسفعا بالناصية • ناصية كاذبة خاطئة فليدع ناديه • سندع الزبانية كلا لا تطعه واسجد واقترب » • الاية ١٥ ــ ١٩ من سورة العلق •

وقد وضع لها فى هامش الطبعة الاخيرة من المصحف علامات واضحة ترشد الى ما أجمع الائمة على السجود فيه والى ما اختلفوافيه •وبيان المذهب المصاحف •

وسجدة التلاوة تؤدى بسجدة واحدة بين تكبيرتين احداهما حين الهوى لوضع الجبهة على الارض • والاخرى حين الرفع للانتهاء دون تشهد ولا تسليم •

وأفضل ما يقال فيها بعد تسبيح السجود المعهود ما روته السيدة عائشة رضى الله عنها : كان النبى صلى الله عليه وسلم يقول فى سجود القرآن : « سجد وجهى للذى خلقه وشق سمعه وبصره بحوله وقوته » •

ويجب أن يكون السجود للقبلة • كما يجب ألا يكون الساجد على جنابه واشترطت المذاهب المشهورة

طهارة الوضوء — ويرى بعض الفقهاء انه لايشترط الوضوء • وفى هذا الرأى يسر عظيم يتمشى مع يسر الاسلام وسهولته • وان كان الوضوء أحب وأولى •

وحكمة هذا السجود انها نوع من التربية العلمية الروحية • يفاجأ بها المؤمن كلما قرأ القرآن أو سمعه فى أى وقت • وفى أى مكان •وهذا اختبار لدرجة استعداده لاجابة الدعوة عمليا فى الخضوع لله واسلام الوجه اليه •

وفيها مسايرة لروح العبودية العام الذى سخر الكون عليه • ناطقة وصامتة علوية وسفلية • والمسارعة الى الاعلان العملى بتخصيص السجود لله وحده دون أرباب العظمة الافلة الفانية « لا تسجدوا للشمس ولا للقمر • واسجدوا لله الذى خلقهن » •

وفيها التلبية لمقتضى العلم والايمان والتشبه بالملا الاعلى الدائم السجود لله •

« ان الذين أوتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم يخرون للاذقان سجدا » • « ان الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون » .

وفيها مراغمة الملحدين **« واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن • قالوا وما الرحمن ؟ »** •

وأخيرا فيها المبادأة الى التأسى بالرسول فى قوة اعراضه عن المكذبين • وائتماره بالسجود لله • ومتابعة الانبياء والسير فى طريقهم • اظهارا لوحدة الدين عند الله « كلا لا تطعه واسجد واقترب » • **« أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم وممن حملنا مع نوح • ومن ذريه ابراهيم واسرائيل • وممن هدينا واجتبينا اذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا »** •

والسجود الوارد فى آيات السجود ليس معناه فقط كما يريد أرباب التحليل مجرد الخضوع والتسليم القلبى الخفى • دون أن يكون له بالاعضاء مظهر يدل عليه • وان من يفسره بذلك ولا يرى سجودا عمليا مطلوبا ، فتداقتحم حرمة عبادة • عرفت مشروعيتها عن الرسول وتواترت بصفتها الشرعية • وتلقاها خلف المسلمين المتفقهين فى دينهم عن سلفهم الصالح • واتضح انها شعار عملى عام للمؤمنين يوجد مثله عند كثير من الطوائف والجماعات ذات المبادىء الخاصة والاتجاهات المعينة . اعلانا لمبادئهم وتقديسا لمعتقداتهم .

وجدير بشريعة الله ؟ أن تتخذ السجود لله ، رمزا لاسمى العقائد واقواها أثرا فى الحياة • وهى عقيدة التوحيد المطلق لله الواحد القهار •

لا عدوان في الإسلام

الأستاذ فتحي أحمد مصطفى

هذه قضية نرد بها على قالة السوء التى يرددها اعداء الاسلام ، اذ يقولون : انه دين حرب ، وانه لم يسلك سبيله الى النفوس الا بالتهديد والاكراه ، والسيوف المصلتة تهدد الرقاب ·

فتعال معى ايها القارىء لننظر اكان حقا مايقولون ام هو افك وبهتان .. ؟ كانت وجهة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم من يوم بعث ان يملا دين الله الارض ، وان يستقر نوره فى القلوب غير مرغمة ولا كارهة ، فحاربه فى ذلك أهل مكة أهول الحرب ، واذاقوا من تبعه من الناس اشد العذاب ، وكان جديرا ان يقابل حربهم بحرب من أول الامر ، ولكنه صبر وصابر ، وصبر أصحابه وصابروا ، واتخذوا الى السلم كل طريق · فكان راغبا عن القتال ، مقتصدا طول حياته اشد القصد فيه ، وقد قال له أهل يثرب لما بايعوه فى العقبة الثانية ، حين سمعوا صائحا يصيح بقريش ينبهها لامرهم : (**والذى بعثك بالحق، ان شئت لتميلن بأهل منى غدا باسيافنا**) **فكان جوابه** (**لم نؤمر بذلك**) ·

وكانت أول آية أنزلت فى القتال « **اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير** · وتلا ذلك « **وقاتلوهم حتى لاتكون فتنة ويكون الدين كله لله** » ·

فوجهة الاسلام كانت غاية واحدة هى الغاية التى يجب أن يقاتل من أجلها كل فردوهى التى يجب أن تكون هدف كل دعوة صادقة ، وتلك هى كفالة حرية العقيدة والرأى ، وهذه الكفالة هى التى فى سبيلها وحدها أحل القتال ، ودفاعا عنها أبيح دفع المعتدى ، حتى لا يفتن احد عن دينه ، ولا يظلم أحد بسبب عقيدته أو رأيه ·

وهنا تبرز الهجرة النبوية الكريمة لتفصل بين عهدين متميزين فى الاسلام ، فان من الحقوق التى يقررها التاريخ الحق ان القتال لم يبدأ فى الاسلام الا بعد الهجرة أما قبلها ومن وقت ظهور الدعوة فقد كان النبى صلى الله عليه وسلم يقاسى من اذى الكفار فى صبر وكان المسلمون يقاسون معه ··

ولقد كانت الهجرة نفسها فرارا بالدعوة من اذى هؤلاء الكفار وعنادهم وصدهم الناس عن سبيل الله .. واذن فقد استقرت الدعوة الاسلامية ثلاثة عشر عاما تكافح الكفر والعناد والخصومة الفاجرة دون أن تحمل سيفا أو ترد اذى أو حتى تتحدث عن القتال ·

وهذه الحرب التى واجهتها الدعوة الاسلامية ثلاثة عشر عاما بالصبر والسلم ما كانت لتطفىء نارها الهجرة بل كانت الهجرة اشبه بالوقود الذى زادها اشتعالا ·

فقد أراد الله عز وجل أن تتم فى نفس الليلة التى بيت الكفار فيها نية الغدر برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفيها حشدوا لهذا الغدر خيرة شبابهم ، ومن ثم كان حرصهم المستميت على الغدر برسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبه قبل أن يصلا الى المدينة ، وما تجلى فيه هذا الحرص من ثورة طاحنة ، جعلت نفوسهم تغلى بالغضب وارخصت المال الذى رصدوه لمن يظفر بمحمد حيا أو ميتا ..

ولكن الله تعالت حكمته كان قد اراد لدين الحق أن ينتصر على باطل الكفار ، ومن ثم هيأ للمهاجرين الكريمين كل سبل النجاة ، فاذا بالهجرة تتم كما أرادها الله ، واذ طلائع النصر المبين لدينه تلوح فى الافق القريب ! ·

وفى يثرب مدينة الرسول فيما بعد كان المسلمون الاولون من أهلها ينتظرون مقدم الرسول صلى الله عليه وسلم فى لهفة ، وكان غيرهم من اليهود والمشركين ينتظرون ايضا وان قريشا لتعلم من أمر محمد ما تستطيع معه ان تقدر نتائج هجرته الى المدينة وبقائه بين أهلها ، وان علمها هذا ليبدو مصدر قلق شديد لها على مصيرها ، وعلى مكانتها التى كانت تعتز بها بين العرب .

وبوحى من هذا كله لم تضع الهجرة حدا لمخاوف أهل مكة ولم تقلل من عدائهم لمحمد وللمسلمين ، وانما غذت هذا العداء وانمته وجعلتهم يتجهون به على رغمهم الى القتال · !

ومضى أكثر من عام على المسلمين بالمدينة ، وهم عاكفون على الدعوة الى دينهم وعلى تنظيم المجتمع الجديد الذى تكون لهم لاول مرة ، ثم كانت الموقعة الاولى بين الاسلام والكفر فى بدر الكبرى ·· ولا نريد هنا ان نتحدث عن هذه الغزوة التى سجل فيها المسلمون أول نصر لهم على الرغم من قلة عددهم وضعف استعدادهم ، وكونهم لم يخرجو لقتال ·· ولكننا نريد فقط أن نقرر ان العدوان بدأ من جانب الكفار وانهم هم الذين خرجوا للقتال فى الكثرة والعدد حتى تظل هيبتهم بين العرب ·· اما المسلمون فقد كانوا فى هذه الغزوة يدافعون عن انفسهم ، بعد ان انزل الله تعالى عليهم « اذن **للذين يقاتلون بانهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير** » ·

ومن هنا لا يبدو عجيبا ان تتضمن السورة التى انزلت فى هذه الغزوة - وهى سورة الانفال - دعوة الى السلم ·· بقوله تعالى « **وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله** » ذلك انه يدعو الى السلام دعوة لم تسم الى مستواها دعوة للسلام قط فى أول سورة انزلت لتتحدث فى موضوع القتال وحده أو تكاد ·

ومن اليسير عليك اخى القارىء أن تتبين فى كل غزوة من غزوات الرسول ان المشركين هم الذين بدأوا بالعدوان، فقد كانوا هم الحريصين على القتال فى احد انتقاما لقتلاهم فى بدر وكانوا هم المهاجمين فى غزوة الخندق . وهكذا ..

وحتى فى الغزوات التى يبدو ان المسلمين هم الذين اعتدوا ولا كان المشركون هم البادئين بالعدوان، وان بدأ المسلمون القتال فان من البديهى ان ليس كل قتال عدوانا وان البدء بالقتال لا يعنى العدوان فى كل حال . !

وفى المعارك التى خاضها المسلمون كانت اداب الحرب فى الاسلام هى دستورهم الذى لا يحيدون عنه ومن مبادىء هذا الدستور : الا يقتل الا من يقاتل فالشيوخ والنساء والاطفال والرهبان والمرضى والعجزة لا يجوز قتلهم الا ان يشاركوا فى القتال وكأنهم بالمشاركة هم الذين قتلوا انفسهم ، لانهم عرضوها للقتل ، واسهموا فى الحملة على جيش المسلمين .

والقتيل فى الاسلام لا يمثل به .. والحرمات لا تنتهك فى الاسلام باسم الحرب .. والغدر لا يحل باسم الحرب ايضا .

والتخريب تحت ستار الحروب لا يجوز ..
وهكذا ...

اذن فالاسلام مثالى حتى فى حروبه ، بناء حتى بهذه الحروب .

وننتهى من هذه العجالة الى تقرير القضية العامة التى لا ينبغى الخلاف عليها : وهى ان الاسلام دين الاسلام يدعو اليه ويحث عليه ويعمل له بكل وسيلة فاذا تصدى الكفار للدعاة اليه ـ وانما يتصدى ائمة الكفر عادة ـ محاولين أن يحولوا بينهم وبين ابلاغ كلمة الله واذاعة الحق بين الناس ، وهداية من يريد الهداية منهم ـ وجب ان يقاتلوا لافساح المجال للدعوة وتأمين الدعاة ، لا لقسر الناس على الدخول فى الاسلام .. ولا لاستعمار الشعوب التى يقاتلونها .. ولا للاستغلال وامتصاص الدماء بغير حق كما يفعل غلاة المستعمرين اليوم .. انما دفاعا عن حرية الراى والعقيدة .

واظن ان هذا المعنى يتضح فى اسلوب أكيد واضح فى قوله تعالى ((**وان احد من المشركين استجارك فاجره حتى يسمع كلام الله ثم ابلغه مأمنه** » ذلك انها جعلت الغاية هى سماع كلام الله ولم يجعلها الدخول فى الاسلام، ثم هى تجاوزت هذا الى الامر بابلاغه مأمنه ان لم يشأ .

الاستجابة للدعوة ما دام قد استجار بالنبى صلى الله عليه وسلم ..

كذلك يتضح هذا المعنى فى قوله تعالى« **وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله** » فان خير ما فسرت به الفتنة هى : صد الناس عن الاسلام وحملهم على البقاء بالكفر . وخير ما فسر به كون الدين لله هو : كفالة الحرية لكل انسان ليختار ما يراه لنفسه دون ضغط أو اكراه من احد ، فانه لو ترك كل انسان حرا لاختار الدين الحق لوضوحه وسلامة وقوة براهينه ومن ثم تصبح الطاعة كلها لله . ولا يفتن أحد عن دينه . ونخرج من هذا بحقيقة تؤكد ان الاسلام دين السلام حتى بحروبه .. فمن أجل السلام الدائم قامت هذه الحروب .

وسيظل الاسلام دين السلام وسيحمل اتباعه السلاح دفاعا عن المبادىء التى اقرها الاسلام من حرية الراى والعقيدة ودفاعا عن شرف الحياة وردا لكل بغى وعدوان .

« فضل الاستشهاد فى سبيل الله »

اخرج الامام احمد وغيره من حديث ابن عباس [رضى الله عنهم] قال : قال رسول الله [صلى الله عليه وسلم] : « لما اصيب اخوانكم باحد جعل الله ارواحهم فى اجواف طير خضر ترد أنهار الجنة، وتأكل من ثمارها ، وتأوى الى قناديل من ذهب معلقة فى ظل العرش » فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم وحسن مقيلهم قالوا : يا ليت اخواننا يعلمون ماصنع الله لنا ـ وفى لفظ آخر ـ من يبلغ اخواننا اننا احياء فى الجنة نرزق لئلا يزهدوا فى الجهاد ، ولا ينكلوا عن الحرب ؟ فقال الله تعالى : انا ابلغهم عنكم فانزل الله هذه الايات : ـ

« ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون ، فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ان لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، يستبشرون بنعمة من الله وفضل وان الله لا يضيع اجر المؤمنين .

حسن الجوار

الأستاذ محمود السعيد الطنطاوي

جاءت الشريعة الاسلامية لتنهض بالمجتمع الانسانى ولتنظم للناس حياتهم وتبين لهم ما يجب عليهم أن يتبعوه فى تنظيم أمورهم الدينية والدنيوية معا — وحتى يسعد بنو الانسان وتمتلىء دنيا الناس وحياتهم بالخير والبركة لم يترك المشرع الاسلامى صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها ، وانما وقع شعاع من نور الشريعة الاسلامية سطعت معه فضيلة الاسلام . وظهرت سماحة الشرائع والاحكام . والعبر والعظات والمحامد والشمائل التى اشتملت عليها دعوة الاسلام . التى جاءت أمنا وسلاما للناس وهداية وارشادا ونورا وتبصرة لكل من آمن بالدعوة المحمدية ، ولقد قام الداعى صلى الله عليه وسلم . بدعوته خير قيام لينعم الناس فى ظل الاسلام بالراحة والطمأنينة ويحب كل انسان آمن بهذه الدعوة لاخيه المسلم ما يحبه لنفسه .

ومن الفضائل التى اشتمل عليها الاسلام فضيلة حسن الجوار والاحسان الى الجيران — والله تبارك وتعالى قرن اكرام الجار وحسن معاملته . بعبادته جل شأنه وتوحيده وعدم الاشراك به جلت قدرته . وبالاحسان الى الوالدين والاقارب واليتامى والمساكين . فقال تعالى فى قرآنه الكريم — « واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا وبذى القربى واليتامى والمساكين والجار ذى القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل » — آية ٣٦ سورة النساء . أمر الله تعالى العالم الخبير بمصالح عباده وبما ينفعهم فى دنياهم واخرتهم . أن يحسن الجار الى جيرانه ، وقد جمع النبى صلى الله عليه وسلم . حسن الجوار واكرام الجيران بعضهم بعضا فيما رواه معاذ بن جبل رضى الله عنه . قال . قلنا . يارسول الله . ما حق الجوار . قال : ان استقرضك أقرضته وان استعانك أعنته وان احتاج أعطيته وان مرض عدته وان مات تبعت جنازته وان أصابه خير سرك وهنيته . وان أصابته مصيبة ساءتك وعزيته . ولا تؤذه بقتار قدرك الا ان تغرف له منها ولا تستطل عليه بالبناء لتشرف عليه وتسد عليه الريح الا باذنه وان اشتريت فاكهة فاهد له منها والا فادخلها سرا لا يخرج ولدك بشىء منها يغيظون به ولده وهل تفقهون ما أقول لكم . لن يؤدى حق الجار الا القليل ممن رحم الله — رواه القرطبى فى تفسيره — ومعنى . ولا تؤذه بقتار قدرك — أى برائحة الطعام ، فان الجار قد يكون فقيرا معدما وله أولاد صغار يشمون رائحة طعام الجيران فيتحسرون ويشتد همهم . ولهذا أمر النبى صلى الله عليه وسلم . زوجته عائشة أن تهدى أول ما تهدى الى أقرب جار لها — تقول . عائشة رضى الله عنها . قلت يا رسول الله ان لى جارين بأيهما أبدأ . قال : بادناهما بابا — يعنى الملاصق — رواه البخارى وأبو داود — وقال عليه الصلاة والسلام . لابى ذر الغفارى رضى الله عنه — يا أبا ذر اذا طبخت مرقة فاكثر ماءها وتعاهد جيرانك — رواه مسلم — ولله در القائل .

قدرى وقدر الجار واحدة
واليه قبلى ترفع القدر

والجار هو من تجاوره فى السكن والعمل وتراه وجها لوجه فى غدوك ورواحك الى دارك . وتقول العلماء — الجيران ثلاثة . جار له حق الجوار وهو المشرك . وجار له حقان وهو المسلم . له حق الجوار وحق الاسلام . وجار له ثلاثة حقوق . وهو الجار المسلم الذى بينك وبينه صلة رحم . له حق الجوار وحق الاسلام . وحق القرابة — فاثبت المشرع الاسلامى حق الجوار وحسن المعاملة لجميع الجيران ، بما فيهم الجار المشرك . وفى هذا دلالة واضحة على سماحة الاسلام وعدالة قوانينه التى وضعت ليستفيد منها المسلمون وغير المسلمين — جاء فى سير العرب أن أبا حنيفة كان له جار اسكاف بالكوفة . وكان يعمل طول النهار فاذا جاء الليل رجع الى منزله يأكل ويشرب فاذا دب فيه السكر . أنشد — .

أضاعونى وأى فتى أضاعوا
ليوم كريهة وسداد ثغر

ويظل يشرب ويردد هذا البيت حتى يغلبه السكر وينام . وكان الامام أبو حنيفة . رضى الله عنه يصلى الليل كله ويسمع حديثه وانشاده . ففقد صوته بعض الليالى فسأل عنه فقيل له أخذه العسكر منذ ثلاثة أيام وهو محبوس فركب الامام بغلته ومشى واستأذن على الامير فاذن له ورحب به فلما دخل عليه أجلسه مكانه . وقال له ما حاجة الامام . فقال . لى جار اسكاف اخذه العسس منذ ثلاثة ايام واستشفع له فأمر الامير بفك حبسه. فركب الامام أبو حنيفة بغلته وأردف جاره خلفه فلما وصل الى داره قال له أترانا اضعناك . فقال الجار لا بل حفظت ورعيت جزاك الله خيرا عن صحبة الجوار ورعايته . ولله على ألا أشرب خمرا بعدها . وتاب الرجل — وحد الجوار كما قالت السيدة

عائشة رضى الله عنها . . اربعون دارا = وروى القرطبى فى تفسيره . ان رجلا جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال انى نزلت محلة قوم وان اقربهم الى جوارا اشدهم الى أذى . فبعث النبى صلى الله عليه وسلم . أبا بكر وعمر وعليا . يصيحون على أبواب المساجد . الا أن أربعين دارا جار ولا يدخل الجنة من لا يامن جاره شروره وغوائله — وعن عائشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . ما زال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت انه سيورثه — متفق عليه — يعنى انه من كثرة توصية جبريل عليه السلام للنبى صلى الله عليه وسلم. بالجار وبالمحافظة على حقوقه وحسن رعايته واكرامه . ظن النبى أن جبريل سيأتى بوحى من السماء يجعل للجار حقا فى ميراث جاره . كما يرث الابن أباه والاخ أخاه .

والاسلام نهى عن ايذاء الجار او عمل أى شىء يسوءه ، وشدد المشرع الاسلامى فى ذلك النهى عن أبى شريح رضى الله عنه قال قال النبى صلى الله عليه وسلم . والله لا يؤمن . والله لا يؤمن والله لا يؤمن . قيل من يا رسول الله . قال . الذى لا يامن جاره بوائقه — رواه البخارى.ومعنى بوائقه — يعنى شروره وغوائله — أى لا يؤمن ايمانا كاملا خالصا لله من يؤذى جاره ويتعدى عليه . لان فى ذلك مخالفة لما أمر به الاسلام من حسن الجوار — وجاء رجل يشكو الى النبى صلى الله عليه وسلم جاره — قال اذهب فاصبر فأتاه مرتين او ثلاثا . فقال له النبى صلى الله عليه وسلم . اذهب فاطرح متاعك فى الطريق . فطرح متاعه فى الطريق . فجعل الناس يسألونه فيخبرهم خبره فيلعنون ذلك الجار . فجاءه جاره وقال له ارجع ولن ترى منى شيئا تكرهه — رواه ابو داود — وفى هذا دليل على جواز التشهير بالجار السيىء الخلق ليكون فى ذلك ردع له ليكف عن ايذاء جاره — ويوم القيامة يتعلق الجار المظلوم بجاره الظالم له . ويقول . يارب سل هذا لم أساء الى ومنعنى حق الجوار . وجار على وهتك سترى وسد بابه فى وجهى وقت حاجتى اليه ولم يسرع الى نجدتى عندما ألم بى مكروه ونزلت بى المصائب — عن عبد الله بن مسعود . قال . قال رجل يا رسول الله كيف لى أن أعلم اذا أحسنت أو أسأت . . قال . اذا سمعت جيرانك يقولون قد أحسنت فقد أحسنت ، واذا سمعتهم يقولون قد أسأت فقد أسأت — وجاء فى الاثر — حسن الجوار يعمر الديار ويطيل الاعمار ويخلد الاثار والجور على الجار يخرب الديار وينقص الاعمال ويمحو الاثار — نعوذ بالله من الجور والظلم .

ومن يرد الله به خيرا يرزقه بالجار الصالح الناصح الامين المحافظ على جاره فى ماله وعرضه .

انى لاحسد جاركم لجواركم
طوبى لمن امسى لدارك جارا
يا ليت جارك باعنى من داره
شبرا فاعطيه بشبر دارا

يتغنى الشاعر بحسن الجوار ويتمنى لو يعيش بجانب هؤلاء الجيران الذين يرعون حقوق الجار — ونظرا لما للجار من حقوق على جاره . فرض المشرع الاسلامى الشفعة للجار فى دار جاره دفعا للضرر عنه ، وعن أنس رضى الله عنه قال . قالرسول الله صلى الله عليه وسلم . جار الدار احق بالدار — رواه النسائى وعن جابر رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم — الجار أحق بشفعة جاره ينتظره بها وان كان غائبا اذا كان طريقهما واحدا — رواه أحمد والترمذى والنسائى — والمشرع الاسلامى يهدف من كل هذا أن يعيش الناس فى أمن وطمانينة وتمتلىء دنياهم بالبر والخير والتعاون والتكافل . لان رسالة الاسلام جاءت تدعو الناس الى عبادة رب الناس والى الحق والامر بالمعروف . والعمل على اقامة مجتمع انسانى سعيد . لان الافراد اذا سعدوا فى حياتهم سعد المجتمع كله . لان المجتمع يتكون من مجموع الافراد فاذا أحب كل انسان لاخيه ما يحبه لنفسه أصبح مجتمع المسلمين كالجسم الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له باقى الاعضاء .

الشريعة الإسلامية

— ٨ —

حرية الرأى والعقيدة :

حرية الرأى :

٤٤ — **واذا كانت الشريعة الغراء قد كفلت حرية الفرد الذاتية فى حدود أوامر الشارع ونواهيه وفى حدود حق الجماعة ، وعملت فى سبيل ذلك على منع الرق وازالته والحفاظ علىحرمة المسكنوحق الاقامه فى الوطن — وهو ما تناولناه فى مقال سابق — اذا كان الامر كذلك فان الشريعة الاسلامية قد كفلت أيضا حرية الفكر فاطلقته من عقاله ودعت الاذهان الى التفكير فى مخلوقات الله قال تعالى « أو لم ينظروا فى ملكوت السموات والارض وما خلق الله من شىء ذلك بأن** هذه الحرية فى الفكر هى أساس مختلف العلوم والفنون التى لايمكن ان تنمو الا اذا كان الفكر حرا ولهذا جاء الاسلام — باطلاقه حرية الفكر — ينبوعا للثقافة ومنشئا لها وفاتحا أبواب البحث والتفكيرعلى مصراعيه .

حدود هذه الحرية :

٤٥ — **ولكن حرية الفكر — كغيرها من الحريات — لابد أن تحدها حدود** حتى تؤتى هذه الحرية ثمارا طيبة فهى مقيدة بما يلى :

(١) النص الشرعى القطعى : اى بما أمر به الله سبحانه فىكتابهالكريم وسنةنبيه العظيم بنصقطعى الدلالة والثبوت اذ لا مجال للاجتهاد فيما فيه نص . قال صلى الله عليه وسلم « **لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به** » امامن اتبع هواه وجعله الهه فقد نأى بفكره عن الحرية الى سلطان الهوى .

(٢) ما أختص الله سبحانه بعلمه : فلا محل للخوض فى الامور التى اختص الله سبحانه وتعالى بعلمه فيها كأمر الروح وقيامالساعة وما فى الارحام وما ذا تكسب النفسوبأى أرضتموت او وقت نهاية الاجل وغير ذلك قال صلى الله عليه وسلم « **لا تفكروا فى الله فتضلوا وتفكروا فى خلق الله** » .

(٣) المجادلة بالتى هى أحسن : وقد وضعت الشريعة الغراء قواعد للمجادلة وأمرت بان تكون

كمصدر للتشريع

المستشار فتحى عبد الصبور

المجادلة بالتى هى أحسن حتى يصل بها صاحبها الى حدالاقناع والاقتناع قال تعالى « **ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن** » وقال سبحانه« **فبما رحمةمن اللهلنت لهمولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك** » .

(٤) مراجعة ولى الامر : وليس أدل على احترام الشريعة الاسلامية للراى الحق ماروىعن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه أنه خطب مرة فقال « **لا تزيدوا فى مهور النساء على أربعين أوقية فمن زاد ألقيت الزيادة فى بيت المال** »

فقالت امرأة من صف النساء « ماذاك لك » « قال » ولمقالت«لان الله سبحانهوتعالىيقول« **وآتيتم احداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا أتأخذونه بهتانا واثما مبينا** » **فقال عمر « اصابتامرأةوأخطأ عمر »** بل ان شخصا من عامة المسلمين **سمع عمر** وهو يقول « من رأى منكم فى اعوجاجا فليقومه » فقال « **والله لو رأينا فيك اعوجاجا لقومناك بحد السيف** »

ولكن شرط هذه المراجعة أن تكون بالحق والصدق لا تستند الى افك أو بهتان أو تحتوى على اثم او عصيان **وهو ما يعرف بالنقد البناء الذى لا يسعى الى الفساد والهدم وانما يهدف الى التقويم والاصلاح ، قال الخليفة أبو بكر** فى خطبة الخلافة « **ان رأيتمونى على حق فأعينونى وان رأيتمونى على باطل فسددونى** »

وقد رتبت الشريعة الغراء على حق المسلم فى مراجعة ولىالامربما يحقق صالح الاسلام والمسلمين أن « **لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق** » فقد قال صلى الله عليه وسلم « **السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحب وكره مالم يؤمر بمعصية فاذا امر بمعصية فلاسمع ولا طاعة** » .

ولا مراء فى أنه يقوم بمهمة مراجعة ولى الامر ممثلوا الامة الذى تنتخبهم فى مجالسها النيابية وقد سجل الميثاق الوطنى للجمهورية العربية المتحدة حق : حرية الفكربقوله ان « حرية الكلمة هىالتعبير عن حرية الفكر فىأى صورة من صورة ! وان « حرية الكلمة هى المقدمة الاولى للديمقراطية »

حرية العقيدة :

٤٦ ـ أما حرية العقيدة فقد أولتها الشريعة كلّ رعاية وحماية فقد حظر القرآن الكريم « لا اكراه فى الدين » فى قوله سبحانه وتعالى » « **لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد أستمسك بالعروة الوثقى** » وقوله تبارك وتعالى « **ولو شاء ربك لآمن من فى الارض كلهم جميعا . أفانت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين** » ذلك بان الاسلام وهو دين الفطرة السليمة والعقل انما قام على أساس من الاقناع **ولم يشرع القتال على المؤمنين ـ وهو كره لهم ـ الا لرد عدوان على دار الاسلام أو دفع الظلم والاضطهاد الواقع على المسلمين فى دار الحرب وذلك ليس الا حماية للعقيدة وتأمينا للدعوة الاسلامية قال تعالى** « **اذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق الا أن يقولوا ربنا الله . ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها أسم الله كثيرا** » .. وقال سبحانه « **وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة واعلموا ان الله مع المتقين** ».. وعلىذلكفقد كان يمتنع القتال اذا أسلمالمعتدون أو انتهوا من عدوانهم وأدوا الجزية قال تعالى « **فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم والقوا اليكم السلم ، فما جعل الله لكم عليهم سبيلا** » .

٤٧ ـ من أجلكفالة حرية العقيدة أوالدين**ضمنت الشريعة الغراء لغير المسلمين حريتهم فى أقامة شعائر دياناتهم وعباداتهم وأمرت المسلمين بتركهم وما يدينون والمجادلة معهم بالتى هى أحسن بحيث يكون لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم** . وقد اكد ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عهوده لاهل الكتاب كما سار على هذا النهج الخلفاء الراشدون وولاة الامور .

بل وأباحت الشريعةالغراء بالنسبة لغير المؤمنين

فيما يختص بمسائل العبادات والعقائد ان يحتكموا الى قاضى ملتهم ولا شأن للقاضى المسلم بها وكذلك بالنسبة لمسائل الزواج والطلاق وتملك الخمر والخنزير – على الفقه الحنفى – فقد الحقتها الشريعة حكما بالعقائد وجعلت القاضى الشرعى هو المختص بنظرها وأجازت اختصاص القاضى المسلم بها اذا تراضى غير المسلمين على اختصاصه اما المعاملات المالية فالاصل ان تكون من اختصاص القاضى المسلم يقضى فيها وفقا لاحكام الشريعة الغراء وذلك مالم يحتكم الذميون لقاضى ملتهم . وبالنسبة للعقوبات والجرائم فان الذميين يخضعون لاحكام الشريعة الغراء ليكون لهم ما على المسلمين وعليهم ما على المسلمين وهو المبدأ المعروف بمبدأ أقليمية القوانين الجنائية فى التطبيق أى سريانها على جميع سكان الاقليم على اختلاف عقائدهم وأجناسهم .

ولكن هذه الحقوق التى اعترف بها للذميين انما جاءت تسامحا أو منحة ومن ثم فلا يصح أن تصبح أمرا يهدد سلام الدولة والا وجب الغاؤه وهو مافعله المشرع فى القانون المصرى الوضعى من « الغاء المحاكم الشرعية والمجالس الملية » .

منع التقليد وحظر الارتداد على الاسلام :

٤٨ – واذا كفلت الشريعة حرية العقيدة وحمايتها من الاكراه أو الاغراء فانها نعت على التقليد الاعمى من غير دليل أو برهان قال تعالى « **واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما الفينا عليه اباءنا أو لو كان أباؤهم لايعقلون شيئا ولا يهتدون** »

ومن جهة أخرى فان الشريعة الغراء وأن تركت حرية العقيدة طليقة حرة « **فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر** » وقال سبحانه وتعالى « **وهديناه النجدين** » فانها مع ذلك أبانت بوضوح وجلاء بأن من يتبع غير الاسلام دينا فلن يقبل منه قال تعالى » **فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها لاتبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون** » ومن أجل ذلك فان حرية التدين أو العقيدة لا تتسع لاباحة « الردة » عن الاسلام لان الردة مؤداها خروجه عن الاديان كلها – فالمرتد لاملة له – وأهدار دم المرتد – على رأى جمهور الفقهاء – بعد الاستتابة أو بدونها وعدم ارثه أحدا . وذلك يبرره خروجه بالردة – عن جماعة المسلمين وعن الدفاع عن الاسلام من يهدد العقيدة الاسلامية ويعرضها للمخاطر قال تعالى « **ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم فى الدنيا والاخرة وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون** – .... »

الإسلام

يقول الله تعالى (شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم) .

ان الاسلام يتجلى لمن يدرسه ممعنا بحالة منزهة عن الغايات او العصبية يبدو له انه عقيدة كاملة مدعمة بالدليل الواضح الذى لا يحتاج الى براهين متفاوتة ، ذلك لانه دين الفطرة ففطرة كل انسان على ان تكون نقية من الهوى والغرض تدين له وتشهد بحقيته وانه مع ذلك الدين الجامع للالفة الفكرية والعلمية لانه رائد الحق وعدو الجهل وممهد الطريق للعلم الصحيح .

ويبدو للمطلع على الاسلام حق الاطلاع انه رائد الانسانية الاول والمصدر الاعلى لقوانين الاجتماع وأصول الاخلاق .

ولا ادل على ذلك الا ما اجتمع فى القرآن من نواحى التشريع واصول الاجتماع وانه اول كتاب دينى تصدى لسرد معظم قواعد العلوم والمعارف وأصولها وهو المتكلم الفصيح عنها اجمالا فآونة تصريحا وآونة تلميحا لانه كتاب سماوى وليس بالكتاب الطبيعى المختص بعلوم الطبيعة وان كان يحوى بيان عللها الحاكمة عليها وقوانينها التى تسيرها واحيانا يفصل اعيانها وكان ذلك حين انزل القرآن على قلب خاتم النبيين والمرسلين محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم وقبل الكشوف العلمية ونظريات العلم : قديما وحديثا وكان ذلك ضرورة قبل ان يخلق علماؤنا المحدثون الذين حللوا الاعيان الطبيعية وفروعها وابعاضها الى اصولها كما دونوا فروعها .

نعم فان القرآن تكلم قديما ومنذ اربعة عشر قرنا عن الحقائق الوجودية التى تبدو الان تحت انظار العلماء وادوات كشفهم وفى مختبراتهم العلمية وان غابت عنهم عللها وأصولها والقوانين التى تحكمها ، وقد تكلم عن ذلك كله القرآن اجمالا وان لم يكن تفصيلا لانه كتاب هداية وليس كتاب علوم فقط .

نعم فان القرآن الكريم قد تكلم اجمالا عن الكائنات أصولها وفروعها منذ كانت غازا او سديما وكيف كون الغاز والسديم سدما وافلاكا وكواكب وشهبا ونيازك وتكلم القرآن عن الشمس ونظامها والارض وانشقاقها عنها كما تكلم عن كيفية خلق الانسان

والحضارة العالمية

الاستاذ محمود ابو الفيض المنوفى

وتكوينه مذ كان جنينا ووضع قانون التطور والترقى واصل الانواع: من جماد ونبات وحيوان وعن دورة الارض حول نفسها وحول الشمس ثم تكلم عن مصير العالم وفناء كيانه المادى وصيرورته الى حقيقته التى نبع عنها وكذلك بين امهات الاخلاق وقواعد الاجتماع وعرف الشورى وندب الى الحرية والمساواة والاخاء البشرى جميعا كمثل قوله سبحانه (يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكروانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عندالله اتقاكم) كما تكلم عن سائر الحقائق التى لا يسع الكتاب الالهى تفصيلها والى القارىء بعض الايات الدالة على بيان بعض ما قدمنا من احتواء القرآن على حقائق السموات والارض والنفس وما الى ذلك :

ومن امثال بيانه سبحانه وتعالى لما سيحدث فى الازمان التى تلى زمن انزاله كقول الله تعالى مثلا (وآية لهم انا حملنا ذريتهم فى الفلك المشحون وخلقنا لهم من مثله ما يركبون) ففى قوله الفلك المشحون يريد المشحون بما يسيره لا بما يحمله اى مشحون شحنة ثابتة زائدة على ما يشحن فيه وهى يعنى ما فيه من آلات وقوى تسيره ، وفى الاية ايضا يشير الى ما سيحدث فى الدهر من انواع الطائرات والبواخر الحديثة والمدرعات والغواصات.

وقد بين ذلك سبحانه تارة اخرى فى مثل قوله تعالى (والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون) اى مالاتعلمون الان وقت انزال القرآن من عجائب الالات والحاملات التى تسير فى البر وتغوص فى البحر وانما ستعلمونه فى المستقبل بدليل قوله تعالى بعد ذكر الخيل والبغال والحمير (ويخلق ما لا تعلمون) اى الان وان كان سيحدث فى المستقبل.

وانظر الى قوله تعالى فى وصف الميكروبات وما يحملها اجمالا فى قوله تعالى (وارسل عليهم طيرا أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل) والطير الابابيل الكائنات الضعيفة البسيطة التركيب كالبعوض والبق وغير ذلك وهذا لا يمنع ان تحمل بعض الطيور الكبيرة الميكروبات بارجلها كما تحمل اللقاح مثلا ذلك الذى تتلقح به الاشجار فتزهر او تثمر . وفى قوله (ترميهم بحجارة من سجيل) (السجيل) هو الطين اللازب الذى قد يحمل الميكروبات كما يحمل الطمى مكروب الانكلستوما والبلهارسيا مثلا .

ثم انظر معى كيف يذكر القرآن ابتداء الخلق والتكوين اجمالا من الاعلى وهابطا الى الادنى كما هو الترتيب الطبيعى ثم من الادنى الى الاعلى دلالة على عودة الكائنات الى اصولها فانظر الى قول الله تعالى (الله الذى خلق السموات والارض وما بينهما فى ستة ايام ثم استوى على العرش ما لكم من دونه من ولى ولا شفيع افلا تتذكرون، يدبر الامر من السماء الى الارض ثم يعرج اليه فى يوم كان مقداره الف سنة مما تعدون ـ ذلك عالم الغيب والشهادة العزيز الرحيم الذى احسن كل شىء خلقه) .

ولنتامل قليلا فى قوله (عالم الغيب والشهادة) ونجد ان العلم الحديث يقول : ان العالم عالمان : عالم ظاهر وهو عالم المادة وعالم غير ظاهر للحس الا ان يدل عليه العقل : فعالم المادة الذى هو عالم الحس فى لغة القرآن هو عالم الشهادة ، وعالم القوة أو قل عالم الطاقة بل وعالم العلل والمهايا والذوات والقوانين الغير منظورة هو ما يسميه القرآن عالم الغيب وله سبحانه عالم الغيب وعالم الشهادة جميعا يتصرف فيهما بحكمته وتدبيره كيف ما يشاء .

والواقع ان الموجودات الخفية والكائنات الظاهرة المرئية فى نظر العلم الحديث عبارة عن قوة تفعل فى مادة ومادة تكونها القوة وتسيرها ثم تعود فى النهاية اليها (وذلك ما يسميه العلم عالم الذرة والاشعاع) والكل يجرى بأمر الله وبتقديره .

واما فى قول الله تعالى (الذى خلق السموات والارض فى ستة ايام) فالمراد باليوم هنا : الدور الطبيعى والايام هى الادوار الطبيعية فكان الله يقول انه خلقها فى ستة اطوار تجتازها الكائنات الطبيعية فى تكونها وانقسامها وترقيها .

وذكر الله ايضا مسالة القوة وتكوينها للمادة من السديم والغاز الى تكوين التكتل الكوكبى والتحديد الفلكى للافلاك والبروج التى هى ظاهر السماء فى لغة القرآن الكريم وانظر الى قول الله تعالى (ثم استوى الى السماء وهى دخان) ويقول (يوم تأتى السماء بدخان مبين] وذلك فى بدء خلق السموات والارض الظاهرة لنا ويريد سبحانه كما بين لنا العلم الحديث بيان اول ما تتكون به الكائنات من العناصر وهو (الايدروجين) اول عنصر وترتيبه « واحد برتون وواحد الكترون » كما فى جدول مندليف للعناصر فاذا تكون هذا الغاز العنصرى انتج ما يشبه السحاب او الدخان او الضباب .

ثم تكلم عز وجل فى كتابه العزيز بعد ذلك عن انشقاق الارض من الشمس وصيرورتها سيارا تابعا من توابعها وذلك فى قول الله تعالى (أو لم ير الذين كفروا أن السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما) والفتق والرتق مفهومان لغة فالرتق هو الانضمام والفتق هو الافتراق .

وقال السموات والارض ولم يقل الشمس والارض اشارة الى ان الشمس ايضا مشتقة من غيرها من الشموس وهكذا يترتب الامر حتى نصل الى السديم الاكبر (سديمية لابلاس) .

وهذا يدل على ان العوالم قد تفصلها وانفصالها كانت كتلة واحدة من العناصر المتكثفة والتى باطنها غازى ملتهب وقشرتها مادية تكاد تكون باردة وذلك ما يقرره العلم .

ويقول العلم ان هذا يحدث بفعل الجذب والدفع فباطن الكتلة الكوكبية ملتهب يحدث الدفع والسطح البارد يحدث الجذب وهكذا .

ويجمل الله سبحانه وتعالى القول فى القرآن الكريم الاشارة الى بقية علم الفلك اجمالا وذلك فى قوله (تبارك الذى جعل فى السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا) وقوله تعالى (وهو الذى جعل لكم النجوم لتهتدوا بها فى ظلمات البر والبحر) ـ (والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره) ـ (الا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين) .

ومن البديع فى القرآن مما يعجز فصاحة الفصحاء وبلاغة البلغاء قوله (الا له الخلق والامر) اى عالم الخلق الظاهر وعالم الامر الخفى وعقب على ذلك بقوله (تبارك الله رب العالمين) اى العالمين جميعا من خلق وامر وظاهر وباطن .

ثم تكلم سبحانه مؤكدا انه الخالق المبدع والمدبر الوحيد وذلك فى قوله (وهو الذى خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل فى فلك يسبحون) ومشيرا الى دوران الارض حول الشمس وحول نفسها والقمر وهكذا وبين انه جعل لكل فلكا يسبح فيه .

ثم بين سبحانه كيف يكتسب القمر ضوءا يعكسه فى الليل من نورالشمس فقال: « هوالذى جعل الشمس ضياء والقمرنورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب) فصدر الاية يدل على اكتساب الضوء من الشمس وعجزها وفى قوله (وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب) اشارة الى علم الميقات الذى هو فرع من فروع علم الفلك والذى تدور عليه مصالح الناس ومواقيتهم فى سائر الازمان .

ثم تكلم عن الحركة الدائمةشخوصا وهبوطا ودورانا بين الافلاك والكواكب والسيارات فقال (وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فاذا هم مظلمون والشمس تجرى لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم) .

وفى هذا دلالة على كون الشمس تابعة لغيرها كسديمية المرأة المسلسلة او (درب التبان او مجرى اللبن كما يقولون) وذلك هو المقصود بالمستقر وذلك من تقدير العزيز العليم ثم اضاف الى ذلك قوله (لا الشمس ينبغى لها ان تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل فى فلك يسبحون) اشارة الى سبح الكواكب والسيارات فى افلاكها التى حددتها لها القدرة الالهية فلا يتعدى بعضها على مدار البعض الاخر لان ذلك من تقدير العزيز العليم .

ثم تكلم القرآن عن ذوات الاذناب والشهب والنيازك والرعد والبرق والصواعق وغير ذلك تصريحا او تلميحا وذلك فى مثل قوله تعالى (والسماء والطارق وما أدراك ما الطارق ، النجم الثاقب) وقوله فى حق الجن بعد انزال القرآن (فمن يستمع الان يجد له شهابا رصدا) وقوله (الا من خطف الخطفة فاتبعه شهاب ثاقب) وقوله (هو الذى يريكم البرق خوفا وطمعا وينشىء السحاب الثقال ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء) .

ففى قوله تعالى (هو الذى يريكم البرق خوفا وطمعا وينشىء السحاب الثقال) اشارة الى ان السبب فى الرعد والبرق التكهرب الناشىء عن احتكاك السحب : ثم وجه سبحانه وتعالى القول الى الارض وتكلم عن كيفية خلقها ومبدأ تكوينها ككتلة ملتهبة الى ظهور الحياة على سطحها فقال فى بدء ذلك التكوين (ام جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم قل الله خالق كل شىء وهو الواحد القهار ، انزل من السماء ماء فسالت اودية بقدرها فاحتمل السيل زبدا رابيا ومما يوقدون عليه فى النار ابتغاء حلية او متاع زبد مثله كذلك يضرب الله الحق والباطل فاما الزبد فيذهب جفاء واما ما ينفع الناس فيمكث فى الارض كذلك يضرب الله الامثال) .

ومعلوم لدى اهل العلم الحديث ان الارض حين انفصالها عن الشمس كانت كتلة سديمية من السائل الملتهب دارت حول نفسها ثم امطرت السماء عليها ادوارا طويلة حتى تكونت بحارها ثم تكونت على مدى هذه الادوار قشرتها اليابسة وذلك بواسطة التبخر والامطار المتتابعين واراد الله سبحانه وتعالى ان يعلمنا الكيفية التى بدأ بها تكون الارض فقال (انزل من السماء ماء فسالت اودية بقدرها) وقدمنا ان الارض حينئذ كانت ملتهبة فكان المطر والزبد سببا فى تكوين قشرتها وذلك بسبب التفاعل الحاصل بين الماء والنار بسبب تفاعل العناصر التى كونت الذرات والمعادن ومعنى هذا قوله (بقدرها) اى بتقدير مقاس وموزون التسبب بفعل الخالق المبدع ثم دل على القيامة وفناء المادة فى قوله تعالى (اذا الشمس كورت واذا النجوم انكدرت واذا الجبال سيرت واذا العشار عطلت واذا الوحوش حشرت واذا البحار سجرت) أى التهبت واشتعلت من شدة الغليان مما يدل على الفناء والتلاشى ليتحقق قول الله تعالى (كما بدأنا اول خلق نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين) .

ويؤخذ من ذلك كله قصة البدء والنهاية وبعد ان كون الله قشرة الارض ذكر انها فى صورة كروية كالبيضة (الدحى) وذلك فى قوله تعالى (والارض بعد ذلك دحاها اخرج منها ماءها ومرعاها والجبال ارساها] .

« سخاء ابن عباس »

جاء رجل من الامصار الى عبد الله بن عباس [رضى الله عنهما] فقال له : ياابن عم رسول الله ، انه ولد لى فى هذه الليلة مولود وانى سميته باسمك تبركا بك ، وان امه ماتت . فقال له : بارك الله فى الهبة واجرك على المصيبة، ثم دعا بوكيله ، وقال له انطلق الساعة فاشتر للمولود جارية تحضنه ، وادفع لابيه مائتى درهم لينفقها على تربيته ، ثم قال للانصارى : عد الينا بعد أيام فانك جئتنا وفى العيش يبس وفى المال قلة . فقال الانصارى :

« جعلت فداك لو سبقت حاتما بيوم ماذكرته العرب »

المسلم فى بطولة الفداء

فضيلة الشيخ عطية صقر

الحديث عن البطولة حديث محبب للنفوس العالية ، وبطولة الفداء احب ما يكون حديثها للقلوب المملوءة بحبها المتعشقة للانتصار فى معارك الحياة بظروفها القاهرة ، واعذب ما يكون الفداء اذا قام به مسلم يعتز بدينه وحريته وكرامته ، فهو يرى فى التضحية حياته التى يحرص عليها ، وهى حياة الشرف الخالد والذكر الجميل ، التى تفوق مايحرص عليه طلاب الدنيا ، وعشاق المظاهر والرغبات العاجلة « **قل متاع الدنيا قليل والاخرة خير لمن اتقى** » « **وللاخرة خير لك من الاولى** »

والمسلمون فى قوة عقديتهم وصدق ايمانهم ، ونبل هدفهم ،خاضوا معارك شتى ظهرت فيها بطولتهم التى صارت مضرب الامثال فى التاريخ ، وتجلت فدائيتهم الرائعة بنوع خاص فى المعارك التى اضطروا الى خوض غمارها حفاظا على حقهم ، وتأمينا لحريتهم ، واعلاء لكلمة الله ، وتثبيتا لاركان الحق والعدل والخير فى الناس .

لقد توالت الاحداث وفرضت وجودها على المسلمين من يوم ان نادى فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بدعوة التوحيد وسط البيئة التى تفانت فى عبادة الاصنام ومقدسات الاباء ، وتكتلت لوقف زحف الدعوة الجديدة التى تريد ان تغير معالم الوجود ، فى العقائد والعادات والاخلاق فكان لابد للصمود ان يثبت المسلمون أحقيتهم بالبقاء وزعامة الاصلاح ، وقيادة العالم فى منطلقه الجديد نحو العزة والكرامة والامن والرخاء .

والمسلمون الان يعيشون وسط عالم مسعور تغلب عليه حب السيطرة والنفوذ ، وتنافس أهله على الاستئثار بالسلطان فى مجالاته المختلفة وتفننوا ماشاء لهم التفنن فى ابتكار كل وسيلة تحقق لهم أهدافهم بعيدين عن المعانى الانسانية ، مستهينين بالمبادىء الخلقية ، وتطاير شرر فتنتهم فأصاب المسلمين فى دولهم المختلفة ، فكان عليهم ان يقفوا أمام هذا الزحف الجارف للحفاظ على مقدساتهم ، وخير ما ينفخ فيهم روح القوة ، تلك المثل الرائعة التى ضربها الفدائيون الاول ، الذين عاشوا مثل ظروفهم او أشد .

ولو شئنا انعرض شريط البطولة الفدائية لطال بنا العرض ، ولكن حسبنا مشاهد تذكر وفصولا تنبه وتحذر .

فلندع جانبا فدائية بلال وعمار واضرابهما الذين استعذبوا مر العذاب فى سبيل المبدأ والعقيدة ، ولندع عبد الله بن مسعود الفدائى البطل حين انتدبه الرسول فى مكة ليبلغ المشركين دعوة القرآن فيصعد الكعبة وينادى الملأ من قريش فينكلون به ويهشمون أنفه . ولندع الفاروق عمر بن الخطاب وهو يخرج للهجرة ظاهرا غير مستخف ، مهددا وموعدا ، من أراد ان تثكله أمه فليلقنى وراء هذا الوادى ، ولندع على بن أبى طالب الفتى الصغير ، وهو يقبل الموت فداء لرسول الله حين ينام فى مضجعه ليلة تآمر المشركون على قتله .

لندع هذه الصور وأمثالها ولنذكر ما كان من فدائية فى عالم الحروب والقتال ، فهى أمس ماتكون بحالتنا الحاضرة التى نخوض فيها معارك الشرف أمام الاستعمار والصهيونية .

تلك هى سرية الاستطلاع التى أرسلها رسول الله لجمع أخبار قريش ومعرفة تحركاتها وما تنوى عمله ضد المسلمين بعد هجرتهم الى المدينة . يذهب عبد الله ابن جحش مع ثمانية من الفدائيين المهاجرين الموتورين من قريش حين اخرجتهم من ديارهم بعد تعذيبهم ونهب أموالهم ، فيأتون الى أدنى مكان من مكة تمر به قوافلهم ، وذلك عند « نخلة » بين مكة والطائف ، فيرصدون تحركاتهم ، ويلتحمون معهم فى معركة غير مبالين بما يكون من نتائجها وهم على مسافة قريبة من مكة قد يأتيها الصريخ فتكون النجدة ويكون القضاء على هؤلاء الفدائيين ، ولكن الفدائية اذا سيطرت على نفس المؤمن لا يبالى بما يكون من نتائج ، فله منها احدى الحسنيين ، النصر أو الاستشهاد ، وثانيتهما أحب اليه من الاولى . لقد خرج الفدائيون الى مهمتهم تحت ستار من السرية وضعه رسول الله صلى الله

عليه وسلم ، حتى لا يعلم بهم أحد ، فحينما كلفهم بالخروج من المدينة ماكان يعلم واحد منهم الى أين هو ذاهب ، وأعطاهم كتابا لا يفضونه الا بعد مسيرة يومين ، وهناك عرفوا مهمتهم والمكان الذى يؤدون فيه واجبهم ، وهذا تخطيط له أهميته فى أمثال هذه التكاليف الهامة ·

وتلك هى سرية غالب بن عبد الله الكلبى الى بنى الملوح بالكديد . يعثر المسلمون على رجل فى الطريق قادم من جهة العدو فيعلن اسلامه ولكنهم لم يطمئنوا اليه خشية ان يكون جاسوسا يتقى القتل باظهار الاسلام ، فيقيدونه ويوكلون به رجلا منهم يحرسه حتى يؤدوا مهمتهم قائلين له ان كنت مسلما حقا فلا يضرك رباط يوم وليلة ، وان كنت على غير ذلك استوثقنا منك · تذهب السرية الى بطن الكديد فتنزله عشية بعد العصر ، ثم ترسل واحدا منهم للاستطلاع فيعمد الى تل يطلع منه على أهل الوادى فانبطح حتى لا يرى شخصه احد ، وقبيل غروب الشمس ، نظر احد الاهالى الى هذا الشبح فقال لامرأته : انى لارى سوادا على هذا التل مارأيته فى أول النهار ، ثم قال لها لعل أحد الكلاب جر متاعا من الامتعة الى هذا المكان فانظرى أى متاع يكون هو ، ثم قالت له : والله لا أفقد شيئا من متاعى ، فأخذ قوسه ورمى بسهم فأصاب هذا الشبح ، يقول الفدائى فأصابنى فى جنبى فنزعته برفق ووضعته ولم أتحرك · ثم رمانى بسهم آخر فوضعه فى رأس منكبى فنزعته فوضعته ولم اتحرك . فقال الرجل لامرأته : لقد خالطه سهامى ، ولو كان زائلا لتحرك ، فاذا أصبحت فأحضرى هذه السهام حتى لا تمضغها الكلاب ·

لقد أفسدت خطة الفدائى فى سكونه وتحمله الالام الشديدة ، على الرجل ما كان يريده ، فاطمأن القوم وراحت رائحتهم واحتلبوا وسكنوا وذهبت عتمة من الليل ، فشن المسلمون الغارة عليهم فقتلوا من قتلوا ، واستاقوا من النعم ما استاقوا ، ورجعوا ولكن صريخ القوم أخرجهم من دورهم فتعقبوا المسلمين ، ولكن حال الله بينهم وبينهم بعنايته التى ارسلت مطرا املأ به السيل بطن الوادى فلم يلحق العدو بهم ·

فدائية فى الاستطلاع والاغارة على الاعداء دعا اليها الايمان العميق بعدالة قضيتهم ، وحقهم فى الحياة الحرة آمنين على عقيدتهم وحقوقهم ، لا يبالون فى هذه المغامرات أوقعوا على الموت أم وقع الموت عليهم ، لان شعارهم الذى يحركهم ويثبت قلوبهم «قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا هو مولانا» ولسان حالهم يقول وهو يخوض المعركة ·

أى يومى من الموت أفر
يوم لا قدر أم يوم قدر
يوم لا قدر لا ارهبه
ومن المقدور لا ينجو الحذر

اننا نشهد هذه الروح المؤمنة القوية تتجلى فى بطولات جميع المسلمين الذين وقفوا مع الرسول صلى الله عليه وسلم فى معارك الشرف ، لا يبالى أحدهم بالموت أبدا ، فمن طريقه تكون الحياة الناعمة فى جوار الله ، ينادى الرسول يوم أحد فى قومه : **من يأخذ هذا السيف بحقه ، فيقول ابو دجانة : وما حقه يارسول الله ؟ فقال : ان تضرب به فى وجه العدو حتى ينحنى فقال أنا آخذه بحقه يارسول الله فاعطاه اياه وكان ابو دجانة رجلا شجاعا يختال عند الحرب فلما رآه رسول الله يتبختر قال انها لمشية يبغضها الله الا فى مثل هذا الموطن اخذ ابو دجانة عصابة له حمراء فعصب بها رأسه فقالت الانصار أخرج عصابة الموت فخرج الى المعركة وهو ينشد فى ايمان وثقة واعتزاز :**

أنا الذى عاهدنى خليلى
ونحن بالسفح لدى النخيل
الا أقوم الدهر فى الكيول
اضرب بسيف الله والرسول

والكيول هو مؤخرة الصفوف فجعل أبو دجانة لا يلقى احدا من المشركين الا قتله ، ولما احاط المشركون برسول الله فى اخر المعركة تترس دونه فكان النبل يقع عليه وهو منحن حتى كثر عليه النبل وهو لا يتحرك ·

وفى هذه المعركة تتجلى دائية امرأة من الانصار هى نسيبة بنت كعب المازنية لمارأت المعركة قد اشتدت قامت تذب بالسيف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جرحت بعد ان ضربت عبد الله بن قمئة ضربات شديدة عاقته على النيل من رسول الله .

ان حب الفداء فى سبيل الشرف لا يدفع اليه الا الايمان العميق بالله وحب الاستشهاد فى سبيل الحق ، ان ذلك هو الذى أملى هذه الفلسفة العميقة على عبد الله بن أم مكتوم ، وهو الاعمى الذى وضع الله عنه القتال ، انه لا يريد ان يقعد عن الاسهام فى المعركة بعمل ايجابى على الرغم من عذره ، ينادى صوت الايمان فى قلبه ، وتهتف روح الفداء من فؤاده ·· اجعلونى معكم فى المعركة ، وسلمونى الراية لاكون بها فى الصف الاول ، ويدهش المسلمون لطلبه ، ولكنه يبرره بقوله : ان الجند تبع للراية ان ثبتت ثبت وان انهزمت انهزم وانا رجل أعمى لا أرى من يقصدنى من العدو للضرب فلا ابرح مكانى ولا أتأخر أبدا ، وسيكون الجند معى حيث اكون لا يتزحزح عن مكانه ، ولكن على الرغم من كل ذلك أعطى الرسول الراية لغيره ·

ان روح الفدائية هى التى جعلت صبيان الصحابة يتهافتون على نيل شرف الجندية فيردهم الرسول ولكنهم يتحايلون عليها ، يشب أحدهم على أطراف قدمه حتى يبدو كبيرا فى نظر الرسول فيقبله ، ويصارع احدهم غيره ممن قبلوا فيصرعه ليظهر قوته للرسول فيقبله ·

انها فدائية المؤمنين التى نريد ان تتجلى واضحة فى معركتنا الحاضرة معركة المصير العربى والاسلامى ، ونحن واثقون ان شبابنا سيأتون ببطولات رائعة فى هذا الميدان لانهم مسلمون يملأ قلوبهم الايمان بالله ولانهم عرب يسرى فى عروقهم الدم العربى الابى الذى لا يقبل الذلة والهون ·

مآثر الدولة العباسية على العلم والعلماء

الأستاذ محمد عبد الجواد الأصمعي

ذكرنا فى مقالنا السابق عرضا شاملا للتعليم فى صدر الاسلام وانتشار الصحابة العلماء – رضوان الله عليهم – بين الامصار لنشر التعليم ومحو الامية مؤيدا بأقوال العلماء المؤرخين الثقات مع ذكر أسماء مؤلفاتهم المنقول منها .

ونورد فى هذا المقال اعداد بنى أمية البلاد واهاليها من المسلمين للعباسيين ، ولولا جهودهم فى الفتح الاسلامى والتنظيم والادارة لما تمكن العباسيون من القيام بما قاموا به من تعضيد العلم والتعليم ، وترجمة الكتب ، ونشر الثقافة العربية ، فنقول :

مما لا يدع مجالا للشك ، ومحلا للريب ، ويظهر الحق الواضح الثابت بالنصوص التاريخية الوثيقة أن بنى أمية أعدوا البلاد وأهاليها من المسلمين للعباسيين ، والسبب فى ذلك ما يأتى :

فاز العباسيون بالخلافة ، وبنوا بغداد ، واحتكوا بالفرس ، ورفعوا شأن الموالى ، وخالطوا الاعاجم ، وهكذا ابتعدوا عن المحيط العربى المحض ، واصبحوا مكتنفين بمحيط جديد ، وحياة جديدة ، والمعروف انهم اكتسبوا ثقافة الفرس وتأثروا بمحيطهم ، وفتحوا الابواب على مصاريعها لنبوغ الاعاجم .

ومما يسترعى النظر أن السواد الاعظم من الذين اشتغلوا بالعلم والتعليم كانوا من الموالى كما أشار الى هذا الباحث المحقق الدكتور حسن ابراهيم حسن فى كتابه « تاريخ الاسلام السياسى » ج ٢ ص ٣٩

وقد عقد العلامة المؤرخ ابن خلدون فى المقدمة [ص ٦٣٦ – ٦٣٨ طبع بولاق سنة ١٢٨٤] فصلا عن أن « حملة العلم فى الاسلام أكثرهم من الاعاجم » .

تقدم التعليم فى العصر العباسى ،

وهكذا نجد أن التعليم فى هذا العصر العباسى قد تأثر تأثرا عظيما ، واتجه اتجاها جديدا ، فقد كان قبل ذلك من أجل الله والدين ، فاستحال الى صناعة لابتغاء الرزق ، ورفع المنزلة فى الدنيا ، وأقبل عليه من كان فى حاجة الى ذلك .... ويؤيد هذا العلامة المؤرخ الاجتماعى الجليل ابن خلدون بقوله : « فلما استقر الاسلام ، ووشجت عروق الملة ، حتى تناوله الامم البعيدة من أيدى أهلها ، واستحالت بمرور الايام تحوالها ، وكثر استنباط الشرعية من النصوص لتعدد الوقائع وتلاصقها ، فاحتاج ذلك لقانون يحفظه من الخطأ ، وصار العلم ملكة يحتاج الى التعلم ، فاصبح من جملة الصنائع ... واشتغل أهل العصبية بالقيام بالملك والسلطان ، فدفع للعلم من قام به سواهم ، وأصبح حرفة للمعاش ، وشمخت أنوف المترفين وأهل السلطان عن التصدى للتعليم ، واختص انتحاله بالمستضعفين ، وصار منتحله محتقرا عند أهل العصبية والملك » . راجع المقدمة المذكورة ص ٣٢

أثر الموالى فى السياسة والعلم والتعليم

قامت الدولة العباسية على رأس مواليها من أهل خراسان والعراق ، وكان لهؤلاء الموالى شأن كبير فى السياسة والعلم والتعليم ، ودخل فى الاسلام عدد كبير من الفرس والروم والمصريين ، كان منهم القراء الكبار ، والمحدثون العظام . بجانب أخوانهم من العنصر العربى ، كما نص على هذا العالم المؤرخ الجليل المرحوم الاستاذ محمد الخضرى فى كتابه « التشريع الاسلامى » ص ١٧٠

وكان من أثر هذا أن اختلطت علوم الاوائل التى كانت مهجورة فى عصر الدولة الاموية بعلوم الاسلام ، يقول صاحب كشف الظنون :

«واعلم ان علوم الاوائل كانت مهجورة فى عصر الدولة الاموية، ولما ظهر آل العباس كان اول من عنى منهم بالعلوم الخليفة العباسى الثانى أبو جعفر المنصور [١٣٦ – ١٥٨ هـ] وكان – رحمه الله – مع براعته فى الفقه مقدما فى علم الفلسفة وخاصة فى النجوم محبا لاهلها ، ثم لما انتهت الخلافة الى السابع عبد الله المأمون بن الرشيد [١٩٨ – ٢١٨ هـ] أتم ما بدأ به جده فاقبل على طلب العلم فى مواضعه واستخراجه من معادنه ، .... فداخل ملوك الروم وسألهم وصلة ما لديهم من كتب الفلاسفة ، فبعثوا بما حضرهم من كتب أفلاطون وأرسطو وبقراط وجالينوس وأقليدس وبطليموس وغيرهم وأحضر لها مهرة المترجمين فترجموا له على غاية ما أمكن . ثم كلف الناس قراءتها ، ورغبهم فى تعلمها ، اذ المقصود من المنع هو احكام قواعد الاسلام ، ورسوخ قواعد الانام ، وقد حصل وانقضى .. وقامت دولة الحكمة فى عصره وكذلك سائر الفنون [راجع تاريخ التمدن الاسلامى لجرجى زيدان ج ٣ ص ١٦٣] واذا فقد ساعد الموالى بدخولهم فى أحضان الدولة العباسية على أن يكون هذا العصر هو العصر الذهبى فى تاريخ الترجمة والنقل عند العرب ، واستطاعوا لاتقانهم السريانية واليونانية أن ينقلوا الى اللسان العربى كل ما كان معروفا من العلم والفلسفة والطب والنجوم والرياضيات والادبيات عند سائر الامم المتمدينة [راجع تاريخ التربية عند العرب لطوطح خليل طبع القدس سنة ١٩٣٣]

أما سبب نضج العلم فى العصر العباسى فسنذكره فى المقال الاتى بعون الله تعالى [وما توفيقى الا بالله] .

الاجماع ورأى الأصوليين

الأستاذ عبد السميع البطل

الاجماع فى اللغة جمع الامر واحكامه والعزم عليه يقال : اجمعوا الامر والرأى، واجمعوا عليه اذا احكموه ، وضموا ما انتشر وتفرق منه ، وعزموا عليه عزما لا تردد فيه ، ولا يكون ذلك فى غير الضروريات الا بعد الروية والتدقيق ، قال تعالى حكاية عن نوح عليه السلام (فاجمعوا أمركم وشركاءكم ثم لا يكن امركم عليكم غمة، ثم اقضوا الى ولا تنظرون) وذلك انه ليس بعد الاجماع الا الامضاء والتنفيذ ، وقال فى اخوة يوسف (فلما ذهبوا به واجمعوا ان يجعلوه فى غيابة الجب) ثم قال فيهم (وما كنت لديهم اذ اجمعوا امرهم وهم يمكرون) وقال حكاية لقول فرعون للسحرة (فأجمعوا كيدكم) والاجماع للامر يكون من الواحد ومن الجمع ، وقال فى لسان العرب وفى الحديث (من لم يجمع الصيام من الليل فلا صيام له) الاجماع احكام النية والعزيمة ، اجمعت الرأى وأزمعته وعزمت عليه بمعنى ، ومن حديث كعب بن مالك : اجمعت صدقة وفى حديث صلاة المسافر (ما لم اجمع مكثا) اى ما لم اعزم على الاقامة ، واجمع امره جعله جميعا بعد ماكان متفرقا الخ .

فعلم من هذا ان الاجماع فى اللغة .. ليس هو اتفاق الناس أو طائفة منهم على أمر مطلقا ، وانما هو احكام الامر المتفرق وعزمه ، لئلا يتفرق ، ويكون من الواحد واكثر من الواحد ، ولا يقتضى ان يقوم به كل اهل الشأن ، بل يكفى ان يبرمه من يمتنع التفرق بابرامهم له فرجوع عمر بمن كان معه عن الوباء كان بالاجماع اللغوى لا الاصولى ، ومنه قول عمر وابن مسعود وغيرهما من الصحابة : واقض بما فى كتاب الله ، فان لم يكن فبما فى سنة رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فان لم يكن فيما أجمع عليه الصالحون ، وفى لفظ بما قضى به الصالحون ، ومنه قول الامام احمد : انه عمل فى مسألة التكبير باجماع عمر وعلى وابن مسعود وابن عباس ، اى ما جزموا به وعزموه بالعمل .

اما الاصوليون فيعرفون الاجماع بانه اتفاق جميع المجتهدين على أمر ما وكانوا فى العصر الاول الوفا كثيرة لايمكن حصرهم، ولهذا انكره الامام احمد ، وانكره غيره ، واذا كان الامام احمد انكره فى عصره ، فكيف يمكن معرفته فى هذا العصر والعصور التى سبقت ؟

قلت : اذا شرط علماء الاصول فى الاجماع اتفاق مجتهدى هذه الامة ، فلا عبرة باتفاق بعض المجتهدين ، ولو كانوا هم الكثيرين ، ولا اتفاق العوام ، او اتفاق غير علماء الشريعة كأهل اللغة ، ولا باتفاق المقلدين لانهم عوام ايضا ، ولا باتفاق غير المسلمين ، وعرفه الغزالى بانه اتفاق الامة، وصاحب جمع الجوامع بمجتهدى الامة وعرفه آخرون بانه اتفاق اهل الحل والعقد من المسلمين ، وهذا القول الاخير ربما كان اقرب واصح ، وهم الذين تثق بهم الامة ، وتعتمد عليهم فى سائر النوازل وفى سائر شئونها ، وهم المعبر عنهم الان بنواب الامة فى المجالس التى تعقد لمصلحة الامة فى التشريع والاقتصاد والسياسة ، وحل جميع مشاكلها .

اذا علمنا ذلك علمنا ان الاجماع الاصولى بما فسرنا به هو احد اصول الدين الاسلامى وشريعة الحكومة الاسلامية .

الاصل الاول : القرآن الكريم ، الاصل الثانى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم — والعمل بها هو طاعة الرسول وهى طاعة لله .

الاصل الثالث الاجماع بما فسرناه به ، الاصل الرابع عرض المسائل المتنازع فيها على القواعد العامة المعلومة من الكتاب والسنة عملا بقول الله تعالى (فان تنازعتم فى شىء فردوه الى الله والرسول) ولابد من وجود جماعة يقومون بعرض المسائل المتنازع فيها على الكتاب والسنة وعلى الحكام ان يحكموا بما يقرره اولو الامر وينفذوه ، وبذلك تتألف الدولة الاسلامية من ثلاث جماعات الاولى الهيئة التشريعية (الثانية) الهيئة التنفيذية (الثالثة) الهيئة الحاكمة فى التنازع وطاعة هذه الهيئات انما هى طاعة لله لانه هو الذى شرع ذلك وامر به وليس فى ذلك خروج عن دائرة توحيد الربوبية الذى شعاره : انما الشارع هو الله [ان الحكم الا لله امر الا تعبدوا الا اياه) .

(مسألة التنازع وتقدير اولى الامر)

علمنا ان اولى الامر ، هم اصحاب الشأن فى الامة التى ترجع فى سائر

امورها اليهم وهذا الامر هو المشار اليه فى قوله تعالى (وأمرهم شورى بينهم) ولا تتهيأ الشورى لجميع افراد الامة عامتهم وخاصتهم فلابد ان يكون امر المسلمين شورى بين جماعة تمثل الامة اوسع تمثيل ويكون رأيها معبرا عن رأى جميع افرادها لما للمجموع من الثقة برأيهم والاطمئنان اليهم ، والبحث الان عن طريقة جمعهم ومن الذى يجمعهم؟ ولماذا لم يوضع لذلك نظام فى الاسلام ؟

ان الرسول — صلوات الله وسلامه عليه — كان يستشير اصحابه ، واذا ترجح لديه ان رأيهم سديد يرجع عن رأيه الى رأيهم ، وذلك فى غير المسائل الدينية التى هى وحى من الله ، بل فى المسائل التى للرأى فيها مجال ، عملا بقوله تعالى فى سورة الشورى (وامرهم شورى بينهم) وقوله فى سورة آل عمران (وشاورهم فى الامر) والمراد بالامر ، الامر الدنيوى لا الدينى الذى هو وضع الهى ليس للبشر فيه كسب ، والصحابة لم يكونوا يعرضون آراءهم عليه — صلى الله عليه وسلم — الا فيما يتحقق لهم انه رأى رآه لا امر من الله كما فعل النبى — صلى الله عليه وسلم — يوم بدر حيث نزل ادنى ماء من بدر فقال الحباب بن المنذر يا رسول الله، أرايت هذا المنزل ، أمنزلا أنزلكه الله ليس لنا ان نتقدمه ولا نتاخر عنه ، ام هو الرأى والحرب والمكيدة ؟ فقال : بل هو الرأى والحرب والمكيدة ، فقال : يا رسول الله ، ليس هذا بمنزل ، فانهض بالناس حتى ناتى ادنى ماء من القوم فننزله ثم نغور ما وراءه الخ فقال له النبى — صلى الله عليه وسلم — (لقد اشرت بالرأى) وعمل برأيه .

كانت هذه الاستشارة فى ذلك الوقت خاضعة لظروف الامة وحالها وقلة عددها ، وامكان اجتماعهم فى صعيد واحد ، وسماعهم لرأى الناصح فلما فتحت مكة ، وكثر عدد المسلمين ، وتفرقوا فى الامصار ، وكان فى كل قرية رجال من هؤلاء المسلمين لهم رأيهم ومكانتهم احتيج الى وضع قاعدة للشورى ، ولكن لم يفعل النبى — صلى الله عليه وسلم — لجملة اسباب :

١ — ان القاعدة التى توضع ، سيراعى فيها ظروف الزمان والمكان وحال الامة فى هذا الوقت ، وذلك يختلف اختلافا بعيدا فيما بعد ، فقد كان الرسول يعلم ان الامة سيتسع ملكها ، ويكثر عددها ، وتختلف بيئاتها ، فاذا وضع قاعدة للشورى فى هذا العصر الذى عاش فيه ، فلابد ان المسلمين سيلتزمونها وهى لا تكون موافقة لكل عصر ولحال الامم التى دخلت فى الاسلام ، وسبقت لها حضارة لم تعرفها العرب فى عصر الرسول ، فكان ترك الرسول لوضع قاعدة للشورى هو عين الحكمة والرأى السديد .

٢ — لو وضع الرسول قاعدة للشورى لاتخذتها الامة دينا لا محيد عنه ، وما هى من امر الدين ، ولذلك قال الصحابة فى ترجيح اختيار ابى بكر خليفة ارضيه رسول الله — صلى الله عليه وسلم لديننا ، افلا نرضاه لدنيانا ؟ ويمكن ان يقال : ان الرسول لو اجاز للامة ان تتصرف فى القاعدة عند الحاجة اليها بالتبديل والتهذيب لما كان هناك مانع ، والجواب : ان ايراد مثل هذا الكلام سهل ، ولكن تطبيقه صعب ، فان الرسول مع تصريحه كثيرا بمثل قوله (انتم اعلم بأمر دنياكم) وقوله (ما كان من امر دينكم فالى وما كان من امر دنياكم فانتم اعلم) فان اكثر الشعب يصعب عليه ان يخالف امرا لرسوله : وذلك راجع الى شعورهم العام ، فى تقديس الرسول واحترام كلامه ، لذلك يدخلون عليه التأويل كقولهم يحتمل انه قال ذلك تواضعا او تعليما لنا لنرجع عن آرائنا اذا استبان لنا خطأها ، او ظهر خير منها .

٣ — لو وضع الرسول من عنده قاعدة للشورى ، لكان غير عامل بالشورى ، وفيه مخالفة لامر الله تعالى ، وهو محال عليه — صلوات الله وسلامه عليه .

والخلاصة ان الله — تعالى قد هدانا الى افضل واكمل الاصول التى نبنى عليها حكومتنا ، ووكل الينا الاستقلال التام فى هذا فى امورنا الدنيوية ومصالحنا الاجتماعية من طريق الشورى التى يراها اهل الحل والعقد منا ، مقيدين بهداية الكتاب الكريم ، وما بينته السنة الصحيحة ، وليس فيهما حرج ولا عسر ، بل اليسر ورفع الحرج وحظر الضار ، واباحة النافع ، وان ما حرم لذاته يباح للضرورة ، وما حرم لسد لذريعة يباح للحاجة ومراعاة العدل ورد الامانات الى اهلها ، وذلك كله يغنينا عن الرجوع الى القوانين الاجنبية بل القانون الاسلامى اوسع وارحب صدرا من تلك القوانين فى كثير من تعاليمه .

فهم يقولون : ان مصدر القوانين الامة ونحن نقول بذلك فى غير المنصوص عليه فى الكتاب والسنة .

وهم يقولون : لابد ان ينوب عن الامة من يمثلها حتى يكون ما يقررونه كأن الامة هى التى قررته ، وبذلك نقول :

وهم يجرون فى ذلك على طريقة الانتخاب ، ولهم فيه طرق مختلفة ، ونحن لم يقيدنا ديننا بقيود ، فلنا ان نختار فى كل زمان ما يوصلنا الى الغرض ، وهو اختيار اولى الامر كما سماهم القرآن اى الذين ينظرون فى امور الامة العامة وهم اصحاب الشأن الذين تطمئن اليهم الامة ، وقد يكونون محصورين فى الحكومة احيانا فالستة الذين اختارهم عمر للشورى فى انتخاب خلفه ، كانوا هم اولى الامر ولذلك رضيت الامة بانتخابهم .

وهم يقولون انهم اذا اتفقوا وجب على الحكومة تنفيذ ما اتفقوا عليه ، نقول بذلك بل نقول : ان هذا هو الاجماع الذى يعد اصلا فى التشريع الاسلامى .

وهم يقولون : اذا اختلفوا يؤخذ رأى الاكثرية ، ونحن نقول ما قاله الله — تعالى — (وما اختلفتم فيه من شىء فحكمه الى الله) وقوله (فان تنازعتم فى شىء فردوه الى الله والرسول ، والرد الى الله الرد الى كتابه ، والرد الى الرسول الرد الى سنته العملية التى لا اختلاف فيها ولا تأويل ، ونحن نرى ان الصواب ليس دائما فى جانب الاكثرية ، فربما عرضت مسألة فنية مثلا وليس فى الاكثرية العدد الكافى من الفنيين فيها فيظهر للجمهور خطأ قرارها ، فتتزلزل ثقته بالمجلس ، وهنا يخشى من التفرق ، وانبثاق الاحزاب المختلفة للمعارضة ، وقد يكره الجمهور على القبول فيكون الحكم العصبية وهنا يكون الخطر على وحدة الامة ، ولنا فى التاريخ القريب شواهد كثيرة ايام الحزبية البغيضة ، وتقرب كل منها الى الجهات العليا على حساب الامة ، لمصلحة المستعمرين ، فانزلونا الى الحضيض لولا ان يسر الله لنا هذه الثورة المباركة التى انتشلت الامة من مخالب الجور والظلم والاضطهاد ، والاثراء على حساب الجماهير ، ونسأل الله العلى القدير ان يأخذ بايدينا دائما الى الامام وان يجعل يومنا خيرا من امسنا ، وغدنا خيرا من يومنا ، وان نكون فى يسر لا عسر فيه ، وسعة لا ضيق فيها ، وحرية خالصة بعيدة عن العبودية والاستغلال .

(بقية معالم الطريق)

الله لابد ناصرنا

أيها الاخوة ..

وحينما جئت اليكم ورأيت جماهير أول يناير سنة ١٩٧٠ من شعب السودان العظيم . حينما وصلت اليكم فى الخرطوم شعرت بالامل الكبير وشعرت أن الله لابد أن ينصر هذه الامة ، لان أبناء هذه الامة لن ييأسوا ولم يهنوا ولكنهم يسيرون فى طريق الامل .

ثم أيها الاخوة رأيت جماهير الامس وجماهير اليوم هنا فى الخرطوم فى هذا المكان فى هذا اللقاء . فى هذه المناسبة مناسبة العيد الاول للثورة السودانية المجيدة .

هنا أيها الاخوة ياجماهير الثورة السودانية المنتصرة المجيدة .. وبالنميرى ورفاقه المناضلين . وهنا أيها الاخوة بالثورة الليبية . وهنا أيها الاخوة بالثورة الليبية وقائدها الشجاع معمر القذافى .

ذلك كله له معنى عظيم .. وأمل عريض . واشارة الى نصر محقق باذن الله .

ذلك كله هنا الان من حولنا يعنى كثيرا ويرمز الى كثير .

اننى أيها الاخوة لاشعر بهذا فى أعماقى : وربما كما لم يشعر به غيرى . ان الذين عاشوا أيام الوحدة .. والذين عاشوا أيام الحزن العميق بعد النكسة فى يونيو سنة ١٩٦٧ يقدرون أكثر من غيرهم ما يعنيه هذا الذى نعيش معه الان هنا، ونراه أمامنا ونراه من حولنا اننا نرى بعد الاحداث التى حدثت فى يونيو سنة ١٩٦٧ . نرى الان فى مايو سنة ١٩٧٠ أمة تعود الروح اليها أمة تجدد نفسها بنفسها ، أمة تولد ميلادا جديدا . ونرى الحياة فى الامة العربية تبرز قوية من وسط الخطر . ونرى مرحلة من التقدم تبدأ من حيث كان الاعداء . من حيث كان الاستعمار .. كان الاخرون يتصورون ان كل شىء عربى الى الاضمحلال والى نهاية .

اننى أيها الاخوة وأنا أرى فى النميرى والقذافى ثورة السودان وثورة ليبيا . أرى النميرى والقذافى بما يمثله كل منهما أشعر بالحمد لله والعرفان له جارفا غلابا . اننى وأنا أرى العلاقة الخاصة بين مصر والسودان وليبيا تنمو وتتأكد بكل ما تمثله . اشعر بالحمد لله والحمد لله والعرفان له جارفا وغلابا . أشعر أيها الاخوة أننا على طريق الحق طريق الامل وطريق النصر باذن الله .

قواتنا المسلحة تعطى المثل

أيها الاخوة ..

يحدث هذا هنا وقواتنا المسلحة فى جبهة القتال تعطى بالمعنى السياسى الذى يمثله كل ما نراه أمامنا ومن حولنا ثقلا ووزنا له قيمته .

بعد ٥ يونيو خرجت قواتنا المسلحة فى مصر وقد خسرت المعركة . ولكنها لم تخسر كل المعارك لان الحرب ليست معركة واحدة .. وحينما اعتقدت اسرائيل أنها المعركة الاخيرة وحينما أعلن ديان أنه ينتظر على التليفون ، بل يطلبه من القاهرة ليطلب الاستسلام .. حينما كانت هذه الايام الموحشة الصعبة تمر بنا ، كانت قواتنا المسلحة تبنى نفسها من الاول . ابتدينا نبنى من البندقية والدبابة والمدفع . والطيارة ، لنعوض ما خسرناه وأعلنا واعلنت قواتنا المسلحة أنها ستعمل فى مرحلة الامن . وكان هناك قرار بايقاف اطلاق النار صدر فى مجلس الامن يوم ٩ يونيو سنة ١٩٦٧ ، ولكن اسرائيل لم تنفذ أبدا هذا القرار ، والدليل على هذا أن كل المصانع الموجودة فى مدينة السويس دمرت ، والدليل على هذا ان مدينة السويس كانت تضرب يوميا بالمدفعية الاسرائيلية .. والدليل على هذا أن مدينة الاسماعيلية كانت تضرب يوميا بالمدفعية الاسرائيلية ، لان المسافة كانت بين الاسرائيليين ومدينة السويس أو الاسماعيلية ٢٠٠ متر .

وكان الاعداء يعتقدون انهم بهذا سيجبروننا على ان نستسلم .. ولكننا فى معركتنا من أجل الصمود قررنا ان نهجر أهالى منطقة القناة . وهجرنا من منطقة القناة نصف مليون ٥٠٠ ألف مواطن الى داخل

معركتنا مع اسرائيل ليست معركة اقليمية ... ولكنها لكل العالم العربي ...

البلاد . حتى لا نبقى تحت رحمة تبادل المدفعية الاسرائيلية وحتى لا نعرض الارواح للخطر وسرنا فى هذا حتى أعلنا فى مايو الماضى ان قواتنا الذاتية قواتنا المسلحة تستطيع ان تقابل العدوان بالعدوان .

واننا لا يمكن ان نقبل بقرار وقف اطلاق النار الى مالا نهاية . واعلنا ان بعد مرور عامين من قرار وقف اطلاق النار ورفض اسرائيل لتنفيذ اى قرار آخر غير التمسك بالخطوط التى تسميها بخطوط وقف اطلاق النار .. اعلنا حرب الاستنزاف وقلنا فلنبدأ مرحلة جديدة فى حرب الاستنزاف .. ونحن على ثقة عن اننا سنصمد فى حرب الاستنزاف . وباننا سنسير فى حرب الاستنزاف . واننا سنكبد اسرائيل من الخسائر الكثير واننا سننتقل بعد هذا من حرب الاستنزاف الى حرب التحرير . سارت قواتنا المسلحة وظهر التحول فى الميدان وظهرت نوعية جديدة رآها اخوانكم من القوات المسلحة السودانية حينما ذهبوا الى الجبهة .. جبهة قناة السويس والتقوا مع اخوتهم من الجنود فى خط النار وفى خط القتال .. سارت القوات المسلحة وهى تجمع كل ابناء الوطن الان ليست قاصرة على ابناء الفلاحين ولكنها تجمع ابناء الفلاحين وابناء العمال وابناء المثقفين وخريجى الجامعات وخريجى الثانوية العامة وشباب الامة فى مصر تحت السلاح . وانضموا الى القوات المسلحة .

العمل من اجل التحرير

وسرنا أيها الاخوة فى العمل من أجل معركة التحرير . لاننا كنا على ثقة ان اسرائيل تعمل ومن ورائها الولايات المتحدة الامريكية ولم نكن نحارب اسرائيل وحدها ولكننا كنا نحارب الولايات المتحدة الامريكية ممثلة فى اسرائيل بكل معداتها الفنية . وبكل معداتها الالكترونية . فى يوم ٥ يونيو سنة ١٩٦٧ حينما اعتدت اسرائيل علينا اكتشفنا ان امريكا قد زودتها بكل المعدات الالكترونية السرية التى تستطيع ان تؤثر على معداتنا واعطتها هذه المعدات كما اعطتها انواعا أخرى كثيرة من الاسلحة .. وفرضنا اننا لسنا فى معركة محدودة مع اسرائيل .

فى سنة ١٩٥٦ حينما واجهنا العدوان البريطانى الفرنسى الاسرائيلى وكلنا نعلم ان بن جوريون رئيس الوزراء فى هذا الوقت رفض ان يشترك فى المؤامرة الا اذا اعطته فرنسا غطاء جويا فرنسيا والا اذا اعطته فرنسا قطعا بحرية فرنسية لتدافع عن السواحل الاسرائيلية . وعلى هذا الاساس اعطته فرنسا فعلا - كل هذه الان حقائق وكتب عنها الكثير من الكتب - اعطته فرنسا غطاء جويا من الطائرات الفرنسية ، ووضعت على هذه الطائرات الفرنسية علامة اسرائيل واعطته ايضا قوات بحرية . وبعد هذا قبل بن جوريون ان يدخل معهم فى المؤامرة التى نتج عنها العدوان الثلاثى .

ولكن العالم لم يقبل فى هذا الوقت العدوان الثلاثى وعلى هذا الاساس تغيرت الوسائل .. وتغيرت الطريقة .. بدل ان يكون العدوان بدولة من الدول الكبرى .. بدل ان يكون العدوان بواسطة الولايات المتحدة الامريكية مباشرة اتخذت من اسرائيل مخلب قط لها واعطتها المساعدات المالية . واعطتها الاسلحة .. ومكنتها من ان تحصل على احدث المعدات الالكترونية . . على احدث المعدات العسكرية .. وبهذا استطاعت اسرائيل ان تتغلب علينا فى معركة ٥ يونيو ١٩٦٧ .

أما الان .

اما الان ونحن نواجه هذه المعركة التى ليست معركة اسرائيل ، معركة اسرائيل ومن ورائها الولايات المتحدة الامريكية فانا قد وجدنا فى الاتحاد السوفيتى السند الاكيد لنا حتى نسلح قواتنا

وفى يوم ٩ يونيو وصلتنى رسالة من قادة الاتحاد السوفيتى من الرئيس بريجينيف وبودجورنى وكوسيجين . وقالوا لى فى هذه الرسالة ان الواجب علينا ان نصمد لان احنا مش اول ناس خسروا معركة وان العالم كله وتاريخ العالم يدل على ان كل الدول خسرت معارك بريطانيا فى الحرب العالمية الثانية خسرت معركة فرنسا خسرت معركة الالمان وصلوا الى قرب موسكو الالمان احتلوا كل اوربا ولكن الصمود هو الذى يصنع النصر فى النهاية وتعهدوا فى هذه الرسالة على ان يعوضونا عن كل الاسلحة التى فقدناها بدون ان ندفع ثمن هذه الاسلحة .

الاتحاد السوفيتى اعطانا السلاح

أيها الاخوة - حينما اعطانا الاتحاد السوفيتى هذه الاسلحة اعطاها لنا لنقاتل وندافع عن بلادنا وليستمر النضال العربى فى طريقه من اجل الحرية ومن اجل الاستقلال .

اننا ونحن نسير فى طريقنا من أجل حريتنا

أشعر أننا على طريق الحق .. طريق الأمل .. وطريق النصر

واستقلالنا لا نريد ان نتوه فى الشعارات فكم فى الماضى تهنا فى الشعارات ولكن علينا فعلا ان نعمل وان نبنى بلدنا وان نبنى وطننا .

ان الاتحاد السوفيتى حينما اعطانا هذه الاسلحة لم يطالبنا بشىء لم يطالبنا باى شرط من الشروط ولكنه قال أن الاتحاد السوفيتى هو الدولة المناضلة من أجل حرية الشعوب ومن اجل استقلالها ومن اجل القضاء على الاستعمار .

ولكننا فى طريقنا سرنا من أجل حرية شعوبنا ومن أجل القضاء على الاستعمار ومن أجل السلام ومن أجل الحرية فى العالم اجمع . على هذا الاساس توطدت الصداقة بيننا فى مصر وبين الاتحاد السوفيتى ولم تكن هذه الصداقة تحت اى شعار من الشعارات الاشعار الاحترام المتبادل وشعار الصداقة المتبادلة وشعار العمل المتبادل من اجل مصلحة الشعب العربى ومن أجل مصلحة الشعوب السوفيتية .

هذا - أيها الاخوة - ماسرنا فيه واليوم ونحن نواجه اسرائيل والولايات المتحدة الامريكية لابد لنا من معاونة الاتحاد السوفيتى ومعاونة الاتحاد السوفيتى ضرورة كبرى لنا ونحن نذكر بالعرفان وبالشكر هذه المعاونة . وهذه المساعدة لانا بدون الاسلحة الحديثة من الاتحاد السوفيتى وبدون المعدات الحديثة من الاتحاد السوفيتى نكون فى وضع نواجه فيه أسرائيل باسلحة حديثة من الولايات المتحدة الامريكية ومعدات حديثة من الولايات المتحدة الامريكية ومن بريطانيا .

الغرب يرفض مدنا بالسلاح

ونحن حينما نريد أن نشترى من الغرب بيقولوا لا . ولا يرضى الغرب أن يبيع لنا أى سلاح .

ونحن حينما نريد أن نشترى من الغرب نكون قد أخطأنا لان فى الغرب تنادى أمريكا بتوقيف توريد السلاح الى الشرق الاوسط . تنادى بعمل اتفاقية بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى بتوقيف توريد السلاح الى الشرق الاوسط حتى تبقى اسرائيل مكتظة بالسلاح - ومكتظة بالطيارين الامريكين الذين يحملون الجنسية المزدوجة والمتدفقة على الدول العربية كلها . واسرائيل التى تملك المعدات الالكترونية التى تزودها بها الولايات المتحدة الامريكية تستطيع أن تضرب وتقتل المدنين والعسكرين فى وقت واحد فى لبنان وسوريا وفى الاردن ومصر .

حينما تقول الولايات المتحدة الامريكية أنها تريد أن تحافظ على توازن القوى فى الشرق الاوسط انما تعنى الولايات المتحدة الامريكية بهذا أن يبقى التفوق لاسرائيل على الدول العربية جميعا .

هذا - أيها الاخوة - هو المنطق الذى تسير به أمريكا وتسير به أيضا بريطانيا لانها تنادى بهذا الشىء وتنادى فى الدول التى تسير فى ركاب امريكا.

ولكن هل قبل الاتحاد السوفيتى هذا المطلب ؟

رفض الاتحاد السوفيتى صراحة هذا المطلب الذى طالبت به الولايات المتحدة الامريكية وقال ان لابد من انسحاب القوى المعتدية من الارض العربية المحتلة لابد من انسحاب أسرائيل من الارض العربية المحتلة وبدون انسحاب اسرائيل من الارض العربية المحتلة سيستمر الاتحاد السوفيتى فى امداد الدول العربية الصديقة بالسلاح وبأحدث السلاح .

بهذا - ايها الاخوة - استطعنا أن نصمد وبهذا - أيها الاخوة - استطعنا الان أن نواجه اسرائيل ومن هم وراء اسرائيل . بهذا - أيها الاخوة - استطعنا أن نبنى الجيش القوى الذى يقف فى الجبهة والذى يتدرب تدريبا قويا عنيفا من أجل المعركة الفاصلة . معركة العرب جميعا . انا أيها الاخوة بهذا سرنا على أساس عملى .

منع توغل الطائرات الاسرائيلية

انا طلبنا بعد هزيمة ١٩٦٧ مستشارين وخبراء من الاتحاد السوفيتى حتى نتعلم منهم كيف تستعمل هذه الاسلحة الحديثة وكيف نستعمل الاسلحة الالكترونية الحديثة .

وحصلنا من الاتحاد السوفيتى على ما طلبناه . ويوجد عندنا الان مستشارين سوفيت فى الوحدات المصرية لم يتدخلوا فى السياسة ولا يتدخلوا فى السياسة وانما ينطلقون فى عملهم من أجل بناء القوات المسلحة العربية .

وانا أكرر انهم موجودون مع قواتنا فى كل مكان .

وانا اكرر فى هذه المناسبة الشكر والعرفان للاتحاد السوفيتى لانه ساعدنا فى وقت محنتنا ساعدنا فى أيام الحزن العصيبة التى قابلناها فى يونيو وساعدنا رغم كل الضغوط التى وقعت عليه فى أوائل هذا العام طورت اسرائيل استراتيجيتها وبدأت تضرب فى العمق • تضرب ضواحى القاهرة تضرب المدارس وتقتل الاطفال تضرب المصانع وتقتل العمال •

واستطعنا أن نحصل من الاتحاد السوفيتى على أسلحة حديثة تمنع توغل العدو الاسرائيلى الذى ساندته الولايات المتحدة الامريكية بطائرات الفانتوم وطائرات سكاى هوك • تمنع توغله الى داخل البلاد الى منطقة الدلتا والى منطقة وادى النيل • ولهذا نشكر أيضا الاتحاد السوفيتى لانه بدون مساعدة الاتحاد السوفيتى كانت اسرائيل تستطيع أن تضربنا فى القاهرة وفى الضواحى المحيطة بالقاهرة •

ولكن استطعنا أن نفرق بين ناحيتين • بعد الحرب ما خلصت فى سنة ١٩٦٧ ، وبعد ما انتهت المعركة فى سنة ٦٧ ، وبعد ما بدينا نبنى جيشنا ، وبعد ما صدر قرار مجلس الامن ، الذى ينادى بانسحاب القوات الاسرائيلية المعتدية ، ماذا حدث من الولايات المتحدة الامريكية؟ وماذا حدث من الاتحاد السوفيتى؟ • سلمت الولايات المتحدة الامريكية ١٥٠ طائرة قاذفة قنابل فانتوم وسكاى هوك ، هذه الطائرات لاتستخدم للدفاع عن اسرائيل ولكن استخدامها الوحيد والاساسى هو ضربنا وتدكيرمدننا • وسمعناتهديدات وسمعنا انذارات بأنا اذا لم نقبل بشروط أمريكا ، واذا لم نقبل بالشروط التى تراها اسرائيل ، فان جميع مرافقنا الحيوية ستدمر بهذه الطارئات ، وان جميع مرافقنا الاقتصادية ستدمر بهذه الطائرات •

وذهبنا وطلبنا العون من الاتحاد السوفيتى ليساعدنا على أن نقابل هذه الاسلحة • أسلحة الدمار التى سلمتها الولايات المتحدة الامريكية لاسرائيل لتقتل بها اطفالنا ، وساعدنا الاتحاد السوفيتى بأن اعطانا الاسلحة الحديثة التى تمكننا من أن نواجه أسلحة الدمار الامريكية التى كانت تعتدى علينا وتقتل أطفالنا ، وتقتل أبناءنا وتقتل عمالنا •

كل هذا – أيها الاخوة – بدون قيد ولا شرط •

الامل فى النصر

فى هذه السنوات بنينا قواتنا المسلحة وسلحناها ودربناها وأصبحت الان فى معركة مستمرة على خط النار فى القناة •

اسرائيل تطالب بايقاف القتال ، ونحن نطالب بالانسحاب •

كل هذا بيدينا الامل الكبير فى أنا باذن الله فى معركتنا من أجل التحرير راضين •

وكما قلت لكم – هذه الثورة والثورة الليبية وصمود الشعب العربى – كل هذا بيدينا الامل فى المستقبل •

وسار الشعب الفلسطينى أيضا على طريق النضال وعلى طريق الكفاح من أجل استعادة حقوقه بالعمل الفدائى • وبدأت تدخل العمليات الفدائية فعلا المعركة من نواة الشعب الفلسطينى ، وسارت على طريق الثورة الفلسطينية ، طريق القومية العربية ، وبدأ شعب فلسطين يتحول من شعب لاجئين الى شعب فدائيين ، واصبح لشعب فلسطين الذى لم يكن يذكر اسمه أبدا فى المحافل الدولية ، بدأ شعب فلسطين له وزن سياسى كبير الان ، لان شعب فلسطين اراد لنفسه الحياة ، حينما أراد له الاستعمار ، وأرادت له اسرائيل الموت • فهب الشعب الفلسطينى وكون المقاومة الفلسطينية ، وبذل الدم والروح فى سبيل ثورته الفلسطينية ، وفى سبيل أرضه ، وفى سبيل وطنه •

وسرنا أيها الاخوة نطور التحالف العربى • وقامت الجبهة الغربية على قناة السويس ، وقامت الجبهة الشرقية فى الجانب الاخر من العراق والاردن وسوريا • وبدأت مرحلة جديدة نحن كنا فى مرحلة الصمود فى مرحلة كفاح ، نحن الان فى مرحلة فى قناة السويس نستطيع أن نقول أنا نقدر على انتزاع المبادأة من اسرائيل ، وانا يوميا نقوم بعمليات عسكرية فى الضفة الشرقية من القناة ، واننا فى قتال مستمر •

٥٥٠ مليون جنيه للجيش

أيها الاخوة

حتى الان لا نستطيع أن نقول أن المعركة ضد اسرائيل وضد من هم وراء اسرائيل معركة قومية ،

قواتنا المسلحة تجمع أبناء الفلاحين وأبناء العمال وخريجي الجامعات

ولكنها حتى الان لا زالت معركة اقليمية ، وأنا أعلق بهذا على ما قاله الاخ القذافى .

نحن فى مصر كنا فى سنة ٦٧ ميزانيتنا للجيش ١٦٠ مليون جنيه ، النهاردة ميزانيتنا للقوات المسلحة ٥٥٠ مليون جنيه بجهود ذاتية .

ونحن فى مؤتمر الخرطوم اتفقنا على الدعم العربى ، ولكن كان الدعم العربى من أجل تعويض الخسارة التى تكبدتها مصر والاردن وسوريا من العدوان ، نحن تعرضنا لخسارة تقدر بـ ١٨٠ مليون جنيه ، منها دخل قناة السويس ، ومنها دخل ابار البترول فى سيناء ومنها دخل المناجم الموجودة فى شبه جزيرة سيناء ومنها الدخل فى السياحة . وقرر لنا فى هذا الوقت ٩٥ مليون جنيه استرلينى .

نحن نشكر الدول التى قدمت هذه الاموال ، والتى آلت على نفسها من سنة ٦٧ ، أن تستمر فى الدفع حتى نحقق النصر .

اقتصاد قوى

ولكن حينما تحطمت مصانعنا فى السويس ، وتحطمت معامل تكرير البترول حينما تحطمت معامل السماد ، حينما هجرنا نصف مليون مواطن مصرى من

وبعد من دولة كبرى ، أن اسرائيل لن تقترب منها •• حدود أسرائيل معروفة .

وهناك وزير من وزراء أسرائيل صرح فى الشهر الماضى أن حدود أسرائيل هى الحدود التى رسمها هرتزل أحد زعماء الحركة الصهيونية وهى تبدأ من النيل لتعم محافظة الشرقية ومحافظة الاسماعيلية ثم سيناء كلها ثم جزء من المملكة العربية السعودية لغاية المدينة المنورة ، ثم سوريا كلها ولبنان كلها والاردن كلها ونصف العراق .

وزير مسئول فى حكومة أسرائيل وزير المواصلات وايزمان قال أن أمريكا تؤيد هذا .

أن قول ذلك ضرورى لكى تعلم الامة العربية وقادة الامة العربية ماهو الخطر الذى يحيق بها الان ، حتى تعلم الامة العربية ، أن عدونا ليس أسرائيل وحدها ، ولكن من هم وراء اسرائيل ، لان الولايات المتحدة الامريكية لا يمكن لها بأى حال من الاحوال أن تتخلى عن اسرائيل حتى تذكر الامة العربية طبيعة عدونا الطبيعة العدوانية . وحتى نتذكر جميعا أن ما أخذ بالقوة لا يسترد بغير القوة .

الخطوة السليمة

هذه فعلا هى الخطوة السليمة حتى تتحول هذه

أمريكا قامت فى عام ١٩٦٧ بالدور الذى قامت به فرنسا وبريطانيا فى عام ١٩٥٦

منطقة القناة الى الداخل ، كنا نتحمل جميعا ، اخوانكم فى مصر تحملوا كل هذا . واستطعنا أن نكتفى بأنفسنا ، واستطعنا أن نعمل اقتصاد قوى ، ولكن هذه المعركة ليست معركة قومية ، ونحن نؤيد الرئيس القذافى فى محاولته القادمة التى سيتصل فيها بالدول العربية من أجل تحويل هذه المعركة الى معركة قومية ، لان المعركة مع اسرائيل لا يمكن بأى حال من الاحوال أن تكون معركة مع بلد عربى واحد ، اسرائيل لن تستثنى بلدا واحدا ، اسرائيل لم تستثنى لبنان . لم تحشد الجيوش العربية حتى الان التى يمكن للامة العربية أن تحشدها . الكلام سهل على الكفاح الشعبى والنضال الشعبى والقتال الشعبى ، واذا كانت العملية كلام ، وكل واحد يقول هتافات هذا كلام سهل .

والرسالة التى سيقوم بها الرئيس القذافى فى الحقيقة هى رسالة مقدسة ، لانه يريد أن يحول هذه المعركة التى اخذتنا فيها اسرائيل متفرقين الى معركة قومية . أستراتيجية أسرائيل مبنية دائما على أن ينفردوا بنا دولة دولة .

ولكن قد تشعر بعض الدول ، قد توهم أنها عندها

المعركة من معركة أقليمية الى معركة صهيونية عربية .

الناحية الثانية احنا سرنا فى الطريق السياسى ، وسرنا فى طريق بناء قواتنا المسلحة وسرنا فى طريق حرب الاستنزاف وسرنا أيضا فى طريق الاتصالات السياسية ونحن نشعر أن المعركة معركة مصير ومعركة كبيرة ويجب أن لا نتوانى عن اتباع أى سبيل من السبل يوصلنا الى تخليص حقوقنا لان احنا عايزين السلام .

ولكنا لن نقبل السلام الذى تريده لنا الولايات المتحدة الامريكية لانا نعتبره أستسلاما ولا نقبل السلام الذى تريد أسرائيل أن تفرضه علينا .

وعلينا فى هذا أن نتصل بمنظمات كثيرة فى العالم . شعوب حرة فى العالم فى الدول الغربية بالاضافة الى التأييد السياسى والتأييد الاقتصادى والدعم العسكرى من الاتحاد السوفيتى والدول الاشتراكية من الاتحاد السوفيتى والدول الاشتراكية الاخرى . وقد أخذنا دعما من شعوب افريقيا ومن الدول غير المنحازة . وجدنا دعما من جماعات حرة ..

طلبة الكلية الحربية المصرية أثناء لقائهم مع الرئيس جمال عبد الناصر والعقيد معمر القذافى وأعضاء مجلس قيادة الثورة السودانى

أيها الاخوة ـ نحن نطالب بحقنا • نحن لا نريد الحق للعدوان ولكنا نريد السلام بالسلام • والسلام غير الاستسلام •

أيها الاخوة ـ ما هو موقفنا اليوم ، سنحاول بكل وسيلة من الوسائل أن نستخلص حقنا • نعمل سياسيا ولكن حينما نعمل سياسيا نعمل بشريطن أساسيين ، الشرط الاول : هو ضرورة انسحاب قوات العدوان من كل الاراضى المحتلة بعد يونيو ١٩٦٧ وليس من سيناء وحدها •

وعلى هذا الاساس قبلنا قرار مجلس الامن اللى صدر فى نوفمبر سنة ١٩٦٧ وحكومة اسرائيل رفضت هذا القرار ، وحينما وصل مبعوث الامين العام للامم المتحدة رفضت اسرائيل أن تجاوب على اى سؤال من أسئلته •

اسرائيل لا تريد السلام

لماذا رفضت اسرائيل •• اسرائيل لا تريد السلام • اسرائيل تريد التوسع أعلنت اسرائيل انها ضمت القدس وأن لا حديث عن القدس ، الاسبوع اللى فات اعلنوا ان الخليل كانت بلد اجدادهم وعلى هذا الاساس لازم يهودوا الخليل الى بلد لليهود وبنوا المساكن فيها ، النهاردة بيقولوا أن مدينة نابلس كانت لاجدادهم أيضا بيسكنوا فيها ولازم تنضم الى اسرائيل •

اسرائيل لا تريد السلام ، طالما تساندها الولايات المتحدة الامريكية بالقوة •

وأنا آخر مرة التقيت معاكم هنا فى يناير الماضى فى عيد استقلال السودان • قلت احنا نطالب بانسحاب اسرائيل من القدس قبل سيناء ومن المرتفعات السورية ومرتفعات الجولان قبل سيناء ومن غزة قبل سيناء ومن الضفة الغربية للاردن قبل سيناء ومن كل شبر من الارض العربية مشت عليه قوى المؤامرة الكبرى التى وجهت عواصفها المجنونة ضد أمتنا يوم ٥ يونيو ١٩٦٧ •

الشرط الثانى وهذا أيضا يدخل ضمن قرار مجلس الامن وهو ضرورة حل قضية شعب فلسطين ورد كل الحقوق المشروعة لشعب فلسطين •

والان ليس كما كان يطالب باعتباره شعبا من اللاجئين ، وتقول اسرائيل انها علشان تحل مشكلة هذا الشعب بتعمل مؤتمر دولى ويتحل الموضوع فى هذ المؤتمر الدولى ٠

نحاول بكل الوسائل ، نحاول مع الاصدقاء لكى يكونوا جميعا على بينة من الامور وهم يساندوننا فى موقفنا ٠ نحاول مع كل شعوب آسيا وافريقيا وأمريكا اللاتينية لكى يروا موقفنا فى سماحة ٠٠ نحاول مع شعوب أوروبا الغربية لكى تدرك اننا لا نضمر عداء لهم وانما نحن اصحاب حق ندافع عن هذا الحق . كما كانوا هم أصحاب حق يدافعون عنه ٠ ضد عدوان الفاشية النازية العنصرية ، خلال الحرب العالمية الثانية ٠

ونحاول أيضا مع الولايات المتحدة الامريكية نفسها حتى لا يسجل علينا التاريخ انه كان هناك باب لم نطرقه ٠٠

أقول للرئيس الامريكى

ومن هذا المنطق وجهت نداء الى الرئيس الامريكى نيكسون الذى قلت له فيه يوم أول مايو الماضى ٠ اننى أقول له ـ وهو يعرف أننى أعنى ما أقول ـ ان الامة العربية لن تستسلم وهى تريد سلاما حقيقيا ولكنها تؤمن ان السلام لا يقوم على غير العدل ٠

أريد أن أقول له ، للرئيس الامريكى انه اذا كانت الولايات المتحدة تريد السلام فعليها أن تأمر اسرائيل بالانسحاب ٠ وذلك فى طاقة الولايات المتحدة الامريكية التى تأتمر اسرائيل بأمرها لانها تعيش على حسابها ٠ وأى شىء غير ذلك لا يجوز علينا ولن يجوز ٠

واذا لم يكن فى طاقة أمريكا أن تأمر اسرائيل فنحن على استعداد لتصديقها اذا قالت ذلك ، مهما كانت آراؤنا فيه ٠ ولكن فى هذه الحالة نطلب طلبا واحدا هو بالتأكيد فى طاقة أمريكا وذلك الطلب هو أن تكف الولايات المتحدة الامريكية عن أى دعم جديد لاسرائيل سياسيا أو عسكريا أو اقتصاديا مادامت اسرائيل تحتل أراضينا ٠

واذا لم يتحقق الحل الاول واذا لم يتحقق الحل الثانى فان على الشعوب أن تؤمن بحقيقة لا يمكن المكابرة فيها بعد الان وهى أن الولايات المتحدة الامريكية تريد لاسرائيل أن تواصل احتلالها ٠ ، ٠ حتى تتمكن من فرض شروطها علينا ٠

أيها الاخوة ـ اننى توجهت بذلك الى الرئيس الامريكى ريتشارد نيكسون وأنا أعرف حقيقة الارتباطات بين رئيس الولايات المتحدة الامريكية ٠ أعرف المساندة السياسية التى أعطتها أمريكا لاسرائيل فى الامم المتحدة وفى مجلس الامن ٠ وأعرف المساعدات الاقتصادية التى تحصل عليها اسرائيل من أمريكا على شكل مساعدات أو تبرعات ٠ اسرائيل تحصل من أمريكا سنويا على ٥٠٠ مليون دولار مساعدات وتبرعات ٠ وأعرف المساعدات العسكريه التى تحصل اسرائيل عليها من أمريكا وحصلت أخيرا على دبابات وعلى مدافع كل شهر يوصل الى اسرائيل أربع طيارات فانتوم ٠٠٠٠

الحوار بالسلاح

يجب أن تكون لدينا القدرة على الحركة من ساحات الامم المتحدة الى ساحات حرب من الحوار الى الـ.. من الحوار البناء مع الدنيا كلها الى الحوار بالسلاح مع العدو الغاضب ٠

أيها الاخوة ـ ان النضال يجب أن يكون على جميع الجبهات بغير تحفظ ٠ هكذا يجب على كل الثوار الحقيقيين الذين يعرفون النضال فى صمود والكفاح من أجل المبدأ والعقيدة ٠

لا يجب أن تنسوا الحقيقة العظمى وهى ان كل شىء يتحرك بارادتنا الحرة التى هى تعبير عن ارادة الله ٠ كل شىء يتقرر بمقدرتنا الذاتيه التى هى مستمدة من الله ٠ كل شىء يتقرر باستعداد وتصميم وهى ان تكون أعمالنا على مستوى أقوالنا فى ميدان القتال فى معركة تحقيق النصر ٠

ان ذلك فى استطاعة قواتنا وفى مقدورها ولهذا فان الجزء الاكبر من جهدنا يجب أن يتوجه الى ميدان القتال ٠ يجب أن نكون جميعا فى أعمالنا وبأفكارنا وبكل ما تحتمله طاقتنا وراء رجالنا الذين يقفون على خط النار ويصنعون فى حكمة دقيقة مثلا أعلى للدفاع عن الاوطان ٠

ان مصير أمتنا كلها أن آمالنا كلها ان احلامنا الواسعة فى الغد كلها اليوم وهو ما يجرى على جبهة القتال بما يجرى على كل الجبهات مع العدو ٠

هناك ـ أيها الاخوة ـ الحل الاخير هناك ـ أيها الاخوة ـ القول الفصل هناك ـ ايها الاخوة النصر باذن الله

والسلام عليكم ورحمة الله ٠

نص خطاب
الرئيس جمال عبد الناصر
فى الكلية الحربية

فى منطقة جبل الاولياء التى تبعد خمسين كيلو مترا جنوبى الخرطوم التقى الرئيس جمال عبد الناصر والرئيس القذافى واعضاء مجلس الثورة السودانى بطلبة الكلية الحربية المصرية التى تضم ضباط الغد من ابناء مصر وليبيا ..

■ ■

وفيما يلى نص الخطاب الذى القاه السيد الرئيس جمال عبد الناصر :

ان هذا المكان عزيز على ، ولم أحضر اليه منذ مدة طويلة . لقد كنت هنا فى شبابى وعمرى عشرون عاما فى هذا المكان فى جبل الاولياء ، وكنت مليئا بآمال وأحلام كبيرة . وكنا فى ذلك الوقت نواجه ايضا نوعا من الاحتلال العسكرى .. فقد كان هناك الاحتلال البريطانى الذى كان يحكمنا . واليوم نواجه نفس المشكلة ، وان كانت بطريقة اقسى وأعنى بذلك الاحتلال الاسرائيلى للاراضى العربية .

عندما اتحدث عن احتلال اسرائيل للارض العربية ، فاننى لا أعنى سيناء فقط ، ولكن أعنى ايضا القدس والضفة الغربية والجولان . ولم نكن فى عدوان ١٩٦٧ نواجه اسرائيل وحدها ، وانما كنا نواجه اسرائيل ووراءها امريكا .

وفى عام ١٩٦٧ ، عندما هاجمتنا اسرائيل ، كان الواضح انها تستخدم احدث المعدات الالكترونية التى لم يكن يملكها فى العالم الا الدولتين الكبيرتين الاتحاد السوفيتى وأمريكا .

أخذنا زمام المبادأة

ونحن اليوم ، وبعد مرور ثلاث سنوات تقريبا على النكسة عوضنا الكثير جدا ، بل وأكثر من هذا أخذنا زمام المبادأة . ونحن نعمل الان من أجل هدف واضح .

هناك قرار مجلس الامن الذى ينص على انسحاب اسرائيل من الاراضى المحتلة ، كما ينص على حقوق شعب فلسطين . ولقد رفضت اسرائيل حتى الان تنفيذ القرار . ونحن نعمل لتصبح لدينا القوة لارغامها قسرا على الانسحاب ان اسرائيل لا زالت تحصل على معدات القتال من أمريكا ، وقد اعطانا الاتحاد السوفيتى أحدث الاسلحة ، واعطانا احدث المعدات الالكترونية ، واعطانا اشياء طورت ، لتناسبنا فى هذه المعركة . وحاجتنا الان فى المعركة هى الى الافراد المدربين والقادة الذين يستطيعون فى كل معركة ان يتفوقوا على اسرائيل .

وفى سنة ١٩٤٨ ، كنا نواجه اسرائيل .. والاساطير الكثيرة التى تسمعونها الان عن الجنود الاسرائيليين مبالغ فيها ، وهدفها الحرب النفسية .. لقد كانت هناك معركة بيننا وبينهم ، عندما كنت ضابطا فى الجيش فى اكتوبر وديسمبر سنة ١٩٤٨ ، وفى المعركتين انهزمت القوات الاسرائيلية . وخرج فى المعركة ضباط وجنود التموين . خرجوا معنا ليقاتلوا القوات الاسرائيلية ، وجرح واستشهد منهم من استشهد . المهم ان الروح القتالية كانت مسيطرة علينا جميعا ، وان ما تسمعونه عن الجندى الاسرائيلى فيه مبالغة ، وهو ضرب من ضروب الحرب النفسية التى يستخدمها العدو .

بعد ٣ سنوات

وتساءل الرئيس : بعد ثلاث سنوات من انتصار اسرائيل ماذا حدث ؟

وأجاب قائلا : انه لا اسرائيل ولا الولايات المتحدة استطاعتا ان تحققا اهدافهما . لقد كان الهدف أن نستسلم ، فماذا حدث ؟ ان القوات المسلحة قد توسعت وزادت فى الوحدات وفى التدريب ، وفى مصر يسير التدريب على قدم وساق فى القوات المسلحة . وقد أثبت التدريب فاعليته ، وأصبحت الخسائر أقل . وكلنا نعلم اننا فى معركة للحفاظ على شرف الوطن وحريته واستقلاله . وهذه المهمة تقع على عاتق كل فرد فى الجيش . ولكن ما زالت مشكلة التفوق الجوى الاسرائيلى ، فاسرائيل تحصل على طيارين مدربين من أمريكا ومن بريطانيا ، ويعطونهم الجنسية الاسرائيلية وفى الوقت نفسه يحتفظون بجنسية بلدهم . ولقد حاولنا أن نتغلب على ذلك ولكن هذا يحتاج الى شىء من الوقت ، فان طيارينا الذين يتمون تدريبهم رغم قلة مدة خدمتهم قد أظهروا شجاعة وبطولة ادهشت الخبراء السوفييت ، ونحن نرفع مستوى التدريب فى القوات الجوية .

وقد رحب الرئيس نميرى بنقل الكلية الحربية الى جبل الاولياء . كما نقلت الكلية البحرية الى ليبيا حتى لا تستطيع أى غارة اسرائيلية أن تضرب الكلية . ولقد تم وضع امكانيات الدفاع الجوى الحديثة حول القاهرة وبذلك توقفت الغارات الاسرائيلية فى العمق .

نوعية جديدة للمقاتلين

وقال الرئيس ان ذوى المؤهلات من خريجى الجامعات والثانوية العامة يخدمون ويقاتلون ، مما يعطى للجندى المقاتل نوعية جديدة وروحا قتالية عالية . وبالنسبة للضباط عليهم واجب أكبر من أى واجب . وهو ضرورة الالتحام بجنودهم والارتباط بهم . ونحن نعتقد أن المعركة مفروضة علينا ما دامت اسرائيل ترفض الانسحاب ، وعلينا ان نجبرهم بالقوة على الانسحاب وان الطلبة الذين سيخرجون ضباطا سيقودون المعارك القادمة .

يجب أن نكون جميعا بكل ما تحمل طاقاتنا وراء رجالنا على خط النار

وأود أن أقول لكم ان الغارات التى تقوم بها اسرائيل على منطقة القناة غير مؤثرة . ولقد كنت هناك يوم الثلاثاء الماضى على وجه التحديد ، وشاهدت كيف يحتفظ مدفعى صغير بسلاحه وحياته ، بفضل التحصينات والاستعدادات .

ولقد انتهت غارات اسرائيل على العمق منذ يناير الماضى تلك الغارات التى كانت سببا فى نقل الكلية الحربية الى هنا .

وكان موقع الكلية الحربية فى القاهرة قريبا جدا من الاهالى وكانت الطائرات المنخفضة تستطيع أن تصل اليها فى ثلاث دقائق من جهة السويس . وقد كان الهدف من النقل هو الا نتعرض لخسائر كبيرة فى الارواح .

وان استمرار وجود الضباط مع الجنود فى الميدان يزيد من قوتهم .. ولقد دارت معارك كبيرة على القناة اثبتت فيها قواتنا جدارة ، وفى هذه المعارك انسحبت القوات الاسرائيلية ٢٠ كيلو مترا الى الخلف ، وتركوا على ضفة القناة ٦٦ موقعا . وجنودنا وضباطنا يعبرون القناة يوميا ويقاتلون القوات الاسرائيلية ويكبدونها خسائر كبيرة .

وقال الرئيس ان استمرار التدريب الشاق والحياة الخشنة فى الخيام هو جزء هام جدا من المعركة وعلينا أن نحشد جميع القوى فى معركتنا .

وتحدث الرئيس عن ثورتى السودان وليبيا وقال ان ثورة ليبيا ليست مكسبا لشعب ليبيا وحده ، وثورة السودان ليست مكسبا للسودان وحده ، وانما هما مكسب للامة العربية كلها .

وقال الرئيس ان الشعب الذى رفض الاستسلام بعد هزيمة يونية ، قد حملكم أمانة المعركة .

التاريخ الإسلامى

ماذا تعرف عن
العالم الاسلامى
دوله وشعوبه

الإسلام والمسلمون فى جزيرة سيلان

الدكتورة عنايات الطحاوى

أولا :
الموقع والظروف الطبيعية

تقع جزيرة سيلان فى جنوب الهند ويفصل بينهما مضيق بول الذى لا يزيد اتساعه عن ٢٠ ميلا .

وجزيرة سيلان لاتختلف فى ظروفها الطبيعية عن الهند فقد كانت جزءا منها ثم انفصلت عنها فى عصر جيولوجى حديث . وهى فى الواقع امتداد لجنوب الهند .

وهى تقع بين خطى عرض ٦ درجة ، ١٠ درجة شمالا ولذلك فمناخها يميل الى الحرارة .

وأهم مرتفعاتها تقع فى نصفها الجنوبى بحيث تصل الى الساحل ومعظمها يتكون من الصخور البللورية .

من حيث المناخ فهى حارة فى الصيف حيث تصل درجة الحرارة الى أكثر من ٨٠ درجة فهرنهيت قبل موسم المطر .

وتهب عليها الرياح الموسمية الجنوبية الغربية التى تسقط الامطار بغزارة وخاصة على غرب وجنوب غرب الجزيرة وتقل الامطار فى الجنوب الشرقى لوقوعه فى ظل الرياح .

وتغزر الامطار فى غرب وجنوب غرب الجزيرة من ابريل الى نوفمبر أما شرق وجنوب شرق الجزيرة فتغزر أمطاره فى الفترة من أكتوبر الى يناير .

ثانيا ـ اقتصاديات سيلان

يشتغل معظم السكان **بالزراعة** حيث يوجد حوالى أكثر من ٤ مليون فدان تزرع كما يوجد حوالى مليون فدان مراعى .

وأهم المحاصيل الارز وجوز الهند والمطاط والشاى أى أن اقتصاد سيلان يقوم على أساس مزدوج محاصيل غذائية ومحاصيل نقدية .

فالارز من أهم المحاصيل الغذائية وعلى الرغم من أنه يشغل مساحة أكثر من مليون فدان الا أن المحصول لايكفى الاستهلاك المحلى خاصة وان عدد السكان يأخذ فى الزيادة العالية ولذلك اهتمت الحكومة باستصلاح المناطق الجنوبية الشرقية من حيث طرق الرى واصلاح الاراضى وتوفير رءوس الاموال لزراعة الارز على نطاق واسع بحيث يكفى سكان سيلان .

وقد كان السكان فى الماضى يتركزون فى المناطق الشبه الجافة فى الجزء الجنوبى الشرقى من سيلان وكانوا يعيشون على زراعة الارز ـ وقد وجدوا فى هذا الجزء من سيلان بيئة سهلة تشبه بيئتهم التى جاءوا منها من سهول شمال الهند .

أما اليوم فمعظم السكان يتركزون فى الجزء الجنوبى الغربى ويقومون بزراعة المرتفعات على أسس علمية حديثة وأصبح الان الاقليم الجنوبى الغربى هو أهم مناطق زراعة الشاى والمطاط فى الجزيرة . وهما من المحاصيل النقدية الهامة .

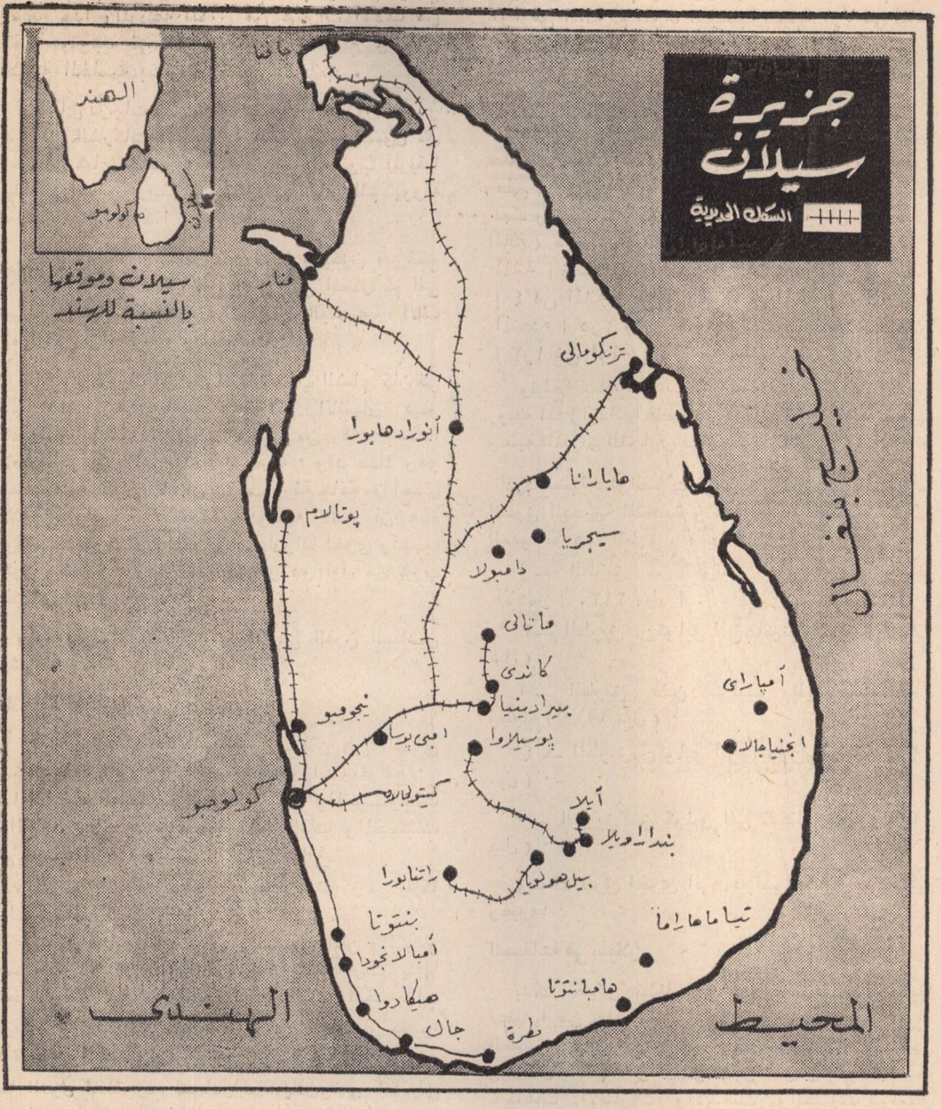

وقد حلت شجرة الشاى محل شجرة البن بعد أن كان المحصول الرئيسى فى سيلان ثم أصابتها الافات واختفت تماما من سيلان .

ويلعب الشاى دورا هاما فى صادرات سيلان ويليه المطاط ثم جوز الهند .

ولما كان الشاى هو أهم محصول اقتصادى فى سيلان حتى أطلق عليها (جزيرة الشاى) فسنتكلم عنه بالتفصيل .

فهذه الجزيرة الصغيرة تعتمد على زراعة الشاى وبيعه للعالم كله .

والشاى يزرع على سفوح الجبال وكلما ارتفعت السفوح عن سطح البحر كان الشاى أحسن . والشاى درجات ناعم وخشن وطويل وقصير ورائحته قوية أو ضعيفة ولونه غامق أو فاتح .

أما شجرة الشاى نفسها فهى تعيش فى الارض ١٤ سنة . وكل فدان من الارض به خمسة آلاف شجرة . وهناك نظام جديد لزراعة الشاى ينص على زيادة عدد أشجار الفدان الواحد الى سبعة آلاف شجرة .

وفى جزيرة سيلان مئات الالوف من الافدنة مزروعة شايا ولكن مع الاسف يملك الاجانب ٨٠ فى المائة

منها . والاجانب فى سيلان هم الانجليز ولهم مزارع واسعة جدا والمزرعة تتكون من عشرات الالاف من الافدنة وتوجد فى المزرعة أيضا المصانع والمنازل الانيقة الخاصة بكبار الموظفين الاجانب .

والشاى درجات وكل شعب له لون خاص من الشاى وهنا فى الشركات الانجليزية اناس متخصصون كل واحد فى شاى خاص . هذا فى شاى جنوب أفريقيا وذاك فى شاى بريطانيا وآخر فى شاى الجمهورية العربية المتحدة وهكذا .

وحتى يصلك الشاى الذى تختاره يكون قد قطع رحلة طويلة من الحقل الى النار الى المعمل ثم الى الصناديق والى البحر حيث ينقل اليك عبر آلاف الاميال من مياه البحار والمحيطات .

ويكفى أن تعرف ان أول انسان شرب الشاى كان فى عام ٢٧٣٧ قبل الميلاد . وهذا الانسان هو الامبراطور (شن توانج) وكان من عادة هذا الامبراطور أن يغلى الماء قبل شربه . وقد حدث وهو يشهد عملية غليان الماء أن سقطت ورقة جافة من احدى الاشجار وانزعج الامبراطور ولكنه لاحظ أن هذه الورقة قد غيرت لون الماء فوضع أوراقا أخرى وأعجبه اللون والطعم . وكان الامبراطور هو أول من شرب الشاى فى العالم .

وأوروبا لم تعرف الشاى الا فى القرن السادس عشر .

التجارة الخارجية فى سيلان

ان اهم الغلات الزراعية فى سيلان هى الشاى فالمطاط والكاكاو وجوز الهند والخضروات والموالح . أما الغلات الصناعية فأهمها السكر والمنسوجات والجلود والحديد والصلب فالكيمائيات والمخصبات ثم حبوب الزيت .

وبالنسبة للثروة المعدنية فى سيلان فتتركز فى الميكا والملح والجرافيت والحديد والكاولين .

وتتركز **صادرات سيلان** فى الشاى والبن والكاكاو بنسبة ٦٦ر٥ فى المائة من جملة الصادرات يليها المطاط بنسبة ٢٢ فى المائة ثم الحيوانات والخضروات الزيتية والدهنيات بنسبة ٧ر٤ فى المائة وأخيرا الفواكه والخضروات بنسبة ٢ر٤ فى المائة .

أما الدول المستوردة لصادرات سيلان فهى كما يلى بريطانيا وتستأثر بحوالى ٢٨ فى المائة من جملة الصادرات تليها الولايات المتحدة بنسبة ٩ فى المائة ثم الصين (٧ر٧ فى المائة) فاستراليا (٦ر٤ فى المائة) فكندا [٤ر٨ فى المائة] ثم جنوب افريقيا [٤ر٨ فى المائة) فألمانيا الغربية (٤ر٢ فى المائة) فاليابان [٣ر٢ فى المائة] فالهند [٢ فى المائة] وأخيرا الباكستان [١ر٢] . فى المائة

أما عن الواردات فتتركز فى الحبوب بنسبة ٥ر١٥ فى المائة من جملة الواردات تليها المنسوجات بنسبة ٩ر٢ فى المائة فاجهزة طرق المواصلات المختلفة بنسبة ٧ر٧ فى المائة ثم المواد المخصبة بنسبة ٢ر٧ فى المائة فالآلات المختلفة بنسبة ٧ فى المائة ثم الاسماك بنسبة ٥ر٢ فى المائة فالسكر [٤ فى المائة] واخيرا الملبوسات بنسبة ٣ر٢ فى المائة .

أما بالنسبة للدول التى تستورد منها سيلان حاجاتها ففى مقدمتها بريطانيا فهى تستحوذ على [٢٢ فى المائة] من قيمة الواردات الكلية تليها الهند ونسبتها (١٣ر٣ فى المائة) ثم اليابان (٨ر٢ فى المائة) فالصين (٦ر٦ فى المائة) فبورما (٦ فى المائة] فاستراليا [٤ر٨ فى المائة فالمانيا الغربية ٤ فى المائة فايران [٣ر٨ فى المائة] ثم الولايات المتحدة [٣ر٥ فى المائة] وأخيرا الباكستان [١ر٣ فى المائة] .

وتبلغ صادرات سيلان ما قيمته ١٦٨٢ر١ مليون روبية أما وارداتها فتبلغ ما قيمته ١٢٥١ر١ مليون روبية وعليه فالميزان التجارى فى صالحها الى حد ما .

وبالنسبة للمواصلات فى سيلان فان أهم ما يميزها الطرق البحرية المتعددة وتعتبر كولمبو العاصمة مركز العديد من هذه الطرق وأهمها .

١ - الطريق من كولمبو الى عدن فالبحر الاحمر [٢١٣٠ ميل] .

٢ - الطريق من كولمبو الى جاكرتا وطوله [١٨٢٧ ميل) .

٣ - الطريق من كولمبو الى سنغافورة وطوله (١٥٧٠ ميل) .

٤ - الطريق من كولمبو الى رانجون وطوله [١٢٣٤ ميل) .

٥ - الطريق من كولمبو الى كلكتا وطوله (١٢٢٠ ميل) .

وهناك طرق اخرى الى مدراس وبمباى وكراتشى وغيرها .

الصناعة فى سيلان

بدأت سيلان تدخل ميدان الصناعات الحديثة اعتبارا من عام ١٩٦٤ خاصة وأن لديها من المواد الخام ما يمكنها من ذلك . فتوافر المطاط الطبيعى والرمال الثقيلة والمعادن مكن سيلان من انشاء صناعات الاطارات والاسمنت والخزف وبعض صناعات استهلاكية كالاغذية والمشروبات والمنسوجات والاحذية والورق والجلود .

وتدل الاحصاءات على أن الانتاج الصناعى فى سيلان ارتفع الى ١٠٣ر٩ مليون روبية عام ١٩٦٧ بزيادة قدرها ١١ر٩ فى المائة عن عام ١٩٦٦ .

ونظرا لموقع جزيرة سيلان فى المحيط الهندى فنجد أن سهولة الحصول على الاسماك مكن من قيام صناعات حفظ الاسماك .

وقد دخلت سيلان مجال تصنيع الصلب فقد ساهم الاتحاد السوفيتى فى انشاء مصنع لانتاج الصلب بقدرة انتاجية تبلغ ٦٠٫٠٠٠ طن من الصلب المبروم.

وقد بدأ هذا المصنع فعلا عام ١٩٦٧ ٠

كما ساهمت ألمانيا الشرقية فى انشاء مصنع للغزل والمنسوجات وظهرت بوادر انتاج الغزل عام ١٩٦٧ أما مصنع المنسوجات فقد بدأ انتاجه فى النصف الثانى من عام ١٩٦٨ ٠

وتدل الاحصاءات على أن سيلان بدأت تهتم بادخال صناعات جديدة وذلك بعد مساهمة كل من الكتلتين الغربية والشرقية فى امدادها بالالات والخبرات الفنية :

فقد وقعت سيلان اتفاقها الثالث مع حكومة الولايات المتحدة الامريكية فى أوائل عام ١٩٦٩ ويتضمن امدادها بـ ١٥٠٫٠٠٠ طن من القمح ٠ كما أقامت المجر المصنع الثانى لها فى سيلان لانتاج اللمبات الكهربائية كذلك وقعت اتفاق قرض من الحكومة الكندية قيمته ١١مليون روبية لشراء أدوات الطباعة وغيرها ٠

ثالثا ـ سكان سيلان

يبلغ عدد السكان فى جزيرة سيلان حوالى ١١ مليون نسمة والسكان من العنصر الدرافيدى ويمتازون عن الدرافيديين فى شمال الهند ببشرتهم السوداء ٠

وينقسم سكان سيلان من حيث اللغة الى التاميل فى نصفها الشمالى والسنهاليين فى نصفها الجنوبى ٠

ويجمع التاميل بين حضارة الهند القديمة وحضارة الغرب الحديثة فمن آثارهم المعابد العظيمة ذات طابع خاص تختلف عن معابد شمال الهند فلها نقوش ورسوم معقدة ـ والتاميل عنصر يمتاز بالتفوق فى التجارة ولذلك فهو يميل الى الهجرة الى مختلف انحاء العالم ولا سيما جنوب أفريقية ٠

ولما كان الهنود من الامم التى تقبل على الهجرة منذ عهد قديم فقد انتشرت ثقافتهم فى أجزاء كثيرة من الاقطار التى تقع فى المحيط الهندى وحول المحيط الهندى ومن أهم الاقطار التى لجأ اليها الهنود جزيرة سيلان ففيها الان حوالى مليون هندى ٠

وقد كانت هجرة الهنود الى الاقطار المجاورة وخاصة سيلان بطريق البر والبحر السبب فى نقل الديانة البوذية الى كثير من أقطار آسيا ٠

أما الهجرة الهندية فى القرن التاسع عشر فتختلف عن الهجرة القديمة حيث كان معظم المهاجرين فى القرن التاسع عشر من العمال الذين يشتغلون فى المزارع والمصانع الاوربية وقد استقروا فى أوطانهم الجديدة محافظين على عقائدهم وتقاليدهم ٠

وفى جميع الاقطار التى استقر فيها الهنود فقد كونوا جالية مستقلة تمتاز بنشاطها التجارى والصناعى ٠ وقد نقل الهنود معهم الهندوسية والبوذية الى جزيرة سيلان والى بورما والتبت ثم سيام وكمبوديا وجزيرة جاوة وغيرها من البلاد التى وصلوا اليها واستقروا بها ٠

(ويقال ان سيدنا آدم عليه السلام عندما نزل من الجنة الى الارض كانت جزيرة سيلان هى أول مكان نزل فيه وبعض الناس يعتقد أن مكان قدمه لا يزال واضح الاصابع) ٠

رابعا ـ الاستعمار فى سيلان

فى سيلان توالى استعمار البرتغاليين والهولنديين والهنود والبريطانيين ٠

أما البرتغاليون فقد تزوج الكثير منهم بالاهالى الوطنيين واستقروا فى البلاد ولكنهم ما لبثوا أن أصبحوا مثالا لسوء الادارة وضعف الروح المعنوية والخمول ٠ ثم جاء الانجليز والهولنديون ولم يستطع البرتغاليون الصمود أمام نشاط المستعمرين الجدد وضاعت تجارتهم وبقيت بعض مستعمراتهم شاهدا على فشلهم وخيبة أملهم ٠

وقد بدأ الاستعمار البريطانى فى أوائل القرن السابع عشر متأخرا عن الاستعمار البرتغالى بنحو مائة عام ٠

وبعد ذلك بنحو خمسين عاما بدأ الاستعمار الفرنسى ثم نشأ تنافس شديد بين الانجليز والفرنسيين أدى الى قيام حروب كثيرة ٠ وفى النهاية انتصر الانجليز وأزاحوا الفرنسيين شيئا فشيئا وأخذ الانجليز أغلب ما كان للفرنسيين فى الهند ٠ وقضى الانجليز على الحروب والمنازعات بين الولايات وذلك بابقاء الولايات على حالها وضمان بقاء الامراء فى ولاياتهم ٠

وفى الحرب العالمية الاولى وقفت الهند فى صف الامبراطورية البريطانية ومعها سيلان وقدما للامبراطورية ما يزيد على مليون من الجنود وما يزيد عن مائة مليون من الجنيهات وعند نهاية الحرب أعلنت انجلترا أنها ستمضى فى تشجيع حركة اشتراك الهنود فى ادارة شئون بلادهم ووعدت أن تهيىء للهند فى زمن قريب الحصول على الحكم الذاتى داخل الامبراطورية .

ومنذ نهاية الحرب العالمية الاولى سنة ١٩١٩ أصبحت الحركة الوطنية بزعامة [غاندى] حركة ذات

أهداف محدودة ترمى الى أن يكون للهند حق تقرير المصير بالطرق المشروعة وبدأت ثورة الهند بالطريق الذى رسمه غاندى ولكن الانجليز قابلوا الثورة بعنف • وقد عمت الثورة كل أرجاء الهند وسيلان • واستمرت الاضطرابات وقبض على غاندى وسجن عدة مرات •

وبعد جهاد امتدحوالى ثلاثين سنةسلمت بريطانيا بمطالب الهنود جميعا من هندوس ومسلمين •

وأخيرا فى ٣٠ ينايرسنة ١٩٤٨ استشهد غاندى وقد حزنت الهند وسيلان والعالم كله لموت الزعيم المهاتما (غاندى) وقد خلفه الزعيم الوطنى الرئيس [جواهرلال نهرو] الذى استطاع بمقدرته السياسية أن يقود دفة الامور الى شط الامان وأن يجنب البلاد أخطار التفرقة والمنازعات الداخلية •

أما بالنسبة لسيلان فانها تخلصت أيضا من الاستعمار البريطانى الكامل ولكنها تعتبر احدى دول الكومنولث البريطانى وتتكون من عدة ولايات اتحادية وبها مندوب سامى بريطانى •

خامسا : الاسلام والمسلمون فى سيلان

يبلغ عدد المسلمين فى سيلان حوالى مليون نسمة من عدد السكان البالغ ١١ مليون نسمة •

وعندما زار ابن بطوطة سيلان كان المسلمون قد استقروا فى الجزيرة منذ القرن الثامن أى قبل ستة قرون من مجىء ابن بطوطة وكان منهم « الجلسطى » الوزير وحاكم البحر وكان له حرس من الاحباش .

ويعيش المسلمون فى المنطقة الشرقية من سيلان وبعضهم يعيش فى الحصن القديم (كالى) ويعملون بالتجارة •

وهم من أصل عربى أو من البحارة التجار الذين وصلت سفنهم الى كالى منذ ألف عام قادمة من مصر أو من بلاد العرب أو فارس أو جاوة للمتاجرة بالذهب والمجوهرات والعاج والقرفة وطير الطاووس •

وقد يكون بعضهم من أصل آخر لانهم طوال القامة تشبه وجوههم فى حدتها الصقر ويتميزون بعماماتهم وأرديتهم الطويلة وهؤلاء يعرفون محليا بالافغانيين الذين نزحوا من الحدود الهندية •

وقد كانت العلاقة بين الاسلام والهندوسية ضعيفة فى أول الامر اذ أن المسلمين كانوا يعيشون بمعزل عن الهندوس بسبب الاختلاف بينهما فى العقيدة والتقاليد والعادات وبمضى الزمن اختلط المسلمون بالهندوس وتزوجوا منهم وبذلك كثر دخول الهندوس فى الاسلام

ويوجد فى الجزيرة مساجد بديعة البناء رائعة التنسيق ولعل مسجد بيرولا أروعها وأبدعها على الاطلاق وكذلك جامع كولمبو البديع الذى يقع وسط حدائق القرفة •

وهناك أيضا رابطتان اسلاميتان هما رابطة مسلمى سيلان والرابطة الملاوية ويجمعهما منذ عام ١٩٤٦ الحزب الوطنى الموحد •

قضية فلسطين

● قضية فلسطين على ابواب مرحلة خطيرة ...

● ماذا بعد ؟ وأين السلام الموعود ؟ — سؤال مشوب بالحيرة والقلق والمخاوف من المستقبل فى اسرائيل ...

● الجو النفسى لجماهير اسرائيل بعد ان تمزقت الاوهام التى صنعتها الصهيونية العالمية ... الاوهام التى جعلت مئات الالوف من اليهود يتركون اوطانهم البعيدة وينزحون الى اسرائيل •

● بمناسبة الذكرى الـ ٢٢ لقيام اسرائيل ... ناحوم جولدمان بنشر ذكرياته ... ويقول ان اسرائيل لن تستطيع البقاء فى خضم من العرب ...

● السلام كما « لاتفهمه » اسرائيل ..

ليس من شك ان قضية فلسطين تقف الان على ابواب مرحلة جديدة .. مرحلة حاسمة وخطيرة ، وخطورتها لن تكون فى تقرير مصير تلك البقعة الطاهرة ، مهبط الاديان والرسالات السماوية فحسب ، بل أيضا فى تحديد مسار الامة العربية كلها لقرون مقبلة، بل يمتد اثرها على علاقات القوى الدولية فى العالم بأسره ..

فالعدو الاسرائيلى قد بلغ حدود الشطط فى استخدام كل ماتملكه الصهيونية العالمية من وسائل الضغط على الولايات المتحدة الامريكية وبريطانيا حتى استطاع فى النهاية ان يضمن تدفق الدعم العسكرى والاقتصادى والمعنوى بكل ما تملكه أمريكا من وسائل .. وراحت اسرائيل تستخدم الاساليب النازية فى محاولات جنونية لقمع المقاومة المتأججة فى الاراضى المغتصبة .

وعلى الجانب العربى .. تزداد صلابة المقاومة الفلسطينية ويتسع نطاقها ، وتمكنت — رغم كل الصعاب — ان توجه ضرباتها الى أعماق الكيان الصهيونى من الجليل الاعلى شمالا الى غزة جنوبا ومن مدن الضفة الغربية المحتلة شرقا الى مدن تل ابيب وحيفا ويافا وعكا على ساحل البحر الابيض المتوسط .

وعلى خط المواجهة مع العدو الاسرائيلى حدث فى الفترة الاخيرة تحول هام ، حيث بدأت القوات المسلحة المصرية تنتزع زمام المبادأة من العدو ، وبدأت القوات الجوية والبرية توجه له ضربات مؤثرة فى سيناء ، وقد انعكس اثر هذه الضربات المتلاحقة للقوات المصرية فى حالة من الهستيريا اصابت قادة المؤسسة العسكرية فى اسرائيل ، فراحوا يتخبطون فى تصريحاتهم وبياناتهم ، وخرجت صحفهم تحمل صفحاتها ارقاما كبيرة لخسائرهم على جبهة القناة ، وان كانت الارقام التى نشرت اقل بكثير من الارقام الصحيحة حيث درجت. اسرائيل على اخفاء خسائرها فى مختلف الجبهات حتى تتمكن من مواصلة خداع الرأى العام فى

من بدايتها إلى ذروتها

الأستاذ عثمان عبد السميع العدل

اسرائيل ، وللحفاظ على ما بقى فى اذهان المخدوعين عن اسطورة جيش اسرائيل الذى لا يقهر .

ولكن الخداع لا يمكن ان يستمر الى الابد .. فما من مستوطنة داخل الاراضى المحتلة الا وتحمل الان اثرا من آثار ضربها بصواريخ كاتيوشا التى تستخدمها منظمات المقاومة الفلسطينية فى نضالها البطولى العادل ، وما من اسرة فى اسرائيل لم يمت لها ابن او قريب ، او اصيب على جبهة من الجبهات ، وخاصة جبهة قناة السويس ..

صورة قاتمة من القلق بدأت تخيم على نفوس الاسرائيليين فى الوقت الذى كانت المؤسسة الصهيونية تستعد للاحتفال يوم ١٤ مايو بالذكرى المشئومة لدى كل عربى ، ذكرى اعلان دولة اسرائيل فى مثل هذا اليوم من عام ١٩٤٨ ..

سؤال يحمل كل معانى اليأس راح يتردد على الالسنة فى اسرائيل ، ((ماذا بعد ؟)) .

السؤال المشوب بالقلق والحيرة يعصف الان بافئدة الاسرائيليين الذين خدعتهم الوعود البراقة ، وعود السلام فى ارض الميعاد ، فهذه الوعود التى غلفتها الدعاية الصهيونية بكل اسباب الاغراء فى حياة مستقرة هى التى جعلت مئات الالوف من اليهود يتركون اوطانهم الاصلية فى اوربا وامريكا .. وشمال افريقيا ، وشدوا الرحال الى فلسطين ..

فى سنة ١٩٤٨ لم يكن عدد اليهود فى فلسطين يزيد كثيرا عن ٣٠٠ الف يهودى .. وخلال عشرين سنة بلغ عددهم حوالى مليونين ونصف المليون ، جذبتهم الدعاية .. وخدعهم بريق الانتصارات العسكرية الزائفة ، وملأتهم عوامل الغرور والصلف ، وسيطرت عليهم عوامل الحقد الدفين والانتقام الاعمى .. الحقد على المجتمعات التى اضطهدتهم فى اوربا ، وكانوا عليها وبالا فكانت عليهم دمارا ... فلما صنع لهم الاستعمار البريطانى رأس جسر الى قلب الوطن العربى ، فى فلسطين ، راحوا يعبرون عن عقدتهم الدفينة ، عقدة الحقد على المجتمعات المسالمة ، بعد ان عجزوا عن الانتقام من المجتمعات التى كانوا فيها اقليات مستضعفة ..

ونفس الاسلوب الذى اتبعه النازى ضد اليهود فى المانيا .. وضد سائر شعوب اوربا التى اجتاحتها جيوش هتلر ، بنفس الاسلوب راحت اسرائيل تدمر ، ونقتل وتحرق ، وكانت فى كل ذلك تخطط لابادة البشر وازالة الحضارة والتاريخ ، وتحاول اقامة مجتمع عنصرى باسلوب العصور الوسطى فى النصف الاخير من القرن العشرين ..

وكان قادة المؤسسة العسكرية الصهيونية يبذلون الوعود لجماهير اليهود ، الوعود الزائفة بان السلام آت ، وان القوة الباطشة كفيلة بازالة الوجود الفلسطينى بشرا وتاريخا ، وحضارة ، واقامة وجود يهودى صهيونى مكان فلسطين ، يتوسع بعد ذلك فى البلدان المجاورة لتكون اسرائيل الكبرى من النيل الى الفرات .. اسرائيل التى تتسع لكل يهود العالم ؟ !!

حتى من جاء منهم من اقصى الارض ليقتل عربيا فلسطينيا ويقيم على ارضه .. ويبنى بيتا جديدا من جماجم القتلى .. من الاطفال والنساء ..

على حين يبقى صاحب الحق عاجزا عن المطالبة بحقه أو النضال من أجل استعادته ، يائسا مدحورا ..

ومن هنا كان تخطيط المؤسسة العسكرية الصهيونية للمجتمع الاسرائيلى ، اذ ان المؤسسة العسكرية فى اسرائيل هى التى تضع تخطيط المجتمع .. من حيث الاسكان ، والانتاج ونوعيته .. ومواقعه .. وامام الجميع هدف اساسى هو ما يسمى بامن اسرائيل .. وأمن اسرائيل — حسب مفهومهم — ان يتحول الجميع الى مقاتلين فى مستعمرات ، تتولى شئون الانتاج وتتحمل اعباء الدفاع .. وان تشحن النفوس باستمرار بمشاعر الحقد والكراهية ضد العرب ، وان يكون هدف اسرائيل الكبرى هو التوسع .. وان تكون الحروب الوقائية شعارا تتستر وراءه اسرائيل لتحقيق اطماعها التوسعية ... واستطاعت القيادة فى الدولة الصهيونية ان تجعل هذا الوهم يسيطر على مشاعر اليهود فى اسرائيل اكثر من عشرين عاما .. واستطاعت ان تستقطب تأييد معظم يهود العالم .. وان تجعل الولايات المتحدة الامريكية مموِّلا رئيسيا لمشروعاتها العدوانية .. بعد ان فرغت جعبة الاستعمار البريطانى ، او كادت ..

ومن هذا المنطلق ايضا .. من نظرية السلام عن طريق القوة والاغتصاب شنت اسرائيل حربا عدوانية على مصر عام ١٩٥٦ ، وكانت فى ركاب دولتين من الدول الغربية الكبرى هما بريطانيا وفرنسا .. وكانت فضيحة العدوان الثلاثى وفشله الذريع احدى العظات الكبرى .. والادلة الدامغة على فشل هذه النظرية .. وكانت تاكيدا على ان الشعوب المناضلة تستطيع الصمود والانتصار مهما كانت قوة المعتدين الغزاة ..

الا ان نظرية ((السلام)) المفروض بالقوة ظلت كما هى تشكل صميم الاستراتيجية الاسرائيلية .. والسلام كما تعنيه اسرائيل هو الحرب ، أى شن ما تزعمه بالحرب الوقائية على العرب بهدف تصفية القضية الفلسطينية من ناحية ، وتصفية الانظمة التقدمية فى البلاد العربية من ناحية أخرى خدمة لاهداف الاستعمار ..

ومن ثم فان هناك هدفا مشتركا تلتقى من حوله اسرائيل والاستعمار .. وهو نفس الهدف الذى وضعه الاستعمار

نصب عينيه منذ البداية عند التخطيط لقيام اسرائيل لكيان عنصرى غريب يعمل على تفتيت الامة العربية واضعافها والحيلولة دون وحدتها ..

وبالطبع استفادت امريكا من الاخطاء التى وقعت فيها دول العدوان الثلاثى عام ١٩٥٦ – فلم تلجا للتدخل المباشر الى جانب اسرائيل .. ولجات الى التدخل غير المباشر .. زودت اسرائيل بكل ما تملكه واشنطن من الاجهـزة الالكترونيـة ، وبالخبراء العسكريين والطيارين المتطوعين .. واستغلت فى ذلك قانون الهجرة الاسرائيلى الذى يسمح بازدواج الجنسيـة ، اى ان يحتفظ الامريكى بجنسيته ويلتحق بالخدمة فى جيش اسرائيل ويحمل جنسية اخرى اسرائيلية .. ووضعت امريكا كل اجهزتها الدبلوماسية والدعائية فى كفة اسرائيل ..

حدث هذا عام ١٩٦٧ ... وحققت اسرائيل بتاييد امـريكا الشامل انتصارا عسكريا سريعا كان له وقع الصـدمة على الامة العربية ..

وتصورت المؤسسة العسكرية الصهيونية انها حققت اخيرا هدفها : الا وهو السلام القائم على القهر والاغتصاب ..

ولكن صدمة الهزيمة ، بقدر ما كانت مؤلمة ، بقدر ما حركت كوامن الغضب فى جماهير الامة العربية ، وهبت هذه الجماهير تستلهم كل ماضيها العريق ، وحضارتها التليدة ، هبت الجماهير يومى ٩ ، ١٠ يونيو عام ١٩٦٧ تعلن رفضها القاطع للهزيمة ، وتعلن صمود هذه الامة حتى النهاية .. وبفضل ايمان هذه الامة المسلمة بالله ناصر الحق على الباطل ، تحولت لحظات الياس الى اشراقة من أمل ..

وتداعت الاحداث ، واحدة تلو اخرى – وراحت جماهير الدولة الصهيونية تتلفت حولها فى حيرة ، ولم تكن اصداء الانتصـار العسكرى الاسرائيلى قد تلاشت بعد .. بل كانت نتيجة حرب يونيو قد جعلت قادة اسرائيل يزدادون صلافة .. وانتفخت منهم الاوداج ... وراحت ابواقهم تهلل وتتغنى باسطورة الجيش الذى لا يقهر .. ولكن جماهير اليهود راحت مرة اخرى تشعر بالحيرة والقلق ، وهى تسمع طلقات المدافع ، وانفجارات القنابل تدوى من حول المستعمرات الاسرائيلية .. بل فى قلب المدن الكبرى ، المدن التى تم احتلالها منذ عام ١٩٤٨ ... انها معارك المقاومة الفلسطينية المسلحة ..

بل ها هى قوة العرب تعود اليهم من جديد .. وها هـو جيش ناصر القوى يبادر بضرب المواقع العسـكرية الحصينة لاسرائيل فى سيناء المحتلة ..

بل ان اسرائيل لم تحقق هدفا واحدا من الاهداف التى سعت اليها بالاتفاق مع امريكا .. لم تهتز الانظمة التقدمية فى الوطن العربى .. بل زادت الجماهير من حولها التفافا .. تحميهـا بالقلوب والافئدة ، فهى الامل فى الانتصار وهى الرجاء فى التقدم.

وعلى عكس كل ما توقعته اسرائيل والاستعمار ، فقد ازدادت الانظمة التقدمية عددا وقوة .. قامت ثورة ليبيا ، وثورة السودان .. وعادت للعراق وحـدته الداخلية .. وفشلت حتى الان كل مؤامرات الوقيعة بين المقاومة الفلسطينية وكل من حكومة لبنان وحكومة الاردن ..

واكثر من هذا فان قضية فلسطين بزغت من جديد على الصعيد العالمى .. ليس بوصفها قضية لاجئين ، بل بوصفها احدى قضايا التحرير الوطنى الكبرى .. قضية شعب يحمل السلاح ويقـاتل لتحرير ارضه .. وبدأت القضية العادلة تستقطب الى جانبها قوى السلام والحرية فى العالم الاشتراكى .. بل بدات بالفعل تكتسب ارضا جديدة لها فى قطاعات من الرأى العام الغربى كانت من قبل منساقة وراء دعاوى الصهيونية الخادعة ..

ايقن العالم حقيقة الدولة الصهيونية التى بعثت من جـديد أساليب النازية البربرية وراحت تطبقـها باسراف فى الاراضى المحتلة .. وضربت عرض الحائط بكل قرارات الامم المتحدة التى تقضى بانسحابها من الاراضى المغتصبة وبتسوية عادلة لمشكلة اللاجئين ..

كل هذه الحقائق تتجسد الان من حول الموقف كله فى الذكرى المشئومة لقيام الدولة الصهيونية ، ويتلفت الرأى العـام فى اسرائيل فى حيرة وقلق يبحث على اجابة للمخاوف التى مزقت وهما عاش اثنين وعشرين سنة ... « مـاذا بعد ؟ » اين السلام ؟ !

لعل زعماء الدولة الصهيونية يجـدون الاجابة ... ولكنهم – فيما يبدو – لن يتوصلوا اليها مطلقا ، ذلك انهم يسيرون فى الاتجاه المضاد لطبيعة الاشياء .. وطبيعة الاشياء ، ومنطقها ، وشواهد التاريخ تؤكد دائما ان السلام بمعناه الحقيقى هو «السلام القائم على العدل » ، السلام القائم على الحرية وليس على القهر والاغتصاب ..

ولعل الزعيم الصهيونى ناحوم جولدمان رئيس المؤتمر اليهودى العالمى .. والرئيس السابق للمنظمة الصهيونية العالمية قد لمس شيئا من الحقيقة حينما انتقد فى كتابه الاخير « ذكريات » الذى نشر فى مناسبة ذكرى قيام اسرائيل – انتقد دعوة سلفه هرتزل (مؤسس الحركة الصهيونية) « بنقل شعب بلا ارض الى ارض بلا شعب » ... ويقول جولدمان « انها دعوة تتسم بالتجاهل الاعمى لحقوق العرب فى فلسطين ... فلم تكن فلسطين ارضـا بلا شعب حتى فى وقت هرتزل ، بل كانت ارضا يسكنها مئات الالوف من العرب ... » .

ذلك ما يقوله ناحوم جولدمان الان وهو احـد الدهاة الذين خططوا لقيام اسرائيل .. ولعله يعرف الان اكثر من غيره الهاوية التى تقترب منها هذه الدولة العنصرية شيئا فشيئا نتيجة لطبيعتها العدوانية .. وهى طبيعة تخريبية لا يمكن ان يكتب لها البقاء ..

وانقل عـن جولدمان شيئا مما نشرته صحيفة الابزرفر البريطانية من كتابه ذكريات (بتاريخ ١٢ ابريل ١٩٧٠) :

يقول جولدمان : ان اسرائيل ولدت بالحرب ، وتعيش بالحرب فقط ، ولا تظهر اى ميل نحو التفاهم السياسى ..

ويقول الصهيونى جولدمان ، وأخاله يجتر الحـزن والقلق : « ان اسرائيل لن تستطيع البقاء الى الابد طالما هى بمثابة جزيرة معادية فى خضم من العرب .. فهذه الحالة من العزلة لا يمكن الابقاء عليها فى المدى الطـويل ... » كما يعترف جولدمان بان اسرائيل تعتمد تماما على الغرب .. بكل ما يترتب على ذلك من نقل للصراع من الطابع المحلى الى المجال الدولى .. » .

- فهل يفهم قادة اسرائيل المعنى الحقيقى للسلام ؟ !
- وهل تفهم امريكا قبل فوات الاوان ؟ !

ان الايام القادمة تحمل فى طياتها الكثير .. فالى اللقاء .

« للبحث بقية »

فكر وفن

أدب • شعر

قصة • مسرحية

فن

إسلامي

معالم .. على طريق النصر

من خطاب القائد الرائد فى عيد العمال

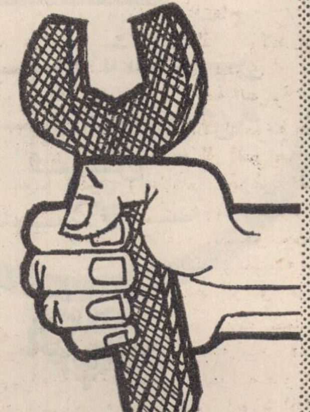

فضيلة الشيخ أحمد البسيونى

فى أول « مايو » عام ١٩٧٠ وفى احتفال العمال بعيدهم ، وفى « شبرا الخيمة » المنطقة الصناعية الكبرى ، والبقعة المكافحة من ارض مصر الخالدة ، وقف القائد الرائد ، والبطل العربى المناضل السيد الرئيس جمال عبدالناصر ، يلقى خطابه التاريخى الحافل بالبطولة والحزم ، على مسمع من عشرات الالوف الذين حضروا الاحتفال ، وعلى مسمع من شعب مصر كله ، الذى استمع الى الخطاب متوثب الهمة ، ملتهب العزيمة ، وعلى مسمع من الامة العربية التى عاشت ساعات الحفل مشدودة الاسماع والقلوب ، تستلهم الحقيقة وتستجيب للنداء الحبيب ، وعلى مسمع من الرأى العام العالمى ، الذى رأى كيف يعلو صوت الحق على ضجيج الباطل ، وكيف يزحف الفجر الصادق على جحافل الظلام ، فتتوارى فى ذلة وانكسار ...

وحسبى فى هذه الكلمة أن ألتقط من هذا الخطاب العظيم ، نقاطا أضعها معالم على طريقنا ونحن نزحف لانتزاع النصر القريب ، واسترداد الحق السليب .

نحن نبنى والعدو يدمر :

من سنن الحياة على هذه الارض ، الصراع بين الحق والباطل ، فى المعركة بين الخير والشر ، وقد بدأ هذا الصراع ، منذ وجدت الدنيا ومنذ خلق البشر ، وسيظل هذا الصراع ، ما بقيت الحياة ، والى أن يرث الله الارض ومن عليها ، لكن النصر دائما للحق ، وسيظل له هذا النصر ، تحقيقا لوعد الله ، فالحق اسم من اسماء الله ، وما كان لله ان يغلبه غالب .. وعلى مراحل التاريخ ، وفى جميع العصور والاجيال ، كانت نهاية الجولة للحق ، فاذا ما طغى الباطل وساد ، فانه سرعان ما يتبدد ظلامه أمام نور الحق مع بزوغ شمسه (**بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون**) (١٨ الانبياء) .

ومن صور الغدر الدنىء للعدو الوقح ، ما حدث فى « أبى زعبل » صباح الثانى عشر من شهر « فبراير » الماضى ، فقد تسللت طائراته لتضرب المصنع بنيرانها ، ويعمل بهذا المصنع ألفان من العمال الكادحين ، يرعون أسرا تكافح فى سبيل الحياة ، سبيل الشرف والعمل والمجد ، فبينما نحن نبنى طاقة الحياة والامل والحرية ، اذا بعدونا ، ينشر الرعب والدمار ، ويفجر القوى المدمرة للقتل والحريق والخراب !! ومن بواعث القتال فى الاسلام ، حماية الانسانية من عصابات الشر والبغى ، فاذا أرادت الفوضى أن تستحكم ، واذا أراد الظلم أن يغرق الناس بطوفانه ، فلابد لحماة الحياة من أن يقيموا حولها سدا منيعا حتى لا يجرفها الفساد والدمار (**ولولا دفع**

الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض ولكن الله ذو فضل على العالمين) (٢٥١ البقرة)

العدو دائما يبدأ بالعدوان :

شتان بين منطقنا ومنطق عدونا ، انه يخرج من دياره بطرا ورئاء الناس ، يقاتل للبغي والإستعلاء واغتصاب الحقوق ، وسفك الدماء البريئة ، أما قتالنا — نحن المؤمنين — فهو للدفاع عن الشرف والكرامة ، والدفاع عن المبادىء الكريمة ، والحقوق الانسانية ، فجهادنا فى سبيل الله . وجهاد عدونا فى سبيل الشيطان [الذين آمنوا يقاتلون فى سبيل الله والذين كفروا يقاتلون فى سبيل الطاغوت، فقاتلوا أولياء الشيطان ، ان كيد الشيطان كان ضعيفا) (٧٦ النساء) ان حربنا حرب مشروعة، فهى ليست للاستبداد ولا لاستذلال طائفة من الناس ، وانما هى حرب مقدسة هدفها وقف الباطل عن مسيرته الضالة الضارة بالانسانية ، وكسر شوكة العدو ، الذى أخرج الامنين من ديارهم بغير حق ، وقتل الاطفال الابرياء بغير ذنب ، ومن هنا ندرك سر دعوة القران الكريم على هذا العدو الماكر الخبيث ، وهذا يتجلى واضحا فى هذه الاوامر الصادرة من الله بقتالهم وتشريدهم اذ يقول سبحانه : (ألا تقاتلون قوما نكثوا ايمانهم وهموا باخراج الرسول وهم بدأوكم أول مرة أتخشونهم ؟ فالله أحق أن تخشوه ان كنتم مؤمنين . قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين) (١٣ : ١٤ التوبة) وقوله تعالى : [واقتلوهم حيث ثقفتموهم واخرجوهم من حيث اخرجوكم والفتنة أشد من القتل) (١٩١ البقرة) وقوله عز من قائل : (قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة] [١٢٣ التوبة)

نريد السلام ونرفض الاستسلام :

لسنا دعاة فوضى ولسنا هواة حرب ، فان ديننا يدعو الى السلام العالمى ، لانه يمقت العدوان ، ويكره البغى ، ويدعو الى أن يعيش الناس فى ظلال الاخوة الانسانية أحرارا فى العقيدة والدين والوطن ، ولكن اذا وقف فى سبيلنا اعداء الحياة ، وانتهكت حرماتنا ، واغتصبت أرضنا ، فقد حق علينا الجهاد ، ووجب الفداء . فالسلام فى منطقنا لا يعنى الاستسلام ، ولكنه سلام مسلح لارهاب العدو ، وصيانة الحقوق وحماية المبادىء

والشر ان تلقه بالخير ضقت به
ذرعا وان تلقه بالشر ينحسم
والناس ان جحدوا البرهان واعتسفوا
فالحرب أجدى على الدنيا من السلم

زمام المبادرة أصبح فى أيدينا :

قد قامت قواتنا فى البر والجو والبحر بعمليات جريئة ، ونستطيع أن نقول : اننا بدأنا ننتزع زمام المبادرة ، وتلك خطوة واسعة نحو تحقيق النصر ، ولاشك أن المفاجأة عنصر هام فى الحرب ، لما له من التاثير المعنوى على الاعداء واحداث الارتباك والرعب فى صفوفهم . ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستخدم عنصر المفاجأة فى حروبه ، فلما علم صلى الله عليه وسلم أن بنى المصطلق يحرضرن عليه ويريدون قتله ، قرر أن يأخذهم على غرة ويفاجئهم ، وجعل لواء المهاجرين لابى بكر . ولواء الانصار لسعد ابن عبادة ، وتحرك اللواءان حتى ماء قريب من بنى المصطلق يسمى « المريسيع » . وفوجىء القوم بقوات محمد صلى الله عليه وسلم تهاجم ، فسقط فى أيديهم ولم يجدوا للخلاص طريقا سوى الفرار ..

وعندما قرر الرسول غزو خيبر ، خرج فى ألف وستمائة مقاتل ، ومائة فارس ، وقطع المسافة بين المدينة وخيبر فى ثلاثة أيام ، وكانت سرعة التحرك عجيبة ، حتى ان اهل خيبر فوجئوا بالقوات المحمدية أمام المدينة فهربوا يتصايحون .. هذا محمد والجيش معه .. واستبشر الرسول من حالة الذعر التى وجدهم عليها فقال : « خربت خيبر انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين »

الشعوب العربية هى الامل الاول :

« اننا فى هذه الفترة الحاسمة من تاريخ أمتنا ، نتوجه الى الامة العربية كلها ، فهى مصدر كل قوة ، وكل طاقة ، وهى أمل النضال والكفاح .. ان أمامنا الان لحظة هامة فى تاريخ نضالنا . ولابد ان نهب جميعا باليقظة والتأهب لمتابعة ما يجرى » .. هذه صيحة الحق ينادى بها الرئيس الامة العربية ، لتدرك موقفها من الاحداث المحيطة بها ولتدرك موقع خطواتها على طريق الزحف المقدس والنضال الشريف . فلابد من حشد جميع القوى والطاقات لخوض المعركة . ولقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يحشد القوى الاسلامية كلها ، لتصد الاعداء ، وتسحق جموعهم ، ففى غزوة الاحزاب حين أحاط الاعداء بالمدينة ليقوموا بعملية ابادة للجيش الاسلامى ، دعا الرسول قومه الى حفر خندق حول المدينة ، وحشد لذلك جميع قوى المسلمين ، وتم حفر الخندق فى سبعة أيام ، فقد بلغت قوة المسلمين ثلاثة آلاف مقاتل، وقفوا صفا واحدا فى وجه عدوهم حتى نصرهم الله عليه، [ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا .. فالوحدة سياج الامة ، ودرعها الواقى ، وهى الطابع العام الذى تتميز به الامة الاسلامية والعربية ، فالمسلمون أمة واحدة تتكافأ دماؤهم ، ويسعى بذمتهم أدناهم ، وهم يد على من سواهم (ان هذه أمتكم أمة واحدة وانا ربكم فاعبدون) (٩٢ سورة الانبياء) (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا) (١٠٣ آل عمران) .

تحية الى قواتنا المناضلة !

فى الاجتماع الكبير للعمال وهم يحتفلون بعيدهم : **وجه السيد الرئيس تحية عطرة الى الابطال المرابطين على الحدود فقال : « من هذا المكان وكلنا أمل فى الله وفى النصر .. أوجه تحية باسم الشعب المصرى ، والشعب العربى ، الى قواتنا المسلحة التى تناضل فى الليل والنهار . . أوجه التحية الى الجيوش العربية .. الى المقاومة الفلسطينية المناضلة .. اوجه التحية الى الجماهير الصابرة المناضلة فى غزة .. واشيد بعظمتها .. وعظمة صمودها كمثل أعلى لكفاح الانسان من أجل الحرية .**

والإسلام يشيد بفضل المرابطين فى سبيل الله ، ويغالى بمنزلتهم ، ويجعل اللحظة القصيرة يمضيها المجاهد مرابطا فى سبيل الله ترجح فى ميزان الثواب على كثير من العبادات . ولما كان الرباط فى سبيله من أقوى المكيدة فى الحرب ، ومن اعظم اسباب الغلبة والنصر ، رغب فيه الاسلام حماية للعقيدة ، وصونا للحمى ،وصد اللمغيرين المعتدين يقول الله تعالى **(يأيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون)** (٢٠٠ آل عمران) وعن ابن عمر رضى الله عنهما ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : **(الا أنبئكم ليلة أفضل من ليلة القدر ؟ حارس حرس فى أرض خوف لعله ألا يرجع الى أهله)** (رواه الحاكم)

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : **« عينان لا تمسهما النار : عين بكت من خشية الله ، وعين باتت تحرس فى سبيل الله »** (رواه الترمذى)

ان لنا فى ماضينا العزيز، وفى أمجادنا الخالدة، عبر تاريخنا الطويل ، ما يحفزنا الى النضال والقتال ، فنحن أتباع نبى بطل شجاع ، لم يعرف التردد أو الهزيمة، ولكنه كان مسعر حرب ، وقائد جيش لا يهاب ولا يخاف ، يقول عنه على كرم الله وجهه : **« كنا اذا حمى الوطيس ، واشتد البأس ، واحمرت الحدق ، اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم فما يكون أحد أقرب الى العدو منه » !**

نحن أحفاد أبى بكر الذى قال : **« احرص على الموت توهب لك الحياة » .**

نحن أحفاد زيد بن حارثة الذى قاتل الروم فى غزوة « مؤتة » وتناولته السيوف بالطعن من كل جانب وهو يقاتل دون راية رسول الله حتى سقط شهيدا فقال النبى صلى الله عليه وسلم لاهل المدينة يوم استشهاده : **« استغفروا لزيد لقد دخل الجنة وهو يسعى » ! !**

سوف ينتصر البناء والتعمير .. سوف ينتصر العدل والحق . . ان يوم النصر لقريب [ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم) (٤ ، ٥ سورة الروم) .

الظلم

ظلمات يوم القيامة

للأستاذ عبد السلام الشاذلي القوصي

يقول الله تعالى [وقد خاب من حمل ظلما] ويقول أيضا [انا اعتدنا للظالمين نارا أحاط بهم سرادقها] وقيل فى الحكم [ليس الظلم هو المكروه بل المكروه دائما هم الظالمون] وقيل أيضا [أقسى المظالم محتمل اذا جهل مصدره] .

.. الظلم هو وضع الشىء فى غير موضعه . وفى الشريعة هو التعدى من الحق الى الباطل . وقيل هو مجاوزة الحد والتصرف فى ملك الغير . والرسول الكريم صلى اللهعليه وسلم يقول [الظلم ظلمات يوم القيامة] وهكذا نجد فى كتاب الله مايبلغ مائة وثمانين آية تحرم الظلم على العباد وتفسر لهمالعقاب الذى سيلقونه يوم الحساب ومنهاالحديث القدسى قال اللهتعالى [ياعبادى انى حرمت الظلم على نفسى وجعلتـــه بينكم محرما

فلا تظالموا] .. والظلم أيا كان نوعه يسبب النقم ويسلبالنعم ويبدل الخير شرا والعمار خرابا وهو مجلبة لاستحقاق العبـــد لغضب الله عليه والله تعالى يقول [ومن يحلل عليه غضبى فقد هوى] والظلم يتولد من الحقد وهو أكبر الرذائل ومنأعظم الشرور وصاحبه مستقبح ولا يركن اليه أحد ولا يثق به انسان ونستطيع أن نأخذ ميزان الاوامر بالعدالة بصفة اجمالية منهذه الايات الكريمة . ومن تخطاها وعمل ضدها فهو من الظالمين . تلك هى [بسم الله الرحمن الرحيم . الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصـــل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب . والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم وأقاموا الصلاة وانفقوا مما رزقناهم سرا وعلانيـــة ويدرءون بالحسنة السيئة أولئك لهم عقبى الدار . جنات عدن يدخلونها ومن صـــلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم والملائـــكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار . والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ماأمر الله به أن يوصل ويفسدون فى الارض أولئك لهم اللعنـــة ولهم سوء الدار] .

النقطة الاولى : الانسان المتدين العارف بحقوق الله هو هذا الانسان الذى اتخذ مع الله عهدا قطعه على نفسه فقال أشهد ألا اله الا الله محمد رسول الله وبأن يأتمر بأمر الله وينفذ له كل مامن شأنه أن يكون العبد فى محل رضا مولاه . وبهـــذا يكون قد وفى بعهد الله .

النقطة الثانية : ألا ينقض الميثاق . والميثاق الذى بين العبد وربه هو كتاب الله الكريم الذى لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وهو النور الكامل والهداية العظمى للطريق المستقيم الموصل لله ولرسوله وللحياة الدنيا بنعيمها الحـــلال وللحيـــاة الاخرى للجزاء الحسن وفيما عداه باطل .

النقطة الثالثـــة : الانسان الذى يصـــل ما أمر الله به أن يوصل . وهو أن يكون محبا للخير والاحسان وصلة الارحام وألا يكون سىء الظن بالعباد ولا مخاسن فى القول والعمل ولاحقود ولا طعان ولا لعان ولا سباب ولا منافق ويقول الله تعالى [ان

الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون] والرسول يقول [آية المنافق ثلاث اذا حدث كذب واذا وعد أخلف واذا ائتمن خان] فالعهد هو حفظه ومراعاته حالابعد حال هذا أصله . ثم استعمل فى الموثق الذى يلزم مراعاته وهو المراد . فخلف الوعد من الصفات الذميمة والوفاء بالوعد أخ الصدق والعدل . لان الوفاء صدق باللسان والعقل معا وجعل الله تعالى العهد والوعد من الايمان وصيرهما قواما لامور الناس . فوعد الكريم فرض واجب التعجيل . والوفاء به من شيم الكرام وأفضل شمائل العبد . وأوضح دلائل المحبة والاخلاص وهو أصل المودة والصفاء وثمرة المحبة والاخاء وأوضح دليل كتاب الله جل شأنه حيث يقول [وأوفوا بالعهد ان العهد كان مسئولا] وفى المثل . لاتنقض العهد لمن عاهدك ولو أضرك . لان نقض العهد من صفات الخونة الذين لا أمانة لهم ولا دين يردعهم .. وفى الحكم قيل : آفة المرء خلف الوعد والشاعر يقول :

اذا قلت فى شىء نعم فاتمه
فان نعم دين على الحر واجب

والا فقل لا واسترح وأرح بها
لئلا يقول الناس انك كاذب

النقطة الرابعة : الذين يخشون الله فى السر والعلن وهى الصفة الحاكمة على النفس الموجهة للقلوب الى عبادة الله وحده لاتشرك به شيئا وان توافق الامر طوعا وهى تجوز لغير الله تعالى فيما أحل الله ..

فطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم والوالدين وأولى الامر واجبة الا فى معصية الله والحديث يقول [من أطاعنى فقد أطاع الله ومن عصانى فقد عصى الله] صلى الله على رسول الله الذى لاينطق عن الهوى .. ويقول الله تعالى [يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر منكم] ويقول السراج المنير المصطفى صلى الله عليه وسلم [أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وان تأمر عليكم عبد حبشى] .. لقد قرن الله سبحانه وتعالى وجوب طاعة أولى الامر بطاعته وطاعة رسوله لانها عبارة منها . ونيابة عنها . فاذا سلك المكلفون بحقوق الناس جادة الحق فاديت الفرائض وامتنع التعدى وحقنت الدماء وحفظت الصحة وانتظمت البلاد وصنعت الترع وأقيمت السدود والجسور والقناطر والحصون والقلاع وجندت الجنود وسهلت المقاصد لكل فريق واستتب الامن وحفظ الوطن وشيدت عماد التربية والتعليم ونشر العدل فانت فى نظير أعمالهم الجليلة وسهرهم على المنافع العامة يلزمك الوفاء لهم بأن تخلص فى محبتهم ومساعدتهم وطاعتهم التى قرنها الله بطاعته وطاعة رسوله . ورفع مايقدر من الرسوم التى تصرف من المصالح العمومية وبذل الجهد معهم فى جميع مايحسن الانتاج والعائدات ويوسع نطاق الزراعة والتجارة والصناعة ويرفع من شأن الوطن وعزته وكرامته واستقلاله .. وسيدنا عمر بن الخطاب يقول [أيما وال ظلم أحدا ظلامة فرفعت الى فلم أغيرها فأنا ظلمته] .. وكذلك الشأن فى عقوق الوالدين .. والحديث يقول [اياكم وعقوق الوالدين فان ريح الجنة يوجد من مسير خمسماية عام ولا يجد ريحها عاق] .

النقطة الخامسة : الذين يخافون سوء الحساب هم أولئك الذين يؤمنون بالله واليوم الاخر والبعث والنشور والجنة والنار هؤلاء الذين امتلأت قلوبهم بالخوف خوفا من الخزى والعار ونتيجة الوقوف بين يدى الله موقف الحسرة والندامة بما اكتسبوا من الظلم منهم وبينهم أم منهم والى غيرهم من الناس أو الحيوان أو الجماد وسواء كان الظلم نشأ عن تأخر فى واجب نحو ربهم أو نحو وطنهم أو نحو أنفسهم من عبادة أو حفظ حق أو مراعاة لواجب أو جهاد فى سبيل الله أو رعاية لابدانهم ولمن يعولون فمن أدى ماعليه من حقوق فقد عدل ومن قسى قلبه فغلبته شقاوته فقد ساء عمله وساء حسابه ولقى الله مع الظالمين وأقيمت الحجة عليه [ولله الحجة البالغة] .

النقطة السادسة : الذين صبروا ابتغاء وجه ربهم .. ويقول الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم [واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه] وهدف هذه النقطة أن يتحمل الانسان المشاق والمتاعب فى سبيل الله والارتكان اليه والاتكال عليه وأن يجالس من هم على هذه الصفة حتى لايضل . والصبر ميزان قدسى للرضاء بالقضاء والقدر خيره وشره [وبشر الصابرين الذين اذا أصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون] وجملة المعنى للصبر هو حبس النفس عن البكوى ومنعها من الشكوى] . [انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب] . فهو الدواء الشافى والعلاج الكافى وان كان مرا .. قال الشاعر :

أنى رأيت وفى الايام تجربة
للصبر عاقبة محمودة الاثر

وقل من جد فى أمر يحاوله
واستصحب الصبر الا فاز بالظفر

وسيدنا على بن ابى طالب كرم الله وجهه يقول [كفانى فخرا أن تكون لى ربا . وكفانى عزا أن أكون لك عبدا . أنت كما تريد فاجعلنى كما تريد] ويقول أيضا [من رضى بما قسم الله له استراح قلبه وبدنه] .

النقطة السابعة : الذين أقاموا الصلاة . وهى عماد الدين وقوام اليقين [ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر] وهى التى تقود الانسان الى صراط الله المستقيم . وهى الصلة بين العبد وربه . من تركها عامدا متعمدا فهو كافر . ومن تركها سهوا فهو غافل . ومن تلاعب بها مرة يؤديها ومرة لايؤديها فهو فاسق وكلا منهم ظالم لنفسه وفى الاخرة مع الهالكين الا من تاب ورجع الى ربه وأقام حدوده .

النقطة الثامنة : الذين ينفقون مما رزقهم الله سرا وعلانية هؤلاء الذين يؤدون الزكاة من أموالهم للفقراء والمساكين وأصحاب الحاجة وبهذا العمل الجليل تدوم المحبة بين المسلمين ويغرس التآلف فتقوى الجماعة فيتكاثر المسلمون حول راية دينهم فيخشاهم عدوهم ويخافهم الظالمون ثم تتحسن أخلاقهم بالاتباع فيدرءون بالحسنة السيئة فيجزيهم ربهم الجزاء الاوفى .. تلك هى نقاط ثمانية جمعت كل أنواع العدالة . عدالة المرء مع نفسه وأهله ومع غيره من الناس ومع المجتمع الذى يعيش فيه . وعدالة مع الله ومع رسوله ومع الوالدين ومع اولى الامر ثم عدالة فى الطريق الذى يريد اتباعه الى مايرضى الله .. فاذا لم تؤد هذه الاوامر فيما ورد فى هذه الايات حسبما يريد الله تنفيذ الامر الذى ارتضاه أصبح المخالف من الظالمين ... وجزاء المتبع لها [أولئك لهم عقبى الدار جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار] .

أما المخالفون أما المنتهكون لحرمات الله أما المعاندون أما الظالمون فلهم [أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار] أرأيت اعجاز القرآن فى آية واحدة كأنها جمعت جميع الشعائر والعقيدة والمأمورات والمحظورات .

ثم هل رأيت هذه الاية [وقد خاب من حمل ظلما] آمن بها واعتقدها واعلم أنه لن تفلح أمريكا ولا اسرائيل لان الله تعالى وصدق الله حينما يقول [وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر] قال [وقد خاب من حمل ظلما] ...

نساء فى مدرسة الرسول

مكانة المرأة قبل وبعد الإسلام

الأستاذ عبد المنعم حمادة

اختلف الكتاب والمؤرخون فى تقييم دور المرأة ومكانتها فى المجتمع العربى قبل الاسلام ، سواء كان ذلك فى شبه الجزيرة العربية ،أو فى المجتمعات التى كانت تحيط بها فى ذلك الوقت ، فقد اعتبرها بعض هؤلاء الكتاب والمؤرخين مخلوقا تافها لا وزن له ولا اعتبار ٠٠ فلم يكن للمرأة فى المجتمع الصغير أو الكبير قيمة ، ولا أثر لها فيما يأخذ الناس به أنفسهم من أعمال الحياة اليومية وعلاقات بعضهم ببعض ، حيث لا رأى لها يعتد به ، ولا دخل لها فى تصرفات الرجل الذى يعلوها شأنا ، ويرجحها عقلا ، ويتخذ منها ما يتخذه السيد من تابعه ٠٠ واعتبرها البعض الاخر شيئا عظيما له وزنه وخطره ، وله رأيه الذى يجب أن يعتد به ، وله نظرته التى يجب أن يحسب لها حساب ، واعتبرها فريق ثالث أنها مخلوق ليس بالتافه الذى ينحط قدره الى الحضيض ، ولا هو بالعظيم الذى يرتفع به قدره الى عنان السماء ٠

وكانت النظرة الى المرأة تختلف باختلاف الحضارات التى عرفتها وانتهت اليها الشعوب فى العصر السابق للاسلام ، بل ربما اختلفت هذه النظرة فى الشعب الواحد ، كما حدث فى شبه الجزيرة العربية التى نظر أفرادها الى المرأة نظرة طبيعية مرتجلة رجعت فى جميع الحالات الى ظروف المعيشة العامة ٠٠ وما أحسن وأجمل ما وصل اليه أستاذنا العقاد فى تحليل هذه النظرة اذ يقول : « ونعنى بالنظرة الطبيعية المرتجلة أنها النظرة التى لا يشوبها احساس دخيل من وهم العقائد أو حكم التشريع ، ولكنها تمضى على الفطرة التى توحيها ضرورة الساعة أو ضرورة البيئة ، وتختلف على حسب الضرورات ٠٠

« فالعرب لم يضربوا اللعنة قط فى جاهليتهم ، لان اللعنة التى ضربت على المرأة فى القرون الاولى وامتدت الى القرون الوسطى انما جاءت من الايمان بالخطيئة التى انحدرت بآدم وحواء من نعيم الفردوس ، وأصبحت المرأة ملعونة موصومة بالنجاسة والشر عند بعض الناس لانهم ألقوا عليها تبعة الشهوات التى تثيرها فيهم وجعلوها حبالة الشيطان مذ كانوا يحسون بغوايته الخفية كلما احسوا بغواية الشهوة الحيوانية ، ومناطها المرأة قبل غيرها من الاحياء ٠٠

« فالعرب لم ينظروا الى المرأة هذه النظرة ، ولم يحكموا عليها قط بالنجاسة والاصالة فى الشر والخيانة ، لانهم لم يعرفوا الخطيئة بهذا المعنى فى عهد الجاهلية ٠٠

« كذلك لم يعرفوا التشريع الموضوع الذى يحكم عليها بالاستعباد والحطة المتفق عليها فى المنزلة الاجتماعية ، وانما عرف هذا وأشباهه عند الرومان قبل الايمان بالخطيئة وقبل الايمان بالدين ، لانهم كانوا أصحاب ملك عريض لا غنى لهم فيه عن ترتيب الحقوق والمعاملات بين أبناء المجتمع وبناته كافة ، فلما رتبوا هذه الحقوق نظروا الى المرأة فى زمانهم نظرتهم الى كل ضعيف تابع لغيره ، ولم يلاحظوا فى ذلك عنتا خاصا بها ولا ضغينة جنسية موجهة اليها دون غيرها ، لانهم نظروا هذه النظرة بعينها الى أبنائهم الصغار والى القاصرين منهم على الاجمال ، فعاملوهم معاملة الضعفاء ، وأعطوهم من الحقوق ما يعطاه الضعفاء ، وهم مع ذلك فى عزة الاقارب والابناء ٠٠

هذه النظرة أيضا لم يعرفها العرب فى جاهليتهم الاولى ، لانهم لم يضطروا الى وضع تشريع كامل لدولة كاملة ، ولكنهم تركوا أنفسهم على سجيتها كما تختلف بها عاداتها ومأثوراتها ، وارتجلوا معاملة المرأة ارتجالا كما تدعوهم الى ذلك ضرورة البيئة أو الضرورة الملحة الحاضرة ، فربما عاملوها معاملة الرقيق المستضعف فى بعض الاحيان ، وربما نسبوا اليها الابناء دون الاباء من الرجال فى أحيان أخرى ٠٠

« فالمرجع فى كل ذلك الى أحوال المعيشة العامة فى الجزيرة العربية ٠ » (١)

(١) الصديقة بنت الصديق للاستاذ العقاد

واذا نحن حاولنا أن نستعرض مكانة المرأة فى شبه الجزيرة العربية والمجتمعات التى أحاطت بها قبل الاسلام ، وحاولنا أن نقيم المرأة على ضوء هذه المكانة أو نتيجة لها ، لوصل بنا الامر الى حقيقة واحدة هى أن المرأة كانت شيئا تافها ، وكما مهملا حتى فى تلك البلاد التى نالت قسطا من الحضارة ، أو ضربت فيها بسهم صائب ، فيما عدا الحضارة المصرية ، اذ ربما كانت « هى الحضارة الوحيدة التى خولت للمرأة مركزا شرعيا تعترف به الدولة والامة ، وتنال به حقوقا فى الاسرة والمجتمع ، تشبه حقوق الرجل فيها ، ولا تتوقف على حسن النية من جانب الاباء والابناء الاقربين ٠٠

« أما الحضارات الاخرى فكل ما نالته المرأة فيها منمكانة مرضية ، فانما كانت تناله بباعث من بواعث العاطفة على حالها من حميد وذميم ٠ » (١)

والواقع أن قضية المرأة كانت دائما ـ وأعتقد أنها سوف تظل كذلك ـ موضع تفكير الرجل ، وانها شغلت حيزا كبيرا من اهتمامه على مدى العصور ، وأن تفكير الرجل واهتمامه كانا يقويان ويضعفان تبعا لظروف المعيشة ، ومستوى الثقافة والتعليم ، ومدى الشعور بالحاجة اليها ، « فقد كان وضع المرأة فى المجتمع الانسانى فى شتى الاجيال محوطا بكثير من الاختلاف والتمايز ، تبعا للنظرة الى المرأة وتقدير دورها فى المجتمع ٠٠

« كانت قضية صلة الرجل بالمرأة ، صلة جنس بجنس ، ومدى الحقوق والواجبات التى ينالها كل من الاخر ، وقسمة الاعباء والمسئوليات حسب القدرة والاستعداد ٠٠

« والحق ٠٠ ان العدالة لم تكن تسود هذه القضية فى كثير من الاجيال ، فطالما امتهنت المرأة واستبد بها ، وطالما فقدت القدرة على الاختيار والاتجاه فى الحياة ٠٠ مما يطول استقصاؤه فى العصور ، أو لعله مشهور مذكور ٠٠ » (٢)

ولكى نتعرف على المكانة التى كانت عليها المرأة فى شبه الجزيرة العربية قبل ظهور الاسلام ، ثم ما انتهت اليه هذه المكانة بعد أن تنزلت رسالة الدين الخالد لهداية الناس ، وتصحيح الاوضاع ، وتحقيق العدالة فى الارض ، لكى نتعرف على كل ذلك ونتبينه ، لابد أن نشير الى مكانة المرأة فى الحضارات التى عاصرت دعوة الاسلام لنتبين ما كانت تعامل به المرأة فى تلك الحضارات ، وما أحلها الاسلام من مكانة ، وما منحها من امتياز ، وما كافأها به من تقدير مكنها من حقوقها ، وأعلى من شأنها ، ورفع من منزلتها ، وجعلها مخلوقا يتساوى مع الرجل فى الحقوق والواجبات ، الا ما رفع عنها بحكم اختلاف طبيعة تكوينها عن طبيعة الرجل ، « ففطرة المرأة تخالف فطرة الرجل اذ أنها خلقت على وضع لا يتشابه تماما مع وضع الرجل ، لا تتشابه معه تماما ولكنها تكمله فهما جزءان غير متشابهين يكمل كل منهما الاخر ، وفى هذا ما فيه من تنويع للواجبات ، وتلوين للوظائف مما يحدو بالسفينة أن تصل الى بر الامان ٠ » (٣)

فالحضارات التى عاصرت دعوة الاسلام وأحاطت بشبه الجزيرة العربية فى ذلك الوقت ، نظرت كل منها الى المرأة نظرة خاصة ، وأحلتها مكانة تختلف الواحدة عن الاخرى ، وقدرتها تقديرا يبالغ فى الاساءة ، أو يبالغ فى الاطراء والاحسان ٠٠ وأعتقد أننا لن نجد موجزا يعطيناصورة صادقة واضحة لما انحدرت اليه مكانة المرأة أو سمت خيرا من ذلك الموجز الذى ذكره الاستاذ العقاد فى قوله :

« فشريعة مانو فى الهند لم تكن تعرف للمرأة حقا مستقلا عن حق أبيها أو زوجها أو ولدها فى حالة وفاة الاب والزوج ، فاذا انقطع هؤلاء جميعا وجبأن تنتمى الى رجل من أقارب زوجها فى النسب ولم تستقل بنفسها فى حالة من الاحوال ٠٠ وأشد من نكران حقها فى معاملات المعيشة نكران حقهافى الحياة المستقلة من حياة الزوج ، فانها مقضى عليها بأن تموت يوم موت زوجها ، وأن تحرق معه على موقد واحد ، وقد دامت هذه العادة العتيقة من أبعد صور الحضارة البرهمية الى القرن السابع عشر ، وبطلت بعد ذلك على كره من أصحاب الشعائر الدينية ٠٠

« وشريعة حمورابى التى اشتهرت بها كابل كانت تحسبها فى عداد الماشية المملوكة ، ويدل على غاية مداها فى تقدير مكانة الانثى ، أنها كانت تفرض على من قتل بنتا لرجل آخر أن يسلمه بنته ليقتلها أو يملكها اذا شاء أن يعفو عنها ، وقديضطر الى قتلها لينفذ حكم الشريعة المنصوص عليها ٠٠

« وكانت المرأة عند اليونان الاقدمين مسلوبة الحرية والمكانة فى كل ما يرجع الى الحقوق الشرعية ، وكانت تحل فى المنازل الكبيرة محلا منفصلا عن الطريق ، قليل النوافذ محروس الابواب ، واشتهرت أندية الغوانى فى الحواضر اليونانية لاهمال الزوجات وأمهات البيوت وندرة السماح لهن بمصاحبة الرجال فى الاندية والمحافل المهذبة ، وخلت مجالس الفلاسفة من جنس المرأة ، ولم تشتهر منهن امرأة نابهة الى جانب الشهيرات من الغوانى أو الجوارى الطليقات ٠٠ وقد كان أرسطو يعيب على أهل اسبرطة أنهم يتساهلون مع نساء عشيرتهم ويسحونهن من حقوق الوراثة والبائنة ، وحقوق الحرية والظهور ما يفوق أقدارهن ، ويعزو سقوط اسبرطة واضمحلالها الى هذه الحرية ، وهذا الاسراف فى الحقوق ٠ »

---

[١] المرأة فى القرآن للاستاذ العقاد
[٢] المجتمع الاسلامى للدكتور مصطفى عبد الواحد
[٣] المرأة فى الاسلام للاستاذ عبد الحميد ابراهيم محمد

ويحلل الاستاذ العقاد الاسباب التى دعت الاسبرطيين الى منح المرأة بعض الحقوق ، وتمكينها شيئا من الحرية التى يعيب عليها أرسطو ويعزو اليها سقوط اسبرطة ، وينتهى من تحليله الى قوله :

« وربما ظن الذين يسمعون عن هذه الحرية الاسبرطية أنها ثمرة من ثمرات الارتقاء فى تقدير حق الانسان من الذكور والاناث ، فخليق بهؤلاء أن يذكروا أن انكار حق الانسان قد بلغ غايته من القسوة فى نظام الرق العريق بين الاسبرطيين ، وان ما شاع بينهم من الاسترقاق ومن التساهل مع النساء معا ، هما ظاهرتان متماثلتان لعلة واحدة لمعيشة الاسبرطيين ، وهى اشتغال الرجال الدائم بالقتال ، وتركهم ما عداه اضطرارا لتصرف المرأة فى غيبة الازواج والاباء ، فهذه الحرية النسوية وذلك الاستعباد للاسرى هما ظاهرتان لعلة واحدة لانصيبلها من مبادىء الحرية والاعتراف بالحقوق ، وقد نالت المرأة شيئا من المجاملة والطلاقة فى عهود الفروسية جمعاء لمثل هذه العلة ، وكانت مجاملة المرأة فى تلك العهود ضربا من الانفة أن تعامل معاملة الاعداء ، وأن تحاسب محاسبة الانداد ، ولم يكن أسوأ من النساء حالا فى عهود الفروسية المتقدمة ، فيما عدا هذه المجاملات أو هذه التحيات اللسانية ، وقد كانت الخاتون تعيش الى جانب الجوارى المسترقات حيثما تفرغ الرجال لصناعة القتال ، وكذلك كان شانها بين قبائل المغول ، وبين قبائل الفرنك والغاليين من الاوربيين ، وكانت مع هذا تحرم الميراث فى الاقطاعات يوم شاع نظام الاقطاع والفروسية معا بين أولئك الاقوام . » (١)

ويعود العقاد فيحدثنا عن مكانة المرأة فى بعض أجزاء اخرى من عالم ذلك اليوم فيقول :

« ومذهب الرومان الاقدمين كمذهب الهنود الاقدمين فى الحكم على المرأة بالقصورحيث كانت لها علاقة بالاباء أو الازواج أو الابناء ، وشعارهم الذى تداولوه ابان حضارتهم أن قيد المرأة لا ينزع ، ونيرها لايخلع . . ولم تحرر المرأة اليونانية من هذه القيود الا يوم تحررمنها الارقاء، علىاثر التمرد ثورة بعد ثورة، وعصيانا بعد عصيان فتعذ استرقاق المرأة كما تعذر استرقاق الجارية والغلام . » (٢)

ويتحدث الاستاذ العقاد عن منزلة المرأة ومكانتها فى المجتمع المصرى القديم ، وما حصلت عليه من حقوق ظلت لها طوال الحكم المصرى ، ثم أخذت كفتها تتأرجح بعد ذلك علوا وهبوطا نتيجة لما كان يحيط بالبلاد من ضغوط فيقول :

« وانفردت الحضارة المصرية القديمة باكرام المرأة ، وتخويلها حقوقا شرعيه قريبة من حقوق الرجل ، فكان لها أن تملك ، وأن ترث ، وأن تتولى امر أسرتها فى غياب من يعولها . . ودامت للمرأة المصرية هذه الحقوق على أيام الدول المستقرة بشرائعها وتقاليدها ، تضطرب مع اضطراب الدولة ، وتعود مع عودة الطمأنينة اليها . . بيد ان الحضارة المصرية زالت وزالت شرائعها معها قبل عصر الاسلام ، وسرت فى الشرق الاوسط يومئذ غاشية من كراهة الحياة الدنيا بعد سقوط الدولة الرومانية بما انغمست فيه من ترف وفساد ، ومن ولع بالملذات والشهوات ، فانتهى بهم رد الفعل الى كراهة البقاء وكراهة الذرية ، وشاعت فى هذه الفترة عقيدة الزهد والايمان بنجاسة الجسد ونجاسة المرأة ، وباءت المرأة بلعنة الخطيئة ، فكان الابتعاد منها حسنة مأثورة لمن لا تغلبه الضرورة . » (٣)

كانت هذه هى مكانة المرأة فى أهم البلاد التى عرفت بحضارتها فى العصور التى سبقت ظهور الاسلام ، والدعوة الى توحيد الله ، ويعمل بما جاء به القرآن الكريم من أحكام وما دعا اليه من خير ، وما نهى عنه من منكر . . وكانت هذه هى النظرة الى المرأة فى بلاد اختلفت فيها أسباب الحضارة ، وتباينت فيها درجات الثقافة والمعرفة . . ولقد كانت هذه المكانة ، وكانت هذه النظرة مثار دراسة ونقاش بين الباحثين فى طبائع الافراد والامم ، والمؤرخين للعصور المختلفة قديمها وأوسطها وحديثها ، والكتاب الاجتماعيينذوى الفلسفات المتباينة ، وكانت موضع خلاف بينهم ، حتى انهم حينما أرادوا أن ينظروا الى المرأة العربية ، وأن يكتبوا عنها ، ويؤرخوا لها ، اختلفت نظرتهم ، وظهر أثر هذا الخلاف فى بيان حقيقة ما كانت عليه أيام الجاهلية وقبل ظهور الاسلام . . فالاستاذ العقاد لم يكن يتوقع أن تكون للمرأة فى البلاد التى بدأت فيها دعوة القرآن الكريم — وهى بلاد الجزيرة العربية — « قسمة من الانصاف والكرامة غير هذه القسمة العامة فى بلاد العالم ، على تباعد أرجائه وتنوع عاداته وشرائعه ، ولعلها كانت تسوء فى بعض انحاء الجزيرة فتهبط فى المساءة الى حضيض لم تهبط اليه فى سائر الانحاء من الامم كافة ، وترتقى فلا يكون قصاراها من الارتقاء الا انها تكرم عند زوجها لانها بنت ذلك الرئيس المهاب ، أو أم هذا الابن المحبوب ، فاما انها تكرم وتصان لانها من جنس النساء ، يعمها ما يعم بنات جنسها من الحق والمعاملة ، فذلك ما لم تدركه قط من منازل الانصاف والكرامة ، قد يحميها الاب والزوج ، كما يحميها الاخ والابن حماية الواجب المفروض عليه لكل ما فى جواره ، أو كل ما فى حوزته وحماه ، فيعاب على الرجل منهم أن يهان حرمه كما يعيبه أن يعتدى عليه فى كل محمى أو ممنوع ، ومن فرسه ودابته وبئره ومرعاه » . (٤)

فالاستاذ العقاد يرى أن المرأة فى شبه الجزيرة العربية قبل الاسلام لم يكن يتوقع أن تكون أحسن حالا من مثيلاتها فى البلاد الاخرى ، ان لم تكن تشاركهن فيما قدر لهن من انصاف أو تحقق لهن من كرامة ان كان قد قدر لها ذلك بالفعل ، وهو يرى فوق ذلك ان وضعها فى بعض انحاء من شبه الجزيرة كان يسوء

---

[١] ، [٢] ، [٣] المرأة فى القرآن للاستاذ العقاد
[٤] المرأة فى الاسلام للاستاذ عبد الحميد ابراهيم محمد

الى درجة لم تكن تهبط اليها مثيلاتها فى بلاد أخرى كثيرة من العالم ، فاذا حصلت على شىء من الاعزاز والتكريم ، فلم يكن ذلك الاعزاز والتكريم للجنس ، وانما لعوامل أخرى ترجع الى صلتها بعظيم يهاب ، أو شخص محبوب يجب أن ترعى مكانته ، ويعرف له قدره ، او لعاطفة الابوة أو القرابة القريبة كالبنوة التى تملى العطف والحب والتقدير .. كان هذا هو رأى أستاذنا العقاد بينما يرى آخرون ومنهم الدكتور أحمد محمد الحوفى الذى يقول : « ان المرأة العربية كانت فى الجاهلية عالية القدر ، رفيعة المكانة فى الحياة الاسرية وفى الحياة القبلية سواء أكانت أما ، أم زوجة ، أم بنتا ، أم أختا ، أم قريبة ، وبحسبنا انها كانت تمتلك ، وتتصرف فيما كانت تمتلك ، وكانت تستشار فى زواجها ، وكانت تجير وتنفذ اجارتها كما تنفذ اجارة الرجال ، وكانت تقود الجيش حينا وتساهم فى الحرب حينا ، وكان من حقها أن تطلق زوجها اذا اشترطت هذا فى العقد ، وكانت تشير على أبيها وزوجها وابنها وأخيها فيستمعون الى مشورتها ، وكانت تشترك أحيانا فى الاحلاف التى يعقدها اشراف القبائل ، وكانت قديرة على اشعال الحرب ، وعلى نشر لواء الاسلام ..

«وكانت الى هذا مصدر الهام الشعراء ، ومناط فخارهم ،طالما تغزلوا بها ، وطالما افتتحوا قصائد المدح والفخر والهجاء بالحنين اليها ، ووصف جمالها ، والتفجع من هجرها أو فراقها ، والبكاء على أطلال دارها ، وكثيرا ما اتجهوا اليها بالفخر بشجاعتهم ، وكرمهم ، وعلاء أخلاقهم ، وكثيرا ما أشهدوها على محامدهم وفضائلهم التى يعتزون بها . »

واذا كانت المرأة العربية قبل الاسلام لم تتميز – فى رأى بعض الكتاب والمؤرخين عن مثيلاتها من نساء العالم ، وانما كان ينظر اليها بنفس النظرة التى كان ينظر بها الى نساء العالم مع شىء من الاختلاف الذى يمليه اختلاف العقيدة والبيئة والتقاليد والعادات الموروثة ، واذا كانت قد وصلت – فى رأى البعض الاخر – الى هذا القدر الذى أشرنا اليه من المكانة والتقدير ، الا انها قوبلت – فى نظر آخرين – بكثير من الامتهان والزراية أحيانا ، « فقد كانت وليدة تفقد حياتها بغير جرم أو تعيش فى هوان ومذلة ، كما يقول القرآن : (**واذا بشر أحدهم بالانثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم ، يتوارى من القوم من سوء مابشر به ، ايمسكه على هون ، أم يدسه فى التراب الا ساء ما يحكمون**) » .

« وكانت زوجة لا تملك غالبا حق الاختيار ، ولا تجهر بالرغبة بل تباع بيع الرقيق فى كثير من الاحيان ، بل كانت تورث كما يورث العبيد والدواب .. وقد نهى القرآن عن ذلك فى قوله [**يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها**]

« وغير ذلك من الوان الظلم والهوان » . (١)

وهكذا اختلفت النظرة الى المرأة باختلاف العقائد الدينية ، وباختلاف البيئة ، وباختلاف مستوى الثقافة والتعليم ، وباختلاف ظروف الحياة المادية والاجتماعية ومدى الشعور بالحاجة اليها فى هذه الحياة .. والذى نستطيع أن نطمئن اليه هو تلك النظرة التى كان ينظر بها الى المرأة العربية ، فهى نظرة ، وان لم تتساو فى جميع المناطق من شبه الجزيرة العربية ، وان لم تصل الى بعض ما وصلت اليه فى الاسلام من تقدير واجلال وتعظيم ، فهى نظرة كان فيها شىء من هذا التقدير ، وكان فيها شىء من احلال المرأة المكانة التى كان يجب أن تحتلها كمخلوق له وجوده وكيانه وفاعليته فى الحياة عامة ، والشىء الذى نستطيع أن نطمئن اليه أكثر وأكثر ، هو أن هذه النظرة كانت أرقى وأسمى منها فى كثير من البلاد فى ذلك الوقت ، وأن المرأة فى قريش – بصفة خاصة – كان لها من المنزلة ، والمهابة ، والاحترام ما لم يتوفر لمثيلاتها فى كثير من القبائل الاخرى .

ثم جاء الاسلام فقلب الاوضاع التى كانت قائمة رأسا على عقب ، وأحدث ثورة فى تاريخ المرأة لم تكن لتقوم بمثلها لولا هذه التعاليم السماوية التى جاء بها الدين السمح ، الخالد ، الباقى على الايام ، وجاء الاسلام فأحل المرأة مكانة ، وأعطى لها حقوقا لم تكن لتحصل عليها لولا هذا التشريع الدقيق الذى يساوى بين الرجل والمرأة فى انهما من خلق الله ، وان التقوى هى مقياس الكرامة عنده سبحانه ، فهو الذى يقول : « **يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم** » .

لقد « اهتم الاسلام ببناء شخصية المرأة على أساس من المساواة فى الانسانية ، وتحمل المسئولية التى يقويها التعلم ، وينميها احترام الرأى ، فتثمر ثمرا عزيزا يحرس على حقوقه ، ويؤمن بواجباته ..

« فالاسلام قد حرص على تدعيم شخصية ربة البيت ، فاهتم باستشارتها ، واحترام كلمتها ، وحفظها من الغرور ، والخداع ، واهتم بأدق أمورها وأخص خصائصها ..

« ولم يمنحها هذا الاهتمام بدافع الضرورة ، أو خضوعا للحاجة ، بل لانها كائن حى من لحم ودم يستأهل هذا الاهتمام ، ويستحق هذا الحرص » . (٢)

(البقية ص ١٤٩)

---

[١] المجتمع الاسلامى للدكتور مصطفى عبد الواحد

[٢] المرأة فى الاسلام للاستاذ عبد الحميد ابراهيم محمد

من التراث الفني الإسلامي

زخارف جامع ابن طولون ومحاريبه

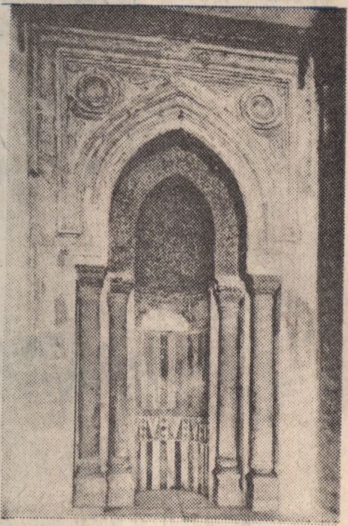

المحراب الرئيسى بجامع ابن طولون

عمارة المساجد

الدكتور حسن الباشا

قيل انه لما فرغ احمد بن طولون من بناء جامعه، رأى فى منامه كأن نارا نزلت من السماء فأخذت الجامع وأبقت على ما حوله فلما أصبح قص رؤياه فقيل له : أبشر بقبول الجامع لان النار كانت فى الزمان الماضى اذا قبل الله قربانا نزلت نار من السماء أخذته ودليله قصة قابيل وهابيل ·

والحق أن قبول الجوامع عند الله والناس كان من أهم ما يشغل بال بناتها ، ومن ثم كانوا يحرصون على أن يكون المال المصروف عليها من حلال حتى تحظى بالقبول عند الله ، وحتى يؤجروا عليها حسن ثواب الاخرة ، وكانوا من جهة أخرى يعنون بعمارتها وتجميلها بالزخرف الملائم حتى يؤمها الناس ·

وربما كان ذلك هو ما حدا بابن طولون الى أن يهتم بزخرفة جامعه بالاضافة الى عنايته بعمارته ·

ولقد تميز جامع ابن طولون بصفة خاصة بمجموعة من الزخارف ربما كانت الاولى من نوعها فى مصر · وانتشرت هذه الزخارف فى جدران الجامع ودعائمه وعقوده وأبوابه ونوافذه وسقوفه ·

ومن أهم زخارف الجامع تلك الزخارف المحفورة فى طبقة الجص المتين الناعم التى كسيت بها جدران الجامع ودعائمه وعقوده · وتتألف هذه الزخارف بصفة رئيسية من مجموعة من الاشرطة تشتمل على

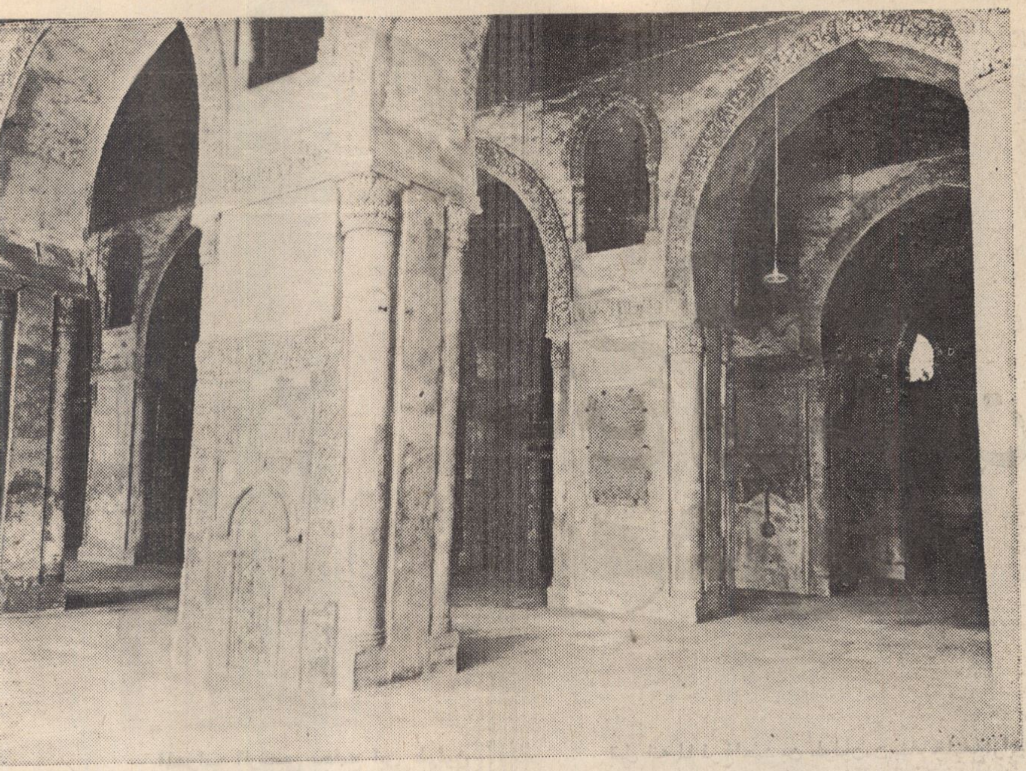

رواق القبلة بجامع ابن طولون وتظهر به بعض المحاريب واللوحةالتاسيسية

وحدات زخرفية اما هندسية أو محورة عن أشكال نباتية . ومما يسترعى الانتباه فى هذه الزخارف أنها ذات صلة وثيقة بأسلوب الزخارف الجصية الذى ظهر فى مدينة سامرا بالعراق وانتشر فى سائر أقطار العالم الاسلامى فى القرن الثالث الهجرى . وقد عثر على نماذج كثيرة من هذه الزخارف الجصية فى الحفائر التى أجريت بمدينة سامرا .

وبالاضافة الى الزخارف الجصية المحفورة لعبت زخارف الشبابيك المخرمة دورا مهما فى تجميل الجامع . وتتألف هذه الزخارف من ألواح مخرمة من الجص تملأ النوافذ الكثيرة التى تدور حول جدران الجامع الاربعة .

وتمثل هذه المفرغات الجصية زخارف هندسية عملت حسب أسس مدروسة . ومما تجدر الاشارة اليه أن معظم المفرغات الموجودة حاليا بالجامع مجددة بعد عصر بناء الجامع غير أنه من المرجح ان أربعة منها بجدار القبلة ترجع الى عهد ابن طولون نفسه . وقد عين الاستاذ كريسويل المفرغات الاصلية بالنوافذ الخامسة والسادسة والخامسة عشرة والسادسة عشرة وذلك اذاعددنا النوافذ من اليسار الى اليمين .

وبالاضافة الى ماتؤديه هذه الشبابيك المخرمة من وظيفة عملية من حيث حجب الرياح والغبار عن المسجد مع السماح بادخال النور المناسب فانها تلعب دورا مهما فى الخطة الزخرفية بالجامع نفسه . وليس من شك فى أن منظر هذه المفرغات من الداخل وقد تبادل فيها النور والظلمة بأشكال زخرفية جميلة لما يسر المشاهد ويمتعه .

أما من الخارج فان هذه المفرغات تلعب دورا اساسا فى الخطة الزخرفية العامة فى واجهات الجامع اذ أنها من جهة تتبادل مع طاقات مستطيلة مسدودة يتوجها أشكال على هيئة أصداف أو عقود مفصصة كما أنها من جهة أخرى تؤلف معها شريطا يمتد بعرض الواجهة بين الجزء الاسفل من الواجهات الذى تخترقه الابواب وبين الشرفات التى تتوج الجدران ، وهى بذلك تؤلف مع زخارف الواجهة وحدة فنية متسقة .

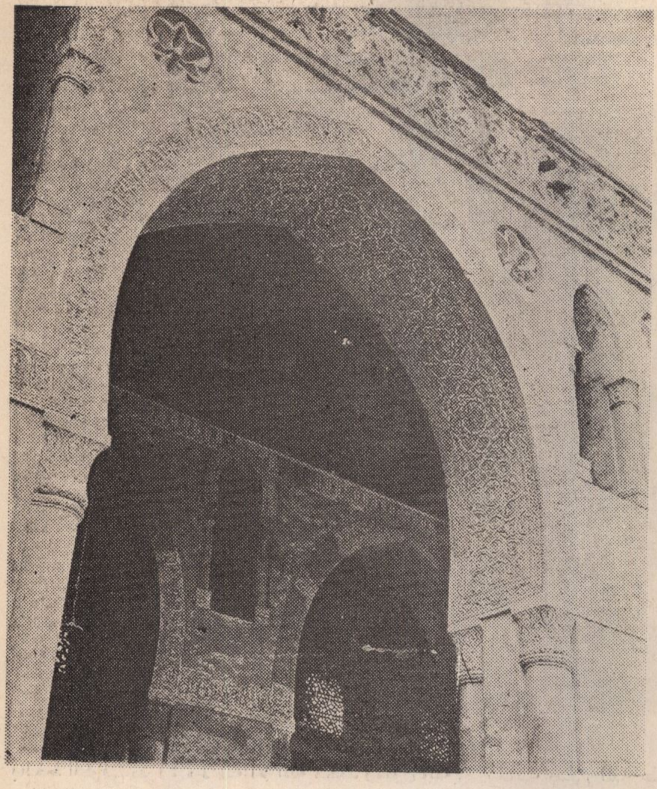

نماذج من زخارف
جامع ابن طولون

ومن الملاحظ أن أبواب الجامع موزعة توزيعا متناسبا على طول واجهات المسجد وجدران الزيادات التى تحف بالمسجد من ثلاث جهات ، كما أن مداخل الزيادات تقابل مداخل الجامع نفسه اذ تخترق حائط الزيادة الخلفية سبعة أبواب يقابلها خمسة أبواب تؤدى الى رواق المؤخرة بالمسجد ، وبحائط الزيادة اليمنى ستة أبواب يقابلها سبعة أبواب تؤدى الى الرواق الايمن بالمسجد ، وبحائط الزيادة اليسرى ستة أبواب أيضا يقابلها سبعة بجدار المسجد نفسه ، وبهذه الزيادة باب آخر يؤدى الى بيت الكريدليه خلف جدار القبلة الذى يشتمل هو أيضا على ثلاثة أبواب ٠

والى جانب الزخارف الجصية والمخرمة كان جامع ابن طولون يزدان بزخارف محفورة فى الخشب غير ان معظم هذه الزخارف قد اندثر ولم يبق منها غير قلة قليلة جدا بعضها يتمثل فى عتب أحد أبواب المساجد ٠ وما يسترعى الانتباه أن هذه الزخارف الخشبية تتألف من وحدات هندسية ونباتية محورة قريبة الشبه من زخارف سامرا وتمثل الطابع الطولونى أصدق تمثيل ٠

وليس من شك فى أن زخارف المسجد التى أشرنا الى أهمها أضفت على الجامع روح الحيوية وخففت من الجمود الذى قد ينتج عن سعة الجامع وضخامته ٠

وربما كانت هذه السعة مما أدى الى تزويد الجامع فى عصور مختلفة بعدد من المحاريب : اذ يشتمل جامع ابن طولون حاليا على ستة محاريب تقع جميعها فى رواق القبلة ولكل منها أهميته التاريخية والفنية ٠

ويقع المحراب الرئيسى للجامع فى منتصف جدار القبلة ويرجع انشاؤه بطبيعة الحال الى عهد ابن طولون ، وقد جدد كثيرا غير أنه لا يزال يحتفظ ببعض آثار من معالمه الاصلية ٠ وهذا المحراب من النوع المجوف ، ويتخذ تجويفه هيئة نصف دائرة ٠ ويحف به من كل جانب عمودان من الرخام ، وفى أعلاه زخرفة بفصوص الفسيفساء بها كتابة بالخط النسخ تقرأ : « لااله الا الله محمد رسول الله » ويتضح من أسلوب خط النسخ ان هذه الكتابة ترجع الى عصر متأخر ٠ ويعلو المحراب لوح من الخشب عليه كتابة

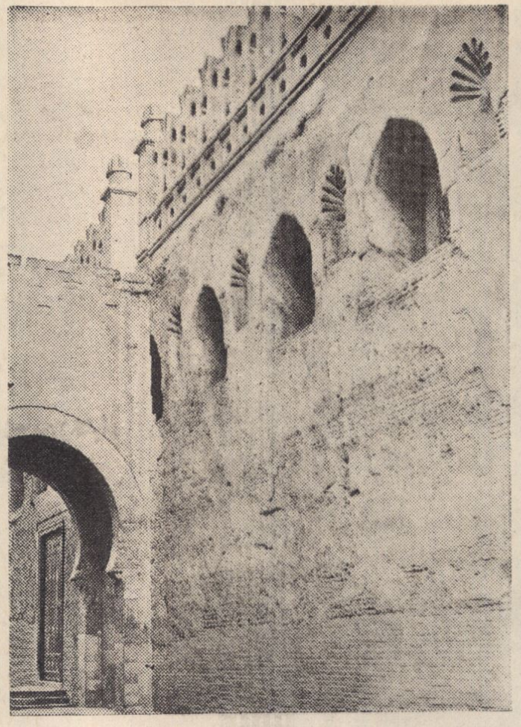

جزء من احدى واجهات
جامع ابن طولون

بالخط الكوفى تقرأ : « لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم » . وربما ترجع هذه الكتابة الى عصر تأسيس الجامع . وأمام هذا المحراب قبة من الخشب تحملها مقرنصات ربما ترجع الى عصر المماليك .

وقد ذكر المقريزى أن هذا المحراب منحرف الى الجنوب عن سمت محراب الصحابة ويعنى بذلك محراب جامع عمرو بن العاص . وأورد بخصوص سبب هذا الانحراف بعض قصص منها أن أحمد بن طولون لما عزم على بناء مسجده أمر بأخذ سمت محراب مسجد النبى صلى الله عليه وسلم بالمدينة فوجد أنه مائل الى الجنوب عشر درجات عن خط سمت القبلة المستخرج بالصناعة فأمر حينئذ بأن يوضع محراب مسجده مائلا عن سمت القبلة الى جهة الجنوب نحو ذلك اقتداء منه بمحراب مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم

وأورد المقريزى أيضا بصدد ذلك قصة أخرى سبق ذكرها ومؤداها أن ابن طولون رأى النبى صلى الله عليه وسلم فى منامه وخط له المحراب، فلما أصبح وجد النمل قد أطاف بالمكان الذى خطه له رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام فأمر بأن يجعل محرابه به .

والى يسار المحراب الرئيسى بجامع ابن طولون محراب آخر يقع فى حائط القبلة نفسه ، وهو محراب جصى يرجع الى عصر المماليك ويسمى محراب السيدة نفيسة .

وفى منتصف البائكة الرابعة مما يلى الصحن محرابان من الجص متشابهان أرجعهما العالم فلورى الى القرن الرابع الهجرى وقد تطرق التلف الشديد الى الايمن منهما .

وفى منتصف البائكة الثانية مما يلى الصحن محرابان مسطحان من الجص يرجعان الى عصرين مختلفين رغم التشابه الكبير بينهما .

ويعتبر المحراب الايمن أقدم المحرابين وأحسنهما حفظا وهو يرجع الى عهد الخليفة المستنصر الفاطمى اذ أنه يشتمل على كتابة أثرية باسم المستنصر والافضل بن بدر الجمالى .

أما المحراب الايسر فقد صنع على نمطه ولكنه يشتمل على اسم السلطان لاجين المملوكى ومن الواضح أنه أمر بصنعه ضمن عمائر التجديد التى أجراها بالجامع ايفاء بنذر قطعه على نفسه .

(بقية مقال « نساء فى مدرسة الرسول »)

لقد أحست المرأة فى ظل الاسلام ، وفى كنفه ورعايته ، بشخصيتها ، بأنها كائن حى له فى الحياة عمل وجهد ونضال ، وعليه واجب مفروض وتبعة ومسئولية .. أحست المرأة فى ظل الاسلام بأنها كائن له وجوده ، ولابد أن يأخذ مكانه فى هذا المجتمع الكبير الذى خلقه رب السماوات والارض لتنتفع به البشرية دون تمييز أو تفضيل .. والذى سخره الله للبشرية كافة فليس لاحد بمفرده ، وليس لجماعة من الجماعات سواء كانت ذكورا أو اناثا سلطان عليه .. لقد كان من اهتمام الاسلام بالمرأة وتدعيم كيانها ، واحلالها مكانها الطبيعى ما بينه من انحدارها هى والرجل من أصل واحد ، وانهما يشتركان معا فى تكوين الانسان ، والله يقول « **يا ايها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء** » .

وكان من أثر ذلك تحميلها مسئولية عملها .. ان احسنت فلها ، وان اخطأت فعليها .. وكما هى مسئولة عن نفسها وعن عملها ، فهى مسئولة كذلك عن المجتمع الذى تعيش فيه ، وتستمد وجودها من ارتباطها به ، ومكانتها من جهادها فى سبيله ..

ولقد عنى الاسلام بتعليم المرأة كما عنى بتعليم الرجل وطالبه فى أول سورة نزلت على الرسول الكريم ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ بالقراءة والعلم ، ويقول الرسول فى ذلك : « طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة » .. واذا كان الاسلام قد عنى بتعليمها ، فهو قد عنى كذلك باحترام رأيها ، واعطائها الحق فى أن تبدى هذا الرأى دون خوف أو رهبة ، وفى عزة وكرامة .

لقد جعل الاسلام من المرأة عنصرا هاما له وزنه وخطره ، وأنصفها الانصاف الذى لم تحصل عليه من قبل ولن تجد مثيله من بعد فى أى تشريع أو قانون ، وأوضح الاسلام قيمتها ومكانتها ، وحدد ما لها من حقوق وما عليها من واجبات لتسلك فى هذا وذاك طريق الحق والعدل ، وتكون جديرة بهذه القيمة وهذه المكانة .. يقول الاستاذ الشيخ فرج السنهورى : « ان أحكام التشريع الاسلامى قد خلقت من المرأة المسلمة خلقا آخر غير الذى كان من قبل ، ونفخت فيها من روح العزة والكرامة ، وجعلتها تحس بكيانها وشخصيتها ، وتعرف ان لها وضعا متساويا ، وان لها حقوقا تطالب بها ، وتدافع عنها ، وانها كما تسعى لكسب الحقوق تعمل على تحمل التبعات » .

وهناك فى معطيات الاسلام للمرأة شىء هام لا يفوتنا أن نشير اليه ، وهو حرصه على تكامل شخصيتها حتى يتكامل بناء البيت ، ولتحقيق هذا التكامل ، ولتثبيت أركان البيت وتدعيمه أعطى لها حق استشارتها فى زواجها ، فالزواج حياتها ، وهو مستقبلها ، ويجب أن يبنى هذا وتلك على أسس ثابتة ، وأن يقوما على دعائم قوية ، ولن تكون هذه الاسس وهذه الدعائم متماسكة قادرة على تحمل ما قد يهب من أعاصير ، وما قد يثار من مشكلات ، اذا تم الزواج على كره من المرأة ، أو على غير بغيتها .. ولقد كان هذا الموضوع محل جدل وتساؤل حسمهما الرسول الكريم ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ فى حديث له يقول فيه : « لا تنكح الايم حتى تستأمر ، ولا البكر حتى تستأذن .. قالوا : يا رسول الله .. وكيف اذنها ؟ قال : أن تسكت » .

ونعود الى حقيقة هامة لابد أن نشير اليها كذلك ، وهى أن الاسلام حينما عنى هذه العناية الفائقة بأمر المرأة .. وحينما تعرض القرآن الكريم لكثير من قضاياها ، كانت آيته الكبرى فى ذلك انها كانت عناية ، وكان تعرضا أراد الله سبحانه أن يقرر بهما قيمة المرأة فى حياة الرجل ، ومكانتها فى المجتمع ، وأثرها فى الحياة ، دون طلب من النساء ، ودون حاجة من المجتمع ، وانما أوجبت حكمته سبحانه هذا التقدير وحث عليه لصالح الانسانية فى يومها وغدها ، فى حاضرها كله ، وفى مستقبلها الى أن تقوم الساعة ، وهذا ما لم يحدث مثله فى أى شريعة قبل الاسلام . وبعد ..

فقد أوضحنا من قبل انه كان للمرأة العربية فى بعض مناطق من شبه الجزيرة العربية ، وكان لها فى بعض القبائل من سكان هذه المناطق مكانة ، وكان لها تقدير وان المرأة فى قريش بالذات حظيت بما لم تحظ بمثله امرأة فى ذلك التاريخ .. وليس من شك فى أن الاسلام قد احتفظ لها ببعض ما كانت تحظى به قبله ، وخاصة ما لم يتعارض مع فلسفته وآدابه وتعاليمه ، وما يريده من خير لافراد المجتمع من ذكر وأنثى ، ثم زاد على ذلك بما لا زيادة بعده لمستزيد ..

فاذا أضفنا الى هذه المنزلة ما تمتعت به المرأة فى الاسلام من حقوق . وأدركنا ان السيدة خديجة ـ رضوان الله عليها ـ بما كان لها من مكانة ، وبما منحه القرآن الكريم للمرأة عامة ، وبما خص به الجنس كله من تقدير ، وبما استحدثته هى نفسها بعد ذلك من حياتها مع الرسول الكريم ، استطعنا أن ندرك انها كانت حقا جديرة بأن تكون أم المؤمنين ، فقد كانت أول من استفاد من دروس المدرسة النبوية المحمدية ، كما سنوضحه فى المقال التالى ..

والله ولى التوفيق .

رجال صنعوا التاريخ

بالأستاذ محمود الجرسى

تعلقت العيون بهذا الرجل الذى أخذ يتخطى صفوف المسلمين من آخر المسجد ليصل الى مكان الخليفة ابى بكر امام المحراب ...

وكان الرجل فارع الطول نحيل الجسم تتقد عيناه اقداما ، ويبدو على محياه اعتداد المدل بشجاعته ، او المعتز بفتوته أو الواثق بمكانته .

ولذلك تعلقت به العيون ، واشرأبت الاعناق اليه ، وأفسحت له الصفوف مكانا يمر منه الى خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وكان أبو بكر قبل أن ينهض الرجل ليمثل بين يديه قد نادى فيمن حوله من المهاجرين والانصار : على بالقعقاع بن عمرو التميمى وسمع القعقاع النداء وهو فى آخر المسجد فأسرع الى الخليفة يتخطى الصفوف ، ويجتاز الناس ، وهو يصيح : لبيك يا خليفة رسول الله !!

كانت المدينة اذ داك تستقبل أحداثا جساما ، وكان أبو بكر لم يشأ أن يترك لجيوش المسلمين بعد انتصارها فى حروب الردة فرصة للراحة أو الاستجمام ، حتى لا تشغل بأحقادها وثاراتها ، فرمى بها خارج حدود الجزيرة العربية ، وابتدأت جيوش المسلمين تدق فارس والروم ، ودخل الاسلام فى صراع عنيف مع المجوسية فى الشرق .

وبذلك فتح الخليفة جبهة جديدة فى العراق حين فرغ من حروب الردة ، وبعث الى خالد بن الوليد حين انتهى من أمر اليمامة بالتوجه الى العراق مع عياض ابن غنم ، وجاء فى كتابه الى خالد : « ان الله فتح عليك مفارق حتى تلقى عياضا » ، وكتب الى عياض بن غنم ـ وهو بين السنباج والحجاز ـ : « أن سر حتى تأتى المصيخ فابدأ بها ، ثم ادخل العراق من أعلاها ، ومفارق حتى تلقى خالدا » ثم كتب اليهما : « أن يأذنا لمن شاء بالرجوع ، ولا يستفتحا بمتكاره » .

كانت الجملة الاخيرة من كتاب الخليفة سببا فى كثير من المتاعب ، فعندما تسلم كل منهما كتاب أبى بكر اذن كل واحد منهما لمن شاء بالرجوع كأمر الخليفة ، فقفل أهل المدينة وما حولها وأعدوهما من الجند ، فاستمدا أبا بكر بعد أن انفض أكثر الجنود ووصل كتابهما الى أبى بكر ، فكان اجتماعه مع مشيريه من كبار الصحابة والمهاجرين فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ليروا رأيهم فيما يجب اتخاذه ، ثم كانت صرخة أبى بكر فى المسجد حين لم يجد عند مشيريه رأيا : على بالقعقاع ابن عمرو التميمى ! !

ترى لماذا طلب الخليفة القعقاع فى هذه الساعة الحرجة ؟؟

أيريد أن يجعله أميرا على جيش يمد به جيش العراق ؟ ومن أين هذا الجيش الذى يستطيع أبوبكر أن يجمعه فى هذه الساعة التى انفض فيها جيش العراق من حول خالد بن الوليد وعياض بن غنم ؟

لذلك حبس الصحابة أنفاسهم ليسمعوا ماذا يقول ابوبكر للقعقاع بن عمرو ، فما أن وقف القعقاع أمام الخليفة حتى أمره أن يذهب بعدته وسلاحه مددا لخالد بن الوليد !! فصدع القعقاع بالامر ، وخرج يجهز نفسه للرحيل .

ولكن أصواتا كثيرة تعالت من جوانب المسجد تقول لابى بكر : يا خليفة رسول الله ، اتمد رجلا قد انفض عنه جنوده برجل ، فرد عليهم أبو بكر بكلمته الخالدة « لا يهزم جيش فيه مثل القعقاع بن عمرو »

ولاول مرة فى التاريخ يحل البطل محل الجيش ، ويكون مددا يغنى عن العديد من الجند ، وتوزن شجاعته فى ميزان الاعمال فترجح قوة الجيش المدجج بالسلاح !

هذا هو القعقاع بن عمرو التميمى ،أحد الابطال المغاوير فى ساحات العراق والشام ومصر ، وأحد القادة الذين دخلوا التاريخ من أوسع أبوابه .

وحقيقة كان أبو بكر أعرف بالرجال وأكثر بصرا بهم ، وكانت فراسته لا تخطىء فى وزن أقدارهم ، وتقييم أعمالهم ، حتى لقد شهد له عمر رضى الله عنه بذلك ، فقال فيه قولته : « يرحم الله أبا بكر فقد كان أكثر منى معرفة بالرجال » ، وهذه كلمته فى القعقاع بن عمرو تؤيدها الاحداث والمعارك التى شهدها وخاضها فى سواد العراق او فى ارباض الشام او على ضفاف النيل فى مصر ، وكان أبو بكر يقول كلما

ذكر أمامه القعقاع : « لصوت القعقاع فى الجيش خير من ألف مقاتل » .

ولم يكن القعقاع بن عمرو قبل أن ينتدبه ابو بكر وحده جيشا مسعفا مجهول القدر ولا خامل الذكر ، لقد كان منصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين صقلتهم مدرسة النبوة ، وتتلمذوا على خير خلق الله ، ولذلك نراه حين سأله رسول الله « ما أعددت للجهاد ؟ قال : طاعة الله ورسوله والخيل ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : تلك هى الغاية » .

وشهدت ساحة العراق معجزات البطل وشهدته الى جوار خالد بن الوليد فشهدت سيفين من سيوف الله كان كلمنهما امتدادا لصاحبه ، فكأنهما يصدران عن عزيمة واحدة ، أو تضرب بهما يد باطشة ، لا تعرف غير الاقدام والاقتحام ، وكأنهما سيف واحد يدور بين كفين ، ويضرب بيدى بطلين !!

وصحت نبوءة أبى بكر فى القعقاع بن عمر ، فاغنى خالد بن الوليد عن جيش لجب ، وسد الثغرة التى انفتحت فىصفوف المسلمين ، وانتدبه خالد لكل أمر جسيم يعجز عن القيام به عشرات الابطال ، وبات القعقاع هو القائد الاول فى جيش العراق الذى توكل اليه معجزات الامور وصعابها.

حدث فى معركة ذاتالسلاسل أن هرمز قائد الفرس تواطأ مع قواده على اغتيال خالد بن الوليد قائد جيش المسلمين حين تبدأ المعركة فى الصباح ، وذلك بدعوة خالد الى مبارزة هرمز ، حتى اذا التحم القائدان هجم الكمين من قواد الفرس على خالد ، وابتدروه بسيوفهم من كل جانب .

وطلع الصباح ، ونادى منادى الفرس : أين خالد ؟ فليبرز الى قائدنا هرمز !! ولبى خالد النداء كلمح البرق ، اذ كانت رغبته وسياسته ، يعمد الى قائد الجيش فيقتله من اول الامر حتى يخذل عنه جيشه ويفت فى عضده ، والتحم خالد بهرمز ، واختلفا ضربتين ، ثم احتضنه خالد ، وأمسك بمقاتله ، وبدأ يغمد فيه سيفه ، واذا بالكمين يحيط بخالد ، وفى عيونهم الغدر ، وهم يتسابقون الى قتل ابن الوليد

هنا تنشق الارض عن ذلك الرجل الطويل الفارع .. النحيل .. تنشق عن القعقاع ابن عمرو يستعمله عليها ، وينوب عنه فى أو نجم من الارض ،فيستلحم بحماة هرمز وقواده ، ويعمل فيهم السيف حتى يكشفهم عن خالد ، ويدوى صوته كالرعد فىساحة المعركة فيبث الرعب فى قلوب الاعداء ، وبذلك استطاع خالد أن ينجو من المؤامرة وأن يغمد سيفه فى قلب عدوه هرمز ، فيفر الجيش مذعورا يلاحقه القعقاع ؟ ويركب بسيفه أكتاف اعدائه .

هذه واحدة .. واخرى سجلتها له معركة الحصيد ، وقد كان القعقاع فيها قائد المعركة ، بعث به خالد على رأس فرقة من الجيش الى ذلك المكان النائى من أطراف العراق ، وكان روزبة رئيس من به من العرب والعجم ، فلما علم بقصد القعقاع اليه استمد « رزمهر » فأمده بنفسه ، واستخلف على عسكره المهبوذان والتقى الجمعان بالحصيد ، فقتل من العجم مقتلة عظيمة ، وأبى القعقاع الا ان يتعقب قائد الجيش « رزمهر » فيعلوه بالسيف ويقتله ، وقتل عصمة بن عبد الله احد بنى الحارث بن طريف روزبة ، وبذلك قضى القعقاع على جيش الفرس بالحصيد وغنم المسلمون مغانم كثيرة .

وفى هذه المعركة يتغنى القعقاع بقصيد من الشعر الحماسى يقول فيه :

الا ابلغا أسماء أن حليلها
قضى وطرا من زورمهر الاعاجم
غداة صبحنا فىالحصيدجموعهم
بهندية تفرى فراخ الجماجم

وظل القعقاع بن عمرو فى طليعة تلك المعارك التى دارت على أرض العراق الى جوار خالد بن الوليد ، ينتدبه لكل أمر جليل ، ويقتحم الحصون المنيعة أمام الجيش ، ويقوم بأعمال بطولية خارقة لا تقوم بها الفرق « الانتحارية » فى الحروب الحديثة ، والتى عرفت باسم «الكوماندوز» حتى أصبح موضع ثقة خالد والجند ، وأصبحت بطولاته مع زميله ابن الوليد حديث الدنيا فى فارس والعراق .

وبلغ من ثقة خالد بن الوليد بالقعقاع انه حين فتح الحيرة لم يجد غير القعقاع بن عمرو يستعمله عليها ، وينوب عنه فى ادارة شئون البلاد التى فتحت بجوارها ، وأطلق يده فى اخماد الفتن ، والضرب على أيدى العابثين أو المتآمرين ، حتى يمضى خالد فى فتح بقية البلاد ، وهو مطمئن الى حماية القعقاع بن عمرو لظهر جيشه ، ثم جعله بعد ذلك من أمراء الثغور ، وامارة الثغور من أخطر المراكز التى لا يشغلها الا قائد يقظ مقدام جسور ، وكل تلك خلال القعقاع بن عمرو !!

وكان القعقاع مع شجاعته وبسالته شاعرا ، تستثير حميته لظى الهيجاء ، وتنعكس صور المعارك فى كثير من شعره الحماسى ، فلم يترك معركة من معارك العراق الا سجلها فى شعره : سجل معركة الحصيد كما رأينا ، وسجل معركة الولجة حيث يقول :

ولم أر قوما مثل قوم رأيتهم
على ولجات البر أحمى وانجبا
واقتل للرواسى فى كل مجمع
اذا ضعضع الدهرالجموعوكبكبا

ويقول فى معركة الحيرة وما سبقها من معارك :

سقى الله قتلى بالفرات مقيمة
واخرى بأثباج النجاف الكوانف
فنحن وطئنا بالكواظم هرمزا
وبالثنى قرنى قارن بالجوارف
ويوم احطنا بالقصور تتابعت
على الحيرةوالروحاءاحدى المصارف

ويقول فى موقعة الفراض التى شنها الفرس والروم على العرب :

لقينا بالفراض جموع روم
وفرس غمها طول السلام
أبدنا جمعهم لما التقينا
وبيتنا بجمع بنى رزام
فما فتئت جنود السلم حتى
رأينا القوم كالغنم السوام

وينتقل خالد بن الوليد من ساحةالعراق الى ساحة الشام فينتقل القعقاع معه ، وعلى أرضالشام يستأنف القعقاعمعجزاته الحربيةالتىشهدتها ساحاتالعراق ،ويمضى فى بطولاته الخارقة ، وتبلغ هذه البطولات ذروتها فى معركة دمشق ، فقد اتعبت حصونها المنيعة جيش المسلمين ، وكان على الجيش خالد بن الوليد وصديق كفاحه القعقاع بن عمرو ، فلما طال الحصار دون أن يستطيع الجيش اقتحام الحصون اتخذ خالد والقعقاع حبالا كهيئة السلاليم وأوهاقا ، ولما جن الليل قذفوا بالاوهاق الى اعلى السور فتعلق بالشرف منها اثنان ، واجتاز القعقاع الخندق سابحا مع مذعور بن عدى ، وتسلقا السور ، ثم اثبتا بقية الاوهاق بأعلى السور ، وجلجل صوت القعقاع مكبرا فى أعلى السور ، فارتقى خالد ومن معه من كبار القادة ودوى صوت الجيش كله بالتهليل والتكبير ولهذ القعقاع الى باب الحصن ففتحه ، فتدفق منه المسلمون ، وسقط خالد ومن معه على المحاصرين من أعلى السور ، فتلقفتهم السويف من كل جانب ، وتم بذلك فتح دمشق .

ويعود القعقاع الى أرض فارس مددا لسعد بن أبى وقاص ، يعود الى الميدان الذى شهد بطولته من قبل مع خالد بن الوليد ، فتتألق عبقريته من جديد قائدا ومخططا ، ومحاربا ، حتى حمل سعد بن أبى وقاص على أن يقول : انى لم أر مثل القعقاع بن عمرو ، حمل فى يوم واحد ثلاثين حملة ، فقتل فى كل حملة بطلا .

والى العدد القادم حيث ننقل للقارىء صورا رائعة منبطولة هذا الفدائىالشجاع فى أرض فارس ، وعلى ضفاف النيل حيث رقد جثمانه فى أقصى الشمال الشرقى ، تحت ظلال النخيل ، وعلى مقربة من نسيم البحر !!

قصة العدد

منارة

الأستاذ محمد أبو الخير محمد

كل ما حوله رائع وجميل يشد اهتمامه .. الشعب المرجانية هناك على مرمى البصر والامواج تتدافع فوقها فى معابثة ماكرة.. عند حافة الافق سفينة تكاد تنحدر وهى تمخر صوب الجنوب على حين تطفو سفينة أخرى تأخذ مسارها نحو الشمال وتزحف ناحيته ويخدعه بعد المسافة فيخيل اليه انها تتهادى على صفحة الامواج فى بطء وهدوء .. والسماء لازالت تضع على وجهها بقايا قطع من سحابة عريضة داكنة حجبت شعاعات الشمس منذ لاحت بواكير الصباح .. والنسمات الباردة تنعش الجسد والروح مع أن الزمهرير يكاد يلف جنباتها ..

وتلفت ناحية العمران .. هناك بعض المساكن بسيطة التركيب جميلة الطراز وعانقت نظراته فى شوق منارة سامقة الهامة قامت وسط رمال الجزيرة وتلالها على مقربة من تلك المساكن .

وترك البحر والسماء والمنارة وتلال الجزيرة وعاد الى مدفعه ليتأمل فوهته المترقبة فى تحفز عجيب الهدوء الشامل يلف المكان.. لم تظهر أية بادرة تدل على تحركات للعدو.. لم تأته تعليمات من قائده بأن طائره من طائرات العدو ظهرت لها صورة على شاشة جهاز الرادار .

وبدأت خواطره تروح وتجىء وطار به خياله وحلق فى الاجواء ثم حط به فى قريته الراقدة فى أعماق الصعيد وسط اطار من اشجار النخيل والصفصاف .

وتراءت له صورة الاكواخ واتضحت معالم كوخ فيه قصص حياته وذكريات أيامه .. هناك فى هذا الكوخ تعيش امه وزوجته سعدية ووليده صفوان .. كلهم ينابيع سعادة له وسر من أسرار وجوده هنا فى هذه الجزيرة ..

وطافت به ذكرى حلوة فانتشى.. كم كانت طيبة تلك الليلة التى زار فيها قريته عندما منحه قائده اجازة وشاء القدر أن يرى وليده نور الحياة فى ليلة زيارته لكوخه.. كم زغرد الكوخ لوصول الاب والابن فى ليلة واحدة

رويدا رويدا جذب خيوط اهتمامه بعيدا عن التصورات والافكار ثم التفت الى الدشمة التى بجواره وصافحت نظراته وجه رفيق السلاح ..

وحياه الجندى الذى بجواره وهو يطل برأسه من فتحة صغيرة كأنها الثقب الضيق وسأله وهو يكاد يضحك : لماذا لا يأتون الى هنا لنتعامل معهم ؟

وأجاب مسعود وهو يبادله ضحكته : من يدرى يا ابراهيم.. لعلهم ادركوا أن على رمال شدوان سبعين مقاتلا بطلا .

لم يكد مسعود يتم عبارته حتى ارتج الفضاء ومرقت طائرة على انخفاض خيل اليه معه أنها لامست حافة خوذته النحاسية . لم تهزه المفاجأة وان كان قد تحرك فى موقعه ووجه فوهة مدفعه الى أعلى وشحذ من بصره واهتمامه حتى أرهفهما ثم قال موجها الحديث الى ابراهيم ولا يزال مشدودا الى الفضاء .. قال : من منا يكون له شرف اسقاط تلك الطائرة ان هى عادت ؟

وجاءته نداءات من حوله تهيب به أن يأخذ حذره ويكون على أهبة الاستعداد .

لم يكن فى حاجة الى هذه النداءات .. وبدأت الفرحة تراوده .. عجيب أن يفرح فى مثل تلك اللحظات لكنها فرحة الامل.. كان يريد أن يقف أمام ضميره رافع الرأس اذا هوت طائرة العدو برصاصة من مدفعه الصغير .

وجاءت طائرة اخرى ومرقت بالسرعة نفسها ودوت طلقة من مدفعه وطلقات من مدافع اخرى .. وساد صمت .. لقد جاءوا .. الاوغاد يمهدون للاغارة ..

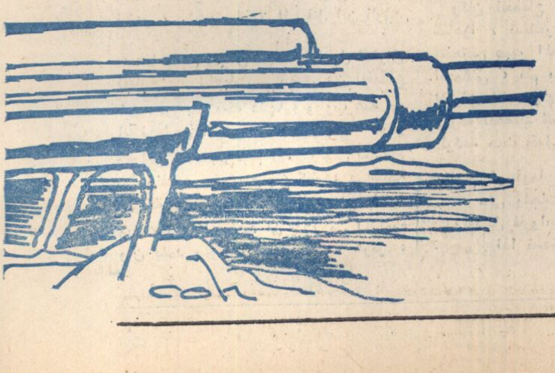

فى شدوان

الفرصة تمد يدها لتعانق من يصافحها .. ما أجمل أن تأتى الفرصة بعد طول انتظار

وملأ المكان من حوله عواء عربيد لطائرات العدو .. جاءت وفرت كالمذعور فى لحظة جنون .

وامتلأت عيناه بحماس تفجر من نبع ايمانه بربه ووطنه وتوترت عضلات ذراعيه حين سمع أن معركة كبيرة توشك ان تقع .

وحدثت المعركة.. جاء تشكيل من طائرات العدو اعقبته تشكيلات اخرى تدافعت كأمواج بحر هائج وامتلأت الارض من حوله بانفجارات القنابل وتناثرت الشظايا على حين اشتعل الفضاء بنيران مدافع ابطال الحامية الصغيرة التى تحرس الجزيرة .

المعركة رهيبة قاسية طالت وامتدت ساعات ومسعود لا ينى عن اطلاق رصاصات مدفعه فى كل اتجاه وقلبه يغور برغبة محتدمة ويتلوى من فرط احساسه بالندم لان مدفعه الصغير لم ينل طائرات العدو .

السنة اللهب .. سحابات الدخان .. هدير الطائرات .. دوى الانفجارات .. أرض الجزيرة تتفجر ببراكين رملية الصخور تتناثر مع الشظايا .. كل هذا ومسعود فى موقعه والرجال من حوله حناجرهم وقلوبهم لا هتافات لها الا بالدعوة الى المقاومة مهما سقط من شهداء ومهما سالت من دماء .

ساعات مرت لم يدر مسعود عددها لكن أية شراهة تلك التى دفعت باللئام لكى يأتوا هذه المرة فى سعار الوحوش الضارية ؟ لماذا كل هذا الضرب المركز العنيف ؟ من طائرات يفوق عددها عدد الرجال الرابضين على رمال الجزيرة لحماية منارة تهدى السفن وتوجهها وجهاز رادار يرشدها حتى تنجو من الصدام بالشعب المرجانية .

لم يعرف مسعود فى تلك اللحظات ان للعدو هدفا سياسيا يبغى من ورائه التأثير النفسى فهو على أرض الجزيرة فى موقعه وخلف مدفعه لا يعرف الا الحرب .. كل ما وصل اليه أن العدو يبغى من وراء هذا التدمير العنيف القضاء على حامية الجزيرة ليستولى عليها .. وتساءل وجوارحه تصرخ : هل هذا معقول ؟!!

واجاب وقد غرس أسنان فكه العلوى فى شفته السفلى : لا وارض الجزيرة .. لا يا شدوان .. لن يحتلوك الا بعد أن نفنى جميعا وحتى لو فنينا فلن يستقر لهم قرار .. ستقاتلهم أرواحنا .. ستتراءى لهم الاشباح وصور البطولات فتنتشر فيهم الرعب القاتل ثم تأتى النجدات والنجدات فتجعل من شدوان مقبرة لهم .

وهدرت موجات الطائرات مرة أخرى وظللت ما فوقه من فضاء وراحت ترمي بحمم الجحيم فتمنى لو انهم نزلوا الى الارض ليقاتلهم بمدفعه الصغير .. بذراعيه .. بانيابه .. بكل ما يملك من قوة

ماذا يفعل ؟ .. ماذا يضرب والدخان قد انعقد كثيفا خانقا قاتم اللون ؟

قبل أن يجيب وقعت احدى الشظايا على مقربة منه .. آه ياعين القدر كم انت حارس أمين لكل المؤمنين بالدفاع عن أرضهم .. واندس فى قاع حفرته بعد ان تناثرت الشظايا تفوح بالموت والدمار ومع ذلك فقد أمتدت يده الى جعبة ذخيرته ثم حشى مدفعه بعبوة جديدة من الرصاص وتمنى لو انقشعت سحابات الدخان ليرى هدفا يقاتله مع أن عدوه يقاتله وهو معلق فى الفضاء .

ابتلع الزمن ساعات اربع مضت بكل ما فيها من دوى وهدير وساد سكون .. أى سكون هذا ؟ انه عميق عمق خداع العدو وخبثه .

وتلفت حوله وكادت نظراته تخترق جدران الدشم وتغوص فى الحفر والخنادق .. هو لم ينل مرتبة الاستشهاد ترى كم بطل نال وسام الشرف ؟ .. كم شهيد سقط ؟ .. كم جريح ينزف الان ؟

كادت أفكاره تدفع به ليغادر موقعه ويرى أخوة السلاح فلعل جريحا فيهم فى حاجة الى اسعاف عاجل .. كاد يغادر موقعه لولا أن طائرة مرت فوقه من غير أن تلقى بقنبلة .. جاءت لتجس النبض جاءت لترى هل سكتت المواقع ..

وتابع الطائرة بنظراته مع أنها اختفت وتمنى لو اتصل بها وأبلغها ان المواقع تنبض بالرغبة فى القتال والفداء مهما سقط من شهداء

وأومأ يشير الى نفسه بالايمان بما يدور فى خاطره ، هنا مسعود .. هنا أبطال وحبات رمل الجزيرة وصخورها وشواطئها الغالية لو نشرتم الدمار على كل حبات الرمال فلن نستسلم وفينا بقية من حياة .. ستصلنا الامدادات من الجو والبحر لو سولت لكم انفسكم الهبوط على أرض الجزيرة

وردد قسما نبع من ايمانه بربه ووطنه .. اقسم بكل حبه لاكواخ قريته .. بكل القرى الرابضة على أرض النيل الخالد .. أقسم بكل حبه لامه وسعدية وصفوان .. بكل ذكرياته وأحلامه وأمانيه .. بكل شوقه لاشجار النخيل والترع والقنوات .. بكل حنينه للمزارع والحقول .. بكل نسمة ترف فوق المروج الخضراء التى تكسو الوادى الحبيب .. أقسم بروح الفداء ليقاتلن هو واخوته فى السلاح حتى آخر رجل .

وسجلت أجهزة الرصد شيئا أنهته قيادته .. العدو انزل كتيبة من جنود المظلات فى شمال الجزيرة وهو سيزحف صوب مواقع الرجال فى الجنوب .. اذن استجابت السماء لدعواته وجاءت فرصة الاقتحام .

وصدرت اليه تعليمات فخرج مع من بقى من الرجال الى مواقع متقدمة ليصدوا العدو قبل ان يستولى على هدفه .

ومضى الوقت وحاسة الزمن عنده لا تكاد تسجل شيئا .. كل ما كان فى خياله صور السحابات الرملية التى تصاعدت مندلعة من أرض الجزيرة كأنها ألسنة البراكين .. كل ما كان فى أذنه أصداء الانفجارات التى ظلت ترج المكان من حوله طيلة أربع ساعات .. كل ما كان فى صدره رغبات فوارة تتدافع تنشد الالتحام بالعدو ليثار ويثار .

ظل فى موقعه مع الترقب وانتظار اللحظة التى يفرغ فيها غيظه المحتدم .. وطال الانتظار وبدأت الشمس تنزلق على حافة الافق لتهوى فى المغيب وبدأت العتمة تلوح ببردتها وتستعد لكى تفرشعها على الجزيرة .

آه من الظلمة .. ستحول بينه وبين القتال لكن كاد يصفق طربا حينما ظهرت مقدمات ركب العدو وجاءت قبله نيران المدافع وقنابلها .. لم تهزه الانفجارات بل أصبحت ذات ايقاعات تهز فيه روح القتال وتشحنه بالحماس .

واستراح كثيرا حينما جاءته الاوامر من قائده ان يتقدم ويبحث عن « خور » يكمن فيه .

ما اكثر « الخيران » الوطيئة .. وانتشر وزملاؤه ليكمنوا فيها وينصبوا الفخاخ للعدو

وأطبق الظلام فلم يكترث به كثيرا .. سيعتمد على حاسة السمع المدربة المرهفة ويوجه رصاصاته لكن منحه العدو فرصة نادرة حينما أسقط مشاعل من ضوء وهاج أحال الليل الى نهار يموج بالضوء الباهر

وحدد هدفه فى براعة واطلق العنان لمدفعه فسمع الصيحات المستغيثة وتأكد أن رصاصاته نفذت فى الصدور وأصابت مقتلا .

حان نهما متعطشا وأحس بقوة خارقة تريد أن تطير به الى مجابهة آليات العدو ليقاتلها وحده لكنه تشبث بموقعه واخذ يترقب الاضواء التى ترسلها المشاعل وعيناه كعينى الصقر فما أن يرى هدفه حتى يصوب رصاصاته فلا يفلت منها الهدف أبدا فقد أصبحت الرصاصات التى فى حوزته أغلى من كل الدرر فى

الدنيا وكم كان يحز فى نفسه الا تقتل الرصاصة الا واحدا من الاعداء ٠

وهال قائد فرقة العدو التىتزحف فىاتجاه الخور الذى يكمن فيه مسعود ٠٠ هاله وروعه ان يسقط ستة من رجاله صرعى ووفق فى اكتشاف مصدر النير حتى اكتشفه فأصدر أمرا محموما بالالتفاف حول الخور وشعر مسعود بحركة التفاف العدو فأمن ألا ملاذ ونشطت رغبته فى الالتحام وهم بأن يندفع ويقاتلهم بذراعيه وأنيابه لكن لا ٠٠ رصاصاته لم تنفذ وقد يتكاثرون عليه وقد تصطاده احدى رصاصاتهم الطائشة

ازداد التصاقا بموقعه وانتظر حتى يأتى الضوء الذى يبحث عنه ليحدد هو هدفه لكن توالت رصاصات العدو وتناثرت فوق كل بقعة من حوله وفجأة شعر بنصل حاد يمرق فىكتفه وتحسس اعلى ذراعه فشعر بدماء تسيل على سترته

فى لمحة اضطجع على جنبه وضغط بكتفه على الارض حتى يمنع انسكاب الدم

وغاب عن الوعى لحظات ثم افاق على وقع اقدام رجال العدو الذين يبحثون عنه ٠٠ واستجمع ارادته ومشاعره وقاوم الدوار الذى يتخطفه وتمكن من الامساك بمدفعه وهم أن يضغط بأصبعه على زناده لكن تراخت ذراعه وتلوى فى توجع صامت

فجأة ايقظته صيحة انتشر على اثرها ضوء حوله فاشرقت روحه بأمل عجيب وتمنت ان تصعد الى بارئها فى لحظات تفتك فيها بأكبر عدد من الاوغاد ٠

رفت تلك الامنية وضيئة فطاردت سحب الغيبوبة التى كانت تزحف لتغطى روحه وفى الوقت نفسه كان الضوء قد اختفى على حين اقترب منه الاعداء على حذر فاعتدل فى وضعه ومن اصوات رصاصات بنادقهم حدد أماكنهم ثم اطلق مدفعه فكاد يجن فرحا بل كاد ينهض ليعدو ويرقص طربا حينما تأكد أن اثنين آخرين من الاوغاد قد اصابهم اصابات مباشرة ٠

وانهمرت الرصاصات من حوله ودخل جسده اكثر من عشرة منها فقد جن جنون الاعداء ونثروا الموت على كل رمال الخور

قبل أن يجود بآخر أنفاسه الطاهرة وتمنحه السماء ارفع اوسمتها كان قد استراح نفسا فقد نال بعض ما تمنى ٠٠ قتل ثمانية من اعدائه ٠٠

وفى لحظة خشعت فيها البطولة ذاتها اجلالا له أسلم الروح فصعدت الى بارئها راضية مرضية وامتدت ما بين الارض والسماء منارة أسطورية ترسل النور الخالد يهدى السائرين على الطريق ٠

دين ودنيا

الأستاذ محمد المتولى النظامى

نحن والخاسئون :

ان الدين الاسلامى الذى يدعو اتباعه الى القوة والسلام تحقيقا للعزة ،ويأمرهم بالقتال دفعا للعدوان ، ويربيهم على المثابرة والصمود احرازا للنصر ، يعتبر دين المبادىء العالية فى السلم ، والاخلاقيات الفاضلة فى الحرب . ولقد عاشت جميع الاجناس والاديان تحت لوائه عيشة الامن والحب والاخاء ، لانه يأمر بالمعروف والاحسان وينهى عن الظلم والعدوان ، وينادى بالرحمة والاخاء الانسانى ، ويدعو الى الحب الذى يعم الانسانية جمعاء ، والشفقة التى تتعدى الانسان الى الحيوان ، والعدل حتى مع الاعداء المخالفين فى الدين ، ويحارب القوميات والعنصريات والعصبيات، ويعتبر الحرية اصلا بالنسبة لحياة الانسان ويسوى بين الناس جميعا فى الكرامة الانسانية ، والحقوق العامة والواجبات ، لانهم نشأوا من اصل واحد وهم سائرون جميعا الى مصير واحد .

ولقد تمسك المسلمون بأخلاقيات الدين ، ولازمتهم نية الخير فى جميع تصرفاتهم ، فغيروا مجرى الحياة الى حياة افضل ، وكانوا امثلة عليا فى اقوالهم وافعالهم ، فلم يزعموا انهم شعب الله المختار ، وانهم ممتازون عن بنى البشر كما زعم اليهود ، ولم يدعوا انهم من عنصر اسمى وانهم ابناء الله واحباؤه ، وانه لن يدخل الجنة سواهم ، كما زعمت اليهود ، وانما حققوا الاخوة التى يعم بهـا النعيم ، والتسامح الذى يؤدى الى الحب ، والرحمة التى توصل الى الخير ، والعدالة التى تحمى بها الحقوق ، والمساواة التى تتحقق بها الكرامة . قال تعالى « يا ايها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة ، وخلق منها زوجها ، وبث منهما رجالا كثيرا ونساء « وقال » وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر « وقال » ولا يجرمنكم شنآن قوم على الا تعدلوا اعدلوا هو اقرب للتقوى واتقوا الله « وقال » انما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون فى الارض بغير الحق اولئك لهم عذاب اليم « وقال » آمن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين احد من رسله « وقال النبى عليه السلام » الناس سواسية كأسنان المشط « وقال » من آذى ذميا فقد آذانى « وقال » ليس منا من دعا الى عصبية ، وليس منا من قاتل على عصبية ، وليس منا من مات على عصبية » .

ووقف رسول الله لجنازة يهودى مرت ، فلما سئل عن ذلك قال « اولست نفسا ؟ » وقال « الانسان أخ الانسان احب أم كره » .

وذلك زيد بن سعنه اليهودى جاء يطالب رسول الله بدين ، واغلظ له فى القول ، وجذ به من ثوبه جذبة شديدة ، وهم بعض الصحابة ومنهم عمر بنهره ، فقال النبى [دعوه ان لصاحب الحق مقالا] ثم التفت الى عمر وقال [كنا لغير هذا احوج منك يا عمر .تامرنى بحسن الاداء ، وتامره بحسن التقاضى] . ولقد دعا رسول الله الى الرحمة بالمخلوقات جميعا فقال [الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من فى الارض يرحمكم من فى السماء] وقال «دخلت امرأة النار فى هرة حبستها ، لا هى اطعمتها ولا هى تركتها تاكل من خشاش الارض»ولقد تمسك اتباعه بسنته فذلك عمر بن الخطاب يضرب رجلا يقود بعيرا وقد اثقل عليه قائلا له « لم تحمل على بعيرك ما لا يطيق ؟ » ويضرب آخر لانه شحذ السكين امام شاة يريد ان يذبحها وقال له : اتعذب الروح ؟ هلافعلت هذا قبل ان تأخذها!! » وأمر بان يفرض ليهودى معاشا من بيت المال وقال « ما انصفناه ، لو اخذنا منه الجزية شابا وتركناه شيخا » .

ودينا يضع للحرب اخلاقيات فاصلة ، تمسك بها المسلمون فى حروبهم التى شرعت لقتال المحاربين للدعوة والمعتدين على المسلمين ، ولمنع الانحراف عن الحق والعدل ولرد الظلم الواقع على الابرياء ، وللدفاع عن النفس والحياة والحرية والامن والسلام ولاتقاء الاذى والفتنة والهجوم الغادر — تمسكوا بها فحققوا الخير لانفسهم وللناس

وطبقوا اعظم مبدأ عالمى لاسعاد البشر وغيروا الحياة الى حياة افضل وصدق قول الله [وما ارسلناك الارحمةللعالمين[وقول رسول الله [انما بعثت لاتمم مكارم الاخلاق].

فالاسلام يجعل السلام شعارا للمسلمين ودستورا ،ويأمرهم بالمحافظة على العهود والبر بالوعود ، ويدعوهم الى الرحمة والحب والاحسان ، وتطبيق العدل مع المخالفين لهمفيالعقيدة قال تعالى [لاينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ، ولم يخرجوكم من دياركم انتبروهم وتقسطوا اليهم ، ان الله يحب المقسطين ، انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين واخرجوكم من دياركم وظاهروا علىاخراجكم ان تولوهم ومن يتولهم فاولئك هم الظالمون « وقال » واوفوا بعهد الله اذا عاهدتم ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا « وقال » [وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله] وقال [وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما] وقال النبى « من ظلم معاهدا او انتقصه او كلفه فوق طاقته ، او اخذ منه شيئا بغير طيب نفس ، فانا حجيجه يوم القيامة »

ولقد بلغ من حرص المسلمين على الوفاء بالعهد ان مسلما دعا نصرانيا من اهل الذمة والعهد الى الاسلام ، ولما ظن ان ذلك مخالف لمقتضى العهد رفع الامر الى عمرو بن العاص ، فقال : قد اعطيناهم العهد « فقال عرفة بن الحارث معاذ الله ان نكون قد اعطيناهم العهود والمواثيق على ان يؤذونا فى الله ورسوله انما اعطيناهم العهد على ان نخلى بينهم وبين كنائسهم يقولون فيها ما بدا لهم ، ولا نحملهم ما لا طاقة لهم به ، وان نقاتل من ورائهم ، وان نخلى بينهم وبين حكامهم الا ان ياتونا فنحكم بينهم بما انزل الله ، فقال عمرو ؛ صدقت » .

والاسلام يامر بتامين اللاجئين والسفراء والرسل ، واكرام الرهبان فى اثناء الحروب مع انهم قادة الدين المخالف ، وينهى عن قتل ، العجزة والابرياء والنساء والاطفال والمرضى وكل من لم يشترك فعليا فى الحروب ، وينهى عن الاجهاز على الجرحى، وعن القتل غدرا او مباغتة ،كما ينهى عن التخريب وهدم البيوت ، ويمنع حرقالاشجار والمزرعات وكل ما يؤدى الى انتشار المجاعة والخراب . قال تعالى [وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين] وقال [وان احد من المشركين استجارك فاجره حتى يسمع كلام الله ثم ابلغه مأمنه] وكان رسول الله يحصر الحرب فى المتصدين لها المصرين عليها ويستدرجهم للخروج للنزال فى ساحة الحرب بعيدا عن المدن حرصا على عدم تخريبها او اصابة الاطفالوالنساء والعجزة والابرياء، وكان تستور المسلمين فى حروبهم ما رسمه رسول الله لقائده بقوله [انطلق باسم الله ، ولا تقتلوا شيخا فانيا ، ولا طفلا صغيرا ، ولا امرأة ، ولا تغلوا ، واصلحوا واحسنوا انالله يحبالمحسنين] وما اعلنه ابو بكر الصديق فى وصيته لجنوده [لا تعتدوا ولا تقتلوا طفلا او امرأة او شيخا ، ولا تتعقبوا مدبرا ، ولا تجهزوا على جريح ، ولا تقطعوا شجرة مثمرة ، ولا تعقروا بعيرا الا للاكل ، وستمرون على قوم زعموا انهم فرغوا انفسهم للعبادة فى الصوامع ، فدعوهم وما حبسوا انفسهم من اجله » .

ولقد تقيد المسلمون فى حروبهم الدفاعية بما قيدهم به الدين من رحمة وشفقة ، وحق وعدل ، واحترام للعهود والوعود ، وامتنعوا عما منعهم عنه من اعتداء او غدر. قال تعالى « واما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء ان الله لا يحب الخائنين « وقال » فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله » والامثلة على مثالية المسلمين فى حروبهم اكثر من ان تحصى ، فلقد اشتكى احد اليهود قائد جيوش المسلمين موسى بن نصير ، وذكر للقاضى انه اخذ ارضه بدون موافقة ، وانزل جنوده فيها ، فامر القاضى القائد موسى بأن يقف بجانب اليهودى تحقيقا لمبدأ المساواة فى التقاضى ، ثم عذره على فعلته ، وطلب منه ان يفاوضه فى الثمن ، وان يدفع له ما يطلب ، وان يعوضه عن انتهاك حرمه حقه — تحقيقا للعدل .

وذلك صلاح الدين الايوبى عندما هزم الصليبيين ، وانقذ الاماكن المقدسة اخذه يعامل الاسرى معاملة انسانية كريمة ، وعندما اصيب ريتشارد قلب الاسد ملك انجلترا اثناء القتال . اسرع اليه ، وداواه حتى شفى من جراحه . ثم اطلق سراحه وصدق قول الله [كنتم خير امة اخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر] وقوله [وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الارض كما استخلف الذين من قبلهم ، وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم ، وليبدلنهم من بعد خوفهم امنا] .

فاين من هذه الاخلاقيات ما فعلته دول الغرب الحاقده حين اعطت للبرابرة الهمج وقتلة الاطفال ، وطنا فى فلسطين سلبته من اهله الاصليين ، وسلحت مجرمى الحرب بانواع السلاح الحديث ، ودربتهم عليه ، وخططت لهـم ، وامدتهم بالمتطوعين ، وساعدتهم على تحقيق مآربهم ، وتسترت على اعمـالهم الخسيسة ، ودافعت عن نياتهم الخبيثة ، وشجعتهم فاستباحوا فى الحروب ما لا يباح : واثبتوا انهم فقدوا كل شعور بالانسانية ، وتخلوا عن اى ضوابط حضـارية ، وتفننوا فى انواع التعذيب ، وصنوف الاجرام ، وارتكبوا من العدوان ما تقشعر لهوله الابدان [تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا] واضافوا الى جـرائمهم البشعة التى قاموا بها تحت ظل الاحتلال فى جنين ، ودير ياسين ، واللد ، والرملة وطبرية ، حينما كانوا عصابات ، من قتل الاطفال ، وبقربطون الحوامل ، وقطع رؤس الرجال ، بثا للـرعب فى قلوب الفلسطينيين — افظع الجرائم فى غـور الصافى وشدوان وجنوب لبنان وابى زغبل وبحر البقر بعد ان اصبحوا دولة المصابات بمعاونة القوى الاستعمارية .

واثبتوا انهم افظع من آبائهم الذين قست قلوبهم فهى كالحجارة او اشـد قسوة ، وانهم صورة من اجدادهم الذين تمادوا فى الجشع والافسـاد والاجرام فانزلهم الله الى مستوى القردة الذين فقدوا صفات الانسانية وعواطف البشر ، ومسخ قلوبهم فاصـبحوا فى الطبع والاخـلاق والحقارة والضعة كالقردة الذليلة قال تعالى [ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم فى السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين ، فجعلناها نكالا لما بين يديها وما خلفهـا وموعظـة للمتقين] .

ولقد ثبتأمام لجنةالتحقيق الدولية مقدار البربرية والوحشية لهؤلاء المتجردين من القيم والاخلاق من تشريد وتعذيب لابنـاء فلسطين العزل من السلاح ، ومن ايقاع الاذى العقلى والجسمانى بهم ، ومن قتل جماعى لشبابهم واطفالهم ونسف لمنازلهم بقصد ابادتهم والقضاء عليهم ، ومن فتك بالنساء امام ذويهم ، وقتل الاطفال امام امهاتهم وآبائهم واهليهم ، ومن قتل للعجزة والشيوخ والنساء ، ومن دفن الشباب فى التراب وهم احياء ، ومن تجريد الرجال من اعضاء الذكورة ، ومن اجهاز على المرضى والجرحى ، ومن تشويه الامنين بقنابل النابالم الحارقة والصواريخ السامة ذات الرؤوس المدببة المحرم استعمالها دوليا — امام سمع وبصر العالم كله ، ومجلس امنه ومحكمة عدلة الدولية،وهيئة امه المتحدة .

لمن نشكو وفى الاذان وقر ؟ . . .

ومن نرجو وقلب الكفر صخر

وان عدونا الحقيقى لهو الذى عمد الى تجميد قرار الامم المتحدة ، وهو الذى وضع السلاح الوحشى فى يد عدو بربرى ، وهو الذى اعطى له طائرات الفانتوم ليقتل بها الابرياء ، وهو الذى أمده بقنابل النابالم ليشوى بها جلودا رقيقة ، وانامل دقيقة ، وبالصواريخ ذات الرءوس المدببة السامة ليقطع بها رءوس التلاميذ فى مدرسة بحر البقر الابتدائية .

ان ملابس التلاميذ وكتبهم المخضبة بالدماء يجب ان يقام لها متحف متنقل فى الامم المتحدة ومحكمة العدل الدولية ومجلس الامن ... لتكون وصمة عار لا تمحى فى جبين قردة القرن العشرين، الذين فقدوا العقل والبصيرة والحكمة ، واصبحوا وحوشا بربرية فى ثياب انسانية ، وليشهد العالم كله آثار صواريخ القوى الاستعمارية تقذفها طائرات الفانتوم الامريكية فوق مدرسة ابتدائية وان المجزرة التى حلت بمدرسة بحر البقر ، ووضعت نهاية لامال الاطفال وامال اهليهم والوطن فيهم لوصمة عار فى جبين مدنية القرن العشرين ودليل واضح على ضعف صمود الهمجية ، وقرب نهايتها. وان ارواح الاطفال الابرياء الذين استشهدوا بيد ذئاب البشرية وبتخطيط ومساعدة الوحوش الكبيرة — لتحلق امامنا تحفزنا الى الثأر وتدعونا الى الانتقام .

وان دماء الاطفال الطاهرة التى لطخت كتبهم واختلطت بمداد أقلامهم لقبس من نور يضىء لنا الطريق الى النصر ، وشعلة نار تحاصر الاعداء وتقضى على آمالهم ، وان روحنا العالية مهما كثرت التضحيات فى طريق النصر ومهما امتد الطريق ، وفى سبيل الله ما قدمنا ونقدم من شهداء وتضحيات واذا اشتدت الازمات فان الفرج يكون قريبا وصدق قول الله [ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله] وقوله : « قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم وبئس المهاد » وقوله : [ان الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون والذين كفروا الى جهنم يحشرون] وقوله [وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون] .

ونحن فى هذه المرحلة الفاصلة من تاريخنا نخوض معركة المصير واثقين فى النصر ، متطلعين الى الثأر ، مسترخصين الارواح من أجل الاوطان ، مضحين من أجل الحق ، مؤدين ضريبة الدم ، مستمدين من الله العون والتوفيق ، حتى نطهر مهد عيسى ومسرى محمد من شذاذ الافاق المتوحشين ، وحتى نعيد الى خريطة عالمنا الصفاء والنقاء ، وننقى جونا من نتن الصهيونية الخانق ، ونثأر لعزتنا وكرامتنا وعروبتنا وشهدائنا وحقنا ، فكيف تطيب لنا حياة والافاعى تنساب فى ديارنا وتعض ، والوحوش تنهش فى ضراوة وتفترس ؟ ولن يقبل جسم الامة العربية المتدفق حياة أن يزرع فيه أو يفرض عليه جزء غريب عنه أريد به أن يكون قذى فى عينيه وشجا فى حلقه ، وصدق قول شاعرنا العربى :

كيف أحيا فى موطنى وعدوى
يتسلى بأرضه وسمائه ؟
لا عرفت الحياة ان عشت يوما
وعدوى يتيه فى خيلائه

وسنواصل الجهاد مهما اشتد الظلام حولنا ، وتكتل التآمر علينا ، لنستعيد حقنا بمنطق الدم بعد أن عجزنا عن نيله بمنطق الامم المتحدة ، ولنعيد للوطن عزته وللدين قدسيته فنحن سلالة أبطال هزموا الاكاسرة والقياصرة ، وطهروا وطنهم من الصليبيين والتتار ومن كل عدو دخيل .

يامن رأى عمرا تكسوه بردته
والزيت أدم له ، والكوخ مأواه
يهتز كسرى على كرسيه فزعا
من بأسه . وملوك الروم تخشاه
سل المعالى عنا اننا عرب
شعارنا المجد يهوانا ونهواه

والله كتب الذلة على القردة الخاسئين الى يوم الدين جزاء أعمالهم الاجرامية الخسيسة فلن يكتب لهم النصر أبدا ، وهو يسلط عليهم الى يوم القيامة من يذلهم ، وهم دائما كالنبات الضعيف المتسلق يعتمد على غيره ، وهم لا يقفون أمامنا الا عن طريق ثالث يناصرهم ، ولن يلبث المناصرون لهم أن يدركوا أنهم يناصرون ذئابا أصيبت بداء الكلب لا تلبث أن تعض الايدى التى امتدت اليها ، وأن تسىء وتسىء وتمتد عدواها واساءاتها حتى يلفظها الضمير العالمى ، وتحرم العطف الانسانى ويتبرأ منها العالم كله . قال تعالى : لن يضروكم الا أذى ، وان يقاتلوكم يولوكم الادبار ثم لاينصرون ، ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا الا بحبل من الله ، وحبل من الناس ، وباءوا بغضب من الله وضربت عليهم المسكنة ، ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ، ويقتلون الانبياء بغير حق ، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون] وقال « واذ تأذن ربك ليبعثن عليهم الى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب » وقال « قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين » .

ولقد قال الرئيس جمال عبد الناصر « لقد ضربوا المدنيين وقتلوا العمال ، وضربوا المدارس وقتلوا الاطفال ، واستخدموا فى كل هذا الطائرات الفانتوم الامريكية ولكن اخضاع الامة العربية كلها وفرض الاستسلام عليها بدون قيد ولا شرط فوق طاقة اسرائيل وحتى فوق طاقة من هم وراء اسرائيل .

ان الامة العربية لم تخضع ولم تستسلم لقد ضربت ، ولكنها بقيت مرفوعة الرأس تحاول أن تبنى قوتها للدفاع عن نفسها وعن حريتها وعن سلامها ضد القتل ،وضد الصواريخ والنابالم والقنابل الزمنيةتحملها طائرات للفانتوم الامريكية .

ولقد كانت مصر دائما مقبرة للغزاة ، وستبقى مصر بعون الله دائما مقبرة للغزاة بفضل صمود هذا الشعب ، وقوة هذا الشعب . واننا نثق فى أن الله سيكون بجانبنا ، ونثق فى النصر باذن الله ، ونثق فى المقدرة الخلاقة للشعب المصرى ، ولشعوب الامة العربية » .

وقفات اسلامية

الأستاذ عبد الحكيم النجار

● من صور البطولة
● المفهوم الواسع للحرية
● ملائكة ودماء

● اذا ألقينا نظرة على رسالات السماء نجد أن الله جلت قدرته وعظمت ارادته ٠٠ قد تخير لحملها والدفاع عنها رجالا لهم قوة الشباب وبأسه وليست لهم صبوته ٠٠ رجالا لهم عزم الشباب وجلده ٠٠ وليس فيهم علامات الهوى وحب الدنيا ٠

وتأمل معى كيف استطاع الخليل ابراهيم أن يدمر الاصنام التى عبدها قومه ، وكيف يمضى فى تحطيمها حتى جعلها أنقاضا ٠٠ ثم يترك الموعظة فى قالب من السخرية اذ يعلق فأسه فى عنق كبير الاصنام كى تتجه اليه التهمة ، ثم ينكشف عن عجز هذه الاوثان كلها فى الدفاع عن نفسها ٠٠ « قالوا من فعل هذا بآلهتنا انه لمن الظالمين قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم ٠٠ » وسئل الفتى الثائر على الجاهلية « أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم ٠ قال بل فعله كبيرهم هذا ٠٠ فاسالوهم أن كانوا ينطقون »» !! ٠

ويحدثنا القرآن الكريم عن المرسلين الذين أكرم الله شبيبتهم ، وصان عفتهم ، ونقاهم من العاطفة العاصفة ، فكافأهم بالاصطفاء لثباتهم على الحق والطهر ، هكذا يقول الله فى يوسف « ولما بلغ أشده آتيناه حكما وعلما كذلك نجزى المحسنين » ومثل هذا القول فى موسى الذى شب ببغض الوثنية والسياسة الجوفاء ،ويشعر بالولاء لله وحده :« ولما بلغ أشده واستوى آتيناه حكما وعلما وكذلك نجزى المحسنين » وقد اختار الله سبحانه وتعالى لرسالته العظمى خيرة خلقه الحبيب المصطفى صلوات الله عليه وسلم ، بعد ما اكتمل شبابه واستحكمت رجولته وتهيأ لتلقى الوحى وهداية العالم ٠٠ وحفه بمجموعة كبيرة من الشباب المؤمنين الذين تفانوا فى الله وبذلوا الروح والمال والشباب وحماية دعوته وحرية الداعين ٠٠

وانى لاشعر بمزيد من الاعزاز والبطولة حين اتذكر مواقف القادة الثلاثة فى غزوة (مؤتة وكيف ان جيشا من ثلاثة آلاف مسلم ينتصر على الجيش الرومانى الذى يفوقه بسبعين ضعفا ٠٠ وكيف ان الشبان الثلاثة الذين حملوا لواء الاسلام فى هذه الموقعة كانوا نماذج رائعة للفدائية والبسالة : وهم زيد ابن حارثة ، وجعفر بن ابى طالب ، وعبد الله بن رواحه ، وستظل فدائية جعفر بن أبى طالب ، مضرب الامثال ، وستبقى روحه واقدامه على ضفاف الخلد تنعم فى جوار الله هو ورفاقه من الشباب المقاتلين ٠٠ وسيظل جسده الذى تلاشى على رماح الاعداء رمزا لامة تعرف مكانتها تحت سماء الحرية والاسلام وفوق مستوى المسئولية : هذه الوقفة الاسلامية الرائعة نهديها الى كل شاب يعرف طريقه نحو الفدائية والتحرير والنضال لامة العرب التى لا تموت ولن تموت ٠٠

● لقد كانت دعوة الرسول العظيم صلوات الله عليه وسلم ، تقوم أساسا على الحرية ، وكان يتعهد هذا المفهوم الواسع للحرية ٠٠ ويعمل على تنميته وتثبيته فى نفوس جماهير المؤمنين والمؤمنات وفى دنيا الناس وفى هذا المعنى يروى الثقات من أهل الحديث قصة ينبغى أن تكون موضع عبرة وتذكر وتأمل ٠٠ وخلاصة هذه القصة

٠٠ أن جارية تسمى بربرة كانت تخدم عائشة رضى الله عنها ، وكانت لها زوجا يسمى (مغيث) وذات يوم ظفرت بربرة بحريتها ، وأصبح لها حقوق الاحرار فى كل تصرفاتها ، والعلماء يعرفون أن الامة اذا كانت زوجة ثم أعتقت ، فان لها الخيار فى أن تبقى زوجة لزوجها أو تنفصل عنه ، ولو كان زوجها الخليفة هشام ابن عبد الملك كما يقرر فقهاء المسلمين ٠٠

ولما ظفرت بربرة هذه بحريتها ، اختارت مفارقة زوجها ٠٠ فكان الناس يرونه فى طرقات المدينة يبكى بدمع غزير ، حتى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ألا تعجبون لحب مغيث لبربرة ، وبغض بربرة لمغيث ، ولما اشتد الامر بالزوج الشقى ، استشفع الى زوجته برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فشفع النبى لمغيث عندها ، فقالت تخاطب رسول الله :اذا أمرتنى ان اختاره اخترته يارسول الله

فقال لها النبى صلوات الله عليه ، لك ما تريدين ٠٠ فانما أنا شافع ٠٠ فقالت أنا لا أريده ، وكان لها ما ارادت ٠٠

هذه صورة مشرقة تدل على معنى الكرامة الاصيلة على النفس الانسانية ٠٠ لا يعرف لها مثيلا فى عالمنا المتحضر الذى وصل الى مكانة كبيرة من العلم والتقدم والرقى ٠٠

● لابد أن نجعل للعدوان الصهيونى على الاطفال الابرياء ٠٠ الصورة الواضحة أمام أعيننا ٠٠ فننقلها

(البقية ص ١٦٦)

فلسطين

الشاعر أحمد عثمان المراغى

حر اشتياقى اليك بات يضطرم
وفى هواك يغنى الطرس والقلم
شدوت بالحب لما لاح منظره
ومض لارضك فيه الحكم والحكم
يا موطن النور مذ عمت بشائره
على البرية وانجابت به الظلم
يا منبت الحق مذ عانقت موكبه
فانت للحق قلب ناطق وفم
قد جاء موسى فكنت روضة نضرت
به وعيسى لديك خلقه النسم
وجاء طه فغنيت به طربا
وردد البشر فيك العرب والعجم

انى اليك أبث الشوق فى لغة
هى الاحاسيس بالاخلاص تتسم
هى المشاعر تحكى كل ما شغلت
به حنايا فؤاد ملؤه ألم
تحكى أحاديث نفس لست أكتمها
وما أريد لها من بعد تكتتم
فقد تجافيت نومى حين أرقنى
صوت من القدس دوى كله ألم

هيا الى الحق يا قومى . فلا تهنوا
فما وهنتم . ولا هانت لكم قيم
فقد تركت لكم فى القدس معركة
فيها لهيب بنار الثأر يضطرم
وقد جعلت لكم فى أرضها فتنا

هيا اليه ففيه الجود والكرم
لا تتركونى وشأنى اننى قبس
لا تستضىء به من غيركم أمم
يا موطن النور أن الحق منتصر

وسوف بالحق والايمان نقتحم
سنكتب النصر بالاصرار مؤتلقا
فوق الثريا وسحقا للالى ظلموا
وننشر النور فى الافاق نعلنه
على الخليقة لا جور ولا نقم
صنيعة الظلم اسرائيل باغية
على الاباة وانا سوف ننتقم
هذى فلسطين هبت وهى شامخة
على رباها فرفرف أيها العلم
هيا فلسطين للتحرير نحن بنا
شوق الى بيتك القدسى يضطرم

حديث مقاتل

أنا مؤمن بقضيتي

الشاعرة روحية القليني

شعر روحية القليني

أنا صامد فى جبهتى
حتى أرد الحق حق بلادى
أنا مؤمن بقضيتى مهما
يطل ليلى وعنف جهادى
ومقاتل حتى انتصارى
فى الجهاد ولو على استشهادى
هى قصة الوطن الحبيب
– أنا الفداء – يطول فيه سهادى
فى البر أو فى البحر أو فى
"جو "أنى كنت أحمى الوادى
من ذا الذى يحمى العرين
الحر أو يفديه كالاساد
من ذا يصول ومن يجول
به لنصرته لصد العادى
انى له قدم البطولة
فى عروقى نابض وفؤادى

•••

انا لن أنام ولن أقر
وبين جنبى الجراحات المريرة
أن نمت فالتاريخ سوف
يخط فى أعماقه أقسى جريرة
أنا لن أعيش وفوق موطننا
الحبيب هنا عصابات حقيرة
أنا ان غفوت فمن ترى
للموطن الغالى هنا يرعى مصيره
انا لن انام وكل ثانية
تهددنى دعايات خطيرة
انا ان غفوت فمن يذود
عن الديار هنا وافراد العشيرة
يا موطنى وأحب غال فى
الوجود لدى فى الدنيا الكبيرة
هم ذا بنوك تجمعوا ومشوا
الى الهيجاء فى حشد المسيرة
يتسابقون الى الجهاد
الحق فى لهف وفى همم قديرة
وتهون كل التضحيات
لموطنى مهما تكن فيه كثيرة
لاعيش مرفوع الجبين
بموطن ساظل ما أحيا نصيره

أخلاقيات القتال

ان ماحدث فى أبى زعبل ، وفى بحر البقر يجسد حقيقة ومعانى واهداف الصراع بيننا وبين العدو الصهيونى ، نحن نعمل من أجل البناء ومن أجل السلام . والعدو يعمل من أجل الهدم ، ومن أجل الفناء . نحن نبنى طاقة الحياة والامل والحرية . والعدو يفجر القوى المدمرة للقتل والحرق والخراب . هذه هى حقيقة الصراع كما أشار اليها الرئيس جمال عبد الناصر فى عيد العمال يوم أول مايو .

ان ما حدث ليس جديدا على صراع أمتنا مع العدو الصهيونى ، وانما هى شخصية العدو وطابع العدو ومنطق العدو والقانون الذى يحكم كل تصرفاته قبل الغارة على مصنع أبى زعبل ومدرسة بحر البقر بعشرات السنين ، وسوف يستمر حتى نتمكن بعون الله واذنه من أن نحقق أمل السلام قويا ودائما ، وهذا هو الدرس الذى لا يجب علينا أن ننساه .

ومن هذا المنطق أعود مرة أخرى للكلام عن أخلاقيات القتال عند الصهيونية ، وهو حديث يفرضه واقع الصراع وتطوراته ، وأبعاده ، لنؤكد معا ـ أخى القارىء ـ ان الكتب الدينية « كتاب العهد القديم ، والتلمود ، وبروتوكولات حكماء صهيون » بما تمثله لدى العدو الصهيونى باعتبارها القانون الذى يحكم كل تصرفاته ، ويأخذ عنها شخصيته وطابعه ومنطقه ، ودعاماته الخلقية والسلوكية ، تبرر له كل جرائمه ، وتأمره بالاحتلال والتوسع لانشاء الوطن القومى من النيل للفرات المتميز بالثقافة والعنصرية اليهوديتين ، وهى ما يقال عنها بأرض الميعاد . وما يرمز لها بانهاء حالة الشتات ، واعادة الشعب المختار الى أرضه المحدودة فى نصوص العهد القديم انفاذا لوعد الاله ابراهيم عليه السلام . ذلك أن معرفة العدو جزء لا يتجزأ من المعركة ومن حق كل مسلم أن يعرف ما فعله الصهاينة بالمقدسات الاسلامية والمسيحية ، وما سفكوا من دم الابرياء ، وأهدافهم سواء فى المدى القريب أو البعيد جدا ، ليتحدد دور كل منا فى المعركة ، وحتى يتحول الكم الى كيف .

والكلمة سلاح من أسلحة المعركة ، لا تقل خطورة عن الدبابة والطائرة ، وربما كان تأثيرها أقوى من كل ذلك . وبالصدق والمنطق يجب أن يخوض القلم معركته ليؤدى نصيبه فى مواجهة مفعول تخدير الدعاية الصهيونة التى لاتزال تصيب جزءا من الرأى العام العالمى ، ولنقلع عن الكلام الذى يضرنا اكثر مما ينفعنا .

والمتتبع لتاريخ الحركة الصهيونية يجد ترابطا وثيقا بين ما نراه اليوم ، وبين ما كان فى تاريخها القديم جدا .

ومن البداية أود أن أوضح أن كتاب العهد القديم الذى بين أيدينا الان دون منذ القرن السادس الى القرن الخامس قبل الميلاد ، بما يسمى عصر السبى وروى أحداثا ترجع الى عهد العشاء حوالى سنة ٢٠٠٠ ق . م وبذلك تكون وقائعها قد دونت بعد حدوثها بنحو ١٥٠٠ سنة ولا شك أنه قد أدخل عليه تعديلات وتغييرات كثيرة نظرا للاعتماد على الحفظ والنقل من الخلف الى السلف ، وبما يطابق أهواءهم وشهواتهم .

أما كتاب « **التلمود** » فانه من وضع علماء اليهود وحاخاماتهم ويتضمن مجموعة القواعد والوصايا والشرائع الدينية والمدنية وكذلك الشروح والتعليقات على التوراة ، ويصفونه بالوحى غير المكتوب الذى تركه موسى عليه السلام أو التوراة الشفاهية ، وقد جمع أول مرة سنة ١٥٠ م فى كتاب سمى « المشنا » ثم زيد عليه وأدخلت به حواشى كثيرة ، أدخلت على التلمود وأسموها « غاماراه » وكلمة « التلمود » تعنى كتاب تعاليم ديانة وآداب اليهود . وينزله الصهاينة منزلة أفضل من التوراة ، وجعلوا كلام حاخاماتهم أفضل من كلام الله عز وجل . لانهم يزعمون ان الله يستشير هؤلاء الحاخامات فى المسائل العويصة التى لا يستطيع حلها وحده فى السماء . تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .

أما **بروتوكولات حكماء صهيون** فهى مجموعة تعاليم وأسس الحركة الصهيونية التى تبين تخطيطها السياسى العام بهدف تمكين اليهود من الاستيلاء على الارض العربية من النيل الى الفرات أولا ثم الانطلاق بعد ذلك للسيطرة على العالم كله ، بدعوى أن الله قد استخلفهم على العالمين وأنهم شعبه المختار الذى يستحق الحياة وحده .

ومن هنا نبدأ فى تتبع هذه الكتب ، لنتعرف من خلال نصوصها على الفكرة القائلة بأن الرب وعدهم بالارض التى تفيض لبنا وعسلا لانهاء حالة الشتات.

..عند الصهيونية

الأستاذ
محمد حسن عبد العزيز

يقول كتاب « **العهد القديم** » ويكون متى أدخلك الرب أرض الكنعانيين والحيثيين والاموريين والحويين واليبوسيين التى حلف لابائك أن يعطيك أرضا تفيض لبنا وعسلا . أنك تصنع هذه الخدمة فى هذا الشهر سبعة أيام تأكل فطيرا ، وفى اليوم السابع عيد للرب .

ولذلك نجد أن اقامة الدولة اليهودية المتميزة بالثقافة والعنصرية اليهوديتين يعد فى نظرهم آمرا مشروعا استجابة لمشيئة الرب ، وانفاذا لوعد « يهوه » .

جاء فى سفر تثنية الاصحاح السادس : « ومتى أتى بك الرب الهك الى الارض التى حلف لابائك ابراهيم واسحق ويعقوب أن يعطيك الى مدن عظيمة جيدة لم تبنها وبيوت مملوءة كل خير لم تملاها ، وابار محفورة لم تحفرها ، وكروم وزيتون لم تغرسها ، وأكلت وشبعت فاحترز لئلا تنسى الرب الذى أخرجك من أرض مصر من بيت العبودية » وفى الاصحاح السابع « متى أدخلك الرب الهك الى الارض التى أنت داخل اليها لتمتلكها وطرد شعوبا كثيرة من أمامك الحيثيين والجرجاشيين والاموريين والكنعانيين والفرزيين والحويين واليبوسيين .. سبع شعوب أكثر وأعظم منك ، ودفعهم الرب الهك أمامك وضربتهم فانك تحرمهم . لا تقطع لهم عهدا ولا تشفق عليهم ولا تصاهرهم بنتك لا تعط لابنه وبنته لا تأخذ لابنك ، لانه يرد ابنك من ورائى فيعبد آلهة أخرى فيحمى غضب الرب عليكم ويهلككم سريعا . ولكن هكذا تفعلون بهم تهدمون مذابحهم وتكسرون انصابهم وتقطعون سواريهم وتحرقون تماثيلهم بالنار ، لانك أنت شعب مقدس للرب الهك ، اياك قد اختارك الرب الهك لتكون له شعبا أخص من جميع الشعوب الذين على وجه الارض ، ليس من كونكم أكثر من سائر الشعوب ، التصق الرب بكم واختاركم لانكم أقل من سائر الشعوب ، بل من محبة الرب اياكم وحفظه القسم الذى أقسم لابائكم أخرجكم الرب بيد شديدة وفداكم من بيت العبودية من يد فرعون ملك مصر . فاعلم أن الرب الهك هو الله الاله الامين الحافظ العهد والاحسان للذين يحبونه ويحفظون وصاياه الى ألف جيل » .

وجاء فى سفر « تكوين » الاصحاح الخامس عشر : « فى ذلك اليوم قطع الرب على ابرام ميثاقا قائلا ، لنسلك اعطى هذه الارض من نهر مصر الى النهر الكبير نهر الفرات » .

وجاء فى سفر « حزقيال » الاصحاح التاسع والثلاثون : « لذلك هكذا قال السيد الرب الان أرد سبى يعقوب وأرحم كل بيت اسرائيل وأغار على اسم القدوس ، فيحملون خزيهم وكل خياناتهم التى خانونى اياها عند سكنهم فى أرضهم مطمئنين ، ولا مخيف عند ارجاعى اياهم من الشعوب وجمعى اياهم من أراضى أعدائهم ، وتقديسى فيهم أمام عيون أمم كثيرين يعلمون انى أنا الرب الههم باجلائى اياهم الى الامم ثم جمعهم الى أرضهم ولا أترك بعد هناك أحدا منهم ، ولا أحجب وجهى عنهم بعد لانى سكبت روحى على بيت اسرائيل يقول السيد الرب » .

وفى الاصحاح الاربعين : « فى السنة الخامسة والعشرين من سبينا ، فى رأس السنة فى العاشر من الشهر ، فى السنة الرابعة عشر بعدما ضربت المدينة ، فى نفس ذلك اليوم كانت على يد الرب ، وأتى بى الى هناك ، فى رؤى الله أتى بى الى أرض اسرائيل ودفعنى الى جبل عال جدا عليه كبناء مدينة من جهة الجنوب ، ولما أتى بى الى هناك اذا برجل منظره كمنظر النحاس وبيده خيط كتان ، وقصبة القياس ، وهو واقف بالباب فقال لى الرجل يا ابن آدم انظر بعينيك واسمع بأذنيك ، واجعل قلبك الى كل ما أريكه لانه لاجل ارادتك أتى بك الى هنا » .

والذى يتتبع باقى النص يجد أنه يستمر فى وصف بيت الهيكل ويحدد مقاييسه ومساحته ولمن شاء الاستزادة فعليه الرجوع الى الاصحاحين الواحد والاربعين والثانى والاربعين .

أما الاصحاحان الثالث والاربعون والخامس والاربعون فقد حددا الارض التى أطلقوا عليها من النيل الى الفرات ، وقسم الاصحاحان السابع والاربعون والثامن والاربعون هذه الارض بين الاسباط الاثنى عشر وحددا نصيب كل منهم ، وعلى سبيل المثال « هكذا قال السيد الرب هذا هو التخم الذى به تملكون الارض بحسب اسباط اسرائيل الاثنى عشر يوسف قسمان وتمتلكونها احدكم كصاحبه التى رفعت يدى لاعطى اياكم اياها . وهذه الارض تقع لكم نصيبا ، وهذا تخم الارض نحو الشمال من البحر

الكبير طريق حثلون الى المجىء الى صدد حماه وبيروثه وسبرائم التى بين تخم دمشق وتخم حماة وحصر الوسطى التى على تخم حوران ويكون التخم من البحر حصر عينان تخم دمشق وجلعاد وأرض اسرائيل الاردن من التخم الى البحر الشرقى تقيسون وهذا جانب المشرق وجانب الجنوب يمينامن تامار الى مياه مريبوث قادش النهر الى البحر الكبير ، وهذا جانب اليمين جنوبا ، وجانب الغرب البحر الكبير من التخم الى مقابل حماة وهذا جانب الغرب ، فتقتسمون هذه الارض لكم لاسباط اسرائيل ، ويكون أنكم تقسمونها بالقرعة لكم وللغرباء المتغربين فى وسطكم الذين يلدون بنين فى وسطكم ، فيكونون لكم كالوطنيين من بنى اسرائيل يقاسمونكم الميراث فى وسط اسباط اسرائيل ، ويكون أنه فى السبط الذى فيه يتغرب غريب هناك تعطونه ميراثه يقول السيد الرب » •

وقد سجل هرتزل فى مذكراته مطامع اسرائيل المستمدة من كتاب العهد القديم وتشمل سيناء وشرق الاردن ولبنان وسوريا وقبرص ، وكان ذلك قبل وعد بلفور •

والمطلع على كتاب العهد القديم يجده أنه قد حدد الطريق الذى يسلكه الاسرائيليون بطريق الغزو والقتل ، وفى سنة ١٩٥١ قال ايجال آلون « لا تقنعوا بما استوليتم عليه فان علينا أن نضاعف الجهد حتى نحقق كل ما نصبوا اليه » وصرح وزير خارجية اسرائيل الاسبق لجريدة « جيزاليم بوست » بأن اسرائيل لن يكتب لها البقاء ما لم تشن حربا وقائية ضد الدول العربية ، وتمد حدودها داخل أراضى هذه الدول حتى تضمن سلامتها •

وفى سنة ١٩٥٥ أعلن مناحم بيجن فى مؤتمر المحاربين القدماء « ان الاعداء يحيطون بنا من كل جانب ، وأن لم نبادر بمهاجمتهم فى عقر دارهم ونحطم قوتهم الحربية سبقونا هم الى تحطيم اسرائيل ، فعليكم يقع واجب المحافظة على الوطن وتوسيع حدوده • ويقول فلاديمير جابوتنسكى « سنطرد العرب من فلسطين وشرق الاردن ، وسنقذف بهم الى صحاريهم وسنقيم الدولة اليهودية على ضفتى الاردن أولا ثم نمتد بها الى ماوراء حدود فلسطين » ويقول بيرنشتين وزير التجارة والصناعة « على الشعب أن يقلل استهلاكه ويتكتل وراء زعمائه استعدادا للساعة الفاصلة التى نمحوا فيها الدول العربية من الوجود » • ويقول أيضا « ان على اسرائيل ان تبدأ بالهجوم على العرب فى حرب خاطفة قبل أن يكون فى استطاعتهم أن يقضوا علينا » •

فاذا عدنا الى بروتوكولات حكماء صهيون لوجدنا نفس المفاهيم ، فالبوتوكول الرابع عشر يبين بجلاء العداء الصريح لكل الاديان « متى ولجنا أبواب مملكتنا ، لا يليق بنا أن يكون فيها دين آخر غير ديننا ، وهو دين الله الواحد المرتبط به مصيرنا من حيث كوننا الشعب المختار ، وبواسطته ارتبط مصير العالم بمصيرنا ، فيجب علينا أن نكنس جميع الاديان على اختلاف صورها ، » أما البروتوكول الخامس عشر فيوضح نية الغدر والخيانة والاتجاه الى القتل « وسنذبح بلا رحمة جميع الذين يحملون السلاح ليقاوموا الانضواء الى مملكتنا » •

والمعروف أنه سوف لا يحمل السلاح سوى أصحاب الارض المغتصبة الذين سيحاولون استرداد أراضيهم •

ومن هنا فان اسرائيل سوف لا تقنع الا بالحدود التى رسمتها لها نصوص العهد القديم والتى عبر عنها بن جوريون بقوله « ان الامبراطورية الاسرائيلية سوف تمتد من النيل الى الفرات » •

وقول ديان « ان الجيل الحالى وضع حدود سنة ١٩٦٧ وعلى الجيل القادم تحقيق دولة اسرائيل الكبرى من النيل الى الفرات » •

ولذلك نجد أن قادة اسرائيل يرفضون تنفيذ قرار المنضمة الدولية ، بينما يتشدقون بعبارات السلام والحدود الامنة ، ويرفضون فى نفس الوقت فكرة الانسحاب نهائيا ، ولا يبغون من وراء ذلك الا اجبار العرب على التفاوض المباشر ، مع علمهم استحالة ذلك ، فلم يحدث فى التاريخ أن تفاوضت أمة مع عدو لا يزال يحتل أرضها ، ثم انهم يرون ان عامل الوقت سيكون فى صالحهم ، اذ يكون الاحتلال أمر واقع على العرب أن يقبلوه، وكل ذلك كما عبر عنه الرئيس جمال عبد الناصر أن يكون مادة للدعاية لتضليل الرأى العام وايهامه بأن اسرائيل تريد السلام ، والعرب يريدون القتال ، والغريب أنهم يصرحون أن القدس والجولان والخليل وبيت لحم وغزة والضفة الغربية غير قابلة للتفاوض • فعلى أى شىء اذن يكون التفاوض ؟

الا يكون معنى هذا هو التسليم بالاعتداء واعطاء المعتدى ثمرة اعتدائه أو تكون مائدة المفاوضات مائدة استسلام يفرض فيها الغالب على المغلوب ارادته •

ان اسرائيل حينما تلجأ الى ذلك فانما هى تتبع عقيدتها التى تأمرها بذلك، فهم يؤمنون بالأخلاق فى النضال، وان عليهم ولوج كل السبل التى تخدم قضيتهم كالغش والنفاق وشراء الذمم ، وقد جاء فى البروتوكول الاول « واذا قال قائل مدفوعا بنزعة من التحرر ان مثل هذه المناقشات لا تتفق والاخلاق ، فاننى خليق بأن أطرح عليه السؤال التالى لماذا لا يعتبر عملا غير أخلاقى ذلك الذى تعمد اليه دولة يناوئها عدوان من الخارج أو الداخل ؟ فتستخدم كافة السبل للقضاء عليها ، كأن تلجأ الى خطط الدفاع السرية ، أو الهجمات الليلية بقوات متفوقة ؟ لماذا يعد

هذا فى الحقيقة عملا يجافى الاخلاق اذا عمدت الدولة اليه ضد الذى يعمل على تقويض أركانها والقضاء على رخائها .

وتقول أيضا « ان خير النتائج التى يراد تحقيقها من التسلط على الغويم (غير اليهود) انما يكون بالعنف والارهاب لا بالمجادلات النظرية المجردة » وأيضا « مدار السياسة غير مدار الاخلاق ، والحاكم الذى يخضع لمنهج الاخلاق لا يكون سياسيا حاذقا ، وأما الحاكم اللبيب فيجب أن تتوفر فيه صفتان ، الدهاء النافذ والمكر الخادع .

وفى الايام الاخيرة ، طرحت مسألة انشاء وطن يعيش فيه اليهود جنبا الى جنب مع العرب وانهاء حالة الحرب القائمة ، وهذا الكلام ايضا لا يعدو أن يكون مادة للدعاية لانه ينافى جوهر الحركة الصهيونية للاسباب الاتية :

أولا – لان معنى ذلك أن تتخلى اسرائيل عن كل مقوماتها الدينية ومن أهمها فكرة أرض الميعاد وايقاف الهجرة الى اسرائيل .

ثانيا – انهاء فكرة القومية الدينية .

ثالثا – الغاء فكرة أن وجود اليهود فى أي مكان من الدنيا بعيدا عن اسرائيل انما يعيشون فى منفى أو فى حالة شتات، وبالتالى فان عليهم أن يندمجوا فى هذه الشعوب ويتخلوا عن الولاء المزدوج .

رابعا – سوف لايكون ثمة مبرر لفكرة الشعب المختار ، وبالتالى انهاء العداء القائم مع الاديان الاخرى .

ان اسرائيل قامت بالحرب وتستمد وجودها بالقتل والابادة ، وشريعتهم تبيح لهم ذلك يقول الحاخام «رشى » « أن الكاهن يمكنه أن يبارك الشعب باليد التى قتل بها شخصيا وسواء أكان القتل بقصد أو بغير قصد ، ذلك أن قتل غير اليهودى لا يعد جريمة بل هو من الفضائل التى يقبلها الله بقبول حسن ويثيب فاعلها . » ويقول « ممیانود » « الشفقة ممنوعة بالنسبة للوثنى فاذا رأيته واقعا فى نهر أو مهددا بخطر محظور عليك أن تنقذه منه لان الشعوب السبعة التى كانت فى أرض كنعان والمطلوب من اليهود قتلها لم تقتل عن آخرها ، بل هرب بعض أفراد منها واختلطوا بباقى أمم الارض » والاحتمال أن يكون أى فرد فى أى مكان من أبناء هذه الشعوب دعا ميمانود الى قتل كل من ليس يهوديا وحذر من لا يفعل ذلك مخالفة الشرع .

وتحاول الدعاية الصهيونية ايهام الرأى العام بأن الحرية الدينية مكفولة لكل الطوائف وهذا أيضا كلام للدعاية ، ذلك أن مئات المساجد والكنائس قد هدمت ومنع المسلمون والمسيحيون من أداء شعائر عباداتهم ، ونكل برجال الدين وعذبوا واخرجوا الى الشوارع عرايا تماما وقد قام رجل الكنيسة الامريكى الدكتور « د. بيكو » وهو أحد زعماء الكنيسة البروتستنتينية فى اسرائيل بتوزيع منشور بعنوان (لقد فقد الدين احترامه) انتقد فيه بقسوة الاضطهاد الدينى فى اسرائيل .

فلم يكن غريبا اذن أن يعتدى هؤلاء على بيت المقدس ، لان نية هدمه قديمة ففى سنة ١٩٢٩ صرح الزعيم الصهيونى « جلوزنز » بأن المسجد الاقصى القائم على قدس الاقداس فى الهيكل ، انما هو لليهود . وجاء فى دائرة المعارف اليهودية أن اليهود يبغون أن يجمعوا أمرهم على أن يعيدوا العبادة الى الهيكل ، ويقيموا ملكهم هناك .

كما جاء فى الموسوعة البريطانية أن اليهود يتطلعون الى اجتماع الشعب فى فلسطين واستعادة الدولة اليهودية ، وأعادة بناء الهيكل واقامة عرش داود فى القدس ثانية وعليه أمير من نسل داود .

وفى تصريح للورد « ملتشت » قال متفائلا أن اليوم الذى سيعاد فيه بناء الهيكل أصبح قريبا جدا ، وانني أكرس ما بقى من حياتى لبناء هيكل سليمان مكان المسجد الاقصى .

ولذلك – قامت العصابة الصهيونية بتحطيم الجدار الفاصل بين القدس المحتلة والقدس العربية . ثم قاموا بعد ذلك بالتنقيب حول البيت حتى تأثرت جدرانه وأكملوا جيرمتهم بحرقه حتى أصبح آيلا للسقوط . ثم كان قرارهم بضم القدس وتهويد الكثير من الاماكن المقدسة . أليس فى ذلك دليل على العداء الصريح لكل الاديان .

ولم يكن غريبا أيضا ذلك الاعتداء الوحشي على أطفال مدرسة بحر البقر الذى لا يتجاوز عمر أكبرهم احد عشر عاما ، وبناء المدرسة ذلك المقام بالطوب النىء تهاجمها الطائرات وتقذفه بكل حمولتها من القنابل الثقيلة فتحيله الى كومة من الانقاض . تختفى تحتها أجساد أطفالنا الصغار الذين لا يستطيعون رد الاذى عن انفسهم ، ولا سلاح في أيديهم سوى القلم والكتاب . واستشهد ٤٦ ولا يزال بعض الجرحى يعالجون حتى الان . وأنك لتعجب – أخى القارىء – وانت تستمع الى هؤلاء الصغار تأكيدهم بناء المدرسة بجهودهم دون تدخل من الدولة ، وتحنى رأسك اجلالا لتلك الطفلة الصغيرة وهى تقول لك سنقتل هؤلاء القتلة وسنثأر لزملائنا ، وفى ايمان عميق شاهدت آباء المستشهدين يقفون الى جوار الاطفال الجرحى يلبون طلباتهم ويسعون للتسرية عنهم ، فالكل أبناؤنا والكل أبناء مصر والمصاب مصاب الامة العربية كلها .

وقد حاول الصهاينة كعادتهم التنصل من هذه الجريمة وأخذت أبواق الدعاية الكاذبة تضلل الرأى العام بأن الموقع المهاجم كان عسكريا ، ولكن الدنيا بأسرها قد عرفت الحقيقة وكشفت زيفهم وكذبهم ، ولكن ماذا يفيد اثبات التهمة ضدهم ؟ وماذا فعلوا من قبل وقد ثبتت عليهم آلاف التهم . فقد بلغت الاعتداءات الاسرائيلية فى الفترة من ٤٨ الى ١٩٦٢ على قطاع غزة ١٨٠٢ اعتداء وخلال الفترة ما بين ٥٧ الى ١٩٦٣ على سوريا والاردن ولبنان ١٨٣١٢ للاولى و ٢١٣٠ للثانية و ١٣٣ للثالثة ، وصدرت قرارات مجلس الامن بادانتهم فى ٢ ـ ١١ ـ ٥٣ عند مهاجمتهم قرية قبية . وفى ٢٩ ـ ٣ ـ ١٩٥٥ لاعتدائهم على غزة وفى ١٩ ـ ١ ـ ٥٦ لمهاجمتهم المخافر العربية فى طبرية فماذا فعلوا ؟

وقد نهى الاسلام عن قتل الاطفال ولو كانوا من ابناء العدو ، فلا يد لهم فى القتال ونهى أيضا عن قتل العمال لان الحرب محصورة بين الجيوش ، لا تتعداها الى المدنيين فى ديارهم ومصانعهم ومدارسهم ،وحدث أن قتل بعض جند المسلمين طفلا من أبناء العدو فلما علم النبى صلى الله عليه وسلم غضب غضبا شديدا وعنف جنده محذرا اياهم قائلا « ما بال قوم قد جاوز بهم القتل حتى قتلوا الذرية ، ألا لا تقتلوا الذرية ، وكررها ثلاثا .

وفى وصية من وصاياه صلى الله عليه وسلم لجنوده قبل بدء القتال « لا تقتلن عسيفا ولا ذرية »

وكان هذا الحديث الشريف قد جمع الحادثين معا ، أبى زعبل وبحر البقر . لان العسيف هو العامل فى الزراعة أو التجارة أو غيرها .

ان العدو الصهيونى لايعرف سوى القتل وسوى العدوان ، ونحن ننتظر منه أن تتكرر أمثال هذه الحوادث لان هذه طبيعته وهذه عقيدته ، واله الشعب المختار يريد أن يقدم للاله مزيدا من القربان للحصول على مزيد من الثواب .

لقد أعطى العدو الصهيونى للمعركة أبعادا جديدة ، فأسقط خط وقف اطلاق النار تماما وليس أمامنا الا أن نقبل هذا التصاعد دونتحمل أخطاره ، فلم يعد القتال محصورا بين القوات المسلحة ، وانما أصبح القتال شاملا وليس منا من هو بعيد عن المعركة وأرض الامة العربية كلها لم تعد أيضا بعيدة عن المعركة ، والدليل على ذلك الاعتداء الاخير على لبنان والعدو الصهيونى قد أعلن من قبل انه يريد ابادة العرب جميعا .

واسرائيل تريد أن تأكل العرب كما يأكل الذئاب الغنم ، كما يقول البروتوكول الحادى عشر « الغويم قطيع من الغنم ونحن ذئابهم ، وأنتم تعلمون ماذا يحل بالغنم اذا هاجمها الذئاب وأقول سوف لا نكون نعاجا حتى لا تأكلنا الذئاب .

بقية مقال « وقفات اسلامية »

الى كل بيت علم .. والى قلوب الامهات والاباء والشباب وحتى الاطفال .. فنحولها الى طاقة قتالية نضالية جديدة .. تزيد من حماستنا وقوتنا وايماننا ..

ان اطفال مدرسة بحر البقر يمثلون جيلا من الاطفال فى بلادنا أراد أن يضحى قبل النضج .. فقد سارعت هذه الطفولة البريئة قبل الاوان .. بأن تضحى بنفسها لتبقى حرة ثائرة مناضلة ..

ان هذه الغارات التى تشن على الابرياء والضعفاء .. وتقتل النساء والاطفال .. وتحرق آخرين .. لتحطم روح ثوريتهم وايمانهم الراسخ بمبادئهم ومثلهم العليا .. وبوطنهم العربى الكبير المملوء عزة وكبرياء .. لن تكون الا سهاما مسددة فى قلوبهم الحاقدة ..

وعلينا أن نشهد العالم الحر أن هذه الدماء الخالدة .. خلود الزمن .. هى انشودة النصر يعزفها المقاتلون مع موسيقى العواطف الجياشة الهادرة الثائرة .. حتى تذلل الصعب ونضرب البعيد ..

هنا لنا وقفة طويلة .. كلها عبرة .. وتذكر . وتأمل . حتى لا ننسى الثأر من المعتدين الصهاينة الذين لا يعرفون سلاما قائما على العدل .. ورحمة بالطفولة البيضاء الملائكية .. قدسية لنضال الاحرار .

الإيمان و العمل

الأستاذ عبد الرحمن السحيتي

ان وجود طاقات التقدم والازدهارمتوقف على :

١ ــ قوة دافعة لاتعرف الخور .

٢ ــ وتطبيق تكنولوجى لا يعتريه توقف. ولابد وان تتلاقى الناحيتان

١ ــ ناحية القوة الدافعة وهى الايمان الصادق المنبعث عن عقيدة راسخة .

٢ ــ وناحية التطبيق وهو العمل المنبثق عن هدى وتفكير لا يضل .

وعلى قدر رسوخ العقيدة وعمق الايمان يكون نوع العمل وبروز ثمرته . من اجل ذلك نجد القرآن الكريم فى جملة من آياته يقرن بين العمل والايمان منها قوله جل شانه .

ومن يعمل من الصالحات من ذكر او انثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنـــة ولا يظلمون نقيرا .

فالايمان زاد يدفع المؤمن الى الاستقامة على طريق الحياة السوى . ورقابة تتطلب منه اتقان الصنع فيما قدمت يداه . وعزاء وراحة وعوض لمن جدوا وكدوا ولم ينالوا فرصة الظفر بالمنى والجاه وطمانينة ورضا بما وعد الله من جزاء .

وعلى هدى من هذا الايمان يقدم الانسان على اصلاح الحياة وعمارة الكون . بروح صادقة وثابة لا تثنيه عن عزمه المصاعب . ولا تصده عن قصده المتاعب . كالصخرة الصماء الراسخة امام الرياح العابثة . فاذا ما اضناه طول المسير . وناءت طاقته بعظيم الامور . استمد من ايمانه برد الراحة والاطمئنان والاستقرار والامان . ووجد منها الدافع الذى يحفزه دائما الى الاقدام .

« الا بذكر الله تطمئن القلوب »

والايمان بالله يمنح المسلم عزما صادقا. وارادة قوية لا يتطرق اليها يأس . ولا يعتريها فتور او قنوط « قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون » .

والايمان بالله فى جوهره . دعوة الى العزة والكرامة . واباء للضيم . وسيادة وكمال . ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين .

كما انه دعوة الى نبذ الجهل والعصبية. ورفض الاستعلاء والعنصرية والقضاء على الاستغلال والانتهازية . والعمل على تحرير الانسان من ظلم اخيه الانسان لتتحقق لهم الاخوة والمساواة وصدق الله العظيم اذ يقول : قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولانشرك به شيئا ولايتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون .

ومن ثم كانت العقيدة الاسلامية بيانا لوحدة الخليقة ، واقامة العدل والمساواة بين الناس على اهدى طريقة . واقوم سبيل فالقوى مهما يبلغ من قوته . والضعيف مهما يصل فى ضعفه . والغنى وان امتلأت خزائنه . والفقير وان جفت موارده فهم متساوون . وبشر متحدون . يجمع بينهم الخضوع لسطان الواحد الاحد .

ان الحكم لواحد . رب السموات والارض وما بينهما ورب المشارق .

وليس الايمان ادراكات نظرية . او معارف قولية فحسب . وانما هو فوق ذلك وجدان وانفعال . والتقاء واتصال .وتذوق ومناجاة . ومراقبة لله فى عمل واتجاه . ولا يزال المؤمن يراقب ربه حتى تصبح كل ميوله وجميع رغباته . ودوافعه وعواطفه .. تبعـا للتعاليم النورانية . ووفقا للارشادات القرآنية . وهنا تكمل عقيدته. وتصفو سريرته ويصلح عمله . روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال:

لايؤمن احدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به .

والمجتمع الاسلامى الذى تنبض قلوب المسلمين فيه بالايمان الهادر . والعقيدة الصحيحة . لايمكن للمادة ان تسيطر على الافكار والاعمال . والتصرفات والاخلاق سيطرة تشبه فى قليل او كثير ما يعانيه العالم اليوم من قلق واضطراب ونصب وعذاب من جراء سيطرة المادة . وانقلاب زمام الاهواء والشهوات ذلك الانقلاب الذى اوقع العالم فى صراع مرير . وشقاء كبير لا نجاة له منه الا اذا استهدى بالاسلام . دين الحق . والعدل . والخير . والسلام. قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين . يهدى به الله من اتبع رضوانه سـبل السـلام ويخرجهم من الظلمـات الى النـور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم .

واذا كان الاسلام قد اعطى للعقيـدة والايمان هذا الشان كله فانه اعتبر العمل مظهرا لها . وعنوانا عليها . فالايمـان بدون عمل كروح بلا جسد يدل على ذلك الاثر الحكيم . ليس الايمان بالتمنى . ولكن ما وقر فى القلب وصدقه العمل . وان قوما غرتهم الامانى وقالوا ــ نحن نحسن الظن بالله واخطئوا ، لو احسنوا الظن لاحسنوا العمل .

ولهذا رسم الاسلام لمتبعيه منهجا علميا عمليا . وخط لهم طريقا سويا يكفل صلاح الفرد والجماعة وينشر فى ربوع العـالم الخير والفضيلة والمحبة والسلام . ففرض على المسلم من انواع الطاعات . وصنوف القربات مايطهر النفس ويزكيها . ويربى

لديها بواعث الخير وينميها . ويعصمها من جموح الهوى وتسلط الشهوات فيتغلب دافع الايثار على نزعة الانانية . وتحل روح التعاون محل النزعة الفردية .فينطلق المسلم بوحى من داخله . وسلطان من عقيدته الى العمل من اجل الخير الاسمى والنفع العام باعتباره عضوا فى الاسرة الانسانية ينبغى عليه ان يجلب لها الرخاء والخير ويرد عنها القلق والعناء والشر . لا يضيره ان يقابل عمله بالشكر . او يتلقى حسن صنيعه بالنكران ويستوى لديه حال الحب والرضا بحال الغضب والبغضاء .

بل نجده يتسمو على هذا فيفر الى خالقه يابى ان يجازى من الناس علىصنيع صنعه لان غايته امتثال أمر الله رب العالمين .

« روى أن مسلمة حاصر حصنا فندب الناس الى نقب منه فما دخله احد . ثم جاء رجل من عرض الجيش فدخله ففتحه الله عليهم . فنادى مسلمة . اين صاحب النقب ؟ . فما جاءه احد . فنادى . انى قد امرت الاذن [الحاجب] بادخالهساعة يأتى . فعزمت عليه الاجاء . فجاء رجل فقال : [للحاجب] استاذن لى علىالامير فقال له : انت صاحب النقب ؟ . فقال : أنا اخبركم عنه . فأتى [الحاجب] مسلمة فأخبره عنه . فأذن له فقال له : انصاحب النقب يأخذ عليكم ثلاثا :

١ — الا تسودوا [اىلاتكتبوا] اسمه فى صحيفة « الى الخليفة » .

٢ — ولا تأمروا له بشىء .

٣ — ولا تسالوه من هو . قال [مسلمة] فذاك له . قال : انا هو [ثم ولى مسرعا] فكان مسلمة لايصلى صلاة الاقال : اللهم اجعلنى مع صاحب النقب » .

وما عرفت الاجيال صحائف من روعة وجلال كتلك التى سطرها محمد صلى الله عليه وسلم فى تاريخ البشر . عظة لمن تدبر واعتبر . وصاغها مقالة رشد ووصية هدى لتكون نبراسا للعاملين فى العالمين . واملا للقانطين .

روى ان رجلا قال : يارسول الله . ان لى قرابة اصلهم ويقطعوننى . واحسن اليهم ويسيئون الى .واحلم عليهم ويجهلون على فقال : « ان كنت كما قلت فكانما تسفهم المل [أى تطعمهم الرماد الحار او الحجر] ولايزال معك من الله ظهير عليهم مادمت على ذلك » .

ولقد دعا الاسلام الى العمل الصالح البناء . وحصن طريق العاملين برقابة من سلطان الايمان . وحراسة من يقظة ضمير الامة الواعية المؤمنة ليكون فى ذلك ضمان من الانحرافات . ووقاية للعاملين من خطر الخلاف قال تعالى « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون » .

وكما جعل الاسلام من العقيدة دعامة وحدة . فقد اقام من الاعمال اسباب الفة ومودة . والعمل الصادر عن ايمان : صيانة للامة من القلق والفساد ومحافظة على امنها وسلامتها . ودفع للشر والاذى عن ساحتها . ورفع للظلم الاجتماعى عن كاهلها . واخذ بيدها — فى طريق التقدم والنهوض — الى مستوى القمة . ومركز القوة . فهو اتفاق فى الوسيلة والغاية وتعاون فى سبيل الهدف المقصود والامل المرجى . وتآزر وتناصر من أجل تحصيل الرخاء والمنفعة وحيازة الشرف والرفعة . والبعد عن عوامل النقص والضعة قال تعالى .« وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان ، واتقوا الله ان الله شديد العقاب » .

والعمل الاسلامىتعميق لاصول العقيدةفى قلوب المؤمنين بحيث يبقى الايمان ماثلا فى الوجدان . لا تزاحمه شكوك . ولا يطغى عليه نسيان . والايمان يستمد من العمل الخالص قوة وثباتا . ونصرة واشراقا . والعمل يستمد من الايمان سهولة ويسرا عند العودة اليه مرة اخرى قال تعالى : « واستعينوا بالصبر والصلاة وانها لكبيرة الا علىالخاشعين الذينيظنون انهم ملاقوا ربهم وانهم اليه راجعون » .

والاسلام وهو منهج حق ورسالة صدق ونظام صلاح وفلاح. لايكون تنفيذهبمعسول القول مع الغفلة والبعد عن تطبيقه بالفعل ولكن تنفيذه يكون بالسعى الى معالى الامور وكرائمها . والعناية بجوهر الاعمال وحقائقها : أما الادعاء وحده فليس من الاسلام فى شىء قال تعالى : « يا ايها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون . كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون » .

والدعاوى التى يكون ظاهرها الرشاد وباطنها الفساد . ياباها الاسلام ويرفضها ولو كانت باسم الاسلام نفسه . يحدثنا القرآن الكريم عن قوم رفعوا اسم الاسلام شعارا لاطماعهم . واحكاما لمكرهم فهتك الله سترهم وفضح على مسمع الناس كيدهم وسجل عليهم فى محكم التنزيل كذبهم وبين لرسوله امرهم فقال تعالى :

« اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون » .

ولقد فرض النبى صلى الله عليه وسلم على تفهيم أمته ان الدين ليس اعتكافا فى مكان ولا ابتعادا عن الناس . وانما هو ايمان وعمل — سمع صلى الله عليهوسلم اصحابه ذات يوم يثنون على رجل فقالوا: ان فلانا يصوم النهار ويقوم الليل ويكثر الذكر . فقال : ايكم يكفيه طعامه وشرابه؟ فقالوا : كلنا يارسول الله . فقال . كلكم خير منه .

وبهدى منه صلى الله عليه وسلم وجههم الى العمل المنتج . فما كان يدع فرصة تمر دون ان يكون له نصح سديد.او هدى رشيد . « جلس ذات يوم مع اصحابه فنظروا الى شاب قوى قد بكر يسعى . فقالوا : ويح هذا . لوكان شبابه وجلده فى سبيل الله . فقال صلى الله عليه وسلم : لا تقولوا هذا فانه ان كان خرج يسعى على ولده صغارا فهو فى سبيل الله .وان كان خرج يسعى على ابوين شيخين كبيرين فهو فى سبيل الله . وان كان يسعى رياء ومفاخرة فهو فى سبيل الشيطان » .

وصدق الله العظيم حيث يقول « وابتغ فيما اتاك الله الدار الاخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا واحسن كما احسن الله اليك ولا تبغ الفساد فى الارض ان الله لايحب المفسدين » .

واننا الان فى معركة مع الصهاينة الذين ملاوا قلوبهم بالحقد على كل من سواهم من ابناء البشر . لذا فنحن مطالبون ببذل الجهد ومضاعفة الدخل مع اخلاص فى العمل ومراقبة الله . فانما يتقبل الله من المتقين . كما ان علينا ان نبذل غاية الجهد فى سبيل الله لا سترداد حقوقنا . واستعادة لارضنا وارجاعا لحريتنا الى كمالها بوازع من ايماننا واخلاص من ضمائرنا . وحافز من اسلافنا ، ومراقبة لله الذى يعلم السر واخفى ، وصدق الله حيث يقول : « للذين احسنوا فى هذه الدنيا حسنة ولدار الاخرة خير ولنعم دار المتقين » .

فالجندى المجاهد بسلاحه . والصانع المجاهد بانتاجه . والزارع المجاهد بفرسه والاستاذ المجاهد بعلمه . والام المجاهدة باعداد لبنات المجتمع . وعلى وجهالعموم الامة باسرها . كل فى ميدان عمله . تستطيع باعمالها مع ايمان صادق فى القلوب ان تنتج قوة لا تقهر . ترهب عدو الله وعدوها . وتستحق معها الاستخلاف فى الارض . كما قال سبحانه : « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا » .

على مشارف القرن الخامس عشر الهجري

ماذا أعطى المسلمون للعلم والحضارة؟

الأستاذ أنور الجندي

مازال تاريخ الاسلام الخصب قادرا على العطاء للمسلمين والعرب في كل ميدان وفن ، تجربة وتذكرة وعبرة ، وضوءا كاشفا على أحداث العصر ووقائع الحاضر ، ومطامع المستقبل • وما تزال صور « البطولة » فيه ابرز الصور وأبهرها وأكثرها أسرا للنفس المسلمة العربية ، وفى مجال (الفكر) بطولة لها طابعها ، كما فى مجال (القيادة من حرب وحكم وبناء أمم) بطولة أخرى لها طابعها وروحها ، ونحن فى مجال الفكر نجد ذلك الايمان العميق بالله قائم الى جانب تعمق مفاهيم العلم وأدواته ، لا ينفصلان ، ونجد العلم نفسه قائما على الاخلاق ، كل نماذج النوابغ والاعلام فى مجال الفكر الاسلامى تعطى هذه الدلالة وهذا الاتجاه •

ايمان صادق بالله ويقين بأن العلم كله والعمل كله موجه اليه خالصا ، لا يلتمس به مطمع ولا جزاء ولا شهرة ، وانما يراد به خدمة الانسانية والمجتمع والناس ، ثم أن هذا (العلم) ليس علما دينيا خالصا ولكنه علم فى مختلف مجالاته ، مستمد من القرآن متصل منه ، فالقرآن هو الذى أعطى علماء المسلمين ذلك الضوء الكاشف الذى هداهم الى النظر فى الطبيعة والبحث فى الارض [**قل انظروا ماذا فى السموات والارض**) وهو الذى مضى بهم حتى انشأوا [المنهج العلمى التجريبى] الذى كشف آفاق المجهول فقدموا من خلاله اضافات جديدة تقدمت بها الانسانية حين نمتها باسم الحضارة الحديثة •

ويوم أنزل الله سبحانه ختام آى القرآن الكريم « **اليوم اكملت لكم دينكم** » كانت أصول الاسلام قد تمت ، فلم يجر اضافة شيء اليها من بعد ، ومنها نبع الفكر الاسلامى فى مختلف مجالاته العلمية والفقهية وفى جوانبه المتنوعة فى الاجتماع والسياسة والاقتصاد والتربية • وقد جرى المسلمون فى هذا المجال بدافع من مفاهيم الاسلام وقيمه الاساسية ، جرى المسلمون شوطا قبل أن يلتقوا بالفكر اليونانى الذى اتصل بهم حين ترجموا آثاره ، فأفادوا منه ، والتمسوا منه أسلوبا من اساليب النظر ، ولكنهم سرعان ما تجاوزوه ، الى أصولهم الاصيلة ، دون أن يحطمهم الفكر اليونانى أو يدخلهم فى بوتقته أو يصهرهم فيها ، كما فعل بالفكرين اليهودى والمسيحى حين اتصل بهما •

وحين نستعرض أعمال مفكرى الاسلام : سواء بناة هذا الفكر من أمثال : مالك وأبو حنيفة والشافعى وابن حنبل والبخارى ، أم من مجدديه ومصححى مفاهيمه امثال : الغزالى وابن حزم وابن تيمية وابن خلدون ، أو من أولئك الرواد البارعين الذين قدموا فنونا جديدة من أمثال : البيرونى ، والماوردى ، وابن الهيثم ، والخليل بن أحمد ، وغيرهم على مدى تاريخ الاسلام ، نجد خطا واحدا يربط هؤلاء جميعا ، ونجد روحا واحدة فى العمل والفهم ، وتماثلا فى السلوك والخلق ، يصدر عن استمداد واضح من القرآن ، ومن المثل الاعلى الانسانى « محمد صلى الله عليه وسلم » •

فالاسلام هو المصدر الاول للفكر الاسلامى ، والقرآن هو المنبع الاصيل الذى خرجت منه نظريتى : (المعرفة الاسلامية) و (المنهج العلمى

التجريبى (، والذى استمد منه (ابن الهيثم) نظرية الضوء ، و (ابن خلدون) مفاهيمه عن بناء المجتمعات ونموها وسقوطها وهو الذى هدى (الخليل بن أحمد) الى قوانين اللغة والموسيقى والشعر .

وأنت لا تستطيع بسبيل أن تدرس واحدا من أعلام الفكر الاسلامى ونوابغه منفصلا عن بناء هذا الفكر وحركة نموه ، ومكانه بين من سبقوه ومن جاءوا بعده ، ومهما كانت « اضافة » هذا العالم بالغة ما بلغت من الاهمية فانها انما تمثل حلقة فى خط طويل ، وتمثل التماسا اصيلا لمفهوم الاسلام .

ومن خلال النظر المتعمق الى حياة كل عالم أو نابغ من علماء الفكر الاسلامى ونوابغه ، تجد ذلك الخلق الكريم ، متمثلا فى التواضع البعيد المدى ، والتحقيق الصادق ، وذكر فضل السابقين حتى ولو كانوا من غير المسلمين ، فاذا تعارضت الاراء ، جرى عرض ذلك فى سماحة وحياء واغضاء ، من أجل الحق وحده وليس من أجل التفاخر والظهور ، وقد عرف هؤلاء العلماء تمحيص مادة البحث الى أعمق قدر ، وكراهية التعصب الى أبعد مدى ، وبذل الجهد للتحرر من المؤثرات ، والاحتياط أمام النصوص القديمة ، ونجدهم جميعا يمارسون العلم خالصا لوجه الله ، لا للتقرب الى الملوك والامراء ، ولا لكسب الجاه عند الناس ، حتى أن كثيرا منهم رفض الجائزة حين حملت اليه ، فزهد (البيرونى) فى حمل فيل من النقد الفضى ، وزهد (الخليل بن أحمد) فى الدنيا وأخلص العلم لله ، حتى أنه أقام فى خص من أخصاص البصرة لا يقدر على فلسين وتلاميذه يكسبون بعلمه الاموال : وكان يقول : (انى لاغلق على بابى فما يجاوزه همى) وهم يحفظون الود فلا ينسوه : وهذا ابن حزم يقول : ما نسيت ودا لى قط ، ويرد كل مزايا الانسان من علم أو ذكاء الى الله . ويرسم المثل الاعلى للاجيال فيقول : لا تبذل نفسك الا فيما هو أعلى منها وليس ذلك الا فى ذات الله عز وجل وفى دعاء الى حق .

أما فى مجال العلم فان أحدهم لا يقول أنه وصل الى الحقيقة ، ولكنه ساع فى طريقها ، فلا ينسب الى نفسه فضلا ، وأن أحدهم ليحتمل فى سبيل الحق كل تعذيب واضطهاد ، وقد يطول به ذلك سنوات فقد احتمل (أحمد بن حنبل) فى سبيل كلمة ، شقاء سنوات طويلة ، وترى منهم من يقول الحق لا يخاف الا الله ، ولا يخشى نقد الناس ، فاذا اهتدى الى الحق ، أعلن ذلك وعاد اليه ، ومن مثل هذه المواقف موقف (أبو الحسن الاشعرى) ، حين خرج من مفاهيم أربعين عاما وعاد الى الحق الذى هدى اليه ووقف فى المسجد الجامع بين الناس يقول ، كنت أقول كذا ، وأنا تائب مقلع ، قد انخلعت عن جميع ما كنت أعتقده كما انخلعت من ثوبى هذا .

وكان اغلب هؤلاء العلماء لايكسبون بعلمهم ، وقد كان ابن حنبل يأكل من ضيعة له ، والاشعرى يأكل من غلة أرض وقفها جده على عقبه .

واية التلاقى فى الخلق والفهم بين هؤلاء العلماء : جمعهم بين الدين والعلم فى مجال البحث ، ومنح المنهج العلمى طابع الخلق وفى هذا يقول ابن الهيثم : [**ليس بنا لفى الدنيا أجود ولا اشدقرابةالى الله من ايثار الحق وطلب العدل**) وهم الى ذلك لا يؤمنون بالتقليد ، ولكن يؤمنون بالنظرة المتجددة التى تضيف شيئا ، وتقدم للناس ما يدفعهم الى الامام ، وفق قاعدة الاجتهاد التى عرفها الفكر الاسلامى وحققها على خير وجه : يقول أبو حنيفة : اذا قلت قولا وكتاب الله يخالف قولى ، أترك قولى لكتاب الله ، قيل فاذا كان خبر رسول الله يخالف قولك ، قال : أترك قولى لخبر رسول الله ، قيل فاذا كان قول الصحابى يخالف قولك قال : أترك قولى لقول الصحابى ، قيل فاذا كان قول التابعى يخالف قولك ، قال : اذا كان التابعى رجلا فأنا رجل .

ويقول ابن حزم : [**ما مذهبى أن انضى مطية سواى ، ولا أتحلى بحلى مستعار)**

أما التقوى فقد كانت واضحة صريحة ، كان أحدهم اذا تعقدت أمامه المسائل ، ذهب الى المساجد القديمة فصلى بها واطال الصلاة ، وسأل الله ان يفتح له ، وكان أبو حنيفة اذا طال بحثه عن أمر ، استغفر الله وهرع الى الصلاة حتى ينفتح له باب البحث ويهدى الى الحق ، وكان البخارى يقول : ما وضعت فى الصحيح حديثا ، الا اغتسلت قبل ذلك وصليت ركعتين .

وكان الامام مالك يقول : انما أنا بشر أخطىء واصيب فانظروا فى رايى فكل ماوافق الكتاب والسنة فخذوا به وما خالف فاتركوه ، حق على من طلب العلم أن يكون فيه وقار وسكينة ، ان هذا العلم دين ، فانظروا عمن تأخذونه منه » ، وكان يقول : التواضع فى التقى والدين لا فى اللباس . »

وتصور حياة الامام البخارى ذلك الطابع العلمى الاسلامى فى التحقيق الدقيق والرحلة فى طلب العلم والكرامة فى اعلاء العلم عن الاهواء : يقول :

« أنا لا اذل العلم ولا أحمله الى أبواب السلاطين ، كتبت عن ألف وثمانين نفسا ، ومشيت على قدمى زيادة على ألف فرسخ ، وأحفظ سبعين ألف حديث ،

ولا أجيئك بحديث عن الصحابة والتابعين الا عرفت مولد أكثرهم ووفاتهم ومساكنهم ، ولست أروى حديثا من أحاديث الصحابة والتابعين الاوله أصل ، أحفظ ذلك عن كتاب الله ، وكل اسم فى التاريخ له عندى قصة . »

ويكشف الامام أحمد بن حنبل عن مهمة العالم الحقيقية حين يصور نفسه فيقول : أنا أطلب العلم الى القبر ، من المحبرة الى المقبرة ، اذا سكت العالم تقية ، والجاهل يجهل ، فمتى يظهر الحق ، لو أن الدنيا تقل حتى تكون مقدار لقمة ثم أخذها امرؤ مسلم فوضعها فى فم أخيه المسلم ماكان مسرفا ، الايمان قول وعمل .

وكان الامام الشافعى يقول : العلم بين أهله رحم متصلة ، من أراد الدنيا فعليه بالعلم ، ومن أراد الاخرة فعليه بالعلم : ويقول : لو علمت أن شرب الماء البارد يثلم مروءتى ما شربته .

ويقول الامام أبو حنيفة : لقد أخذ الله الميثاق على العلماء ليبيننه للناس ولا يكتمونه ، لا يكون العالم له خواص ، ولكن يعلم الناس ويريد الله بتعليمه ، ويقول : هذا رأينا أحسن ما قدرنا عليه ، فمن جاءنا أحسن من قولنا فهو أولى بالصواب منا .

● ● ●

ذلك مفهوم العلم فى حياة علماء الاسلام ، وتلك صورة من أخلاقهم ، وشمائلهم ، وهم الى ذلك قدموا الكثير فى مجال البحث العلمى واضافوا ، وحرروا الفكر الاسلامى من نفوذ الهلينية والفلسفات الوثنية القديمة . وسبقوا علماء العصر الحديث فى مختلف المجالات . سبق (الغزالى) ديكارت بنحو ستة قرون فى قوله : **ان الشكوك هى الموصلة للحق ، فمن لم يشك لم ينظر ومن لم ينظر لم يبصر ، ومن لم يبصر بقى فى العمى والضلال .**

وسبق الغزالى : هربرت سبنسر فى تصوير الدولة أو المدينة بجسم الانسان ، فالغزالى يشبه الملك بالقلب ، وأصحاب المهن الحرة بأعضاء الجسم ، والشرطة بعصب الانسان ، والوزراء بحسن الادراك ، والقضاة بالشعور .

والماوردى أول من قال بفكرة التأثير المتبادل بين الفرد والمجتمع ، والموازنة بين حقوق الافراد وحقوق الجماعة ، من غير تضحية أحدهما لحساب الاخر ، كما تحدث الماوردى عن الحافز الفردى .

أما البيرونى فان أعظم اضافاته نظريته عن (كنز الاموال) وهى أم الاقتصاد الحديث . وقد شرحها فى كتابه (الجماهر فى معرفة الجواهر) فقد عالج كنز الاموال وعدم تركها للتداول ، وبين الخطر الذى يترتب على ذلك ، وقال أن حركة المال من ضرورات الحياة فاذا وقفت هذه الحركة كانت أزمة اقتصادية هائلة .

وصحح « ابن الهيثم » أخطاء بطليموس فى نظريته القائلة بأن النسبة بين زاوية السقوط وزاوية الانكسار ثابتة ، وقال ابن الهيثم ان هذا غير صحيح وأن هذه النسبة لا تكون ثابتة ، وقد أيده العلم الحديث ، وابن الهيثم أول من كتب عن أقسام العين ، وأول من رسمها بوضوح تام وأول من استعمل لقياس زاويتى الانكسار (آلة) تشبه الالة المستعملة الان فى أصول تركيبها ، وابن الهيثم هو منشىء علم الضوء الحديث ولا يقل أثره فى تقدير العلماء عن أثر (نيوتن) فى الكيمياء .

وحصر الخليل بن أحمد الانغام ومقاديرها ، وأنواعها ، فضم كلا الى نوعه ، ثم حصر أوزان الشعر العربى كما حصر ألفاظ اللغة العربية بشكل علمى تام كامل لم يغادر منها لفظا واحدا .

● ● ●

واستطاع ابن حزم والغزالى من وضع مفهوم « المعرفة الاسلامى » جامعا بين العقل والقلب ، قائما على العدل متحررا من الهوى مع الانصاف بين الاراء .

كما استطاع ابن الهيثم والبيرونى وغيرهم من وضع مفهوم « المنهج العلمى التجريبى » بوصفه منهجا تجريبيا عربيا اسلاميا مستمدا من القرآن ، متحررا من المنهج اليونانى الارسطى النظرى .

واستطاع البيرونى ، وابن تيمية والغزالى تحرير مفهوم المعرفة الاسلامى من اسار المذهب اليونانى ، وقد فك ابن تيمية قيود هذا المذهب عن الذهن الاسلامى ، واستنبط منطقا اسلاميا جديدا مستمدا من القرآن الكريم . ودعا الغزالى الى التماس منطق القرآن ، وقال ان أسلوب القرآن فى القرآن أبلغ من أسلوب المتكلمين وأنفع وأعم وأشمل للطبقات والمستويات المختلفة ، وأن علم الكلام علاج مؤقت ، نشأ عن شكوك وشبهات لا حاجة للطبائع السليمة والعقول المستقيمة اليه ، **أما القرآن فهو الغذاء الصالح والماء السائغ يحتاج اليهما كل انسان وقال أن أدلة المتكلمين مثل الدواء ينتفع به أحاد الناس . ويستضر به الاكثرون ، وأن أدلة القرآن كالماء يحتاج اليها كل صحيح سليم .**

وقد أخذ الفكر الاوربى مفاهيم الفكر الاسلامى ليس فى العلم وحده ولكن أيضا فى الاجتماع والسياسة والاقتصاد والتربية ، وأنكر فضل المسلمين فيها ، بل

انه ذهب الى أبعد من ذلك حين حاول اتهام أمثال ابن خلدون بأنه تجاوز مفهوم الاسلام فى آرائه واقطاره ، والحق أن كل ما وصل اليه ابن خلدون انما استمده من القرآن ، والاسلام ، وأن علماء المسلمين قد سبقوه الى مبادئه وأوائله أمثال الماوردى وابن حزم وغيرهما وأنه هو الذى استطاع أن يصوغه على هذا النحو العلمى القرآنى المصدر •

واذا كان ابن سينا قد ذاع صيته لانه جرى مجرى الفكر اليونانى وان احتفظ بمفهوم الاسلام فى التوحيد ، فان عالما آخر لم يحظ بمثل هذه الشهرة هو (البيرونى) معاصر ابن سينا ، وأكثر منه فضلا فى العلم والبحث ، هو الذى حرر منهج المعرفة الاسلامى فى العلم بما كشف عن ذاتية المذهب التجريبى الاسلامى ، بعد أن حرره من مفاهيم اليونان فاذا عرضنا لابن القيم رأينا هذا العالم الاسلامى وقد سبق العصر الحديث فى نظريات فقهية هامة منها نظرية احياء اعمال الفضولى المحسن ، هذه النظرية التى عرفها التشريع الغربى فى العصر الحديث وكان يظن أنها من مبتكراته حتى كشف عن نصوصها لدى ابن القيم الذى سبق بها الفكر الغربى بخمسة قرون وله نظريات أخرى من أهم مفاهيم القانون : منها مبدأ حرية التعاقد وله نظرياته الاخرى ومبدأ تعدى قيمة الشهادات وعدم تجزئة الاقرار وفسخ عقود المدين المضرة ومبدأ تغيير الاحكام بتغير الازمنة والامكنة •

وبعد فان حياة أعلام الفكر الاسلامى ضياء كاشف يحتاج اليه عصرنا وتحتاج اليه أجيالنا الجديدة لتعلم أن آباءها كانوا بناة للحضارة والعلم وأن ما يداولونه اليوم من فلسفات وعلوم انما هو من نتاج الفكر الاسلامى أصلا وأن القرآن كان بالحق هو (مصدر المصادر) فى مناهج العلوم التجريبية والاجتماعية جميعا •

الاريحيـــــة المحمـــدية

كانت الاريحية الفياضة لسيدنا محمد (صلوات الله وسلامه عليه) هى الحلية الباطنة التى تمت بها حليته الظاهرة لعيون الناس ، وهو جوابه لما كان له فى قلوبهم من حب واعظام ، وهى الاصرة التى تجمع بين قلبه وتلك القلوب فى نطاق الاسرة الانسانية : يحبونه ويحبهم ويشعرون به ويشعر بهم ، وليس قصارى أمره أنه وسيم ، وأنه محبوب ، وأنه مهيب •،

سمت يقابل العيون بجمال

واريحية تقابل النفوس بجمال

وقد سرت هذه الاريحية فى صميم طويته فامتزجت طواعية وارتجالا بجميع خصاله وجميع اعماله وجميع علاقاته بالناس ولاسيما الضعفاء والمكسورين ، فكان أحرص الناس على جبر القلوب وتطييب الخواطر وتوخى المواساة واجتناب الاساءة ، يتفقد أصحابه كبارا وصغارا ويسأل عنهم ويتحدث الى ذوى الاقدار وعامة الناس فلا يحسب صغيرهم ان أحدا أكرم عليه منه ، ويتحدث اليه من شاء فلا يقطع عليه حديثه وان طال • واذا انتهى الى قوم جلس حيث ينتهى به المجلس ، ومن جالسه صابره متى يكون هو المنصرف ، وما أخذ أحد بيده فارسلها حتى يكون الاخذ هو الذى يرسلها •

ومن سنته التى اتبعها وأوصى باتباعها أن يجيب دعوة من دعاه ولا يرد دعوة عبد ولا خادم ولا أمة ولا فقير ، وفى ذلك يقول من وصاياه فى آداب الولائم والمحافل :

« اذا اجتمع الداعيان فأجب اقربهما بابا فان أقربهما بابا ، اقربهم جوارا ، وان سبق احدهما فأجب الذى سبق » •

يبدأ من لقيه بالسلام ويمر بالصبيان فيقرئهم السلام وربما خفف من صلاته اذا جاءه أحد وهو يصلى ليسأله عن حاجته ويلقاه بالتحية •

الأسوة العالمية الكبرى

فضيلة الشيخ حسن صالح

الاسرائيليات والمعركة .

لعل أخطر الاسلحة وأشدها فتكا بالعقيدة وأبقاها أثرا فى المحيط الاسلامى ، والمسيحى هى الاسرائيليات استطاع الفكر اليهودى بها ان يضلل الدهماء ويحير العقلاء ، ولقد حاول جهابذة الفكر وعلماء الوحدة أن يفلوا هذا السلاح أو أن يبطلوا على الاقل آثاره بالبيان والايضاح وكشف الدس اليهودى على العقيدة الوضيئة والاسلام الذى جاء به خاتم النبيين سراجا وهاجا وشفاء للبشرية من كل أدوائها وليطهرها ويحصنها من آفات الوحدة واسباب الشقاق على يد النبى الامى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراه والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والاغلال التى كانت عليهم .

انبرى علماء الحديث وعلماء التفسير والسيرة والتاريخ الاسلامى فى موجات متلاحقة يذودون فى قوة وعزيمة صادقة عن بيضة الهدى وذمار العقيدة ويدرأون بما أوتوا من علم ونفاذ بصيرة — ترهات الجهالة وخرافات التصور اليهودى وتأويله لكثير من آيات الذكر الحكيم مستعينا بما وضعه فى عصور الفتنة من أحاديث وقصص أوقرت بطون الكتب . وصدق الله العظيم فيما حدث البشرية عن هؤلاء المارقين وموقف المؤمنين من الحق حيث يقول جل شانه [هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فاما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله الا الله والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر الا أولو الالباب . ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك انت الوهاب] .

فان هؤلاء لما زاغوا عن الرسالات جملة أزاغ الله قلوبهم فتتبعوها محوا وتبديلا ومسخا وتحريفا لا يريمون عن هذا القصد ، ولا يتركون سانحة أو فرصة مواتية للافتراء والتمويه والكذب على الله وعلى الناس ولا يألون جهدا ، فعلوا ذلك قديما فترسب ما وضعوا فى أخيلة العامة وأعماق اللاشعور ولا يزالون يلحون على تفكير البشرية بسيل جارف من اكاذيب الدعاية المسمومة فى الكتب والاذاعات والكلمات المرئية والمسموعة والمذاهب الهدامة ويفتنون فى العرض المنمق الخادع فيشغلون العالم بالجدل فيها بين مصدق متحمس مولع باللجاج ، ومكذب يرجع فى كشفها الى كتاب الوجود وروح الهداية الربانية مستلهما مولاه مستعينا به حتى يأتى — بحجة الله على الباطل الذى مكنوا له والخرافة التى أودعوها محيط التفكير العام العالمى . وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما حذرنا به من أضاليلهم والرجوع فيها الى كتاب الحق حين قال [بلغوا عنى ولو آية وحدثوا عن بنى أسرائيل ولا حرج]

وانما استعملوا هذا السلاح قصدا وهو ديدنهم — الى تشتيت الفكر وتحويل مجالاته الى ميادين جدل ومدارس نظرية وطمس حقائق الرسالة وادخال الشبه فيها فينصرف الناس اختيارا عنها وتفقد الحمية فى نفوسهم لها حين يرون للوهلة الاولى انها مشتملة على بعض او كل ما لا يقنع العقل او يطمئن اليه القلب والجماهير — كما علمت ويقرره علم الاجتماع — لا تمحص وانما تاخذ ما تقع عليه العين مكتوبا او يهمس به فى اذنها وتسلم به ويصبح عندها عقائد لا تقبل النقاش والاسرائيليات مبعثرة متغلغلة فى كثير من الكتب وامهات التفاسير والسير والتاريخ حتى ليعسر او يتعذر على كثير من الناس استخلاص الحقيقة . وقد يمل الباحث أو ينأى عن النظر فيها جملة أو يجهد من عناء البحث والمقارنة فاذا وصل فبعد لأى ثم يخرج من كل ذلك ويعده بكتاب او كتيب . او عدة مؤلفات تضاف الى ما عمرت به المكتبات وخزائن التراث الانسانى من مخطوطات وموسوعات ومراجع بعد أن تركت آثارها الوقتية فى زمنها أو بعده وايقظت الفكر وبعثت الهمة وشحذت العزيمة للتخلص من آثار ورواسب الفكر اليهودى فى العقيدة والسلوك والتقاليد المستمدة منه ثم لا تلبث الوقدة أن تنقلب عليها قوة الاستمرار والالحاح فى المن والدأب على البهتان وتجديد الصراع بين الطوائف به وتسعير نار الفتنة حتى تذهب الحقيقة وتضيع معالمها فى خضم الاحداث وينبب عن الاحزاب المصطرعة خفايا الدسائس اليهودية التى مهروا فى حبكها حواجز وسدودا دون الوحدة والتراحم بها وجمع الكلمة بأمر الله والاخاء العالمى وابقاء على عوامل التفريق والتمزيق والتشتيت والتشقيق .

وانما يقصد الباحث بالاسرائيليات كل الموضوعات والافكار اليهودية وما ابتدعوا للبشرية منذ وقر الفكر العنصرى عندهم فجمعوا اشلاءهم وشذاذ الافاق به عليه كدين فى مقابل دين السماء الذى لا يعرف جنسا ولا يتعصب لعنصر أو لون والذى يقرر أن الناس سواء وانه لا فضل لعربى على اعجمى ولا لابيض على اسود ولا لغنى على فقير ولا لقوى على ضعيف وانما يتفاضلون بالتقوى وفعل الخير وما يقدمه منه كل فرد لبنى الانسان واخوته فى الادمية فى أى من ميادين العمل النافع البناء حتى يقوم صرح العدالة ويسعد الناس جميعا بها وبالوحدة فى ظل رايته هديا ربانيا .

وليست الاسرائيليات على هذا الفهم قاصرة على ما كان منها فى المحيط

الاسلامى وانما هى امتداد لما سبق منها فى المحيط العيسوى فغاب بها عنه حقيقة نور العيسوية الربانية كما غاب بها عن اليهود انفسهم ضياء الموسوية التى جاء بها موسى نورا وهدى للناس ثم انتقلت الى المحيط الاسلامى وزيد عليها فيما تحدث به كتاب الوجود عن بدء الخليقة والغيبيات وقصص الاولين واليوم الاخر فكان لما ابتدع منها آثاره العميقة فى كل محيط الفكر العالمى العام ووجدانات الشعوب حينما ضللها عن هداية الله عقيدة وسلوكا ومزق وحدة الفكر والشعور والاخلاق والعقيدة والدين الشامل والنظام العام وصراط البشرية الى هداها وسعادتها كما جاء به رسل الله جميعا بعد اذ نحاهم — بما وضع — عن مكان القيادة وأظهرهم فى صور لا تليق بمكانتهم واستبدل بهم أربابا من دون الله يتلقى عنهم ويأتمر بأمرهم استعلاء بجنسهم على البشرية واستكبارا فى الارض ومكر السىء وتعصبا للخيال الجامح وأملا فى تحقيقه وان اجمعت الدنيا على مدافعته وعزلت القائلين به والداعين اليه والقائمين على تنفيذه عن العالم .

وسنشهد — ان شاءالله وبعونه — كثيرا من الوان هذه الاسرائيليات ومواطن الخطر فيها فيما يعرض كنماذج يجب الحذر بل التخلص منها بعد اتباعها بالقول الفصل فيها من كتاب الله نفسه والاحاديث الموثقة وهى ما اتفقت مع روح كتاب الحق ومصادره اليقينية .

فمن ذلك ما حكاه القرآن الكريم عنهم فى قوله تعالى [وقالوا لن تمسنا النار الا أياما معدودة] استهانة بعذاب الله وتهوينا لمعصية الله ومخالفة أمره وكان لهذه الاسرائيلية أثرها الفادح فى زحزحة الناس شيئا فشيئا عن الصراط المستقيم وحل عرى الاسلام عروة عروة بعد أن أعتقد الناس بان من ارتكب اثما أو فعل سوءا فانه سيدخل الجنة بعد تمحيصه بالنار مدة تطول أو تقصر حسب الوزر الذى أتى به والجريمة التى اقترفها . فمن أين دخلت هذه الفرية ولماذا ؟

دخلت من هنا اضعافا لغريزة التدين والتمسك بأوامر الحق تبارك وتعالى وينعدم — تفريعا على هذه الاسرائيلية — الشعور بالمسئولية الفردية والجماعية ويلازمه تواكل الناس ، وفتور الهمة فى حرب المنكرات استنادا الى الحرية الشخصية ويستتبع ذلك موت الضمير وتخدير الشعور واستمراء الجراة على الله وحدوده بل ذهاب الايمان نفسه حيث يقول رسول الهدى [لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ولا يشرب الخمر شاربها حين يشرب وهو مؤمن] . وفى حديث آخر [والله لا يؤمن والله لا يؤمن والله لا يؤمن من لا يأمن جاره بوائقه] ومثله : من تركه الناس اتقاء شره . والحق يقول فى كتاب الوجود . [قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف] فما بال العاصى اذا تاب والله يقول فيه بعد أن عدد فئات العصاة [ومن يفعل ذلك يلق اثاما يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما ويقول جل شانه [والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ، ومن يغفر الذنوب الا الله ، ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون . أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين]

وحقيقة الامر لكشف هذه الاسرائيلية بالقرآن الكريم نفسه ولا بد من فضحها — وهو المصباح المنير والسراج الوهاج بضياء الله : ان الناس يوم القيامة فريقان فريق فى الجنة وفريق فى السعير فمنهم شقى وسعيد فاما الذين شقوا ففى النار لهم فيها زفير وشهيق خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك ان ربك فعال لما يريد . واما الذين سعدوا ففى الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربكعطاء غير مجذوذ. فمن كان على صراط الله فى الدنيا فهو فى الجنة لا يدخل النار أصلا [ان الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون لا يسمعون حسيسها وهم فيما اشتهت انفسهم خالدون . لا يحزنهم الفزع الاكبر وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذى كنتم توعدون] ما دام قد آمن بالكتاب كله واستقام على الطريقة وان كبا وعمل السوء بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح — فانه قد خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه والتائب من الذنب كمن لا ذنب له . وهو مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين . وكل فيها على قدر عمله وطهارة نفسه وجهاده اياها وبلائه بنفسه ودمه وماله فى سبيل دينه وأوطانه ضد الشر وأهله وطواغيته [هم درجات عند الله والله بصير بما يعملون]

ومن كان على غير صراط الله فكفر بالكتاب أو ببعضه أو لم يكذبه ولكن لم يتبع ايمانه بمقتضاه من عمل الصالحات والتواصى بالحق والصبر على تكاليفه ومسئولياته فهو مع الهالكين . اذ ليس الايمان بالتمنى ولكن ما وقرفى القلب وصدقه العمل . والحق يقول [افتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزى فى الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون الى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون] . [والعصر . ان الانسان لفى خسر . الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر] . [انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله أولئك هم الصادقون]

والحق تبارك وتعالى يريده ايمانا حيا نابضا بكل القيم المثلى للحياة الانسانية الحرة الكريمة يسلك صاحبه فى عداد الصادقين من رجال مؤمنين ونساء مؤمنات والناس عند الله ابرار او فجار ، معسكران لا ثالث لهما ، معسكر الذين انعم الله عليهم ، ومعسكر المغضوب عليهم والضالين ، والبشرية اما مع هدى السماء وما جاء به رسل الله ، واما معادية لهدايتهم موثقة اليدين مغلولة الاعناق خلف الفكر اليهودى وخيالات الطفولة البشرية وآلهتها من هوى وسلطان ومتاع.

فابحث معى اذن وفكر وتعال ننظر فى اخلاص لله وتجرد من الهوى والتعصب للرأى بعيدا عن المراء .

وهدف الرسالة : شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى اوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه .

ومما يتصل بهذه الاسرائيلية ما أخرجت به الاية الكريمة [وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا] عن نطاق البصر بأساليب التعبير فى اللغة العربية ، والقرآن الكريم أعلى نماذجها ، وقد خاطب المجرمين فى آية أخرى من سورة الانبياء فقال سبحانه [انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم انتم لها واردون] وقال [يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا . ونسوق المجرمين الى جهنم وردا] وعلى هذا فهى التفات من أسلوب الغيبة الى أسلوب الخطاب كقوله [وقالوا اتخذ الرحمن ولدا . لقد جئتم شيئا ادا] .

وكلمة ثم ، فى قوله تعالى [ثم ننجى الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا] . كالواو فى قوله فى سورة الزمر] وينجى الله الذين اتقوا بمفازتهم لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون] فهى للترتيب اللفظى ومثلها ثم لنحن أعلم فالخلق فى هذه الحياة الدنيا بين متق وفاجر . مهتد بهدى الله أو متخذ الشيطان وليا من دونه يخرج على الله ولا يبالى بأمره ومانهاه عنه

الا من الم مرة او مرات قليلة بمعصية وخرج منها سريعا واناب الى ربه فيتوب عليه ويصبح على صراطه . اما ذاك المستمرىء المتمادى فقد اصيب ايمانه فى مقتل ولا عبرة به ولم ينج الخارج على تعاليم احكم الحاكمين اعترافه بالله حيث قال جل شانه [قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون . سيقولون لله قل افلا تذكرون . قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله قل افلا تتقون]

فانظر ياأخى بعد ما وضع أمامك الطريق وتميز الفريقان : فريق الهدى وفريق الضلالة . انت من ايهما ومع اى منهما فاذا كنت من اهل الهدى واصحاب الحق وعلى دين النبيين واحسبك كذلك ان شاءالله فما يمنعك بعد اخلاص النية والعزم الصادق واعداد نفسك وربطها برب السماء ومن بيده ملكوت كل شىء وهو يجير ولا يجار عليه ان تتقدم الصفوف ، وقد اعتدى على دينك وأوطانك وحرماتك ومقدساتك وبيت لك وللعالم كله فى شخصك وانت فى الميدان الاول وخط الدفاع المتقدم لا تصرفنك تلك الحواجز المصطنعة التى اقامها الفكر اليهودى حائلا دون الوحدة !

كن كما شئت من اى لون او دين او امة ، ولكن الخطر داهم وقد حمى الوطيس واستعر الاوار واحكم التدبير حول عنقك ، وديارك تريدها الصهيونية العالمية والاستعمار والاحتكارات عنوة واستلابها دونك ومحو آثارك وحضارتك وتراث الانسانية ودين السماء .

فهل هناك مجال للتردد ؟ ولماذا ؟ وانت ترى الاحتكارات والامبريالية قد وضعت يدها فى يد الصهيونية ودولة البغى وفتحت لها ابواب خزائنها وامدتها فى اصرار وتعاون وثيق بادوات الدمار واسلحة الفتك والاموال عونا للعدوان وتثبيتا لترسانة الباطل فى قلب وطنك استعدادا للاجهاز على بقيته .

لابد لجهاد هؤلاء من وحدة صف وغاية وعمل كما توحد أعداؤك صفا وغاية وعملا

يأيها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون . واطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين . وجاهدوا فى الله حق جهاده فانه نعم المولى ونعم النصير .

فضل النية

قال الله تعالى : « **ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه** » وارادة وجه الله فى النية الصحيحة .

وقال تعالى : « **ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما** » فجعل النية سبب التوفيق .

وقال (صلى الله عليه وسلم) : « انما الاعمال بالنيات ، ولكل امرىء ما نوى ، فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته الى ما هاجر اليه » .

وقال (صلى الله عليه وسلم) : « الناس أربعة : رجل آتاه الله (عز وجل) علما ومالا فهو يعمل بعلمه فى ماله فيقول رجل : لو آتانى الله تعالى مثل ما آتاه لعملت كما يعمل فهما فى الاجر سواء ، ورجل آتاه الله تعالى مالاولم يؤته علمافهو يتخبط بجهله فى ماله فيقول رجل : لو آتانى الله مثل ما آتاه عملت كما يعمل فهما فى الوزر سواء » . فبالنية تتم الشركة فى محاسن العمل ومساويه .

وعن انس بن مالك « رضى الله عنه » لما خرج رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فى غزوة تبوك قال : « ان بالمدينة اقواما ما قطعنا واديا ولا وطئنا موطئا يغيظ الكفار ولا انفقنا نفقة ولا أصبنا مخمصة الا شاركونا فى ذلك وهم بالمدينة « قالوا : وكيف ذلك يا رسول الله وليسوا معنا قال : « حبسهم العذر » فكانوا شركاء بحسن النية .

وروى أن رجلا مر بكثبان من رمل فى مجاعة ، فقال فى نفسه : لو كان هذا الرمل طعاما لقسمته بين الناس فأوحى الله تعالى الى نبيهم أن قل له : ان الله قد قبل صدقتك ، وقد شكر حسن نيتك واعطاك ثواب ما لو كان طعاما فتصدقت به .

وكان بعض المريدين يطوف مع العلماء يقول : من يدلنى على عمل لا أزال فيه عاملا لله تعالى فانى لا أحب أن يأتى على ساعة من ليل أو نهار الا وأنا عامل من عمال الله فقيل له : قد وجدت حاجتك . فاعمل الخير ما استطعت فاذا فترت أو تركته فهم بعمله فان الهام بعمل الخير كعامله ..

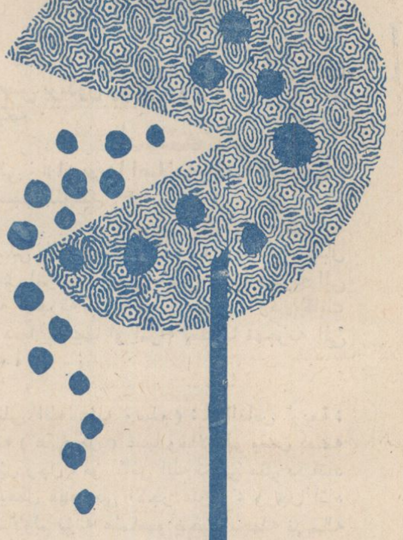

قطوف

الأستاذ على الجندى

اياك !

من الاحاديث الشريفة : « اياك وما يعتذر منه » . « اياك والحرص فانه أخرج آدم من الجنة » ؟ اياك والطمع فانه فقر » . « اياك والمجادلة فانها تحبط الاعمال »

. . .

أدب الجنس !

فى الحديث الشريف : « ان من شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة ، الرجل يفضى الى امرأته وتفضى اليه ثم ينشر احدهما سر صاحبه » . والمتحدث فى هذا كحمارين يتسافدان فى الطريق !

. . .

الوصية بالنساء !

فى الحديث الشريف : « استوصوا بالنساء خيرا ، فان المرأة خلقت من ضلع ، وان أعوج ما فى الضلع أعلاه ، فان ذهبت تقيمه كسرته ، وان تركته لم يزل أعوج » « خيركم خيركم للنساء . ما أكرم النساء الا كريم ولا أهانهن الا لئيم »

الاغنياء والفقراء :

فى الحديث القدسى : « الاغنياء وكلائى ، والفقراء عيالى ، فان بخل وكلائى على عيالى ، أذقتهم وبالى ولا أبالى »

. . .

من سيرة عمر :

كان ـ رضى الله عنه ـ اذا انفذ عماله على الامصار التى يلونها ، قال لهم : اشتروا دوابكم وأسلحتكم من أموالكم . وكان اذا عزل العامل قاسمه ماله . وكان الحج موعده السنوى مع العمال ، يشهدونه جميعا لا يتخلف منهم أحد ، وكان المتظلمون يفدون اليه فى موسم الحج فينصفهم

. . .

حسن تخلص !

حكى الهيثم بن عدى ، قال : ماشيت الامام أبا حنيفة ـ رضى الله عنه ـ فى نفر من أصحابه الى عيادة مريض من أهل الكوفة ـ وكان معروفا بالبخل ـ فتواصينا على أن نعرض بالفداء .

فلما قضينا حق العيادة ، قال بعضنا : آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا !

فقال المريض فى الحال : ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون من حرج !

فقفز ابو حنيفة وقال لاصحابه : قوموا فما لكم هنا من فرج !

تأديب الرسول لازواجه !

كان الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى سفر، فاعتل بعير زوجه صفية » وكان فى ابل زوجه « زينب بنت جحش » فضل « زيادة » فقال لها ـ عليه الصلاة والسلام ـ : « لتعطينها بعيرا » »

فقالت زينب : أعطى هذه اليهودية ؟

فمكث الرسول ـ صلوات الله عليه ـ شهرا لا يكلمها عقوبة لها !

...

رقة الرسول مع اصحابه :

قال أنس بن مالك ـ رضى الله عنه ـ : أرسلنى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى حاجة، فخرجت على صبيان يلعبون، فلعبت معهم ! واذا رسول الله قد قبض على ثيابى من ورائى، فنظرت اليه وهو يضحك ! وقال : يا أنس، اذهب حيث أمرتك !

...

الوصية بالاقارب :

قال ـ صلى الله عليه وسلم ـ « يوصيكم الله بأمهاتكم، ثم يوصيكم بأمهاتكم، ثم يوصيكم بأمهاتكم، ثم يوصيكم بالاقرب فالاقرب » .

وقال ـ صلوات الله عليه ـ : « أمك وأباك، ثم اختك وأخاك، ثم أدناك أدناك .

« وروى : أن رجلا استاذنه فى الجهاد، فقال : احى والداك « قال : نعم . قال فالزمهما، فان الجنة تحت أرجلهما » .

...

كيف تنتقم من عدوك ؟

سئل افلاطون : بماذا ينتقم الانسان من عدوه ؟ فأجاب : يزيد فضلا فى نفسه !

...

الشهب والنيازك والرجم :

هى أجسام صغيرة تتجمع فى شكل حلقات أو أقواس، وتدور حول الشمس، فاذا قربت من الارض جذبت بعضها، فاذا كانت صغيرة الحجم، لطيفة المادة، احترقت فى أعالى الجو، وربما تركت ذيلا يضىء ثم ينطفىء، وهذا هو الشهاب .

واذا كانت كبيرة الحجم كثيفة المادة، سقطت تشق الهواء، وسمع لها أزيز، وهذا يسمى النيزك . والكبير منها يسمى رجما .

...

فليسمع الانسان !

يقول أحد علماء الحيوان : ان فى افريقية حيوانات كثيرة من أنواع مختلفة، اذا جاء وقت ورودها الماء وقفت ينتظر بعضها بعضا بصبر لا مثيل له، وبتأدب لا تجده بين أفراد البشر ! ذلك انها لا تتدافع ولا تتزاحم، بل كل يفسح المجال لغيره، فيشرب قبله !

...

غفر له بسبب أبيات !

رؤى أبو نواس فى المنام، فقيل له : ما فعل الله بك ؟ قال : غفر لى بقولى،

يارب ان عظمت ذنوبى كثرة
فلقد علمت بأن عفوك أعظم
ان كان لايرجوك الا محسن
فمن الذى يدعو ويرجو المجرم
ما اليك وسيلة الا الرجاء
وجميل عفوك ثم انى مسلم

...

لطف السؤال !

سأل أعرابى عبد الملك بن مروان، فقال له : سل الله ـ تعالى ـ !

فقال الاعرابى : قد سألته فأحالنى عليك !

فوصله عبد الملك .

ونظر زياد الى اعرابى يأكل على مائدته اكلا ذريعا ! وهو من أقبح الناس وجها !

فقال له زياد : كم عيالك يا أعرابى ؟

فقال : سبع بنات، أنا أجمل منهن، وهن آكل منى !

فوهب له زياد ما يكفيه !

...

كراهة العرب للغدر !

كان الرجل من العرب فى الجاهلية، اذا غدر وأخضر الذمة، نصبوا له تمثالا، وقيل، ان فلا ناقد عدر فالعنوه » وقد ورد ذلك فى قول بعض شعرائهم :

فلنقتلن بخالد سرواتكم
ولنجعلن لظالم تمثالا

...

الانسان والذئب !

قال بعض الشعراء
عوى الذئب فاستأنست بالذئب اذ عوى
وصوت انسان فكدت أطير

وقال آخر،
وقد صار هذا الناس الا اقلهم
ذئابا على ابدانهن ثياب

وقال آخر :
وليس الذئب يأكل لحم ذئب
ويأكل بعضنا بعضا عيانا

...

التطبع قد يصير طبعا :

من قول علية بنت المهدى العباسى :
تحبب فان الحب داعية الحب .
أخذته من قول النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « العلم بالتعلم، والحلم بالتحلم »

...

قطع اللحم والجبن والخبز بالسكين :

يجوز قطع هذه الاشياء بالسكين ، لفعل النبى - صلى الله عليه وسلم - ذلك بيده الشريفة . وما ورد من الاحاديث الدالة على الحظر ، فموضوع غير صحيح !

• • •

ثلاث اذلت الانسان !

فى الحديث الشريف : « لولا أن الله - تعالى - أذل ابن آدم بثلاث ما طأطأ رأسه لشىء : الفقر ، والمرض ، والموت ! » .

• • •

فضل الشهداء !

قال - صلى الله عليه وسلم - : ما من أهل الجنة أحد يسره أن يرجع الى الدنيا وله عشر أمثالها الا الشهيد ، فانه يود لو أنه رد الى الدنيا عشر مرات فاستشهد ، لما يرى من فضل الشهادة » .

• • •

فضل القرآن !

قال - صلى الله عليه وسلم : « ان الذى ليس فى جوفه شىء من القرآن كالبيت الخرب »

« ما من امرىء يقرأ القرآن ثم ينساه الا لقى الله أجزم »

يعنى لا خير فيه ، ولا حجة له .

• • •

الكسب فى الاسلام

فرض الله اكتساب المال لطلب المعاش ، لان به الاستعانة على طاعة الله - تعالى - فقال - سبحانه : « **وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون** » .

وقال - عليه الصلاة والسلام : « طلب كسب الحلال فريضة بعد الفريضة »

« طلب الحلال واجب على كل مسلم »

« **ان من الذنوب ذنوبا لا تكفرها الصلاة ولا الصوم ولا الحج ولا العمرة ، وانما يكفرها الهم فى طلب المعيشة** » .

وكان عمر بن الخطاب - رضى الله عنه : يقول : انى أكره أن أرى أحدكم سبهللا والسبهلل - كسفرجل : الذى لا عمل له .

وكان يقدم درجة الكسب على درجة الجهاد ، اخذا من قوله - تعالى : « وآخرون يضربون فى الارض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون فى سبيل الله » .

• • •

السكوت عن الحق !

فى القرآن الكريم : « **لعن الذين كفروا من بنى اسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه** » .

وفى الحديث الشريف : « ان الناس اذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يده أوشك الله أن يعمهم بعقابه » .

وفى الآثار : « الساكت عن الحق شيطان أخرس » .

وفى الامثال العربية : مشاهدة الباطل شركة فيه .

وفى الامثال الفرنسية : من قدر على منع الجريمة ولم يمنعها فقد أجرم !

• • •

من حكم الغرب » :

اذا لم تنبل المرأة بالجمال ، التمست ما ينبل به الرجال ! كلمات الحق كثيرة فى افواه المجانين ! اذا استقوتك المرأة ، استعطفتك ببكائها ، واذا استضعفتك ، قتلتك بكبريائها !

بعض الناس ينزعون لطفهم حينما يدخلون بيوتهم ، كأنه ثوب يقابلون به الغرباء !

عهود بنى آدم كأوراق الاشجار ، اليوم خضرة ناضرة ، وغدا تذبل وتموت ! الخوف معلم حكيم !

ان من يندفع الى العمل قبل التفكير فيه ، بهو مجرد عن الضمير ! الام فى نظر الطفل كالخالق فى نظر المخلوق ، مصدر كل اصلاح ، واساس كل تشريع ، والكل فى الكل ! يحملنا نزق الشباب على ارتكاب أمور نأسف عليها فى زمن الشيخوخة ! ساعة الحمل بالانسان بهجة وسرور ، وساعة ولادته شدة وألم ، وحياته فى هذا العالم مقسومة بين المصائب والمسرات .

• • •

بلاغة السكوت !

من كلام الامام على - عليه السلام : من السكوت ما هو أبلغ من الجواب !

والسكوت يسمى : بلاغة مجازا ، وهو فى حالة لا ينجع فيها القول ، أو كان الكلام عاريا عن الخير ، أو كان جالبا للشر ! وفى مثله يقول الشاعر :

ما كل نطق له جواب

جواب ما يكره السكوت

ولما مات الاسكندر وقف عليه بعض اليونانيين ، فقال : فقد طالما وعظنا بكلامه ، وهو اليوم بسكوته اوعظ !

وقد أخذ أبو العتاهية هذا المعنى فقال :

وكانت فى حياتك لى عظات

وأنت اليوم اوعظ منك حيا

• • •

التجارة بالصدقة !

كان الامام جعفر بن محمد - عليه وعلى ابنائه السلام - يقول : انى لاملق - افتقر - احيانا ، فأتاجر فى الله بالصدقة ، فيربحنى !

وأقول : اننى والله ما خسرت قط فى هذه التجارة ، وان مكاسبها لتضاعف اضعافا كثيرة !

العمل شرف وجهاد في سبيل الله

الأستاذ مهدي عبد الحميد مصطفى

روى الطبرانى عن كعب بن عجرة ــ رضى الله عنه ــ قال : مر على النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ رجل ، فرأى أصحاب رسول الله من جلده ونشاطه ، فقالوا : يا رسول الله ، لو كان هذا فى سبيل الله ؟ فقال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم : « ان كان خرج يسعى على ولده صغارا ، فهو فى سبيل الله ، وان كان خرج يسعى على أبوين شيخين كبيرين ، فهو فى سبيل الله ، وان كان خرج يسعى على نفسه يعفها ، فهو فى سبيل الله ، وان كان خرج يسعى رياء ومفاخرة ، فهو فى سبيل الشيطان » ..

ومن هذا الحديث الشريف نستطيع أن ندرك مكانة العمل فى الاسلام ، ورفعة شان العاملين ، وعلو منزلتهم ، وسمو مكانتهم ، فلقد وضعهم رسول الله فى عداد المجاهدين ، وعلى هذا فليس الجهاد فى سبيل الله قاصرا على من يحمل السلاح لمواجهة أعداء الله ورسوله ، وانما للجهاد مدلول أوسع ودائرة أرحب ، فأصحاب رسول الله ــ عليه الصلاة والسلام ــ لما رأوا فى صاحبهم قوة ونشاطا ، وهمة ، وخفة حركة ، تمنوا لو كان ذلك فى عمل رائع مجيد ، وهو الجهاد فى سبيل الله بمدلوله المحدود فى افهامهم ، فبين لهم الرسول ان من الاعمال اعمالا تعادل الجهاد فى سبيل الله ، ووضح الرسول هذه الاعمال بسعى الانسان وكده للنفقة على عياله ، أو على والديه ، أو على نفسه يعفها .

والاسلام الحنيف يهدف فى نظمه الى اسعاد البشرية فى الدنيا والاخرة ، فلم يقتصر فى نظامه على الجانب الروحى من حياة الناس ، وانما تناول أيضا الجانب المادى منها ، لان المادة هى قوام كل كائن حى ، ينعدم بانعدامها ، ويلحقه من الوهن والضعف والاختلال بقدر ما فقد منها ، لان الشىء القائم بغيره يكمل بكماله ، ويختل باختلاله ، ولقد أساء بعض الناس الفهم فى تفسير قول الحق تبارك وتعالى : « وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون » حينما قصروا المقصود بالعبادة على الجانب الروحى فحسب ، مهملين الجانب المادى ، فهؤلاء لم يفهموا للاسلام معناه ولا للدين مغزاه ، ولقد صدق من لا ينطق عن الهوى حيث يقول : « ان من الذنوب ذنوبا لا يكفرها صوم ولا حج ، ولكن يكفرها السعى فى طلب الرزق » ، وعن عبدالله بن عباس ــ رضى الله عنهما ــ انه قال : قدم قوم على النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ فقالوا : ان فلانا يصوم النهار ، ويقوم الليل ، ويكثر الذكر ، فقال : « أيكم يكفيه طعامه وشرابه » ؟ فقالوا : كلنا ، فقال : « كلكم خير منه »

وقال بعض الصالحين ، ليست العبادة أن تصف قدميك لها وغيرك يحصل لك عيشك : ولكن ابدأ برغيفيك فتحصل عليهما ثم تعبد بعد ذلك .

وقال على بن ابى طالب ــ كرم الله وجهه : « اعمل لدنياك كانك تعيش أبدا ، واعمل لاخرتك كانك تموت غدا » .

والعمل للدنيا يعتبر مقدمة ضرورية للعمل للاخرة ، لان المؤمن لا يمكنه مباشرة العبادة ، واداء الزكاة ، والخروج للحج والجهاد ، الا اذا وفر لنفسه مطالب معيشته ، لذلك دعانا الاسلام الى العمل للدنيا كما دعانا الى العمل للاخرة ، وجاء فى دستور الاسلام قول الله سبحانه ، « هو الذى جعل لكم الارض ذلولا فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه واليه النشور » « فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الارض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون » « يا ايها الانسان انك كادح الى ربك كدحا فملاقيه » .

« انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم أيهم احسن عملا » « وجعلنا الليل لباسا . وجعلنا النهار معاشا »

ولقد كرم الاسلام العمل فقرنه بالجهاد ، وجاء فى كتاب الله قوله سبحانه : « وآخرون يضربون فى الارض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون فى سبيل الله »

وقرنه بالايمان ، فقال الله عز وجل :

« ومن يعمل من الصالحات من ذكر او انثى وهو مؤمن فاولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا » « من عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون » وجعله غاية الحياة ، قال الله تعالى :

« تبارك الذى بيده الملك وهو على كل شىء قدير . الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم احسن عملا وهو العزيز الغفور » .

ولقد أوجب الله العمل على الانسان تكريما له ، وتعظيما لشانه ، حتى لا يتعرض لذلة السؤال ، لان فى السؤال عارا ومذلة ، وليس أدل على ذلك من قول رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فى حق الفقراء والمساكين والعاجزين عن الكسب المستحقين للصدقة : « اكفوهم ذل السؤال فى ذلك اليوم » يقصد يوم العيد ، ولقد قال أحد الحكماء : السؤال ذل ولو الى أين الطريق » !!!!!!!!

ولقد روى أبو داود والبيهقى عن أنس بن مالك ــ رضى الله عنه ــ قال ، جاء رجل من الانصار الى النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ فسأله ، فقال ــ صلى الله عليه وسلم ــ : « أما فى بيتك شىء ؟ » قال : بلى ، حلس [أى غطاء يلى ظهر البعير] نلبس بعضه ، ونبسط بعضه ، وقعب [اناء من فخار] نشرب فيه من الماء . قال : « ائتنى بهما » ، فاتاه بهما ، فاخذهما رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ بيده وقال ، « من يشترى هذين ؟ » ، قال رجل : أنا آخذهما بدرهم ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من يزيد عن درهم » مرتين أو ثلاثا ، قال رجل : انا آخذهما بدرهمين ، فاعطاهما أياه ، وأخذ الدرهمين ، فاعطاهما للانصارى ، وقال ، « اشتر باحدهما طعاما فانبذه الى أهلك ، واشتر بالاخر قدوما فائتنى به » ، فاتاه به ، فشد فيه رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ عودا بيده ، ثم قال : « اذهب فاحتطب وبع ، ولا أرينك خمسة عشر يوما » ففعل ، فجاء وقد أصاب عشرة دراهم ، فاشترى ببعضها ثوبا ، وببعضها طعاما ، فقال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : « هذا خير لك من أن تجىء المسألة نكتة

فى وجهك يوم القيامة ، ان المسالة لا تصلح الا لثلاث ، لذى فقر مدقع ، او لذى غرم مفظع ، او لذى دم موجع » .

وروى البخارى عن الزبير بن العوام — رضى الله عنه — قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لان ياخذ احدكم حبله فياتى بحزمة من حطب على ظهره فيبيعها ، فيكف الله بها وجهه ، خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه »

وروى ابن حبان عن جابر بن عبد الله — رضى الله عنهما — قال قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — : « ان الرجل ياتينى فيسالنى فاعطيه ، فنطلق وما يحمل فى حضنه الا النار » .

وروى الطبرانى عن سهل بن سعد — رضى الله عنه — قال : جاء جبريل الى النبى — صلى الله عليه وسلم — فقال : « يامحمد عش ما شئت فانك ميت ، واعمل ما شئت فانك مجزى به ، واحبب من شئت فانك مفارقه ، واعلم أن شرف المؤمن قيام الليل وعزه استغناؤه عن الناس » وروى أحمد والنسائى وغيرهما عن ثوبان — رضى الله عنهما — قال : قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — : « من يكفل لى الا يسأل الناس شيئا اتكفل له بالجنة » ، قال ثوبان : فقلت : انا يا رسول الله ، فكان لا يسأل أحدا شيئا .

والعمل وسيلة الكسب الطيب الحلال الذى يوصل الانسان الى رضا الله وحبه ، مصداقا لقول رسول الله — عليه الصلاة والسلام — : « طلب الحلال جهاد ، وان الله يحب المؤمن المحترف وهو سبيل لغفران الذنوب ، وتكفير السيئات :

فقد روى الطبرانى والاصبهانى عن عائشة أم المؤمنين — رضى الله عنها — قالت : قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — « من أمسى كالا من عمل يده ، أمسى مغفورا له » وكان شعار الانبياء والمرسلين ، وصدق الله العظيم حيث يقول مخاطبا نبيه ومصطفاه : « وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم لياكلون الطعام ويمشون فى الاسواق »

وروى البخارى عن أنس — رضى الله عنه — عن النبى صلى الله عليه وسلم — قال ، « ما بعث الله نبيا الا رعى الغنم قالوا ، وأنت يا رسول الله ؟ قال : « وانا رعيتها لاهل مكة على قراريط » ولما شب النبى عليه السلام كان يتجر ، وكان شريكه السائب بن ابى السائب ، وذهب بالتجارة لخديجة بنت خويلد الى الشام على جعل يأخذه ، ولما شرفت خديجة بزواجه ، وكانت ذات يسار ، عمل فى مالها ، وكان ياكل من نتيجة عمله ، وحقق الله ما أمتن عليه به فى سورة الضحى بقوله جل شانه « ووجدك عائلا فاغنى » .

ولقد عرف اصحاب رسول الله والسلف الصالح مكانة العمل فى الاسلام ، وأدركوا شرفه ، فجعلوه سبيلهم واتخذوه طريقهم للحفاظ على عزتهم وكرامتهم .

— فابو بكر الصديق — رضى الله عنه — ظل يشتغل بالتجارة حتى ولى الخلافة .

— وعمر بن الخطاب — رضى الله عنه — كان يحب التجارة ويشتغل بها ، وجاء فى احياء علوم الدين للامام الغزالى أن عمر كان يقول : « ما من موضع ياتينى الموت فيه أحب الى من موطن اتسوق فيه لاهلى ابيع واشترى »

وجاء فى سيرة عمر لابن الجوزى انه كان يقول : « لان أموت بين شعبتى رحل أسعى فى الارض ابتغى من فضل الله كفاف وجهى أحب الى من أن أموت غازيا »

وكان عمر يضرب القاعدين عن العمل ، المستحبين للراحة والكسل ، ويقول لهم : لا يقعد احدكم عن طلب الرزق ، ويقول: اللهم أرزقنى ، وقد علم أن السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة

وكان عمر اذا نظر الى رجل ذى سيما [هيئة حسنة] سأل : اله حرفة ؟ فان قيل ، لا سقط من عينه .

ومر عمر على قوم ، فقال : ما انتم ؟ قالوا متوكلون ، قال : لا بل انتم متواكلون ، انما المتوكل من القى حبة فى الارض، وتوكل على ربه .

— وعثمان بن عفان — رضى الله عنه — كان يشتغل بالتجارة ، وكان ذا يسار عظيم منها ، وكثيرا ما ساعد فقراء المسلمين من مال تجارته .

— وعلى بن أبى طالب — كرم الله وجهه — كان يعمل بيده ليكتسب حلالا .

فقد روى أحمد عن على قال : جعت يوما جوعا شديدا ، فخرجت لطلب العمل فى عوالى المدينة ، فاذا انا بامراة قد جمعت مدرا [ترابا] ، فظننتها تريد بله ، فقاطعتها [قاولتها واتفقت معها] كل ذنوب [دلو] على تمرة ، فحددت ستة عشر ذنوبا حتى مجلت [تورمت وانتفخت] يداى ، ثم اتيتها ، فعدت لى ست عشرة تمرة ، فاتيت النبى — صلى الله عليه وسلم — فاخبرته فاكل معى منها ، وقال : هذا كسب طيب يتداوى به

وكان على يقول ،

« من أمضى يومه فى غير حق قضاه ، أو فرض أداه ، أو مجد بناه ، أو حمد حصله ، أو خير أسسه ، أو علم اقتبسه ، فقد عق يومه »

— وهذا عبد الله بن الزبير — رضى الله عنهما — كان يحب العمل ويقول : « أشر ما فى العالم البطالة » .

— وهذا معاذ بن جبل — رضى الله عنه — يمد يده لمصافحة رسول الله بعد عودته من احدى الغزوات ، فيجد رسول الله فى يد معاذ خشونة ، فيساله عنها ، فيقول ، يا رسول الله . انى اضرب بالمسحاة وانفق على عيالى ، فيقول الرسول — صلى الله عليه وسلم — : « لا تمسها النار » .

— وهذا عبد الرحمن بن عوف وقد هاجر مع رسول الله من مكة الى المدينة ، فآخى رسول الله — عليه أفضل الصلوات وأزكى التسليم — بينه وبين سعد بن الربيع الانصارى ، فقال سعد بن الربيع لعبد الرحمن بن عوف ، أخى ، أنا اكثر أهل المدينة مالا ، فانظر شطر مالى فخذه ، وعندى داران ، فاختر أيتهما ، وتحتى امرأتان فانظر أيتهما اعجب اليك ، حتى اطلقها لك ، فقال عبد الرحمن بن عوف : بارك الله لك فى مالك واهلك . أنا رجل تاجر ، هل من سوق فيه تجارة ؟ فدله على السوق ، فغدا اليه عبد الرحمن باقط جبن وسمن ، فباع واشترى ، وصار يغدو السوق حتى صار من أكبر أثرياء المسلمين

وبعد : فان العمل شرف ، والعمل حق ، والعمل جهاد ، والعمل واجب ولقد قدس الاسلام العمل ، وكرم العاملين ، واعتبر العمل ركيزة الحياة الكريمة ، ومنطلق القوة العادلة ، يحرك القوة النائمة ، ويصقل العقل ، ويوسع آفاق الفكر ، وينمى النفس ، ويكسب التوفيق والنجاح ، والامة التى تبغى لنفسها العزة والسيادة ، والمجد والسؤدد ، لن يتحقق لها ذلك ، ولن تصل الى ما تصبو اليه الا بالجهد المتواصل ، والعمل الدائب ، الذى يعود عليها وعلى الانسانية جمعاء بالخير والرفاهية ، من أجل هذا أقام الاسلام مجتمعه على العمل النافع المتواصل ، والايمان القوى الراسخ ، حتى يصل بالمسلمين الى طريق النصر المبين ، فما أحوجنا ونحن نعيش فى مرحلة تتطلب منا مزيدا من الجهد ، ومضاعفة الانتاج ، أن نتفهم تعاليم ديننا ، وأن يؤدى كل منا واجبه كاملا فى ميدان عمله ، ومجال تخصصه ، وان نخلص لله اعمالنا .

«وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون » .

مع العيد القومى لمحافظة الدقهلية

إعداد : يسرى مخلوف

الاستاذ عبد الفتاح على احمد
محافظ الدقهلية

- إقامة وترميم ٢١ مسجدا فى المحافظة ...
- بالجهد الذاتى تدخل الكهرباء ٣٠٠ قرية بالدقهلية
- اهتمام متزايد لرعاية أسر المهجرين
- الأوقاف فى الدقهلية تساهم فى حل مشاكل المواطنين ..
- ٤٢ ألف جنيه لصيانة واقامة المساجد .

تكون اقليم الدقهليه بأسمه الحالى فى عهد الدولة الفاطمية . وسميت الدقهلية نسبة الى قاعدتها دقهلة .

ولقد انشأ مدينة المنصورة الملك الكامل محمد بن الملك العادل أبى بكر بن أيوب من ملوك الدوله الايوبيه سنه ٦١٦ هـ عندما احتل الصليبيون مدينة دمياط جعلها ثكنات لمعسكره . وقد سماها المنصورة تفاؤلا بانتصاره على الصليبيين . ولم يزل بها حتى استرجع مدينة دمياط .

وقد شهدت مدينة المنصورة معارك أخرى للصليبيين عندما جاءت الحملة الصليبية السابعة لغزو مصر بعد مضى ثلاثين عاما من انهزامهم فى دمياط فقد جاءت الحملة سنة ١٢٤٩ م. بقيادة لويس التاسع ملك فرنسا واستولت على دمياط . ثم تقاتل الجيش الصليبى مع الجيش المصرى فى المنصورة حيث دارت بين الفريقين معركة حاميه الوطيس انهزم فيها الصليبيون هزيمه منكرة ولذلك اعتبر المؤرخون معركة المنصورة فى سنة ١٢٥٠ م بداية نهاية الصليبيين فى الشرق . ولا تزال دار ابن لقمان التى اسر فيها لويس التاسع باقية فى المنصورة حتى الان .

احتفلت مدينة المنصورة بعيد الدقهلية القومى فى ٧ من مايو سنة ١٩٧٠ .

وشاركت منبر الاسلام المنصورة فى عيدها القومى . فسجلت معالم التقدم الاقتصادى والاجتماعى فى

محافظة الدقلهية . ذات التاريخ المجيد فى الكفاح الوطنى الذى يعبر عن اصالة شعبنا واصراره العنيد على أن يعيش حرا مهما كلفه ذلك من بذل وتضحيات .

وعلى رغم حركة الانشاء والتعمير الضخمة التى يقودها المحافظ الشاب **عبد الفتاح - أحمد** فقد برزت ملامح احرق أكثر وضوحا وأشراقا وتتجلى أوضح ما يكون فى تلك التعبئة الروحية التى يقودها المحافظ المؤمن الثائر فى قرى المحافظة قبل مدنها وفى ريفها قبل حصرها وهى تتمثل فى تغطيه قرى المحافظه وأحيائها بمكاتب تحفيظ القرآن الكريم والمساجد الفسيحة ذات المنائر العالية . ولعل هذه الصورة المضيئة هى السبب الاساسى فى نجاح حركة التقدم الانتاجى والتعاونى والصناعى والزراعى الذى يحقق أعلى مستويات العمل المنظم والامين فى خدمة جماهير هذه المحافظة التى يستشعر القائمون عليها مسئوليتهم الكاملة عن بناء مجتمعها الذى يحسمه ايضا بأنه قادم من أصلاب مجتمع يحرص أشد الحرص على قيمة الروحية والدينية والثورية التى يفتديها بالمهج والارواح . كما حدث فى الحروب الصليبية التى شهدت المنصورة أروع انتصاراتها عندما كان علماء الاسلام يقودون جيش الشعب فى معركة سجل فيها التاريخ ان مصر لم تذل ولن تهون ما دامت متمسكة بأيمانها بالله والارض والمبدأ والعقيدة .

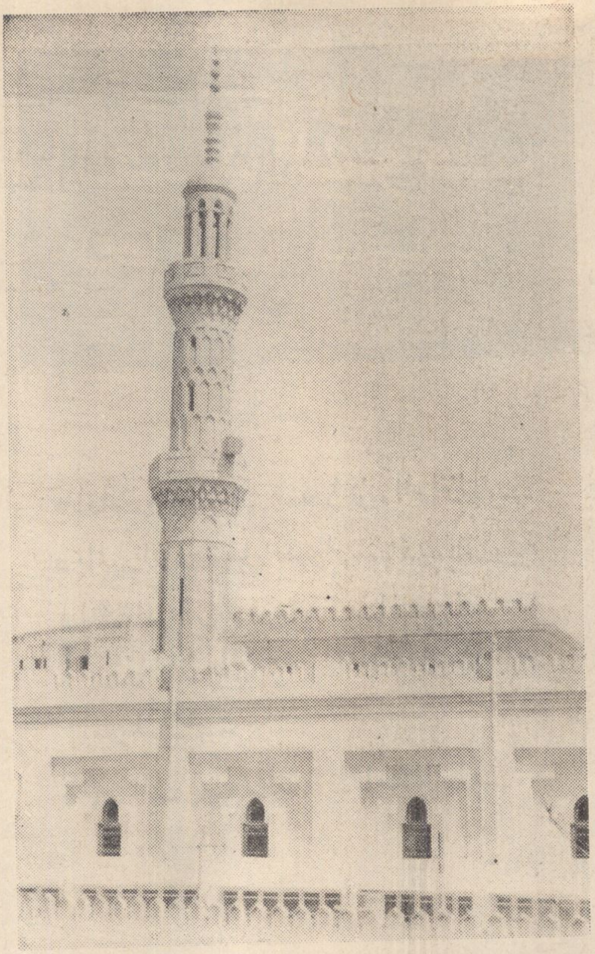

مسجد النصر

هذا هو الخاطر الذى سيطر على فكرى وأنا أحاول التعرف على جوانب الحقيقة كاملة فى هذه المحافظة الناهضة التى تستشعر روح الثورة وانسانيتها فيما تقوم به من أعمال تتحدث عن نفسها بنفسها فى هذا التحقيق الذى أقدمه لقراء مجلتنا الاعزاء مشرفة لهذه المحافظة . لقد بهرنى واحاول فيه أن أنقل صورة صادقة هذا العام سرعة التقدم فى المشروعات . فلقد قدمت فى مجلتنا صورة فى العام الماضى عن الدقهلية واننى فى هذا التحقيق . سأجعل الاعمال تتكلم عن نفسها . فلست مغاليا اذا قلت أنه فى عام واحد قفزت الدقهلية قفزة مشرفة فى الانتاج والتعمير وذلك كله يرجع الى **جهاز كبير يقف على رأسه المحافظ الشاب عبد الفتاح على . والسيد عبد المنعم عبد ربه سكرتير عام المحافظة واجهزة تعمل فى همة وتقدم بخدمة جماهير شعب الدقهلية .** ووصلت المنصورة .. وذهبت الى مبنى المحافظة الجديد الذى يعتبر أكبر مبنى فى المحافظة كلها. وقد وضع تصميمه على أساس أن يشمل مجمعا كاملا للمصالح الحكومية ومديريات الخدمات .

الدفاع المدنى بمحافظة الدقهلية

وتوجهت الى مقابلة السيد المحافظ لتنهئته بالعيد القومى وابتدأت حديثى مع سيادته بأعتبار الدقهلية من المحافظات القريبة من خط القتال عن مدى خطة المحافظة المتكاملة للدفاع المدنى فقال سيادته :

● من خلال الاحداث السابقة استطعنا أن نضع خطة تم اختبارها عمليا . ففى مجال الانقاذ استكملت مجالس المدن مهمات الانقاذ الخفيفة والثقيلة، وسيجرى انشاء جهاز للانقاذ النهرى ببحيرة المنزلة وفرع النيل، وقد وزعت المحافظة منذ العامين الماضيين حتى الان صفارات انذار ركبت بالمناطق الحيوية بمجالس المدن والقرى الكبرى .

ولقد تم توزيع وحدات سيارات اطفاء على مجالس المدن والقرى بالاضافة لماكينات الاطفاء النقالى كما تم اعداد حملة كاملة لاصلاح اى خلل بهذه الاجهزة .

ولقد انشأنا غرفة عمليات مزودة بخطوط تليفونية تصل الغرفة بجميع المناطق الحيوية بالمحافظة وقد تم تخصيص غرفة عمليات مستقلة بكل مجلس مدينة بالمحافظة لتكون على اتصال دائم بالمحافظة .

وتتولى مديرية الصحة أيضا جانب خطة الطوارىء الصحية وقد تم اعداد وحدات اسعاف سريعة متنقلة بالمستشفيات المركزية تتحرك خلال خمس دقائق بها طبيب وأربع ممرضات ومساعدين . وأعدت مديرية الصحة بالمحافظة خطة لفحص دم المواطنين لامكان الاستفادة بها وقت الحاجة يقوم بها بنك الدم الرئيسى بكلية طب المنصورة . هذا ومن ناحية أخرى فان الجهاز الشعبى والتنفيذى يتعاونون لاعداد مخابىء مكشوفة للمواطنين فى الطرق العامة . وقد تم اعداد جزء كبير من هذه المخابىء . ولقد شكلت لجنة من المسئولين عن الدفاع المدنى للمرور بصفة دائمة على المصانع والمؤسسات خاصة بالقطاع الخاص للتأكد من سلامة اجهزة الاطفاء والانقاذ .

والدفاع الشعبى هنا فى المحافظة مكمل للدفاع المدنى وذلك لحراسة المنشآت والمساهمة فى الدفاع عن المنشآت الحيوية وقد ظهر جليا فى هذا المجال تكاتف الجهازين الشعبى والتنفيذى لخلق فرق الدفاع الشعبى وفى خلال الاشهر الستة الماضية تم تخريج افواج من المتطوعين بلغ عددهم أربعة أفواج بالمنصورة وثلاثة أفواج بميت غمر وفوج بأجا وأربعة عشر فوجا بمجالس المدن الاخرى . وجميعها مدربة على استعمال كافة الاسلحة .

النهضة الدينية

وبعد أن تناول حديثنا هذا الجانب الاساسى فى وقتنا الحالى حاولت أن ألقى الضوء على الجانب المكمل له . وهو الجانب الدينى . **فالحقيقة أن محافظة الدقهلية لم تشهد نهضة دينية مثلما**

شهدت فى الاعوام الثلاثة الماضية . فالاهتمام بالقيم الروحية والمحافظة على تراثنا الاسلامى كان وما يزال أحد الشعارات الدينية للمحافظة . وقد تبع ذلك نهضة شاملة لتعمير بيوت الله . وعن هذا المجال الدينى تحدث سيادة المحافظ فقال :

● لقد قررت تشجيع فكرة الجهود الذاتية لبناء المساجد بالمحافظة وقد بلغت قيمة المبالغ التى قدمت من المحافظة لاقامة المساجد بالجهود الذاتية هذا العام عشرة آلاف جنيه وقد تم صرف ٤٢ جنيه من ميزانية هذا العام لصيانة مساجد المحافظة منها ٢٠ ألف جنيه لمسجد النصر الجديد . الذى يقام بشارع الجيش ، وستة آلاف جنيه لترميم وتوسيع سيدى ياسين ، وخمسة آلاف جنيه لجامع العمرى بطلخا بالاضافة الى عشرة آلاف جنيه لثمانية عشر مسجدا جارى اصلاحها بالمحافظة .

ولقد خصصت المحافظة ومديرية الاوقاف لتعمير مساجد الاهالى هذا العام **١٩ ألف جنيه وذلك لثلاثة وثمانين مسجدا أهليا بقرى ومراكز المحافظة تقام بالحلول الذاتية . وبذلك تبلغ قيمة الاعتمادات التى تدفعها المحافظة ١٢ ألف جنيه ، وخمسون ألف جنيه من وزارة الاوقاف والمديرية .**

هذا ولقد أعددنا خطة لمساهمة الوعظ والارشاد الدينى فى توعية الجماهير فى الخطب الدينية بالمناسبات ويوم الجمعة . لتعليم واتباع ارشادات الدفاع المدنى ورفع الروح المعنوية بين المواطنين

وبهذا نكون قد وصلنا الى نهاية حديثنا مع السيد الاستاذ عبد الفتاح على محافظ الدقهلية وتركنا مكتبه لنتجول فى انحاء المبنى الكبير لنلتقى بأكثر من مسئول لنعيش فى هذا المهرجان الشعبى الكبير ووسط العديد من المشروعات الضخمة التى تم افتتاحها فى العيد القومى .

الاستاذ عبد المنعم عبد ربه
سكرتير عام المحافظة

مع سكرتير عام المحافظة

والتقينا بالاستاذ عبد المنعم عبد ربه سكرتير عام المحافظة لنلتقط منه حديثا سريعا فى هذه المناسبة القومية عن اهتمام المحافظة برعاية أسر المهجرين . فصرح سيادته قائلا :

● **ان عمليات رعاية المهجرين من منطقة القناة الى محافظه الدقهلية تلقى اهتماما متزايدا من الاجهزة التنفيذية والتنظيمات الشعبية على جميع مستوياتها فى المدن والقرى** وهناك لجنة على مستوى المحافظة تضم ممثلى هذه الاجهزة والتنظيمات مهمتها الاشراف الدائم على تنفيذ الخطة الموضوعة لتنسيق حياة الاسر المهجرة والمرور على مراكز الايواء للتعرف على مطالب المهجرين وتدبير مطالبهم وحل مشاكلهم .

وقال سكرتير عام المحافظة ان عمليات الرعاية والاعاشة بالنسبة للاسر المهجرة تشمل الاسكان والبحث الاجتماعى والاعاشة اليومية والرعاية الصحية وتوفير فرص العمل المناسب حسب تخصص كل مواطن وقد تم تشغيل ٢٥٣٠ مواطنا من المهجرين فى أعمال تتناسب وقدراتهم، وفى نفس الوقت دعمت المحافظة وسائل المواصلات بين مراكز الايواء ومدن المحافظة لتيسير الانتقال .

وبالنسبة للخدمات التموينية فقد تم تعزيز حصص المراكز ذات المعسكرات بمقررات تموينية اضافية وزعت على الجمعيات الاستهلاكية .

ومن ناحية الخدمات الطبية تم **تخصيص ٢٠ ألف جنيه اعتمادا اضافيا للادوية لمعسكرات المهجرين وزعت على معسكرات الايواء بالاضافة للادوية الموجودة أصلا بالمعسكرات.** ومن ابرز الخدمات التى تقدمها المحافظة لضيوفها الخدمات التعليمية فقد بلغ عدد الطلبة المهجرين بمختلف المراحل والموجودين بمعاهد ومدارس الدقهلية ٣٣١٠٠ طالب تقريبا من محافظات القنال عامة .

وقد قامت المحافظة بدفع مصروفات المدارس الخاصة وفصول الخدمات التى بلغت حوالى ٤٠ الف جنيه تسهيلا على أولياء الامور . كما أعلن السيد المحافظ انه قد أعفى الطلبة المهجرين اعفاء كاملا من كافة الالتزامات المادية بالمرة حتى استمارة الشهادات المختلفة .

أما خدمات الاسكان فبالرغم من ازدحام مدن المحافظة فلقد تمكن من توفير ٦٥٠ شقة بمساكن القطاع العام للمهجرين علاوة على ١٠١٠٠ شقة تم تدبيرها بالمساكن الخاصة . هذا بالاضافة الى خدمات أخرى :

● **تخفيض ٢٥ فى المائة من** قيمة استهلاك المياه والانارة .

والمشروعات على صفحات مجلتنا الغراء .

• • •

٥٠٠ جنيه .. مساهمة لبناء جامع ابن لقمان

تبرعت محافظة الدقلهية بمبلغ ٥٠٠ جنيه للمساهمة فى بناء ورفع الروح المعنوية بين مسجد ابن لقمان . الذى وضع حجر الاساس له الدكتور عبد العزيز كامل وزير الاوقاف فى الشهر الماضى . ومن الجدير بالذكر أن هذا المسجد يقام باجهود الذاتية .

• • •

١٠ آلاف أمى يتعلمون القراءة والكتابة

يبدأ هذا الصيف بقرى الدقهلية تنفيذ مشروع تعليم الكبار فى محافظة الدقهلية . يشترك فى المشروع مديرية التربية والتعليم ومديرية الشباب . يستفيد من هذا المشروع ١٠ آلاف مواطن .

• • •

السيد المحافظ مع أسر المهجرين

- تقرر اعفاء المهجرين من رسم الكشف الطبى بالوحدات المجمعة والمستشفيات .
- استخراج ما يزيد عن ٢٥٠٠ اشتراك مجانى للطلبة الدارسين بعيدين عن مناطق اقامتهم .
- تحسين الصرف الصحى بالمسدرات .
- تستعد المحافظة لافتتاح فروع جمعيات استهلاكية بمناطق الايواء النائية لتقديم خدمات التموين للمهجرين .
- صرف حصص من الاسماك المجمدة للمهجرين الحاصلين على رخصة صيد اسماك . وأخيرا فان محافظة الدقهلية اذ تقدم هذه المجهودات لتعتبر أن هذا واجب وطنى يجب أن توليه اهتمامها المتزايد . لرعاية ابناء واخوة أهل القنال الذين تركوا ديارهم بعد أن اعتدى عليهم العدو الغاشم .

وتركنا مكتب السيد السكرتير العام لنتجول فى مبنى المحافظة لنقل صورة أخرى من الاعمال

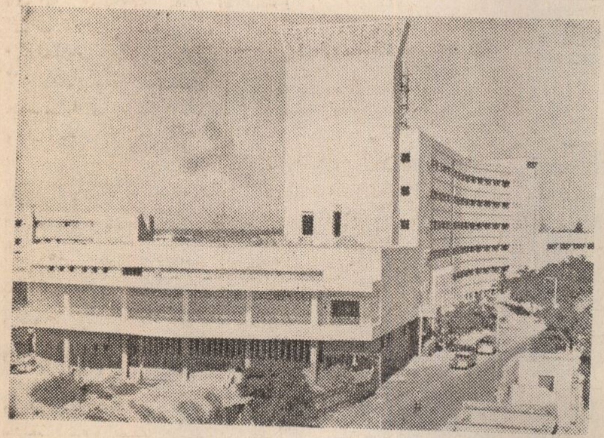

مبنى المحافظة الجديد

تشكيل لجان الشباب بالدقهلية

أصدر الدكتور مفيد شهاب أمين منظمة الشباب قرارا بتشكيل لجان الشباب بمراكز واقسام المنصورة وميت غمر والمنزلة والمطرية ودكرنس وشربين والسنبلاوين ·

مجلس الاعلام والثقافة يجمع التراث الشعبى

يقوم مجلس الاعلام والثقافة بالمحافظة بوضع خطة شاملة لجمع التراث الشعبى والفنى بقرى ومدن المحافظة · كذلك يقوم بالاشتراك مع مجلس الاصلاح الدينى باعداد خطة للارشاد الزراعى والقومى ·

● ● ●

حديقة للاطفال فى المنصورة

ينتهى مجلس مدينة المنصورة من بناء حديقة عامة للاطفال هذا الشهر · تبلغ مساحة هذه الحديقة التى تقام بجوار نفق الجمهورية ثلاثة أفدنة تكلفت ١٢ الف جنيه وخمسمائة جنيه وجهزت بألعاب لتسلية الاطفال ·

● ● ●

السيد الدكتور عبد العزيز كامل وزير الاوقاف وشئون الازهر والسيد المحافظ يضعان حجر اساس احد المساجد بالمنصورة

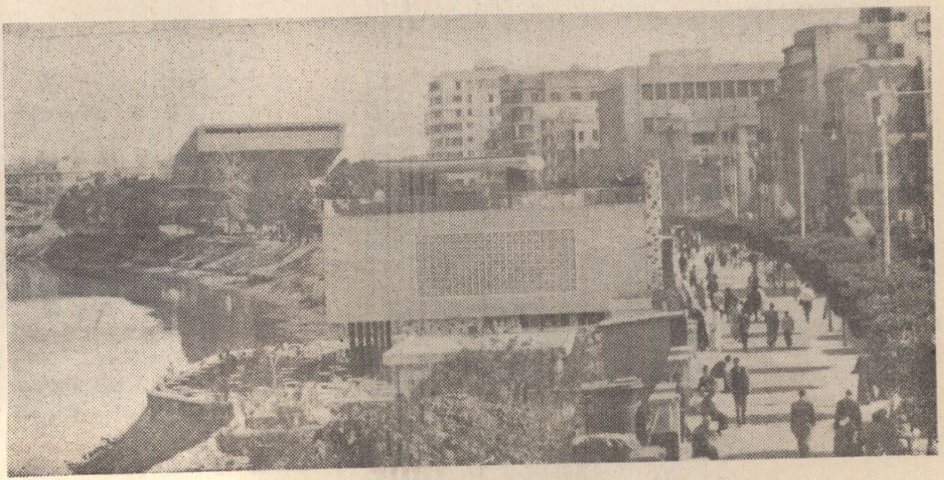

بعض المعالم السياحية بمدينة المنصوره

تربية ملكات النحل بالطرق الصناعية

افتتحت محافظة الدقهلية منحلا نموذجيا بقرية العزيزة بالمنزلة لتربية ملكات النحل الكرينونى بالطرق الصناعية • يهدف هذا المشروع الى تحسين الانتاج فى ١٠ مناحل بمراكز المحافظة تضم ١٨٠٠ خلية • سيقوم المنحل بالاضافة الى ذلك بتحسين سلالة النحل فى المناحل الموجودة بمراكز القرى •

● ● ●

الانتخابات فى ١٠ جمعيات

بدأت انتخابات مجالس الادارات للجمعيات التعاونية الزراعية بقرى الاصلاح الزراعى بالدقهلية أيام ٢٢ ، ٢٥ ، ٢٧ مايو • تجرى الانتخابات فى ١٠ جمعيات ويشترك فيها ٤٣ ألف فلاح •

● ● ●

الاهتمام بمقاومة الدودة فى القرى

تم تشكيل لجنة عليا لمقاومة الافات بالمحافظة برئاسة عبد الفتاح على أحمد محافظ الدقهلية • قامت مديرية الزراعة حتى الان بعلاج ١٣ ألف ، ١٢٠ فدان ضد الافات الاولى لمحصول القطن وهى حشرات المن والتربس والدودة القارضة والعنكبوت الاحمر • كذلك تم علاج ١٨ ألف فدان من الدودة الخضراء •

● ● ●

انجازات عام واحد للنهوض بالقرية فى الدقهلية

● جميع المديرين يشتركون فى تنسيق خدمات الريف •

● زيادة الانتاج الزراعى فى الحقول الارشادية بنسبة عالية •

● ٢٤ مدرسة لمختلف المراحل و ٢٤ مركزا لمحو الامية •

اهتمت المحافظة بالقرية اهتمامها بالمدينة وليس أدل على ذلك من مشروع كهربة ٤٢٢ قرية بالدقهلية ومد الخدمات الى الريف بطريقة سريعة ميسرة •

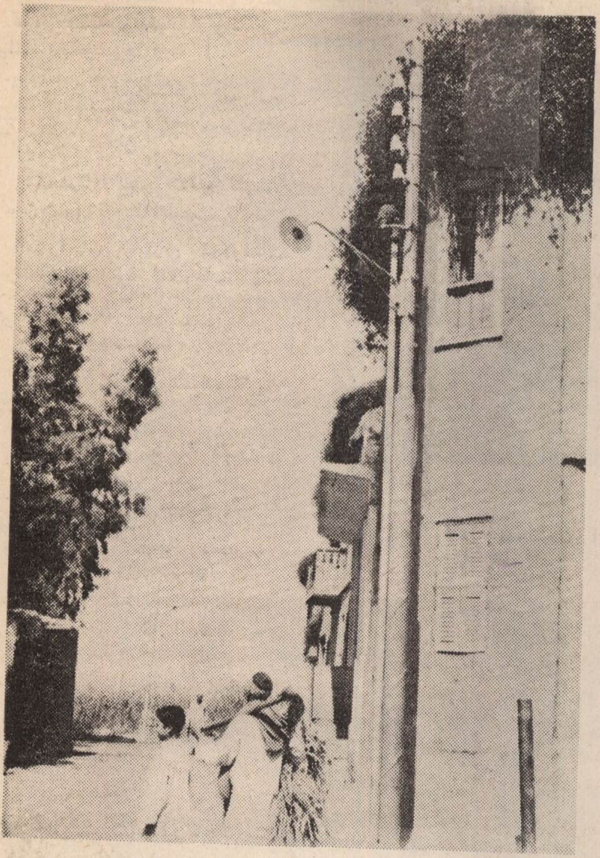

الكهرباء تدخل قرى الدقهلية ضمن خطة تحقيق القرية النموذجية

وقد ركزت المحافظة كل مجهوداتها فى خطة واحدة تحت اسم النهوض بالقرية شملت تقديم الخدمات لكافة القرى، وخطت خطوات موفقة لتحقيق القرية النموذجية وحتى تؤتى هذه الخطة نتائجها السريعة فان المحافظ السيد عبد الفتاح على يحرص على رئاسة اجتماعات لجنة النهوض بالقرية وصرح السيد الاستاذ عبد المنعم عبد ربه السكرتير العام للمحافظة بأن هذا الاسلوب فى العمل قد حقق خلال السنة الماضية وحدها المشروعات التالية :

● الاسكان والمرافق •

تم تنفيذ مشروع القرى الارشادية فى خمس قرى بالمحافظة •

اقامة مدرسة ثانوية بميت سلسيل مركز المنزلة تكلفت ١٠ آلاف جنيه •

١٠ مدارس اعدادية بقرى برج النور الحمص وميت العامل وكفر الشيخ عطية والعيادية والعزيزة والجمالية وغيرها .

١٣ مدرسة ابتدائية فى قرى ميت ابو الحسن وميت بزو وميت ناجى وكفر نعمان .

٢٤ مركزا لمحو الامية لكبار السن .

استراحات بالقرى لمدرسات المرحلة الابتدائية المغتربات تخدم ٦٠٠ مدرسة .

● الصحـــة

انشاء مركز للاسعاف لقرية بدواى .

غرفة عمليات كاملة لقريتى بدواى وطرانيس البحر .
انشاء مجموعة صحية بقرية سلامون القماش .

مستشفى الصدر بالمنصوره

شباب المحافظة يأخذ دوره فى تدريبات الدفاع الشعبى

السيد المحافظ والسيد السكرتير العام يتابعان الانجازات الضخمة التى تشهدها محافظة الدقهلية

● الشئون الاجتماعية

مشغل لقرية بدواى يخدم ٤٣ فتاة باشتراك رمزى قدره عشرة قروش .

دار حضانه ببدواى تخدم ٨٥ طفلا .

مشغل للفتيات بطرانيس البحر .

● ● ●

النور فى كل قرية

لمحافظة الدقهلية كل عام مشروع رائد يحقق آمال الالاف من الناس وتسهم الجهود الذاتية فى التنفيذ جنبا الى جنب مع الاجهزة التنفيذية فى المحافظة .

والمشروع الرائد الذى طرحته محافظة الدقهلية فى بداية العام الماضى ويأخذ طريقه الى حيز التنفيذ بالجهد الذاتى هو مشروع توصيل التيار الكهربائى الى جميع قرى المحافظة بل الى داخل كل بيت فى القرى وسيستفيد من هذا المشروع ٣٠٠ قرية موزعة فى كل مراكز المحافظة .

● ● ●

١٦ ألف جنيه لبناء مستشفى بميت غمر

قرر عبد الفتاح على محافظ الدقهلية تخصيص ١٦ ألف جنيه لاقامة مستشفى ميت غمر المركزى تبلغ تكاليف المشروع ١٥٠ ألف جنيه . خصص مجلس المدينة ٧ أفدنة لاقامة المستشفى .

● ● ●

أطباء الدقهلية يعالجون أسر المجندين مجانا

أصدرت النقابة الفرعية لاطباء الدقهلية قرارا بعلاج أسر المجندين مجانا فى المستشفيات الخاصة . كما أوصت النقابة بمنحهم الاولوية فى اجراء العمليات بالمستشفيات العامة والمؤسسات العلاجية .

● ● ●

١٠ آلاف جنيه لرصف الطرق بجمصة

خصصت محافظة الدقهلية ١٠ آلاف جنيه لرصف الطرق والشوارع الرئيسية بمصيف جمصة أعد مجلس ادارة المصيف مع مراقبة الطرق بالدقهلية خطة للانتهاء من عمليات الرصف قبل بداية موسم الصيف .

● ● ●

هذه هى الدقهلية كما رأيتها من خلال الاضواء التى شملتها فى ذكرى المولد النبوى الشريف . فقد كانت احتفالاتها بهذه الذكرى الشريفة على موعد مع عيدها القومى الذى استعرضت حساب عام من الانتاج والتعمير والانشاء والنضال من أجل اعلاء مشيئة الله بحفظ كرامة الانسان .

البطولة والفداء

في ميدان الحروب وفي سبيل الانسانية

الاستاذ محمود كمال

« كل أعمال البطولة قام بها أناس آمنوا بأن فى نفوسهم شيئا أقوى من الظروف التى تحيط بهم » .

•••

يطيب لى أن أفتتح مقال اليوم ، من هذه السلسلة ، بآية كريمة ، وحديث شريف ، وحكمة طريفة رائعة ، لعلها كلها تنفع الامة العربية فى محنتها الماثلة ، فتعلم أن الاتحاد قوة يكفل لها النصر المؤزر بفضل الله .

قال تعالى « يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون ، واطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم ، واصبروا أن الله مع الصابرين » .

ويقول الرسول الاكرم « اذا لقيتم العدو فاثبتوا واصبروا ، واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف » .

[١] محمد كريم

عاصر عبد الرحمن الجبرتى ، المؤرخ المعروف ، الحملة الفرنسية على مصر ، وأرخ لحوادثها ، يوما بيوم ، وقال عن « محمد كريم » انه « كان عنده خفة فى الحركة ، وتودد فى المعاشرة ، فاحبه الناس ، واشتهر ذكره فى ثغر الاسكندرية ورشيد مصر » .

ومحمد كريم من أهل الاسكندرية ، وكان عصاميا ، ومجاهدا ، ذلك أنه « بدأ حياته قبانيا فى الثغر وأهلته هذه الصفات لتولى أكبر مناصب المدينة ، فلم يلبث مراد بك أن أصدر أمره بتقليده أمر الديوان والجمارك بالثغر ، أى أنه عينه حاكما للاسكندرية ومديرا للجمارك بها »

أما أنه عصامى فظاهر من كونه ارتقى بفضل مؤهلاته الذاتية الى هذه المرتبة الرفيعة حتى لقد أصبح نافذ الكلمة وصاحب السلطان فى هذه المدينة العظيمة

وأما أنه مجاهد ، فلسوف نرى ذلك من سيرته التى نوجز ناحية من نواحيها ، هنا ، فى سطور قليلة ، لان المقام ليس مقام الافاضة فى مدونات التاريخ ، ولكنه مقام كشف عن روح البطولة والتضحية ، والفداء .

غزا نابليون من بلاد أوربا ما غزا ، ثم اتجه بتفكيره نحو انجلترا ، ولكن لقد بدا له أن ذلك أمر عسير ، ومتعذر عليه فاتجه وجهة أخرى — تلك هى غزو مصر ، وأخفى هذا الاتجاه والغرض منه اخفاء .

أخذ نابليون يعد جيوشه للحملة ، وكان يهدف من وراء ذلك الى شيئين ..

أولا — ايهام انجلترا بأن حملته هذه التى يعد جيوشه من أجلها ، موجهة اليها بالذات ، فلا تلبث هى أن تتفرغ الى تجهيز جيوشها للدفاع ، والى تحصين ثغورها والاعداد للحرب ، فلا تفكر فى أى شىء آخر خلاف ذلك ، ولا تفطن الى أغراضه الحقيقية .

ثانيا — أن الاستيلاء على مصر من شأنه أن يسد طريق التجارة الهندية أمام انجلترا ، بل انه قد يمهد له سبيل غزو الهند نفسها .

على أن انجلترا « علمت بأمر هذه الحملة ، غير أنها لم تكن على بينة من هدفها ، فأرسلت أسطولها بقيادة نلسن لتتبع الحملة الفرنسية ، ومرت حملة نابليون بجزيرة مالطة ، وتلكأت فيها قليلا وسبقها أسطول نلسن الى ميناء الاسكندرية فى ٢٨ يونية سنة ١٧٩٨ » .

وأرسل نلسن الى محمد كريم ينبهه الى الحملة الفرنسية ويحذره منها ، ويطلب السماح له بأخذ التموين اللازم لاسطوله من الاسكندرية ، ولكن « كريم » رفض السماح له بما طلب ، فلم يكن بد ، أمام نلسن من أن ينسحب بأسطوله الى بعيد فى البحر الابيض المتوسط .

وفى ٣٠ من الشهر نفسه وصل الفرنسيون الى الاسكندرية وبعثوا الى « محمد كريم » لكى يسمح للقنصل الفرنسى فى الثغر بمقابلتهم ، فسمح بذلك واتخذت فى الوقت نفسه ، الحيطة ، خوفا من أن يكون مثل هذا الامر فيه خبىء .

على أن نابليون أنزل جنوده فى منطقة العجمى فى ٢ يولية ١٧٩٨ ، وتقدم زاحفا على الاسكندرية ورغم أن المدينة لم تكن مستعدة للدفاع لدى هذه المفاجأة ، ورغم تفوق الفرنسيين فى العدد والعدة ، فقد جمع « كريم » جموعه ، وقاوم قدر امكانه ، وأرسل الى « مراد بك » فى القاهرة يخبره بما حدث ، ويطلب منه المدد والمعونة ، ويحذره من الفرنسيين لكى يعد عدته لهم .

وأكبر نابليون بطولته وجهاده ، وقدر فيه روح الكفاح فى الدفاع عن وطنه ، فرد عليه سيفه ، وقلده وظيفته التى كان يشغلها محافظا للثغر ، وعين فى الوقت نفسه ، « كليبر » حاكما عسكريا الى جانبه .

وقال أحد أعضاء بعثة العلوم والفنون المصاحبين للحملة « لقد لاحظت على ملامح هذا الرجل الذكاء والدهاء ، وكأنما كان يكتم عواطفه عنا ، على أنه بدت عليه علامات التأثر من العفو الذى أسداه اليه القائد العام » .

وتبين « لكليبر » أن « كريم » قبل منصبه « ليزرع الشوك فى طريق الاعداء

ويثير الضباب امامهم فى كل خطوة يخطونها » ، وكان من آثار ما يضمره هذا الرجل من عداء للغزاة أن بدت روح المقاومة لدى الاهلين « واختفت الجمال والقرب تماما » من مدينة دمنهور عندما وصلت اليها حملة فرنسية تطوف بالمنطقة لتامين مواصلات الفرنسيين ، وبذلك فان الحملة لم تستطع الحصول على حاجتها من الزاد والماء ، فامر كليبر بالقبض على « كريم » وارساله مكبلا بالاغلال الى القاهرة .

وفى ٥ ديسمبر سنة ١٧٩٨ أصدر نابليون حكمه « باعدامه رميا بالرصاص ومصادرة جميع أملاكه وامواله ، ولكنه سمح له بان يفتدى نفسه بدفع غرامة قدرها ثلاثون ألف ريال فى مدى أربع وعشرين ساعة .

وكان كريم يؤمن بان جريمته ليست شيئا آخر سوى نهوضه للدفاع عن وطنه واخلاصه فى خدمته ، فاذا كان الوطن يتطلب منه التضحية باغلى ما يملك ـ بروحه ـ فانه ليجود بها غير ضنين .

وبذلت محاولات لاقناعه بافتداء نفسه بالمال المقدر فدية له ، ولكنه أبى وأصر على ابائه ، وقال لكبير تراجمة الحملة « اذا كان مقدورا على أن أموت فلا يعصمنى من الموت أن أدفع هذا المبلغ ، واذا كان مقدرا لى الحياة فعلام أدفعه» !!

ونفذ حكم الاعدام فى « محمد كريم » وضمه التاريخ الى قائمة الابطال ،الاحرار المجاهدين ، وذهب الى ربه راضيا مرضيا

[٢] تمثال لرجل شجاع .

فى اثناء الحرب العالمية الثانية احتل النازى يوغوسلافيا ، وكانت مدينة «كرانج» مركزا وسطا فى منطقة الاحتلال .

وهذه المدينة محاطة بالغابات فاتخذ الفدائيون اليوغسلافيون من هذه الغابات مقرا لهم . وكانوا يؤرقون القوات المحتلة بأعمالهم الفدائية ، وحدث أن وجد جندى ألمانى مقتولا فى كهف قريب من المدينة ، فلم يكن من النازيين الا أن اعتقلوا عشرة رجال من أهلها رهينة ، وأعلنوا انه ان لم يكشف عن القاتل فى ظرف أربع وعشرين ساعة فسوف يقتل هؤلاء الرجال العشرة جميعا .

وقبل انقضاء فترة الانذار قدم أحد الرجال اليوغسلافيين نفسه الى المحتلين معلنا انه القاتل ، فكان جزاؤه أن علق على شجرة ثبتت عليها لافتة كتب فيها أن « هذا الكلب تجرأ وقتل جنديا المانيا » وأخذ الالمانيون يضربونه بالسياط حتى مات !

وبعد أن أطلق سراح الرجال العشرة الذين كانوا قد أخذوا رهينة ، تبين أن هذا الرجل لم يكن هو القاتل ، ولكنه أراد أن يفتدى عشرة رجال ، يحتفظ بهم الوطن ذخيرة له فى ظرف هو أحوج اليهم فيه فلم يكن من هؤلاء الرجال العشرة ، بدورهم الا أن انضموا الى فرق الفدائيين مكونين من أنفسهم جماعة سميت باسم هذا الرجل

ولما انتهت الحرب ، أقامت مدينة « كرانج » تمثالا له ، نصبته فى أكبر ميدان من ميادينها .

وهكذا يخلدون ذكرى الابطال ، ومعنى البطولة .

[٣] [أ] بطولة أم

كانت من أجمل نساء انجلترا وأنضرهن شبابا ، ولكنها أصيبت « بالجدرى » فشوه جمالها ، وملا وجهها بالثقوب والنتوءات ، ومسح حاجبى عينيها .. وانتشر هذا الوباء فى بلادها فيما بين عامى ١٧١١ و ١٧١٩ .

وكان زوجها سفيرا لبلاده فى تركيا فسافرت اليه وهناك سمعت عن وصفات علاجية لهذا المرض يستعملها بعض النسوة ، ورأت أن بعض هذه الوصفات يستند الى اساس علمى سليم ، اذ ان تركيا كانت قد نقلت الكثير « من العلوم الطبية التى ازدهرت فى بلاد العرب ، والصين ، والهندوستان » ، كما رأت النسوة يطعمن الشبان والصبية ضد المرض بطريقة بدائية ، والتطعيم كان معروفا من قبل ذلك بقرون فى بلاد الصين

وأخذت هذه السيدة تتقصى الامور حتى آمنت بفائدة هذه الوصفات ، فكتبت ، فى سنة ١٧١٧ ، الى المسئولين فى بلادها تطلب ارسال مندوبين الى تركيا لدراسة هذه الطريقة العلاجية ، وبحثها على أساس علمى ، ولكن طلبها لم يقابل باهتمام ، فرأت أن تقدم على خطوة جريئة وخطيرة ، بأن طعمت ابنها ، ثم قضت أسبوعا عصيبا عليها ، وعلى الاخص حين ارتفعت درجة حرارته ولازم الفراش ولكنه سرعان ما استعاد صحته وأصبح عاديا .

وعادت هذه السيدة الى بلادها لتعلن للمختصين بنفسها نتائج تجربتها ومشاهداتها ولكنها ، مع ذلك صادفت سخرية واستهزاء ، ورغم هذا فقد واصلت دعايتها لفكرتها ، ولكى تقدم الدليل على صحتها قامت بتطعيم ابنتها أيضا ، وسمحت « كارولينا » ، أميرة ويلز التى صارت ملكة فيما بعد ، بما حدث فقدمت بناتها لتجرى عليهن التجربة .

وانتقلت أخبار هذا العلاج الى فرنسا حيث كان المرض قد حصد فى عام واحد أكثر من عشرين ألفا ، فامر « فولتير » بتجربة التطعيم وتعميمه اذا كان ناجحا وأقر رجال الطب بفائدته « وفى عام ١٧٥٤ نجحت معركة التطعيم وأنشىء مستشفى خاص له » ، ولكن ذلك حدث بعد أن ماتت تلك الام الشجاعة .

[ب] ـ بطولة أطباء

كان مرض الجدرى ، حتى أوائل القرن التاسع عشر ، يعد من أخطر الاوبئة الفتاكة بالبشر ، ففى كل عام كان عشرات الالوف من الناس فى المشرق والمغرب يذهبون ضحايا له ، أما الذين ينجون منه فكانوا يعيشون فى هم مقيم بسبب ما تركه فى وجوههم وأجسامهم من تشويه .

وحدث أن جاءت مريضة ريفية من قرية قريبة من مدينة « برستول » الى احدى العيادات الطبية بتلك المدينة ، طلبها الدكتور « ادوارد جنر » وكان طبيبا ناشئا وعلم منها أن بعض القرويين « كانوا يقومون بحلب بقرات مجدرات فانتقلت اليهم عدوى الجدرى » ولكنهم سرعان ما شفوا منه ، ثم حدث أيضا ، أن نزل المرض بقريتها هى فلم تصبهم عدواه فى حين أصابت من حولهم من الاهلين .

وحدثت الدكتور نفسه بامكان الانتفاع بجدرى البقر لتحصين البشر ضده ، وبعد تجارب واسعة تحقق له « أن مصل الجدرى المستخرج من البقر كفيل بأن يحصن من يطعم به » ولم يحجم الدكتور عن اجراء تجربة لهذا المصل على « ولده الاكبر » ونجحت التجربة وشفى ابنه من الاعراض الخفيفة التى أصابته .. كذلك لم يحجم عن تجربة أكثر خطورة « فنقل الى ولده مادة الجدرى الفتاكة من مريض مصاب به ، وذلك ليتحقق من أثر المصل الذى استكشفه للوقاية من خطر ذلك الداء » . وأسفرت التجربة عن نجاح أيضا .

ورغم هذا النجاح فان استكشافه لقى اعراضا من الاطباء ، كما أن « رئيس الجمعية الطبية الملكية فى لندن » لم يوافق على عرض استكشافه على الجمعية بحجة انه أمر يصعب تصديقه . فلم يجد « جنر » بدا من اذاعة استكشافه فى

كتاب نشره فى أبريل سنة ١٧٩٨ .

وقام أحد الاطباء الالمان بترجمة هذا الكتاب ونشره ، « وانشاء مراكز تطعيم بهذا المصل فى اوربا » وطعم به كثير من الملوك وكبار القوم ، وشجعته قيصرة روسيا فى ذلك الحين ، « وأهدت الدكتور خاتما من الماس ، وقررت له مكافأة مالية سنوية » . ثم تتابع نجاح هذا الاستكشاف فمنحته الجمعية الطبية البريطانية الدالية الذهبية ، وأمر نابليون بتطعيم جنوده بالمصل سنة ١٨٠٥ .

[٤] شهيدة

روى أن زياد بن سعيد بن العاص أصيب بسهم قاتل فى موقعة فقضى نحبه ، وكانت زوجته لا تزال عروسا لم يمض على زفافها غير قليل ، واذ علمت بمقتله أصابها حزن شديد ، وأسرعت اليه مهرولة تتعثر ، وما أن وصلت الى حيث كانت جثته حتى وقفت على رأسه صامدة ، صابرة ، متجلدة ، حابسة دموعها ، مانعة اياها من أن تفيض ، متمالكة نفسها من أن تنهار ، ولم تزد على قولها انها سوف تكون حراما على أى انسان غيره وانه لن يمسها بشر من بعده ، وتمنت لو لحقت به ، ورقدت الىجواره . ثم التقطت سلاحه . ثم دفن ، وصلى عليه سيف الله خالد ، ولم تلبث هى أن لحقت بجيش المسلمين دون علم من خالد أو خبر لديه عنها . وما زالت تقاتل فى الصفوف قتال المجاهدين ، وكانت معروفة بأنها رامية ، تجيد رمى السهام فلا ينزل منها سهم على الارض ، وهكذا بقيت محاربة الى أن رميت فذهبت الى ربها راضية محققة امنيتها فى أن تلحق بزوجها ، وترقد الى جواره ، شهيدة .

فى سبيل الله

كلمة

الأستاذ محمد دياب

قريبا من الحديث حول لجان المواطنين من أجل المعركة .. أريد أن اطرح تصورا لما يجب أن يكون عليه كل مواطن تأهبا لدوره فى الحرب .

ان حرب التحرير اصبحت حجر الزاوية فى حركة الجماهير اليومية .. ودور كل مواطن وكل مواطنة فى هذه الحرب قدر لاخيار فيه ولامفاضلة .. فالطائرات والقنابل والصواريخ والنابالم لاتختار ولاتفاضل بين مواطن وآخر .. لا بين عسكرى ومدنى .. ولا بين رجل وامرأة .. أو بين شاب وطفل . او مثقف وفلاح وعامل .. الكل يراد بهم أن يكونوا حصادا وحصيدا .. والكل أمام الموت او الحياة يجب ان يكونوا جنودا فى كتائب الحرب الشاملة لسحق العدوان وكسر شوكة المعتدين .

وليس من اللازم - لكى يكون المواطن جنديا - أن ينخرط فى صفوف القوات المسلحة .

ان اعداد كل مواطن للحرب مسألة أساسية .. حتى فى الدول التى لا تواجه مثلنا هذه الحرب التوسعية العنصرية .. بل حتى فى الدول التى لا تدخل اى حرب والتى تعلن حيادها فى كل حرب مثل سويسرا .

ان المواطن السويسرى يبدأ تدريبه العسكرى فى سن الثامنة عشرة لمدة ستة أشهر .. ثم بعد ذلك يخضع لتدريب سنوى مدته خمسة عشر يوما .. وذلك لضمان عدم انقطاع صلته بالسلاح واطلاعه بصورة دائمة على تطورات صناعة الاسلحة .. مع اكسابه قدرة متجددة على استخدام الاسلحة الحديثة .

ليس هذا فقط .. بل ان المواطن فى سويسرا يملك فى بيته كل معدات الجندى من ذخائر وأسلحة وكمامات وسائر مستلزمات الوقاية من الحرب .. وهو الى جانب ذلك يدخر كميات من الطعام تكفى أسرته - فى أية طوارىء - لمدة أسبوع .. وكلما تقادم العهد بما يدخره من معدات وأطعمة استبدل بها جديدا وحديثا .

هكذا يعيش الشعب السويسرى مستعدا فى كل لحظة للحرب وهو ليس فى حرب ولا يدخل أية حرب

حول مهمة لجان المعركة

وليس الشعب السويسرى وحده .. فكل شعب له يقظته وحسه الدفاعى .. وكل شعب مثلنا صمم على أن يبنى للحياة ويحارب من أجل الحياة .. انما يحارب ويبنى تحت شعار يقول : جرد سلاحك كأنك تحارب غدا ، وازرع زهور الحياة كأنك تعيش فى سلام دائم . . .

ونحن لو نظرنا الى أسلوب التفكير الاسلامى فى الاعداد للحرب دفاعا عن النفس لوجدنا ان للاسلام صيحته الجهيرة فى الحث كل لحظة على الاعداد والاستعداد والقوة .. لا للعدوان او القهر بل لدفع العدوان وتأمين الدعوة :

« أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير ، الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق الا أن يقولوا ربنا الله »

« وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم »

« وقاتلوهم حتى لاتكون فتنة ويكون الدين لله ، فان انتهوا فلا عدوان الا على الظالمين »

« وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله »

« فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم وألقوا اليكم السلم ، فما جعل الله لكم عليهم سبيلا » .

......

ولقد اعد الرسول صلى الله عليه وسلم لسبع وعشرين غزوة ومايقرب من ستين سرية .. وكانت كل هذه الغزوات والسرايا حربا دفاعية تهدف الى رد العدوان وضرب تحرشات المعتدين بالدولة الاسلامية العريقة الجديدة للقضاء على وحدتها وقوتها المتصاعدة ..

لقد نقض اليهود معاهدتهم مع الرسول .. وحاربوه فى البداية حربا فكرية ونفسية تعتمد على التشكيك واثارة الجدل فى مسائل القضاء والقدر وخلق الافعال وغيرها .. علهم بذلك يردون المسلمين عن الاسلام .. فلما فشلوا فى هذه الحرب عمدوا الى حرب السيف .. ولكنهم هزموا فى غزوة الاحزاب .. ثم فى غزوة خيبر .

وتحرش الفرس والروم بالدوله العربيه الاسلامية .. صلب الروم عاملهم على عمان عقابا له على اسلامه .. وقتلوا اربعة عشر مسلما بعثهم الرسول الى شرق الاردن لدعوة الناس الى الاسلام .. وكانت جيوش الروم تهدد المسلمين حتى كانوا يتوقعون هجومها عليهم فى كل لحظة .

وكما تحرش الروم بالمسلمين تحرش بهم الفرس أيضا

« ويتجه البحث الحديث الى اعتبار الزحف الاسلامى ضد الفرس والروم ، ليس الا حركة تحرير قامت بها القبائل العربية بالجزيرة العربية لصالح القبائل العربية بالعراق والشام ومصر التى كانت خاضعة للاستعمار الفارسى الرومانى » .

وقد كان اسلوب الاسلام فى الاعداد لهذه الحروب الدفاعية ، هو اسلوب التدريب الدائم على قوة النفس وبسالة القلب .. وتنمية الروح والجسد والعقيدة .. والتنظيم والتسليح وتعليم الرماية والفروسية .. والاستعداد لبذل النفس والمال وتجهيز الجيوش .. وتعويد الانسان على الضبط والربط والطاعة ووحدة الصف .

ولو نظرنا الى القواعد والشعائر الاسلامية نظرة بصيرة ومستنيرة .. لادركنا انها ليست طقوسا مجردة للعبادة .. ولكنها اسلوب آلهى فى التدريب والتنظيم ورفع الكفاءة النضالية قل أن يوجد له نظير

- **ماذا يكون معنى الشهادة اذا لم يكن رفض استعباد الانسان للانسان ؟**

- **وماذا يكون معنى الصلاة اذا لم يكن قوة الروح وعزة الايمان وتدريب النفس على النظام والطاعة خمس مرات كل يوم ؟**

- **وماذا يكون معنى الزكاة اذا لم يكن هو التكافل والتعاون والبذل الذى يدعم وحدة الصف وقوة الصف ؟**

- **ثم ماذا يكون معنى الصوم اذا لم يكن المجاهدة والمصابرة والتضحية بشهوات النفس وصولا بها الى المثل الاعلى ؟**

● **والحج ·· أليس هو ذلك التجمع الهائل الذى يهرع اليه المسلمون من كل فج عميق وهم يستعذبون المشاق والمتاعب ·· ويتجردون الا من التلاحم فى ساحة الحق واليقين تلاحم الاخوة والمصير ؟**

كل شعيرة من شعائر الاسلام ·· كل فرض ·· كل واجب ·· كل نافلة ·· انما هى فى حقيقتها أسلوب فريد فى تربية الانسان وتدريبه واعداده لافتداء الحياة والدفاع عن شرف الوجود

ونحن اذا تأملنا فى الاسلوب الذى يطبقه العدو فى الاعداد والتدريب والتربية العسكرية ، والذى يهدف من ورائه الى تكريس العدوان وتوسيع الاحتلال ، لوجدنا ان الكيان الصهيونى الاسرائيلى الذى أقامه فى أرض فلسطين ، ليس الا كيانا « يمثل تجمعات للمحاربين » كما وصفه بن جوريون نفسه ·

فالعصابات الصهيونية ـ كما هو معروف ـ مهدت لقيام هذا الكيان غير الشرعى بالعدوان وقوة السلاح ·· واصبحت هذه الطبيعة العدوانية هى الطابع المميز لقادة اسرائيل ومفكريها ومن يمدونهم بأسباب العدوان وأدواته ·· وبالطبع فان تلك الطبيعة او هذه السياسة جعلت قادة وساسة اسرائيل يركزون باستمرار على أسلوب للتربية العسكرية بين الشباب الاسرائيلى له ثلاثة أهداف :

● **اولا : تنمية عقيدة القتال بين هؤلاء الشباب**

● **ثانيا : بث روح الكراهية والحقد ضد العرب سواء فى فلسطين أو الدول العربية ·**

● **ثالثا : رفع كفاءة الافراد القتالية من ناحية التدريب والتنظيم والتسليح والروح المعنوية ·**

وتقوم اسرائيل بتحقيق هذه الأهداف المحددة فى محيط جميع قواتها وتشكيلاتها وتجمعاتها العسكرية وشبه العسكرية ·· وهى :

●● القوات العاملة الموجودة فى الخدمة العسكرية بصفة دائمة ·

●● القوات الاحتياطية التى توجد بالخدمة فترات : اما للتدريب أو لحالات الطوارىء والعمليات الحربية ·

●● الشباب الطلائعى المحارب او « الناحال » ·· والهدف من انشائه هو استغلال الشباب اثناء التجنيد الاجبارى فى الاعمال الزراعية والصناعية داخل المستعمرات ·

●● حرس الحدود ·· وهو عبارة عن قوات محملة على عربات مدرعة تقوم بحراسة الحدود

●● كتائب الشباب او « الجدناع » وهى مقسمة الى قطاعات للبر والبحر والجو ·· وهدفها بث الروح العسكرية فى نفوس الشباب ·

●● قوات الدفاع الاقليمى .. وتشمل سكان المستعمرات ·· وهدفها الرئيسى هو ما يسمونه « الدفاع التعطيلى » الذى يعطل أى هجوم

●● جنود المظلات ·· وهم بالطبع طليعة الحرب العدوانية ·· ولذلك تهتم بهم اسرائيل اهتماما خاصا فى الاختيار والتربية والمعاملة ·

واذا كان التجنيد الاجبارى للفتيان والفتيات فى اسرائيل يبدأ من سن الثامنة عشرة ·· فان تدريب الشباب واعداده اعدادا حربيا وعسكريا يبدأ فى اسرائيل مع بدء الطفولة ·· ولم يكن يستثنى من التجنيد الا الشباب المتدين ·· ولكن حتى هؤلاء المتدينين وضع لهم اخيرا برنامج تدريب سنوى يلزم كلا منهم بالتدريب فى الجيش لمدة اربعة أشهر قبل بدء دراسته . . كشرط اساسى لقبوله فى الكلية . . .

. . . . . .

هكذا يفعل العدو الذى يغزو أرضنا ·· وتلك هى أساليبه فى الاعداد لحربه العدوانية ضدنا

والسؤال هو : كيف نحقق مستوى من الاعداد الحربى الجماهيرى يناسب حجم المعركة ؟

اننى أعتقد ان لجان المواطنين من أجل المعركة تستطيع أن تفعل الكثير ·· تستطيع أن تجعل من كل مواطن وكل مواطنة جنديا فى جيش شعبى ضخم يكون رصيدا احتياطيا لا ينتهى لقواته المسلحة ولمنظماته الفدائية ·

هذا تصور أرجو الا اكون قد جاوزت به الموضوع ·· وألا تكون هذه الكلمات قد جاءت متأخرة عن اعلان خطة العمل الخاصة بلجان المواطنين من أجل المعركة ·

ملحمة السيرة النبوية

فضيلة الشيخ الصاوى شعلان

حوار أدبى ، تمثل فيه كاتبه طيف حسان بن ثابت ، شاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أجوبة على هذه الاسئلة حول السيرة النبوية والاخلاق المحمدية ، وصاغها ملحمة شعرية ، هذا هو القسم الاول منها :

١ ـ صلاة الله فى تسليم
من الاشواق أسديها
٢ ـ عبير المسك والتسنيم
الى المختار أهديها
٣ ـ تمثل خاطرى رؤيا
تجلت يقظة للروح
٤ ـ وكان خيالها ريا
يداوى قلبى المجروح
٥ ـ تغنى البلبل الشادى
بذكرى المصطفى المختار
٦ ـ فصلى الورد من طرب
عليه وسلم النوار
٧ ـ ومر مع الصبا حسان شاعر سيد الاكوان
٨ ـ هتفت به سلام الله والتكريم ياحسان
٩ ـ بلغت أعز مجد يرتجى يا بلبل الانصار
١٠ ـ بروح القدس أيدك الاله الواحد القهار
١١ ـ تلقانى أمير الشعر بالايناس والترحاب
١٢ ـ وكانت سيرة الهادى
سؤالا بيننا وجواب
١٣ س : لماذا كان أميا
ولا صحفا ولا قلما ؟ !
١٤ ج : لتظهر آية الاعجاز حين يعلم الامما !!
١٥ س : لماذا خص مكة ربه بشروق اسعاده ؟ !
١٦ ج : لان جوار بيت الله يؤنس بيت ميلاده !!

١٧ س : لمــاذا جــاء فى الدنيــا
يتيمــا قبــل أن يــولد ؟ !
١٨ جـ : لان اللـــــه كافله
قديمــا قبــل أن يوجــد !!
١٩ س : وما كان ابن عبد يغوث ، بل كان ابن عبد اللـه ؟ !
٢٠ جـ : ليعلم كل من فى الارض ان الـكل عبد اللــه !!
٢١ س : لمــاذا كان قبل الفجـر مولد أحمد المختـار ؟ !
٢٢ جـ : ليمحـو ظلمـة الدنيــا
ويبــدأ يــومه الانــوار !!
٢٣ س : لم اختـار الحجـاز له الالـه الواحد القهـار ؟ !
٢٤ جـ : لان فضــاءها حــر
وليس بأرضـــها اســتعمار !!
٢٥ س : لمـاذا كان من شـعب العربة وجهه الانور ؟ !
٢٦ جـ : ليجمع قومهـا للــه لا كسرى ولا قيصـر !!
٢٧ س : لماذا لم يميز أبيضـا فى اللون عن أسـمر ؟ !
٢٨ جـ : لان اللـه سـاوى الكل فى الدنيا وفى المحشر !!
٢٩ س : لمــاذا لم يــرث ملـكا
ولـم تملـكه دنيـــاه ؟ !
٣٠ جـ : ليـؤمن كل مخـلـوق
بـأن مليكه اللـــــه !!
٣١ س : ومــاذا كان مجلســه ؟؟
جـ : صـفاء والبســاط حصـير !!
٣٢ س : ومــاذا كان مطعمــه ؟ !
جـ : رغيـف من دقيـق شـــعير !!
٣٣ س : ومــاذا كان ملبســه ؟؟
جـ : قمـــاش لـم يـكن بحـرير !!
٣٤ ـ غنى عن جميـع الخـلق لـكن للالـه فقير !!
٣٥ س : ومــاذا عن تحمـلـه ؟ !
جـ : تحـــدى اليتم وهــو جنين !!
٣٦ س : ومــاذا عن تصـبره ؟!
جـ : وفـاة الام بعـد ســـنين !!
٣٧ س : ومــاذا عن مـكارمه ؟ !
جـ : يصـوم ليطعم الصـــائم !!
٣٨ ـ هــو الغيث هـو البحـر
فـــلا معـن ولا حـــــاتم
٣٩ ـ يميـل انـاءه بالمـاء كيمـا يشرب الحيـوان
٤٠ ـ بدعوته السـحاب جرى
بســقيا البيـد والوديـان !!
٤١ ـ ومــاذا قبل بعثتـه ؟؟
جـ : شـعوب تعبـد الاحجـــار !!
٤٢ ـ فهـــذا ربـه نجـم
وذاك الهـــه من نـــار !!
٤٣ س : ومـــــاذا ؟ !
جـ : جاء يوم الفصـل يـوم البعث والايمـان
٤٤ ـ ونـادى المصـطفى لا رب الا خـالق الاكـوان
٤٥ س : ومـاذا فى المدينة يوم أسـعدها بيمن لقـاه ؟ ؟
جـ : هو العيد الذى لم يشـهد التاريخ مثل ضحاه ! !
٤٦ ـ تـكاد قـلوب أهليهــا
تطيـر جـوى الى رؤيــاه !!

٤٧ – وقبلَ بنـاء منزله
بنى للشـعب بيت الالــه ! !
٤٨ س : أجبنى أى شيء حـول الـكفار أبـرارا ؟ ؟
ج : بواسـع حلمه قـد حول الاعـداء أنصـارا ! !
٤٩ س : أجبنى عن سـماحته ؟ ؟
ج : نبى الصـفح والغفـران ! !
٥٠ س : وحـدث عن شـجاعته ؟ !
ج : يهـاب لقـاءه الشـجعان !!
٥١ س : ومـاذا كـان موقفـه
أمـام جحـود اسرائيل ؟ ؟
ج : دعـاهم للهـدى فأبـوا
فـدمرهم بعـزرائيل ! !
٥٢ س : وهـا هم فى فلسـطين
ذئـاب الغـدر والتخـريب
ج : ولـكن في غـد سـترى
بهـا تـلا بغير ابيـب
٥٣ – اتنسى نقمـة الجبـار يـوم اباد جيش الفيـل ؟ ؟
٥٤ – أرادوا هـدم بنيـان الخليل وحجر اسـماعيل
٥٥ – فقبـل الطـائرات دعـا
لهـم طيـرا ابا بيلَ
٥٦ – ومن قبل القـذائف جـاءهم بالويل من سـجيل
٥٧ – ومـرت لحظـة واذا بحسـان ينـادينى
٥٨ – يذكرنى بخير الخـلق والصـحب الميـامينى
٥٩ – أفيك شـجاعة ابن ربـاح
وتقـوى من ابى بـكر ؟ !
٦٠ – افيك أمـانة الجـراح
وزهـد من ابى ذر ؟ !
٦١ – اعنـدك من على عـزمه الوثـاب والايمـان
٦٢ – وصـدق العـدل من عمر
وفيض الجـود من عثمـان
٦٣ – تذكر ايهـا المسـلم
عسـى ان تنفـع الـذكرى
٦٤ – وانـك وارث الامجـاد من آيـاته الـكبرى
٦٥ – تـذكر ان فيـك قـوى
تـدير جهـاز هـذا الـكون
٦٦ – وفيـك تنـزل القـرآن
ينـادى انتم الاعـلون
٦٧ – وأن سـعادة الاجيـال فى ميزان تقـديرك
٦٨ – وان العـدل فى الدنيـا
يقـوم بحسـن تـدبيرك
٦٩ – وان تغير التـاريخ كان صـدى لتغييرك
٧٠ – وكانت تسـجد الاصـنام من زلزال تكبيرك
٧١ – صـحوت من الـكرى أدعو
سـلاما يا نبى اللـه
٧٢ – حيـاتى والجميع معى
فـداؤك يا رسـول اللـه

دلائل الحق فى عظمة الوجود

الغلاف الحيوى وتأثير الظروف البيئية على مستقبل وحياة البشر

الدكتور عزت محمد خيرى

« ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض لايات لقوم يعقلون ! ـ » (١٦٤ من سورة البقرة) ٠

خلق الله الانسان فى أحسن تقويم وأسكنه الارض مهيأة معدة لقوامة حياته سواء فى البر أو البحر أو الجو ، فاذا ضاقت الظروف البيئية فى أى موقع أو زمان عن مد الانسان بحاجياته تفتحت أمامه الوسائل البديلة ، وامتدت الافاق الجديدة ـ يشحذها بالعلم والبحث وينميها بالاستقصاء والاستنباط ويطوعها بحسن الصنعة وحذق الاداء ٠ كل ذلك ونعم الله وارفة وخيراته عميمة ورزقه واسع وكرمه سابغ ، تجيب دعوة الداعى اذا دعاها وتستجيب لنداء الطالب اذا طلبها بسعى ودأب ومثابرة .

« وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ان الله لغفور رحيم ! ـ » (١٨ من سورة النحل) ٠

ولقد لقيت الظروف البيئية السائدة فى عالمنا المعاصر سواء من حيث الرقعة الزراعية أو مصادر المياه أو الهواء ، أو الثروة الحيوانية أو المعدنية ، وما الى ذلك ، اهتماما خاصا وعناية فائقة تجلت فى العقدين الاخيرين من القرن العشرين ـ أى ما بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية فقد اصبح تزايد السكان يتبع حالية متوالية هندسية معقدة التكوين ـ مشكلة كبيرة تواجه البشر ليس فقط من حيث زيادة الحاجة الى الغذاء بل أيضا الى المواد الوسيطة والبديلة ٠ وعلى نفس النسق وربما بمعدلات أكبر أخذ الاتجاه الى التصنيع فى عصر العلوم والتكنولوجيا يتزايد باضطراد سواء من حيث التنوع أو الانتشار ، الامر الذى أدى الى زيادة وحاجة ملحة الى استغلال المواد الخام واستهلاك الطاقة من مصادرها المتنوعة ، وبالتالى الى فيض من المنتجات والمخلفات والعوادم من مختلف الاصناف والانواع ٠

وقد تركزت محاولات التطور وتحسين ظروف الحياة للبشر فى الاونة الاخيرة على البحث عن مصادر جديدة وزيادة كفاءة استغلال المصادر الحالية بما يؤدى الى تنمية الموارد ومواجهة مشاكل النمو السكانى الضخمة ـ بما فى ذلك زيادة الرقعة المهيأة للسكن وقد زاد الاهتمام بمسح المناطق الجديدة غير المأهولة مسحا شاملا ـ وفى مقدمتها المناطق القطبية ـ من حيث ثرواتها الطبيعية من خامات ومواد أولية ووقود ومصادر مياه، والغلاف الجوى المحيط بها والظروف المناخية ، ومدى امكان تهيئتها لاقامة المدن الكبيرة والصناعات والمناطق السكنية التى تستطيع بفضل التكنولوجيا الحديثة أن تقهر وتطوع الظروف الطبيعية البيئية فى تلك المناطق ٠

وعلى هذا الاساس أصبح ما نسميه « بالغلاف الحيوى » للارض بمختلف محوياته من الظروف البيئية محلا للدراسة والبحث والاستقصاء بهدف الوصول الى أحسن كفاءة للانتفاع والاستغلال لموارد الارض المتعددة الزراعية والحيوانية والمائية والمعدنية ، وبذلك أيضا وضحت معالم الطريق لتطوير وارتقاء وتأمين مدنية البشر ومستقبل أفضل لحياة الانسان على الارض ، وبالاحرى مواجهة فعالة واعية لزيادة سكان الارض وزيادة متطلباتهم وحاجياتهم فى نفس الوقت ، خاصة وأن التغيرات والتحولات فى الظروف المحيطة بعالمنا فى الاوضاع الراهنة تسير فى طريقها الى نقطة حرجة ما لم نلاحقها بالكشف عن المقومات واستنباط الوسائل الجديدة ، وهناك من يقدرون مستندين على الاحصاءات والحسابات والاحتمالات ان النقطة الحرجة للحياة على الارض بوضعها الراهن يمكن أن نصل اليها حوالى عام ٢٠٠٠ ما لم تتدعم وتنجح الانجازات والبحوث الجارية لمد موعدها وتأجيل حدوثها الى أقصى حد ممكن ٠ وان الباب مفتوح على مصراعيه فى هذا السبيل أمام جهود البشر وأمام فكرهم وعلمهم لان الله الوهاب الرزاق قد أحل فى باطن الارض وتحت مياه المحيطات والبحار وفى جوف الانهار ما يمكن أن يسد حاجة أضعاف البشر الحاليين لو أحسنوا استغلال ما منحهم الله والاستفادة مما هيأه لهم واستجلاء ما خفى عنهم والكشف عن الجديد ـ وهناك دائما ما هو جديد ٠ يقول تعالى :

« وهو الذى مد الارض وجعل فيها رواسى وأنهارا ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يغشى الليل النهار ان فى ذلك لايات لقوم يتفكرون (٣) وفى

الارض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الاكل ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون (٤) — [من سورة الرعد] « سبحان الذى خلق الازواج كلها مما تنبت الارض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون » — [٣٦ — من سورة يس]

ويقول جل جلاله :

« قل أنظروا ماذا فى السماوات والارض وما تغنى الايات والنذر عن قوم لا يؤمنون » — (١٠١ — من سورة يونس) ٠

هذا وبطبيعة الامور فان مايلقى الاهتمام هوتدعيم الظروف المادية للحياة البشرية بصفة أساسية، أما النواحى النفسية والروحية فما زالت رهنا بالتصرفات والمحاولات الخاصة لبعض المجتمعات وفقا للظروف المحيطة بها ، وما زالت تحتاج الى المزيد من العناية على المستوى الانسانى العالمى لاهميتها القصوى لتحقيق حياة هانئة مستقرة للبشر فى ظروف التقدم التكنولوجى المادى ٠ والموضوعات التى أخذت أولوية خاصة فى مجالات التنمية المادية للمجتمع البشرى هى عملية تناقص الرقعة والامكانيات المادية الصالحة للحياة والسكنى وزيادة الكثافة السكانية فى الكثير من البقاع ، وعمليات التلوث والتسمم التى تصيب الاجواء المحيطة بالمناطق المسكونة نتيجة لانتشار الصناعات وما تخلفه من نفايات ضارة ٠ وان تلك الموضوعات الملحة قد تضخمت آثارها وقاربت مراحل حرجة للغاية وقفت الكثير من الحكومات حيالها موقف العجز الواضح ٠ وقد حدا ذلك بالمنظمات الدولية أن تولى عناية خاصة لهذه الموضوعات والمشكلات ، وكان من أهم اللقاءات الدولية التى تمت لهذا الغرض المؤتمر الدولى الذى نظمته هيئة اليونسكو عام ١٩٦٨ لمناقشة « الاسس العلمية للاستغلال المنطقى الواعى ولصيانة المصادر المختلفة لثروات الغلاف الحيوى للارض » ٠ وقد خرجت عن هذا المؤتمر عدة توصيات هامة أصبح تنفيذها من أهم الضروريات لكل الشعوب لتجنب أضرار ومشاكل قاسية قد يتعرض لها المجتمع البشرى كله ٠

ويمكن تفهم لب هذه المشاكل اذا ما ربطنا العلاقة بين الانسان والظروف المحيطة به على أساس أنها فى المقام الاول علاقة بيئية حيوية تنظم حياة الانسان وكل ما يتعلق بها — مما ينطوى تحت علوم الانسان أو ما نطلق عليه « الانثروبولوجيا » ٠ وهنا يثور التساؤل : ما هى الحياة بالمفهوم البيئى ؟ انها ليست فقط متمثلة فى تلك العمليات الكيميائية والفزيائية التى تتم فى كل كائن حى — على عظمة وضخامة وتنوع تلك العمليات — ولكنها تعتمد كذلك على العلاقات القائمة فيما بين تلك الكائنات ، وبين المكونات المختلفة للكائن الواحد — بما فى ذلك العوامل الفسيولوجية (الوظيفية) والبنائية والنفسية والعصبية وغيرها — من ناحية، وبين الظروف المحيطة بها من ناحية أخرى ٠ واذا ما طبقنا ذلك على الانسان فان حياته لا تعتمد فقط على وجوده المادى بل على الخبرات والمقومات التى يكتسبها من البيئة المحيطة ٠ والخلاصة أن الكائنات الحية والبيئة التى تعيش فيها يمكن اعتبارهما كقطبين تجرى بينهما الحياة وتعتمد على كليهما ليس من حيث حفظ البقاء فحسب بل كذلك من حيث ايجاد توازن وملاءمة بين كليهما كقرينين متلازمين ٠ ولعل من أمثلة هذا الارتباط الوثيق تلك الالفة والتوافق الحادث بين البحارة والمحيطات ، وبين الفلاح والارض التى يفلحها ، فى كل ما يكيف حياة أيهما الاجتماعية والمادية والثقافية ٠

ومن هنا نجد أن جميع الدول والهيئات الدولية أخذت بهمة فى بذل كل ما تستطيع للكشف عن مصادر الغذاء والثروات المائية والمعدنية ، بل ولابتداع الطرق الحديثة لاستغلال المناطق الجرداء ولتزكية التعاون الدولى لتحقيق ذلك على أوسع نطاق ٠ ولا يغيب عن كل هذه المحاولات الدراسة البيئية التى تحاول المواءمة بين الظروف المحيطة بكل مكان من حيث المناخ ومناطق الاستزراع ومصادر الثروة وبين الحياة البشرية تحت تلك الظروف ٠

ولعل الاتجاه الحديث الى ريادة أعماق المحيطات والذى نشط فى العقد الاخير من هذا القرن بصفة خاصة — يمثل أملا عريضا لمستقبل البشر من حيث الحصول على المزيد من مواد الغذاء النباتية والحيوانية وكذلك من الثروات المعدنية الضخمة مما من شأنه أن يمد فرص الحياة الرغدة الهانئة لمئات الملايين من البشر الذين يفدون الى الدنيا عاما بعد عام٠ ولعل الانسان يضاعف من هذا الاتجاه سواء تحت أعماق المحيطات أو فى مجاهل اليابسة مستخدما ما توصل اليه العلم الحديث والتكنولوجيا من منجزات ووسائل لخير البشر بدلا من تسخيرها للدمار والسيطرة ، فان كنوز الله لا تنضب وأرزاقه لا تعز على كل عامل ساع مجتهد يرعى وجه الله ويتخلق بالمثل والقيم التى دعا اليها كتابه الحكيم ، ويتخذ من علمه وفكره أسلحة تعينه على خدمة البشرية وتأمين مستقبل الانسان على الارض التى سخرها الله بما فيها وما حولها لصالحه ومن أجله ٠ صدق الله العظيم اذ يقول فى كتابه الحكيم :

« ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا

وفى أنفسكم أفلا تبصرون

الدكتور عبد الحليم كامل

اذا أراد الانسان ان تزداد صلته بربه وخالقه كان ولابد أن يبحث عن نفسه لانه اذا عرف نفسه عرف ربه ، واذا عرف ربه اطمان وامتلا بنور الايمان قلبه . وهكذا يحدثنا الله فى كتابه العزيز فيقول سبحانه وتعالى « وفى الارض آيات للموقنين وفى أنفسكم أفلا **تبصرون . وفى السماء رزقكم وما توعدون فورب السماء والارض انه لحق مثل ما انكم تنطقون » .**

ولم نذهب بعيدا فليضع كل انسان منا يده على صدره ليحس بضربات قلبه التى لاتهدأ ابدا ما دام يتمتع بنعمة الحياة . **فالقلب هو المسئول الاول عن دورة الدم داخل الجسم . وتعتمد كل خلايا الجسم على ما يحمله الدم من المواد اليها ومنها .** فالاكسوجين لابد وأن يحمل باستمرار وكذلك لابد وأن يصل الى كل خلية من خلايا الجسم تيار صغير ولكنه منتظم فى كميته وقوته من المواد الغذائية التى تاتى من الامعاء أو من مراكز التخزين أو التصنيع وعلى الاخص الكبد . وكذلك كان لزاما على الجسم أن يتخلص من النفايات كثانى أوكسيد الكربون عن طريق الرئتين والبقايا الازوتية الزائدة فى عمليات الايض عن طريق الكليتين . ومادامت الدماء تجرى فى العروق بكفاءة وانتظام وصل الى كل خلية نصيبها من الغذاء والهواء وتخلصت مما لا تحتاج اليه من نفايات .

والقلب كما يعرفه كل منا عضو عضلى يستقر فى الجزء الاوسط من الصدر الى اليسار ، داخل كيس يتكون من طبقتين رقيقتين يسمى بالتامور . وتحيط احدى هاتين الطبقتين احاطة وثيقة بالقلب نفسه فهى كما يقال عادة الشغاف المباشر للقلب بينما تكون الطبقة الاخرى غلافا خارج هذا الشغاف . وبين هذين الغلافين سائل يسمح للقلب النابض بالحياة بالحركة القوية السهلة المتزنة دون أن يتعرض لاذى الاحتكاك . **ويتميز القلب بانقباضه وانبساطه الدائمين** وهو ما نسميه عادة **بالنبض** الذى يستمر مادام الكائن الحى يتمتع بنعمة الحياة . فنبض القلب دليل على الحياة بل اذا شئنا أن نقول هو الحياة نفسه .

وقد احتار العلماء فى سر ذلك النبض الذى يبدأ وئيدا ثم رتيبا ثم يستمر مادام الكائن الحى على قيد الحياة . وما أكثر ما يحتار العلم والعلماء عندما يبحثون فى أى ظاهرة من مظاهر الحياة ــ لقد قالوا ان هذا القلب ينبض بقوة من الجهاز العصبى وزعم غيرهم أنه انما ينبض بتاثير شبكة من العقد العصبية المنتشرة بين عضلاته . ولكنهم رأوا الحقائق تدفع ما يعتقدون ، **عندئذ لم يسعهم الا أن يسلموا بانه انما ينبض بتاثير قوة خفية لا يفهم كنهها ولا سرها الا الذى خلقها وخلق الانسان من طين وهكذا رأوا قدرة الله ظاهرة فى هذا القلب ونبضه ، فلمسوا عظمة صفته سبحانه وتعالى ودقة خلقه ومدى قدرته التى تقول للشىء كن فيكون .**

لقد اتضح للعلماء أن قلب الضفدعة على سبيل المثال ، اذا نزعت من عضلاته تلك العقد العصبية ظل ينبض كما كان دون أن يتاثر بذلك . ثم رأوا مرة أخرى أنهم اذا خدروا الاعصاب التى تمد هذه العقد العصبية بمادة مخدرة ، ظل القلب ينبض كما كان قبل أن تخدر هذه الاعصاب . اذا فلا العقد العصبية مسئولة ولا الاعصاب التى تمدها مسئولة هى الاخرى عن هذا النبض الدائم .

ثم وجدوا أن قلب الكتكوت ، أو بمعنى أدق ، جنين الدجاجة ، يبدأ فى النبض فى اليوم الثانى من أيام الحضانة ، ولما تنمو الخلايا العصبية بعد والتى لا تتكون الا فى اليوم الخامس . اذا فالقلب يبدأ فى نبضه قبل أن يتكون الجهاز العصبى . ثم رأوا أخيرا أن قطعة صغيرة من عضلاته خالية من أى عقدة عصبية تنبض بانتظام ، اذا وضعت فى محلول خاص . اذا فهذه القطعة العضلية التى انتزعت من القلب ، وظنوا أنهم انما انتزعوا منها الحياة ظلت تنبض كما كانت ، فهى حية لم تمت لان الذى أودعها الحياة بقدرته اراد لها الحياة . اذا فالقلب ينبض من ذات نفسه لا دخل للجهاز العصبى ولكنها قوة كامنة لم يستطع العلم ولن يستطيع أن يعرف سرها ، وسبحانه وتعالى حين نستمع عند عجزنا الى قوله : **« هذا خلق الله فارونى ماذا خلق الذين من دونه بل الظالمون فى ضلال مبين » .**

ويقول سبحانه وتعالى فى سورة اخرى : « **الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار** » .

ويتكون القلب كما نعرف جميعا من غرف أربع أذينان وبطينان . وفى الحاجز الذى يفصل الاذينين توجد حفرة بيضية تدل على مكان فتحة كانت موجودة فى الجنين تصل الاذينين ببعضهما . ولم توجد هذه الفتحة عبثا ، بل لها وظيفة جنينية خاصا ، سناتى على ذكرها فيما بعد .

وبين كل أذين والبطين الذى يليه يوجد صمام يتكون من قطع مثلثة الشكل الا أن الصمام الموجود بين الاذين الايمن والبطين الايمن يتكون من شرافات ثلاث بينهما ذلك الموجود بين الاذين الايسر والبطين الايسر يتكون من شرافتين . وتتصل هذه الشرافات ببروزات عضلية موجودة على الحائط الداخلى للبطين بواسطة أحبال وترية وعندما ينقبض البطين تلتحم شرافات الصمام فتقفل الفتحة بينهما وهكذا يسمح للدم بالمرور فى اتجاه واحد .

والقلب فى حقيقة مضخة تمتاز عن أى مضخة صنعها الانسان فى ذلك الوجود. لان الذى خلق القلب خلق ذلك الوجود . فهو القادر الذى ليس لقدرته حد أو حدود . فهو مضخة تعمل دائما فى أى وضع وفى أى وقت لا تهدأ أبدا ولا تقف أبدا تعمل والانسان فى سبات عميق ، وتعمل والانسان فى أوج نشاطه وحركته . تعمل فى درجات الحرارة المختلفة . تعمل والانسان تحت تأثير المسكنات المختلفة . تعمل فى صحته ومرضه ، وفى سروره وفرحه . تعمل دون أن تحمله مشقة التوجيه أو الادارة ، فهى تعمل من نفسها بنفسها . وسبحانه وتعالى الذى خلق كل شىء فقدره تقديرا .

ويتلقى القلب الدم من جميع أجزاء الجسم بواسطة وريدين عظيمين يصبان فى الاذين الايمن ومنه يمر الدم الى البطين الايمن حيث يدفع الى الرئتين بواسطة الشريان الرئوى الذى يتفرع الى فرعين يذهب كل فرع منهما الى رئة . ثم يعود الدم نقيا من الرئتين الى القلب مرة ثانية بواسطة الاوردة الرئوية التى تصب فى الاذين الايسر ، ثم منه الى البطين الايسر ، حيث يدفعه القلب الى الاورطى أو الابهر الذى يوزعه الى جميع أجزاء الجسم .

وفى كل من الابهر والشريان الرئوى صمامات تشبه

المضاريع تبرز من جدار كل منهما وتسمح هذه الصمامات بمرور الدم من القلب الى الخارج ولا تسمح له بالعودة اليه. وقوة وقدرة هذه الصمامات بالاضافة الى الصمامات ذات الشرافات الثلاثة وذات الشرافتين من الضروريات الهامة لقيام القلب بوظيفته بكفاءة عالية .

وبالقلب نوعان من الالياف ، يشبه معظمها الى حد كبير العضلات الموجودة بالجسم ، غير أن هذه الالياف يتصل بعضها ببعض ، أما النوع الثانى من الالياف ، فموزع فى مناطق متباعدة ، وعن طريقها تنتقل التيارات العصبية التى تبدأ فى العقدة الجيبية الاذينية ، ثم تنتشر منها الى كل من الاذينين الايمن والايسر . وينتقل هذا السيال العصبى بطريقة التوصيل المتتابع من ليفة الى أخرى . وفى منطقة التقاء الاذينين بالبطينين توجد عقدة أخرى من هذه الالياف المتخصصة تستقبل السيال الذى عبر الاذينين ، ثم توجهه بعد فترة وجيزة عقدة أخرى تتوسط البطينين ، وتتشعب منها أفرعا فى كل من البطينين ، يمر فيها السيال العصبى الوارد فى وقت واحد . ولا تتجاوز مدة انتقال السيال من العقدة الاولى الى المنطقة البطينية باكملها جزءا من الثانية . ويحدث الانقباض العضلى فى الاذينين ثم فى البطينين عبى التوالى ، بعد أن يكون السيال العصبى قد انتشر فى كل من هذين الجزئين من القلب .

وبالرغم من أن للقلب حركته المنتظمة الاساسية ، الا ان المؤثرات العصبية والكيماوية تتحكم فى رفع معدل سرعته أو تخفيضها . فافرازات الغدة فوق الكلية التى تفرز الادرينالين تزيد من معدل سرعة القلب ، بينما اثارة العصب الحائر تبطىء سرعته . وكذلك اذا زادت كمية الدم الداخلة فى البطين الايمن ازدادت سرعة نبضات القلب ، كما أن نشاط الغدة الدرقية ترفع معدل سرعته .

وكذلك تؤثر فى ضربات القلب المؤثرات النفسية المختلفة فعند الخوف تزداد ضرباته ، وعند الاطمئنان ، تهدأ ضرباته وتصل الى معدلها الطبيعى . **وهكذا عندما أراد الله أن يخرج الذين كفروا من أهل الكتاب قذف فى قلوبهم الرعب ، فاضطربت قلوبهم وارتبكت أحوالهم وتصرفاتهم ، فاخذوا يخربون بيوتهم بأيديهم** . استمعوا لقوله سبحانه وتعالى : « **هو الذى أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لاول الحشر ما ظننتم أن يخرجوا وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله فاتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف فى قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدى المؤمنين فاعتبروا ياأولى الابصار** » .

ويقول سبحانه وتعالى فى آية أخرى : « **لا يقاتلونكم جميعا الا فى قرى محصنة أو من وراء جدر بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى ذلك بأنهم قوم لا يعقلون** » .

وهكذا يتأثر القلب بما تتأثر به من حزن وفرح واطمئنان وفزع وحب وكراهية ، ومن القلوب من لا تلين ولا ترحم ، ومن القلوب من تحس وتشعر . **ويحدثنا القرآن الكريم عن رقة قلب نبيه صلى الله عليه وسلم وأنه كان كان رقيقا رحيما فيقول سبحانه** وتعالى : « **فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الامر فاذا عزمت فتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين** » .

كما يحدثنا سبحانه وتعالى عن المؤمنين الذين اتبعوه فيقول : « **وجعلنا فى قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة** » .

ويقول سبحانه وتعالى : « **لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الاخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو اخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب فى قلوبهم الايمان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها رضى الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا ان حزب الله هم المفلحون** » .

ونعود مرة ثانية الى القلب والدورة الدموية داخل قلب الجنين وهى فى رحم الام يأخذ من دمها ما يريد ، ويتخلص عن طريق دمها أيضا بما يريد أن يتخلص منه . الرئتان غير عاملتان ، وليسا على استعداد لاستقبال الدم فى هذه الحالة الجنينية ، ولهذا كان الاورطى يتصل بالشريان الرئوى بواسطة قناة شريانية ، كما أن الاذينين متصلين بواسطة الفتحة البيضية ومن ثم فان أغلب الدم الوريدى الذى يصل الى الاذين الايمن اما أن يصل الى الاذين الايسر عن طريق الفتحة البيضية ومنه الى البطين الايسر حيث يدفع الى الابهر . وقد يتجه بعض الدم أيضا من الاذين الايمن الى البطين الايمن ، ومنه الى الشريان الرئوى ولكنه بدلا من أن يذهب الى الرئتين يمر فى القناة الشريانية الى الابهر . وعند الولادة تبدأ الرئتان فى العمل تتقفل الفتحة البيضية كما تقفل القناة الشريانية وهكذا يسير الدم فى دورته العادية ، عندما تدخل الجرعة الاولى من الهواء الى رئتيه . وهكذا يصرخ الجنين صرخته الاولى التى تصحب أول شهيق فى حياته على هذه الارض .

من الذى يرتب هذا ، ومن الذى فطر هذا ، أمن المعقول أن يكون هذا وليد الصدفة أم من تدبير الجنين أم من تدبير الام ؟ وهكذا لا نستطيع الا أن نقول كما يقول سبحانه وتعالى « هذا خلق الله فأرونى ماذا خلق الذين من دونه بل الظالمون فى ضلال مبين » .

الخلفاء الراشدون
و
أعلام الإسلام

أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه

الأستاذ محمد فتحى محمود

ترتبط نهضات الامم بأسماء الرجال الذين قاموا بها أو كان دورهم بارزا فى قيامها بل وأن كثيرا من الامم لتدين لفرد أو لافراد قلائل ولدوا منها فكانوا السبب فى بعثها وظهورها وقيامها بين الامم ·

والتاريخ - أيها الاخوة المسلمون - حافل بأسماء كثيرمن هؤلاء الافراد الذين قامت عليهم دول ونهضت بهم امم واثروا فى تاريخ الانسانية تأثيرا كبيرا ، بل منهم من وجه التاريخ وجهته التى سار فيها ومن المحتمل جدا أن التاريخ كان يسير غير وجهته التى سار عليها لولا وجود افراد وجهوه بأعمالهم - هذا التوجيه أو كانت أعمالهم السبب فى رسم هذا الطريق ·

والتاريخ لهؤلاء الرجال هو تاريخ لنهضات اممهم وبناء دولهم ، بل هو تاريخ للحضارة الانسانية على قدر أدوار هؤلاء الرجال فى توجيه حضارة الانسان ·

والتاريخ الاسلامى حافل بأمثال من هؤلاء الرجال خصوصا فى فترته الاولى حيث وجدت رسالة وتوحدت أمة وولدت دولة وتغير مجرى التاريخ العام تغيرا كبيرا - واتخذ وجهة غير الوجهة التى كان يسير عليها ، وبرزت لحياة مثل غير المثل التى تواضع الناس عليها وظهرت حضارة جديدة امتازت عن الحضارات التى سبقتها بأنها حضارة انسانية شاملة ، لم تقتصر على جنس من الناس دون جنس واتسعت لكل موهبة وكل كفاية فهى الحضارة العالمية بمعناها الشامل الكامل ، تلك هى الحضارة الاسلامية التى اتخذت القرآن دستورها واللغة العربية اداتها والحرية الفكرية التى كفلها الاسلام عدتها والمساواة التامة العامة عمادها وحماية الدولة الاسلامية ركنها وسلاحها ·

واذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم هو صاحب هذه الدولة الاسلامية التى قامت فى بلاد العرب على يده فان رجالا عاصروا الدعوة الاسلامية منذ يومها الاول ، واسهموا فيها بجهد كبير : آمنوا بها ودعوا اليها وشاركوا نبيهم فى كل ادوار دعوته ، فى مكة : حيث كان وحيدا وكانت الظروف تناوىء دعوته وتصيب المؤمنين بها بعنت كبير · وفى الخروج بها الى المدينة : حيث تعرض صاحب الدعوة ومن رافقه الى الموت · وفى المدينة نفسها : حيث بدأ الجهاد فى سبيل تكوين الدعوة والدفاع عنها واقرار الرسالة ونشر مثلها العليا · وقد شارك هؤلاء الرجال مشاركة تامة فى انشاء هذه الدولة ورسم سياستها حتى اذا ما أراد الله سبحانه وتعالى لقاء نبيه صلى الله عليه وسلم · وضعت مصائر هذه الدولة فى أيديهم ·

وأول هؤلاء الرجال : أبو بكر الصديق صديق الرسول قبل البعثة وأول من آمن به بعد مبعثه ، وقد وقف جهده وماله ونفسه على الاسلام وعلى يديه دخل الاسلام كثير من الصحابة الاولين وانفق ماله فى اعانة المحتاجين وفك رقاب الارقاء من المسلمين ثم صاحب النبى فى هجرته وتعرض معه للموت ثم كان وزيره ورفيقه فى كل تصرفاته فى المدينة ، لم يتخلف عن غزوة ولم يبعد عن موقف ولم تمر حادثة أو يناقش أمر الا ولابى بكر فيه رأى وتفكير ·

حتى اذا ما لقى النبى صلى الله عليه وسلم ربه وتعرضت الدولة الناشئة الى هزة عنيفة فى الداخل وظهور العصبية وبدأ الخلاف على مناصب الرياسة يأخذ طريقه الى النفوس فيوشك أن يحدث الفرقة بين صفوف الجماعة ·

وفى الخارج : ارتداد العرب ومحاولة الرجوع الى الوضع القبلى كان أبو بكر رجل الامة ، صان برأيه وحدتها فى الداخل ثم صان بجهده وبلائه وحسن تدبيره وشجاعته وحدتها فى الخارج ·

واذا كانت الوحدة العربية قد تمت على يد النبى .. فأنها قد تدعمت وتأيدت على يد أبى بكر رضى الله عنه · ثم ان أبا بكر اندفع بها فى المجال الخارجى فلقيت على يديه أولى انتصاراتها على الفرس والروم ·

واذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم قد وضع أسس الدولة الاسلامية واذا كان أبو بكر هو الذى دعمها فان عمر بن الخطاب رضى الله عنه ثبت عمادها ومد حدودها وخلق بذلك امبراطورية عظيمة امتدت حدودها فلاصقت الصين شرقا وأفريقيا الغربية غربا ووقفت على شاطىء البحر المتوسط شمالا فتاخمت السودان جنوبا ·

كان دور عمر فيها دور العقل المفكر الحاكم المستنير المقدر فلقد واجه العرب على أول خلافته أكبر دولتين فى الارض فى ذلك الزمان وهما دولة الفرس ودولة الروم فحاربوهما معا وتغلبوا عليها جميعا فى وقت واحد وبسرعة فائقة • وكانت الجيوش العربية وهى تقاتل الفرس فى العراق أو فى ايران وتقاتل الروم فى الشام أو فى مصر لا تتحرك الا بتوجيه من عمر وتدبير منه وهو الذى يرسم خططها ويوجه قوادها ويقودها وهو فى مكانه بالمدينة ، كان يكتب الى الواحد من قواده فيقول « اكتب الى فى كل يوم واجعلنى اراك » ولقد اعترف رستم أكبر قواد الفرس بدور عمر اذ يقول « أحرق عمر كبدى » •

ولم تكن الامبراطورية التى قامت فى عهد عمر وليدة عبقرية حربية تبقى ما بقيت هذه العبقرية وتزول بزوالها بل كانت قائمة على أساس قوى من خلق متين وحضارة سليمة الاساس •

(فاذا صح أن يشيد الناس بعظمة يوليوس قيصر والاسكندر الاكبر وجنكيز خان ونابليون فانهم اقاموا من الامبراطوريات ما أقاموا فأحرى بهم أن يكونوا أكثر اشادة بعظمة عمر بن الخطاب وأكبر تقديرا لآثارها] •

وليس فى التاريخ الاسلامى - أيها الاخوة المسلمون - رجل تردد الالسنة اسمه بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبه الصديق ما تردد اسم عمر بن الخطاب وهى تردد اسم عمر بن الخطاب تقرن به جليل الصفات وعظيم المواهب فاذا ذكر الناس العدل المطلق ذكروا عمر واذا ذكروا النزاهة التى لا تفرق بين القريب والبعيد ذكروا نزاهة عمر، واذا ذكروا الزهد فى الدنيا مع القدرة عليها ذكروا زهد عمر ، واذا ذكروا الفقه فى الدين والاجتهاد فى التشريع ذكروا فقه عمر واجتهاد عمر • ويروى التاريخ فى كل ذلك عن عمر ما لا يكاد يصدق حين يقرأ وحين يذكر فما يروى عن عمر يصل الى حد المعجزات •

« من هو عمر بن الخطاب »

هو عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رباح ابن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدى بن كعب وعدى هو أخو مرة الجد الثامن للنبى صلى الله عليه وسلم • وأما أمه فهى حنتمة بنت هاشم بن المغيرة بن عبد الله ابن عمر بن مخزوم •

وكان الخطاب شريفا فى قومه لكنه لم يكن ذا مال ولا خدم ومع ذلك فكان ذكيا موفور الاحترام شجاعا يخوض المعارك على رأس بنى عدى فى جرأة وثبات •

وقد اشتركت بنو عدى فى حرب الفجار التى وقعت وسن النبى حول العشرين فكان على رأسها زيد بن عمر بن نفيل والخطاب بن نفيل وكان بنو عدى من الرهط العشرة الذين تولوا مناصب فى مكة لم يكونوا من الشرف والرياسة مثلما لبنى هاشم أو بنى عبد شمس ولكنهم تولوا منصب السفارة بين قريش وغيرها من القبائل وكانوا فى قلة من الرجال تنافسوا مع بنى عبد شمس فأجلاهم بنو عبد شمس عن منازلهم حول الصفا فلجأوا الى جوار بنى سهيم وهم بطن قوى من بطون قريش فحالفوهم فى الجاهلية لذلك أكثر الخطاب من التزوج لا شهوة فى النساء ولكن رغبة فى الولد فلما ولد له عمر من حنتمة بنت هاشم ابن المغيرة فرح به وأولم ولده وليمة نال بها فقراء بنى عدى الكثير يومئذ من الطعام ما قل عهدهم به ولا نستطيع تحديد السنة التى ولد فيها عمر ولكن الثابت انه مات فى أحد الايام الاخيرة من شهر ذى الحجة سنة ثلاث وعشرين من الهجرة وتختلف الروايات فى سنه يوم مات قيل كان ابن خمس وخمسين وقيل كان ابن سبع وخمسين وقيل كان ابن ستين كما قيل كان ابن ثلاث وستين وأكبر الظن انه مات حول الستين فاذا صح ذلك كان قد هاجر وهو دون الاربعين •

شباب عمر :

نشأ عمر فى طفولته وصباه نشأة أمثاله ابناء قريش ثم امتاز عليهم بأنه كان ممن تعلموا القراءة وهؤلاء كانوا قليلين فلم يكن فى قريش كلها حين بعث النبى غير سبعة عشر رجلا يقرأون ويكتبون ولما شب جعل يرعى لابيه ابله بضجيان (وهو واد كثير الشجر يجاور مكة] وكان ابوه قاسيا عليه قال عمر: كان يتعبنى اذا عملت ويضربنى اذا قصرت ولما تدرج عمر من الصبا الى الشباب بدأ فى مظهر من القوة بز به اقرانه فاقهم طولا وجسامة وكان أبيض اللون تعلوه حمرة أعسر أيسر فى رجليه روح يسرع به فى مشيته وقد حذق من أول شبابه ألوانا من رياضة البدن حذق المصارعة وركوب الخيل والفروسية فكان يصارع فى سوق عكاظ فلا يغلبه مصارع وكان يسابق فلا يسبقه على الخيل مسابق يركض الفرس مغتضبا كأنه جزء من جسم الجواد •

ونال حظا من الحياة كما كان يناله شباب الاشراف من قريش اذا تحدث المؤرخون عنه فى شبابه وصفوه بأنه صاحب خمر وصاحب نساء ولا عجب فهو القوى الوسيم •

وكان الى جانب ذلك أديبا ذواقا للشعر يسمعه فى عكاظ وفى غير عكاظ ويحفظ عن الشعراء ويروى من شعرهم ما يروقه ثم أنه برز فى معرفة أنساب العرب اذ تعلمها من أبيه صار من أنسب العرب للعرب وكان جيد البيان ، حسن الكلام لهذا كان يذهب فى سفارات قريش والى غيرها من القبائل وكانت حكومته ترضى المنافرة لحكومة ابيه من قبل • ولقد عمل بالتجارة ورحل فيها الى اليمن والى الشام بل الى العراق والى

بلاد الروم لكنه لم يفد من التجارة مالا كثيرا فقد كان فيه خشونة وغلظة وهى التى حالت بينه وبين الافادة من التجارة ما أفاد غيره فلم يكن يستطيع أن يحيل التراب ذهبا على حد تعبير قومه من قريش ولكنه كان فى رحلاته هذه أكثر اشتغالا بتثقيف ذهنه منه بانهاء تجارته وهذه حال تجعل صاحبها أكثر اعتدادا بذاته واعتزازا بنفسه لان من أولى الدنيا واستهان بالمال وطلب الحكمة والمعرفة اعتز بنفسه ايما اعتزاز .

عمر قبل الاسلام :

والتماس عمر لاسباب المعرفة جعله منذ شبابه يفكر فى شئون قومه وما يصلحهم ثم جعله اعتزازه بنفسه يتعصب لرأيه فيما ينتهى اليه من قرار . وقد مالت به شدته ومال به بأسه الى ان يبلغ تعصبه حد العنف وان يناضل عن رأيه بيد البطش كما يناضل عنه بحدة اللسان لكن ذلك لم يمنعه من أن يقلب الرأى فيما يقول به غيره ولقد بدأت افكار العرب تتنبه قبيل ظهور الاسلام وبدأ مركز الوثنية يهتز فى نفوسهم وظهر عدد من الرجال فى قريش يصبئون الاصنام ويرفضون عبادتها وكان عمر يرى فى هؤلاء الناس ما يهدد مركز قريش فى مكة وما يهدد وحدتها بالتفكك لذلك كان قاسيا على هؤلاء الناس يحاربهم ويشتد فى اذاهم اذ كان يرى فى خروجهم على دين قومهم تقويضا لركن الجماعة العربية ولعل عمر لم يكن متعصبا للاصنام فى ذاتها تعصبه لقومه حرصا على نظامهم وعلى ما يكفله النظام من امساك كيانهم وشد أزرهم [والواقع ان العالم اضطرب منذ أقدم العصور بين أمرين جوهريين فى حياة الناس ولا يزال حتى اليوم مضطربا بينهما هذان الامران هما حرية الفرد ونظام الجماعة فالفرد لا حياة له الا بالحرية والجماعة لا حياة لها الا بالنظام فاذا تعارضت حرية الفرد ونظام الجماعة فأيهما أحق بالتأييد ؟ النظام لاريب] .

فحرية الفرد لا كفيل لها الا بنظام الجماعة واذا هدر نظام الجماعة أهدرت حرية الفرد .. ومن هنا كان عمر يفضل نظام الجماعة على حرية الفرد اذا رأى فى هذه الحرية ما يهدد كيان الجماعة لذلك كان من أشد قريش على الصابئين وأكثرهم جراة عليهم فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم قاومه عمر مقاومة شديدة وكان قاسيا على المسلمين لا يتأخر عن الحاق الاذى بمن يستطيع أن يلحق به الاذى منهم ولقد بلغ من تخوفه على وحدة قومه أنه فكر فى قتل النبى نفسه لكن عمر مع ذلك كان ذا معرفة ورأى وكان كما قلنا ذواقة للكلام وهو من غير شك سمع آيات القرآن فاخذ بها وما زال يردد نفسه بين الجمال والحق فيما يسمع وبين ما يتخوف على قومه من فرقة حتى أدرك أن محمدا ليس من طراز المتحدثين من قريش وأن دعوته ليست من طراز التفكير المطلق والدعوة المجردة ولكنه تفكير وتنظيم ورسم لنمط جديد من حياة الفرد والجماعة ورأى المؤمنين يتمسكون بعقيدتهم أمام كل أنواع التهديد والتعذيب ويفضلون عقيدتهم عن أوطانهم فيهاجرون الى الحبشة فرارا بدينهم ، عند ذلك بدأ رأى عمر يتحول وبدأ يقتنع فى نفسه بصدق ما يدعو اليه محمد وبصلاحيته للفرد والجماعة وهنا أسلم وكان اسلامه حدثا خطيرا فى حياة الجماعة الاسلامية الاولى .

عمر فى الاسلام :

لقد دخل عمر الاسلام بنفس الحمية التى كان يحاربه بها واعتز بنفسه وبما وصل اليه من اقتناع اعتزازا جعله يناضل باليد واللسان .

وكان حريصا على اظهار اسلامه حريصا على النضال فى سبيل ما اقتنع به روى أنه قال : (لما أسلمت تذكرت أن أهل مكة أشد لرسول الله صلى الله عليه وسلم عداوة حتى آتيه فأخبره أنى قد أسلمت فاقبلت حين أصبحت حتى أصبحت حتى ضربت على أبى جهل بابه فخرج الى فقال مرحبا وأهلا بابن أختى ما جاء بك قلت جئت لاخبرك اننى قد آمنت بالله وبرسوله محمد وصدقت بما جاء به فضرب الباب فى وجهى وقال : قبحك الله وقبح ما جئت به) .

وروى عنه ابنه عبد الله قال : لما أسلم أبى عمر قال (أى قريش انقل الحديث فقيل له جميل بن معمر الجمحى فغدا عليه فقال له أعلمت يا جميل انى قد أسلمت ودخلت فى دين محمد فوالله ما راجعه حتى قام يجر رداءه واتبعه عمر ، حتى اذا وقف على باب المسجد صرخ بأعلى صوته يا معشر قريش وهم فى أنديتهم حول الكعبة ــ الا أن عمر بن الخطاب قد صبا فيقول عمر من خلفه كذب ، ولكنى قد أسلمت وشهدت أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله عند ذلك ثاروا به فما برح يقاتلهم ويقاتلونه حتى قامت الشمس على رؤوسهم واعيا عمر فقعد وقاموا على رأسه وهو يقول : افعلوا ما بدا لكم فأقسم بالله أن لو قد كنا ثلاثة مائة رجل لقد تركناها لكم أو تركتموها لنا فبينما هم على ذلك اذ أقبل رجل من قريش عليه حلة حبرة وقميص موشى وقف عليهم فقال : ما شأنكم قالوا صبأ عمر قال فمه رجل اختار لنفسه امرا فماذا تريدون أترون بنى عدى بن كعب يسلمون لكم صاحبهم هكذا .. خلوا عن الرجل ثم أجاره ذلك الرجل هو العاص بن وائل السهمى والد عمرو بن العاص . وهكذا بدأ عمر اسلامه بحمية وجهاد ولم يستقر له قرار بعد ذلك حتى صلى المسلمون حول الكعبة وحتى استطاعوا أن يردوا عن انفسهم بعض مساءات قريش .

عمر فى صحبة الرسول :

اعتز الاسلام بعمر بن الخطاب وكان حقا أن يدعو رسول الله صلى الله عليه وسلم ربه فيقول اللهم أعز

الاسلام بأبى الحكم بن هشام أو بعمر بن الخطاب ودخل الاسلام رجال كانوا يخشون الدخول فيه قبل الاسلام لعمر وتسامع الناس بهذا حتى وصلت الاخبار الى الحبشة فعاد بعض من هاجر منها ثم تألبت قريش على بنى هاشم ، والمسلمين فكتبوا ضدهم صحيفة المقاطعة وجاء الفرج من قبل يثرب فأسلم رجال من الاوس والخزرج وعقدوا مع النبى بيعة « العقبة الكبرى » اذن بعدها الرسول لاصحابه بالهجرة فخرجوا يتسللون الى يثرب مستخفين الا عمر بن الخطاب فأنه تقلد سيفه وطاف حول الكعبة ثم آذن قريشا بهجرته فقال : من أراد أن تثكله امه أو يرمل نساءه فليلقنى خلف هذا الوادى وفى المدينة وقف عمر الى جانب الرسول موقف الوزير ولم يمنعه مقام النبوة من أن يشاوره فى الرأى وأن يفكر فى شئون الجماعة الجديدة فكثيرا ما كان يشير على النبى وكثيرا ماكان يعرض رأيه فيما يخص شئون الجماعة وينظم أحوالها وكثيرا ما نزل القرآن مؤيدا رأى عمر .

وخاض المعارك كلها الى جانب الرسول بنفس الحمية والشدة التى عرفت عنه . وفى صلح الحديبية لم يكتم عمر شعوره أمام تعنت سفارة قريش بل ذهب يقول للرسول : (يا رسول الله ألسنا بالمسلمين ألسنا على الحق ويجيب الرسول « بنعم » فيقول عمر « فلم معطى الدنية فى ديننا ؟ » . وهكذا : لم يعش عمر مغمورا حتى فى وجود النبى .

عمر فى خلافة أبى بكر :

توفى الرسول صلى الله عليه وسلم وكانت وفاته حدثا جللا اذهل المسلمين وكان من اشدهم ذهولا عمر نفسه لكن لما بدت مشكلة فى الافق تهدد كيان الجماعة الاسلامية عاد عمر الى صوابه كما عرف عنه من قبل بل اشد قوة وحماسة فقد اجتمع الانصار فى سقيفة بنى ساعدة يريدون أن يولوا منهم خليفة بعد الرسول وكان هذا منهم جنوحا الى العصبية وأثرة قد تفرق كلمة الدولة الناشئة فهب عمر لانقاذ الموقف وكان بحق صاحب هذا اليوم فقد حسم الموقف باسراعه الى مبايعة ابى بكر فحفظ على الدولة وحدتها وعلى المسلمين تماسكهم .

ولما استقرت الخلافة لابى بكر كان عمر وزيره ومشيره وكان أبو بكر يعرف له رأيه وقوته قال لما واجه الفرس والروم معا (وددت والله وحين أرسلت خالد بن الوليد الى العراق أرسلت عمر بن الخطاب الى الشام فأكون بسطت يدى كلتيهما فى سبيل الله) واستمر عمر الى جانب ابى بكر يعضده ويشد أزره حتى اذا اذن الله باختيار ابى بكر الى جواره وجيوش المسلمين مشتبكة مع الفرس والروم خشى أبو بكر رضى الله عنه على الدولة الاسلامية يوما كيوم السقيفة يتنازع المسلمون فيه الرياسة فتصيب الدولة نكسة قد تودى بها وهى فى أشد المواقف حرجا وبحث عن رجل يكفل لهذه الامة السلامة ويسير بها الى النصر فلم يجد غير ابن الخطاب فعهد اليه بالخلافة بعد أن استشار فى ذلك كبار المسلمين وهكذا شاء الله أن يأخذ عمر ذلك الدور الذى لا يزال التاريخ يتحدث عنه فى اكبار واعجاب .

خلافة عمـــر :

أحس ابوبكر أن مرضه مشرف به على الموت فلم يشأ أن يترك امر المسلمين بعده دون أن يحتاط لهم وهم يواجهون أكبر دولتى ذلك الزمان ـ الفرس والروم ـ وتذكر يوم السقيفة وموقف الانصار بها وذكر ما كان موشكا ان يحدث لولا أن جمع الله كلمة المسلمين على بيعته فاذا قبض واختلفوا ادى اختلافهم الى فتنة قد تثور فى بلاد العرب كلها فتفسد الامر وتقضى على الدولة الاسلامية الناشئة وهى فى أدق مراحلها . لذلك فكر فى أن يستخلف على المسلمين من يعهد فيه الكفاءة للنهوض بالموقف العظيم بعده ولم يجد لذلك فى نفسه غير ابن الخطاب كفوا ولكنه لا يريد أن يستبد بالامر فالاسلام لا يعرف الاستبداد والمسلمون أمرهم شورى بينهم لذلك استدعى كبار الصحابة واولى الرأى فيهم فسألهم واحدا واحدا عن عمر وكلهم قال فيه خيرا الا انهم يتخوفون من غلظته قال عبد الرحمن ابن عوف [هو والله افضل من رأيك فيه من رجل ولكن فيه غلظة . ورد ابو بكر (ذلك لانه يرانى رقيقا لو افضى الامر اليه لترك كثيرا مما هو عليه ويا أبا محمد قد رمقته فرأيته اذا اغضبت على الرجل فى الشىء ارانى الرضا عنه واذا لنت له أرانى الشدة عليه) وقال عثمان بن عفان اللهم علمى به أن سريرته خير من علانيته وأنه ليس فينا مثله ولم يكتف ابو بكر بأن شاور كبار الصحابة بل أشرف على الناس بالمسجد فقال يخاطبهم جميعا (اترضون بمن استخلف عليكم فانى والله ما الوت من جهد الراى ولا وليت ذا قرابة وانى قد وليت عمر بن الخطاب فاسمعوا له واطيعوا) وأجاب الناس سمعا وطاعة . فدعا أبو بكر ربه أن يحفظ على المسلمين وحدتهم وان يهيىء لهم من أمرهم رشدا ثم دعا عمر فعهد اليه واوصاه بالعدل والحق وبأن الله ذكر آية الرحمة مع آية العذاب ليكون العبد راغبا راهبا . وأوصاه كذلك بمتابعة الحرب فى العراق والشام من غير هوادة .

وقبل عمر المسئولية وتحمل التبعة وانها لتبعة جسيمة وعبء ثقيل ولقد حمله عمر رضى الله عنه بعزم وقوة فلم يترك الدنيا حتى أقام الامبراطورية الاسلامية على أمتن دعامة وأقوى أساس .

الفتوح فى عهد عمر :

كان الموقف دقيقا فى ميادين القتال فى العراق والشام على السواء فقد نشطت كل من دولة الفرس

ودولة الروم لمواجهة المسلمين فأما فارس فقد زالت ما فى بلاطها من خلاف وملكت فيها رجلا من آل كسرى هو يزدجرد وهو شاب فى مقتبل العمر مملوء بالنشاط والطموح ان يعيد الى ملك كسرى قوته وعظمته وان يرد هذه الامة التى كان يراها أقل شأنا من ان تنهض الى جانب دولة الاكاسرة لذلك ما لبث ان عبأ الجيوش وعين أمهر القواد لقيادتها ووضع تحت أيديهم كل امكانيات الامبراطورية الفارسية المادية والادبية ووجههم للقاء المسلمين فى العراق ثم يوطىء الجيوش بعد ذلك ارضهم حتى يشغلهم كما قال – فى أنفسهم ويصيبهم بأشد مما أذاهم جده سابور .

وأما هرقل – الامبراطور البيزنطى – فقد احس بالخطر الشديد بعد أن انتصر العرب على جيوشه فى أجنادين سنة ١٣ هـ فعبأ كل امكانيات الامبراطورية البيزنطية لمواجهتهم وطردهم من الشام وسحق قواهم ثم له بعد ذلك أن يوطىء جيوشه كذلك أرضهم .

وهكذا كان الموقف غاية فى الحرج عندما تولى الخلافة عمر فهل تراه تخوف الموقف فتريث او نكص ما كان لمثل عمر ان يتهيب موقفا مهما بلغت شدته أو دقته وهو القوى الذى لم يعرف الخوف قلبه لا فى جاهليته ولا فى اسلامه واذا كانت الدولتان المعاديتان تملكان الجيوش المدربة والعدة الكبيرة والتجربة الطويلة فى فنون الحرب ووسائلها فتحت يد عمر ذخيرة جبارة من نفوس ممتلئة بالايمان تقاتل عن مبدأ وتسعى وراء غاية تصغر فى سبيلها الدنيا وما فيها وتحت يد رجال علمتهم الصحراء تحمل المشقات والصبر على الشدة كما طبعتهم بطابع الخشونة والحذر وكانت الشجاعة والاقدام أجل الصفات التى يمتدحون بها ثم انهم لا يقاتلون عن دنيا حتى تحرص نفوسهم عليها وانما يقاتلون عن مبدأ يرون الموت فى سبيله غاية يصلون به الى ما هو اخلد من الدنيا الى رضاء الله وجناته التى وعد بها عباده المتقين واصدق وصف ينطبق عليهم ما قاله خالد بن الوليد حين أرسل الى أحد قواد الفرس (انى قد جئتك بقوم يحبون الموت كما تحبون الحياة) .

استجاب عمر لنداء الموقف فاعد الجيوش وسيرها لامداد المقاتلين فى كل من الجهتين ولم يسأل قواده نصحا ولاجهدا وانما كان وراء كل خطة وكان وهو فى المدينة كأنما هو فى العراق وفى الشام وفى كل مكان فيه جيش للمسلمين وكان يريد من قواده أن يأتيه كل منهم بالانباء كل يوم كما طلب الى قواده (واكتب الى فى كل يوم بما يحضرك واجعلنى كأننى اراك واجعلنى من أمرك على الجلية) .

وكان بريده يحمل كل يوم تعليماته الى القواد بتوجيهاته وبما يجب أن تسير عليه الحرب فى كل معركة وفى كل موقف (والحق ان تكتيل العرب الحربى واستراتيجية الميدان بلغت حدا من الروعة والفن العسكرى وهذا ما يثير الدهشة ويبعث على الاعجاب حقا من قوم ليست لهم خبرة بمثل هذه الحرب الكبيرة ولا بمثل هذه المعارك الحاشدة وقد أظهر قواد العرب جميعا نبوغا حربيا يجعلهم بحق على قدم المساواة مع اعظم القواد الذين عرفهم التاريخ وانبغهم] [ومما هو جدير بالذكر أن المارشال مونتجمرى الذى قاد الجيش الثامن فى الصحراء الغربية ضد القوات الالمانية فى الحرب العالمية الثانية كان يستهدى فى قتاله – كما اعترف هو نفسه بالخطط التى ابتدعها خالد بن الوليد] .

لقد انتصرت الجيوش العربية الاسلامية فى كل الميادين ولم تلبث الدولة الفارسية ان خرت تحت اقدام فرسان الصحراء العرب فى القادسية ونهاوند ، واستولى العرب على كل ملك كسرى وكذلك تبددت جموع هرقل امامهم فى ربوع الشام فى آجنادين واليرموك وكان نصر العرب فى اليرموك عظيما حتى قال مؤرخ رومى بعد ذلك : « ان كل نصر كبير كان يقاس به » . ولم يجرؤ الروم بعد ذلك على مواجهة العرب فى معركة مفتوحة الى مدى مائة سنة . وخرجت بيزنطة من هذه الحرب بعد ان فقدت خير البلاد التى فى أيديها فقدت الشام والجزيرة ومصر وشمال افريقية ولم تمض اكثر من عشر سنوات حتى كانت الدولة الاسلامية اقوى دولة على الارض فى ذلك الزمان . وانطلق المسلمون يجمعون تراث الامم ويحصلون موعود الله : « ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر أن الارض يرثها عبادى الصالحون » .

حكومة عمر :

لقد أصبح عمر عاهل أكبر ولة على الارض وحكم شعوبا لها حضارة ولها نظم وقوانين فكيف ساس عمر هذه الدولة العظيمة وهو العربى الذى لم يمارس سياسة مثل هذه الدول من قبل وليس له فى حكمها خبرة سابقة ولا دراية ؟ .. لقد قامت الامبراطورية الاسلامية بسرعة عظيمة لكنها استقرت بعد ذلك قرونا طويلة وكان الفضل فى الاستقرار الى السياسة التى أديرت على مقتضاها شئون البلاد المفتوحة وشئون البلاد العربية نفسها . ولعمر بن الخطاب فى اقرار هذه السياسة حظ عظيم .

حقيقة ان المبادىء الاساسية لهذه السياسة ترتكز على قواعد الاسلام وتعاليمه وقد فصل النبى صلى الله عليه وسلم وفصل أبو بكر من بعده بعض هذه المبادىء تفصيلا اقتدى به عمر لكنه لم يقف امام مشكلة من المشاكل موقف المتردد او العاجز الذى ليس له الا مجال التقليد وانما واجه المشاكل واجتهد فيها وقرر لكل المشاكل حلولا رضى عنها الناس فى ايامه واخذوا

بها من بعده وعلى أساس من المبادىء الاسلامية والتوجيه النبوى وسياسة ابى بكر ، انشأ عمر للبلاد العربية وللامبراطورية كلها نظاما اتبع فى عهده واتبع زمنا من بعده ٠

وهذا النظام الذى اجتهد له عمر هو الذى صان الامبراطورية وابقاها وكان له أثر عميق فى اسلام اهل البلاد المفتوحة وقد اجتهد عمر برأيه اجتهادا يسجل له فى صحائف التاريخ مجدا لا يقل عن مجده فى بناء الامبراطورية (ولا نستطيع فى مثال قصير ان نلم بكل هذه النواحى ولكن نضرب لها مثلا) فقد اراد الغزاة المسلمون ان يقسم الخليفة بينهم ارض السواد فى العراق وارض الشام على أنها غنيمة فأبى عمر عليهم ذلك وابقى اهل البلاد على أرضهم لقاء خراج يدفعونه عنها بل عمل على اصلاح الارض نفسها وعلى جلب الماء اليها وتيسير سبل استغلالها بل انه كان يصرف كثيرا من مال الخراج فى اصلاح الارض وشق الترع واقامة الجسور كما حدث فى مصر ثم انه اعفى من كان يسلم من اهل البلاد المفتوحة من الجزية وكان يساومهم بالمسلمين الفاتحين فكان ذلك مغريا لكثير منهم بالدخول فى الاسلام مع علمه بأن ذلك ينقص موارد الخزينة العامة كذلك رد الحكم فى الداخل الى أهل البلاد ٠ ولم يثنه عن ذلك اى اعتبار لان المسلمين لم يفتحوا البلاد لاخضاع أهلها وانما فتحوها لتكون الدعوة الاسلامية حرة فيها فاذا اسلم بنوها اصبحوا بنعمة الله اخوانا للمسلمين الفاتحين ٠

سياسة عمر مع الولاة :

كان عمر يجتهد فى اختيار الولاة الصالحين ومع ذلك فقد كان شديد المراقبة لهم شديد الحساب لا يتردد فى عزل من يدخل فى نفسه ادنى شك فيه مهما كانت شخصيته فقد عزل خالد بن الوليد عن القيادة العامة لا لعجز ولا لخيانة فهو القائد المظفر قاهر الفرس والروم ولكنه اخذ عليه السرعة والاعتداد بالرأى الفردى الذى ربما قد يتعارض مع سياسة الدولة ٠ كما قاسم عمرو بن العاص ماله (وبهذه المناسبة نذكر أن عمر رضى الله عنه هو أول من سن قانون « من أين لك هذا » فقد كان يحصى على الولاة اموالهم قبل الولاية ثم يسألهم عن الزيادة بعد الولاية) ٠

وكان يقول (نحن انما بعثناكم ولاة ولم نبعثكم تجارا) ٠ واحيانا كان يعزل لا لريبة وانما خوف الفتنة اذا اشتكى اهل البلاد من واليهم وكما كان عمر شديدا على ولاته يحاسبهم كذلك كان يحميهم فيعاقب من يثبت انه شكى كاذبا من اهل الولاية وذلك حتى يبقى للحكم هيبته وكان يشتد اغتباطه حين يرى عماله يتجردون لخير الرعية ويثنى عليهم اعظم الثناء ٠ [ولى عمير بن سعد على حمص ثم كتب اليه، « أقبل بما جبيت من فىء المسلمين »٠ فلما اقبل سأله عما صنع فقال : « بعثتنى حتى أتيت البلد فجمعت صلحاء اهلها فوليتهم جباية فيئهم حتى اذا جمعوه وضعته مواضعه ، ولو نالك منه شىء لاتيتك به » ٠ قال عمر : « فما جئتنا بشىء » ٠ فلما أكد له انه انفق كل شىء على أهل حمص قال : « جددوا لعمير عهدا، »٠ ثم قال « لو أن لى رجلا مثل عمير بن سعد أستعين به على أعمال المسلمين ») ٠

وكما كان عمر موفقا فى اختيار ولاته كذلك كان موفقا فى اختيار قضاته ، وذلك لانه شخصيا كان قاضيا فقيها ضليعا فى الفقه والتشريع ، قال عنه ابن مسعود (ولو وضع علم عمر فى كفة وعلم احياء العرب فى كفة لرجح علم عمر) وكان عمر يمد قضاته بالرأى والفتوى فيما يعرض لهم من مشكلات تحتاج الى الرأى والاجتهاد ٠

عمر والشعب :

لقد احتفظ عمر بشدته التى عرف بها على الظالمين والمعتدين وكان على الفقراء والمحتاجين هينا رقيقا يمسح دموعهم ويخفف آلامهم ويحمل بنفسه اليهم حقوقهم وعاش زاهدا فى الدنيا حتى يحس بآلامهم فكانوا لذلك يجدون فيه الملجأ والملاذ ولقد طبق عمر مبدأ المساواة فى كل شىء وفى كل موقف واقتص من الظالم للمظلوم ولم تأخذه فى الحق لومة لائم ٠ ولم يقم عنده امام الحق والعدل عظيم ٠ ولم يستأثر لنفسه بشىء ولم يؤثر به ذا قرابة ٠

أصاب جزيرة العرب عام جدب شديد عرف بعام الرمادة اشتد فيه الحر ومنع المطر وجف الزرع والضرع حتى صار لون الارض كالرماد وأوت الاعراب الى المدينة واستمد عمر الامصار لمعاونة الحجاز وقام يصنع للناس الطعام وينحرلهم ويقيم الموائد العامة . وابى الا ان يأكل بنفسه مع الاكلين من فقراء الناس ومحتاجيهم ٠

وجلس يوما ليأكل مع الناس فقدموا له قطعا من كبد وسنام فقال أومن هذا يأكل كل الناس ؟ فقالوا : « قد آثرناك بها » فقال : « بئس العبد أنا آذن آكل اطايبها ويأكل الناس كراديسها » ٠ ولم يجد الناس السمن فحرمه على نفسه حتى يأكلوه واكتفى بالزيت وكان يسمع لبطنه صوت فيقول (قرقرى او لا تقرقرى فلا والله حتى يجد الناس) ٠

وبعد : فهذا عمر بن الخطاب كان مثلا من أعظم امثلة الاسلام فى بناء الرجال .. بل كان مثلا من اعظم امثلة بناة الدول ..

ولو تتبعنا كل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين قاموا بدور أساسى فى الدعوة الاسلامية والذين بنيت على اكتافهم الدولة الاسلامية لوجدنا انهم كانوا من الشباب ..

اتخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم من هؤلاء الشباب اصحابه وتلاميذه يجد فى صفحات قلوبهم مجالا للايمان ومكانا للتعاليم الاسلامية الكريمة ، كما وجد فى عقولهم نقاء وذكاء وبصيرة لتفهم رسالات الله يوحيها الى عبده فينقلها اليهم فتتفهمها عقولهم وتشرب بها نفوسهم .. كانت نفوس هؤلاء الشباب - رضوان الله عليهم - وضمائرهم وعقولهم متفتحة دائما للمبادىء الجديدة الكريمة تعتنقها فى سهولة ويسر وسماحة لا تعوزها الفطرة الحكيمة تقودها الى الخير - واسمى المبادىء وانقاها واكرمها ما قارب الفطرة السليمة وسايرها - فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لكلمات الله .

واذا كان دور هؤلاء الشباب كان اساسيا فى الدعوة الاسلامية وفى بناء الدولة الاسلامية الاولى حيث لم يجد صلى الله عليه وسلم غير الشباب تنفسح نفسه للمبادىء الجديدة ويمتلىء ضميره بها وينبعث طموحه وراء تحقيقها والذود عنها - وهذا شأن الشباب فى كل حركة اصلاح وانهاض .

فالشاب دائما : هو عدة كل ثورة وذخيرة كل اصلاح ، ومن يتتبع تاريخ الرسالات والثورات الاجتماعية يكاد لا يجد غير الشباب دعامتها الاولى .. واذا كان الاسلام - كما قلنا - اكبر مثل على ثورة انسانية قام بها الشباب : فنحن الان فى حركة اصلاح وانهاض .. نحن الان فى حركة انبعاث اسلامى جديدة يقوم عليها رجال من الشباب سمت نفوسهم الى الاصلاح فأصلحوا من ذات أنفسهم وأصلحوا من ذوات بلدهم وكان من حرارة ايمانهم نور ونار .

اما النار : فقد أكلت الخبث من حولها ولازالت تمتد تأكله فى كثير من بقاع الارض .

واما النور : فقد أضاء لامتهم طريقها وايقظها من ثباتها .. ولا يزال يمتد ويمتد على بقاع كثيرة من الارض فيوقظ نومها ويهدى طريقها . والشباب من حولهم فى أمتهم وفى أمم اخرى - مثلكم يستجيب لهم ويعمل فى حماسة وايمان وعزم لاصلاح ذات انفسهم وذات أممهم لا ينقصه العزم ولا يوقفه الظلم ولا تصده القوة المادية .. ولازال الشباب يتخطى الحواجز ويقهر العقبات مقتديا بسيرة السلف الصالح ..

فى ذكرى

وصف عبد الله بن عباس لمعاوية بن ابى سفيان اصحاب رسول الله فقال : كانوا فى الحياة لله أولياء ، وكانوا بعد الموت أحياء ، وكانوا لعباد الله نصحاء .. رحلوا الى الاخرة قبل أن يصلوا اليها ، وخرجوا من الدنيا وهم بعد فيها ..

وهذه الحقائق تتكشف أدق ماتتكشف فى حياة الحسين بن على وسلوكه وايمانه بالدين والحق ، وجهاده فى الله حق جهاده ، وهى حياة تمنحنا الكثير من المعطيات النابضة بالمثل العليا المضيئة بالشمائل الطيبة المشرقة بمعالم الخير والجمال المستهينة بالحياة فى سبيل الله ..

واذا كان الحسين درج فى أكناف النبوة ، وصنع على عينيها وقبس من أنوارها ونهل من ينابيع الحكمة التى تفجرت فى قلب أبيه فانه من الحتم الحاتم أن يكون دستوره فى الحياة قوله :

فلعمرى ما الامام العادل الا العامل بكتاب الله والاخذ بالقسط والدائن بالحق والحابس نفسه على ذات الله .

والحسين بهذا الالتزام ينهج نهج الدين الخالص الذى سلكه اصحاب أبيه فلا ينحرف عن الحق قيد شعرة ولا تغره اغراض الحياة وزينتها مهما يكن شأنها .

يقول العقاد فى عبقرية الامام :

وكان مع على جمهرة القراء والحفاظ وأصحاب النسك والفقه والشريعة ، وهم خلق كثير يعدون بالالوف ، ويتفرقون فى الحواضر والبوادى ، ولا يزالون كأنبياء بنى اسرائيل ، منذرين متوعدين ساخطين على ترف المترفين منكرين لكل خلاف ولو يسير فى اقامة أحكام الدين ، لايرضون عن الدنيا ولا عمن رضى بها من طلابها ، ولا يستمعون الى أمر الا أن يكون فى رأيهم وفقا لحكم القرآن كما يفسرونه ، وحكم السنة كما يعتقدونها .

والحسين لايكون موقفه من الدين أقل من موقف أصحاب أبيه ، فلا جرم أن يقول فى توزيع أبى ذر الغفارى : وقد أخرجه عثمان من المدينة بعد أن أخرجه معاوية من الشام :

ياعماه ان الله قادر أن يغير ماقد ترى والله كل يوم فى شأن ، وقد منعك القوم دنياهم ومنعتهم دينك ، وما أغناك عما منعوك وأحوجهم الى مامنعتهم ، فاسأل الله الصبر والنصر واستعذ به من الجشع والجزع ، فان الصبر من الدين والكرم ، وان الجشع لايقدم رزقا والجزع لايؤخر أجلا .

ومن هذا المنطلق وحرصا من أغوار النفس على هذه المبادىء واستجابة للفطرة التى طبع عليها الحسين ، لم يبايع يزيد بن معاوية ، وترك المدينة الى مكة مبتعدا عن عامل يزيد ، الوليد ابن عقبة بن أبى سفيان عليها الذى حاول جهد الاستطاعة وفوق الاستطاعة بما يملك من مقدرات السلطان ومقوماته أن يرغم

الإمام الحسين بن على رضى الله عنه

الأستاذ عبد المنعم الأدفوى

الحسين على المبايعة ، ولكن الحسين اقام بمكة مصرا على الامتناع .

ومع ذلك فلم يخل الامويون الطريق امام الحسين ، وتعقبوه فى مكة ، وفهم هو على وجه حاسم أنهم غير تاركيه الا أن يبايع وهو يرى ذلك من المستحيل لانه هو أحق بامارة المسلمين لما حباه الله به من صلاحيات لها وحرمان يزيد من هذه الصلاحيات فى مفهوم الدين والدنيا معا .

وفى الطريق الى مكة لم تفارق الحسين شجاعته التى ورثها عن جده وأبيه ، فقد سلك اليها من المدينة الطريق الاعظم المعروف للناس جميعا ، وقيل له تنكب هذا الطريق واسلك غيره مما يجهله طالبوك .

فقال : لا والله لا أفارقه حتى يقضى الله ماهو أحب اليه

وفى مكة جاء الى الحسين كتاب من أعيان الكوفة ووجهائها، منهم سليمان بن صرد ورفاعه بن شداد وحبيب بن مظاهر وشيعته

يقول الكتاب : من المؤمنين والمسلمين من أهل الكوفة سلام عليك ، فانا نحمد اليك الله الذى لا اله الا هو .. أما بعد ، فالحمد لله الذى قصم عدوك الجبار الذى انتزى على هذه الامة فابتزها أمرها وغصبها فيئها وتآمر عليها بغير رضى منها ، ثم قتل خيارها واستبقى شرارها ، وجعل مال الله دولة بين جبابرتها وأغنيائها ، فبعدا لهكما بعدت ثمود .. انه ليس علينا امام ، لسنا نجتمع معه فى جمعة ولا نخرج معه الى عيد ، ولو قد بلغنا أنك قد أقبلت الينا أخرجناه حتى نلحقه بالشام ان شاء الله.

أمام هذا الكتاب وغيره المملوءة حماسة المفعمة باللهفة على نصرة الدين فى شخص الحسين بالاضافة الى ماطبع عليه من خلق لم يجد مفرا من الاذعان الى تلبية هذه الدعوة فصمم على تحقيقها .

ولكنه قبل أن يسير الى الكوفة بعث الى اهلها بابن عمه مسلم بن عقيل ليكتشف الواقع على الطبيعة ، كما يقولون وليستوثق من الامر .

بعث بمسلم ، ومعه هذا الكتاب :

أما بعد فقد أتتنى كتبكم ، وفهمت ماذكرتم من محبتكم لقدومى عليكم ، وقد بعثت اليكم أخى وابن عمى وثقتى من أهل بيتى مسلم بن عقيل ، وأمرته أن يكتب الى بحالكم وامركم ورأيكم.. فان كتب الى انه قد اجمع رأى ملئكم وذوى الفضل والحجى منكم على مثل ماقدمت على به رسلكم وقرأت فى كتبكم ، اقدم عليكم وشيكا ان شاء الله .

هذا هو الصنيع الذى يليق بالحسين ، ولقد وصل اليه من مسلم قبل ان يبارح مكة كتاب يؤكد ان أهل العراق على رأيهم فى قدوم الحسين ، كما يقول فيه ان الرائد لايكذب أهله .

والحسين قبل هذا وبعد هذا كما يتضح من سلوكه الذى عرف به وعرف عنه ومن مقالته التى أشرنا اليها فيما سلف الى ابى ذر لايستطيع البقاء فى مكة خوفا من القتل ، ولا يفكر فى السير الى العراق طمعا فى الملك ، فذلك أبعد مايكون عن فطرته ، لانه يعلم ان الامويين سيتعقبونه فى العراق وفى اى مكان يذهب اليه وانما يغادر مكة الى الكوفة من أجل نصرة الدين لا اكثر ولا أقل .

وفى اطار هذا الهدف الذى لايسمو عليه هدف يمكن ان تفهم رفض الحسين لنصائح محبيه وفى مقدمتهم عبد الله بن عباس والفرزدق بن غالب بعدم السير الى العراق .

خلائق أهل البيت

والعبرة التى نستخلصها من المواجهة التى تمت بين الحسين والامويين ، أن أهل البيت فى هذه المواجهة لم يبدأوا بعدوان أو غدر على عكس خصومهم ، ولقد يكون من أسباب هزيمة الحسين وأنصاره أنهم استمسكوا بخلائق الدين ، فقد اتيحت لمسلم بن عقيل فرصة أن يقتل عبد الله بن زياد والى يزيد بن معاوية على الكوفة فى دار شريك بن الاعور ولكن مسلما رفض ذلك قائلا : بلغنى حديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: ان الايمان قيد الفتك .. لايفتك مؤمن وكرهت ان اقتله فى بيتك.

كما أن الحسين لم يبدأ بعدوان فى هذه المواجهة بالرغم من أن البدء بالقتال كان يمنحه الغلبة ولكنه رفض ذلك لانه ملتزم بتعاليم الدين .

ومن المفارقات العجيبة فى لقاء الحسين بأعوان يزيد انه كان على رأس جيش الامويين عمر بن سعد ، بن ابى وقاص الذى ذب عن الرسول أفاعيل اخيه عتبه فى موقعة احد ، فى حين وقف مع على فى صفين هاشم بن عتبه ، فتامل كيف تفعل الدنيا بالنفوس ..

ومن خلائق الحسين فى هذه المواجهة انه قال لاصحابه وهو على يقين من نتائج المعركة وان الموت يترصده فى كل خطوة يخطوها : لقد بررتم وعاونتم والقوم لايريدون غيرى ولو قتلونى لم يبتغوا غيرى أحدا ، فاذا أخبكم الليل فتفرقوا وانجوا بانفسكم، ولكنهم رفضوا حتى استشهدوا جميعا .

وهكذا يعطينا الحسين وأنصاره أروع المثل فى الثبات على الحق والموت دونه واسترخاص الروح والدم من أجل الحق ، وهم فى الحقيقة الغالبون ، وان بدا فى الظاهر انهم المغلوبون.

صهيب ابن سنان

الأستاذ صلاح عزام

واحد من أئمة الاعلام ..

شده الى أرض الدعوة نبوءة استمع اليها وعاش على مسارها انتظارا لها من غير تفكير فى العودة الى الأهل أو البعد عن مناطق العذاب ..

والتاريخ يروى لنا عن الصحابى الجليل صهيب كثيرا من المواقف والمعالم .. فقد عاش فى بيت امارة .. اذ كان أبوه واحدا من الولاة العرب الذين يعملون مع الفرس وتولى حكم الابلة .. الا انه لم يستقر فى كنف والديه طويلا فقد تعرضت ولايةوالده لهجوم من العرب والروم وفى غيبةمن الرجال فأسرمع من أسر من الصبية والنساء .. وبيع فى أرض الروم وبدأ حياة العبودية حتى وصل الى الحجاز اذ اشتراه بعض الاعراب من بنى كلب وظلت الايادى منهم تتناقله حتى انتهى به الامر عبدا فى مكة لعبد الله بن جدعان .. وما كاد صهيب يرى مكة حتى تراءت امام بصره النبوءة التىحدثه بها الراهب الرومى الذىقال له « انك ستعيش فى ظل حرم وتموت وتدفن بالحجاز وستلتقى بداعية يعلم الناس رسالة السماء فزاد تعلق صهيب بمكة تشوقا الى تحقيق بقية الرؤية ..

ومع عبد الله بن جدعان عاش صهيب حياة كلها رجولة وجد وأمانة وصدق فى القول والمعاملة كما لو كان يريد أن ينتظر الدعوة والداعى الذى يعيش فى أعماقه وآماله فى رجولة الرجال وخلق الابطال ..

وسافر مع تجارة لعبد الله بن جدعان الى اليمن وبلاد الحبشة وحققله مكاسب طائلة .. تحدث عنها رجال العرب فى كل مكان .. وسافر أيضا الى بلاد الروم حيث يعرف مساريها ولم يفكر فى البقاء فيها او الهرب من الرجل الذى يستعبده .. بل كان فىجميع رحلاته يتعجل العودة الى مكة .. خوفا من تحقيق النبوءة وهو بعيد .

ومرت الايام . وكبرت مكانة صهيب .. وأحس عبد الله بن جدعان انه مدين لهذا الحر العبد فى وقت واحد .. وان صهيبا ما خلق للعبودية وانما ليكون حرا مثله وعلى قدم المساواة معه .. شريكا : وصديقا وخاصة بعد أن حمل كل اسراره وصانها وبعد أن أدار كل ثروته فنماها .. ولذا لم يكن غريبا على مجتمع مكة أن يشهد المسجد الحرام ذات يوم عبد الله بن جدعان وهو يعلن للقوم أن صهيبا بن سنان حرا .. وانه شرك له فى تجارته ..

ومات عبد الله بن جدعان ..

واستقل صهيب بحياته .

وأصبح واحدا من أغنياء مكة وأشهر تجارها .. المشتركين فى ندواتها والمشهورين باطعام الضيف معاونة كل محتاج ومساندة كل مظلوم ..

ولم يفكر صهيب بعد عبد الله بن جدعان فى ترك مكة فقد كان يربطه بها أمل كبير فى أن وقت الداعى قد حان لظهوره .. ومنأجلذلك عاش أيامه قبلالدعوة وعينه وقلبه مع كل حديث جديد أو دعوة تظهر حتى كان ذات يوم .. وسمع عن شىء يدار فى دار الارقم بن أبى الارقم وأن محمدا بن عبد الله يبشر برسالة من السماء يقول فيها بالوحدانية والمساواة .. فهزه

الخبر وتذكر فى ابن عبد الله هذا العربى العظيم الذى رآه من قبل فى حلف الفضول حيث أجمع القرشيون على ان ينصفوا المظلوم ويأخذوا على يد الظالم ويحقوا الحق ويؤكدوا العدل .. هذا الامين الصادق الطاهر الذى كان حديث كل مجتمع مكى وكل من أتى الى البلد الحرام ..

ووقر فى قلب صهيب أن واحدا هذه خصاله فهو صادق لا محالة . وانه .. وهذا ما جعل قلبه يخفق بعنف .. قد يكون تصديقا للنبوءة التى الزمته مكة..

ولم ينتظر صهيب ..

بل اتجه من فوره الى دار الارقم ..

وأمام الباب وجد صديق عمره ورفيق خطى حياته من بعد ذلك عمار بن ياسر الذى يحدثنا عن هذا الموقف فيقول (**لقيت صهيب بن سنان على باب دار الارقم ورسول الله صلى الله عليه وسلم فيها فقلت ماذا تريد فأجابنى وماذا تريد انت قلت اريد ان ادخل على محمد فاسمع ما يقول . قال وأنا اريد ذلك . فدخلنا على الرسول فعرض علينا الاسلام فأسلمنا ثم مكثنا يومنا على ذلك حتى امسينا ثم خرجنا ونحن متخفيان) ..**

ومن يومها ولم يتغيب صهيب يوما واحدا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يريد ان يعرف المزيد من رسالة الله .. وكان يجب ان يكون ملازما للنبى صلى الله عليه وسلم خشية ايذاء كفار قريش للنبى وصحبه فيقوم بواجبه نحو بنى الاسلام .. واحب النبى .. وأحبه النبى ورضى عنه .. حتى كان يسأل عنه اذا غاب .

ولاحظ المسلمون الاول ان شيئا ما كان يشغل بال صهيب دائما وما زالوا به حتى علموا ان الذى به رغبة عنيفة فى اعلان اسلامه والجهر بين القوم .. فهو على الحق فلماذا يخشى المشركين .. ولم تنفع محاولاتهم فى اثنائه عن عزمه

وأصبح اهل مكة ذات يوم وصوت صهيب يدوى باعلان اسلامه فى جنبات المدينة وفى ذلك يقول ابن عتيبة (ان أول من اظهر اسلامه سبعة منهم صهيب) .. وضاقت قريش وأصدقاؤها بهذا الصهيب وبدأت تمارس معه من ذلك اليوم الذى أعلن فيه اسلامه كل وسائل التعذيب وزادت فى تعذيبه عما كان يلقاه أصحابه الامر الذى هز واحدا من قوادهم يومذاك وهو خالد بن الوليد فتحدث به الى بعض أهله وقال .. (اما انا فقد رأيت من صهيب عجابا رأيت القوم يعذبونه بالنار وينوشونه بالرماح ويلهبون جسمه بالسياط وهو على ذلك يتحدث اليهم حديثا لايحفل بما كانوا ينالونه به من الاذى وربما اشتد عليه البأس فعقد لسانه عن القول برهة واجرى على جبينه شيئا من العرق لا يلبث ان يثوب الى نفسه يعود الى التحدث الى معذبيه فى بعض أمورهم كأنهم لم ينالوه بمكروه .. وما يزالون به يعذبونه بالحديد والنار والسياط وما يزال بهم يعذبهم بهدوءه وثباته وتحدثهم اليهم فى ايسر أمورهم حتى اذا أملهم او كاد عليهم ضاعفوا له العذاب وخرجوا فى ذلك عن اطوارهم فيسعى الى صهيب شيء من ذهول ليمضى فى حديثه ولكنه لايقول للقوم غير الصواب ويعرف القوم انهم قد بلغوا منه بعض ما كانوا يريدون فيكفون عنه مكاويهم ورماحهم وسياطهم واشهد لقد انصرفت عن هؤلاء القوم وانى لبعض أمرهم لكاره ..) فيتدخل الحارث ابن هشام ليوقف استرسال خالد بن الوليد فيقول له.

اسكت لا يسمعك ابن عمك فيصيبك منه بعض ما تكره) .

وبقى صهيب على ايمانه صامدا .. واستمر على ولائه للدين الجديد وحبه للرسول العظيم .. وأصر على اسلامه والجهر به مهما كان العذاب والتعذيب

ورفض مرة أخرى أن يترك مكة حتى ولو كان مع المهاجرين الاول الى الحبشة .. فقد دعاه ولاؤه وايمانه الى البقاء بجوار النبى .. فيكون دائما الى جواره بعد ان كان من قبل فى انتظاره .

واستمر الحال معه كما وصفه خالد بن الوليد طويلا .. وهو لا يهتز ولا يستمع الى اغراءات قريش ومن معها .. وانما يدعو الى الاسلام ويحارب الطغاة ..

ومضت السنوات ..

وأمر الرسول اصحابه بالهجرة الى المدينة .. وهنا لم تعد لصهيب حاجة فى مكة .. ولكنه استأذن الرسول فى أن يكون آخر المهاجرين لعله يكون ثالث ثلاثة رسول الله وأبوبكر وصهيب وهذا كان امله الذى يؤرقه ويشده الى مصاحبة النبى المستمرة .. ولكن أنباء استعداداته لصحبة النبى وصلت خصوم الاسلام فى اللحظات الاخيرة فأوقعوا به ووضعوه فى سجن حالك ومارسوا معه كل أنواع التعذيب لعلهم يصلون منه على أخبار النبى .. ولم ينجحوا .. فقد كان وسط عذابه وآلامه مشغولا بفكرة الهرب مع القوم من الذين اخفوا حبهم للاسلام . . وتمكن بمعاونتهم من الهرب مع الليل .. وحمل جراحه وسارع الخطى فى اتجاه المدينة لعله يلحق بالنبى وصاحبه حيث علم برحيلهما .. وعلم الكفار بهرب صهيب فجنهم الغيظ وبدأوا مطاردة عنيفة له حتى لحقوا به واحاطوا به .. ووجد نفسه وحيدا محاطا بكوكبة من فتيان قريش الاشداء يطلبونه ويعملون على الامساك به لاعادته الى السجن .. ولكنه ينذرهم ويقول (يا معشر قريش لقد علمتم انى من أرماكم رجلا وأيم الله لا تصلون الى حتى أرمى بكل سهم معى فى

كنانتى ثم أضربكم بسيفى حتى لا يبقى منه شيء فاقدموا ان شئتم ٠٠) ٠

وتلقى فرسان قريش هذا التحذير فى حيرة فهم يعلمو نصدق صهيب فى كل ما قال، وقوة عزيمته، واصراره وفروسيته فيترددون ويرى صهيب فيهم ذلك فيسارع بمساومتهم حتى يتركوه وشأنه فيعرض عليهم أن يدلهم على أمواله التى اخفاها فى مكة فتكون لهم ويعودون ويتركونه وشأنه ٠٠ ويقبلون ويخبرهم بمخابىء أمواله فينصرفون عنه ويسارع هو بالخطى فى طريق المدينة ٠٠

ويرى فى طريقه الارهاق المميت، وتظهر عليه آثار السجن التى لم تترك جزءا من جسده الا وأصابته بما فى ذلك عينيه ٠٠ واتجه الى مجلس النبى بعد ان سأل عنه وكان عليه الصلاة والسلام بين بعض من الانصار والمهاجرين وأمامه بعض رطب يتناوله هو وابو بكر وعمر ٠٠ فينكب عليه صهيب بعد القاء السلام من شدة الجوع ٠

ويتم صهيب طعامه ثم يتجه الى ابى بكر معاتبا لانه وعده الصحبة ولم ينتظره ٠٠ فيسأله النبى فى رحمة عن رحلته وماذا فعل مع كفار قريش وكأنه وهو المعلم يريد أن يسمع من حوله جهاد واحد من المؤمنين الصادقين الاول فيقول صهيب (والله يا رسول الله ما خلعت اليك حتى اشتريت نفسى من قريش بمالى أجمع — ويسرد هروبه. .ولخوفهم به ومساومته لهم — ثم يصف ما بعد ذلك ٠٠ وما تركت مكة الا بمد من دقيق عجنته وعشت عليه حتى انتهيت اليك) ٠

فيرد عليه الرسول فرحا به « ربح البيع أبا يحيى ربح البيع أبا يحى ٠٠ » وما ينتهى الرسول من قوله حتى ينزل فى صهيب قرآنا كريما (**ومن الناس من يشرى نفســه ابتغاء مرضـات الله والله رؤوف بالعباد**) ٠

وفى المدينة يعاود صهيب مسيرته الاولى مع النبى ٠٠ لا يتركه يتعلم منه الدين ويجاهد تحت لوائه ويقاتل فى سبيل اعلاء كلمة الله . . ويصف هو حياته كلها مع الرسول صلى الله عليه وسلم فيقول (لم يشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم مشهدا قط الا كنت حاضره ولم يبايع بيعة قط الا كنت حاضرها، ولم يسر سرية قط الا كنت حاضرها ولا غزا غزوة قط اول الزمان وآخره الا كنت فيها عن يمينه او شماله، وما خاف المسلمون امامهم قط الا كنت أمامهم ولا خافوا ما وراءهم الا كنت وراءهم ٠٠ وما جعلت رسول الله بينى وبين العدو ابد احتى لقى ربه ٠٠) ٠

ومن أجل ذلك يروى أصحاب الحديث عن رسول الله قوله (السباق اربعة ٠ انا سابق العرب، وصهيب سابق الروم، وبلال سابق الحبشة وسلمان سابق الفرس) ٠

وينتقل رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم وهـو راض عـن صـهيب ٠ . ويقف هذا الصحابى الجليل مع ابى بكر لا يقحم نفسه فى منازعات الخلافة وانما يفرض وجوده فى مواقف الجهاد التى نشر الاسلام ومن غير ان ينسب حديثا الى الرسول العظيم الذى آمن به وصدقه وعاش خير عمره الى جانبه ٠٠ وانما يحدث الناس بما تعلمه و . . (هلموا احدثكم عن مغازينا فأما ان اقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلا ٠٠

وبعد موت ابى بكر . . لم يتغير موقف صهيب بل ظل على الطريق المحمدى من غير تبديل فى عهد عمر ٠٠ وكل الذى كان يريده هو أن يجاهد فى سبيل الله وأن يعلم الناس دينهم كواحد منهم رافضا كل منصب، وممتنعا عن كل رئاسة ٠٠ والشيء الوحيد الذى زاد عليه اكثر من العطاء فى سخاء غير منقطع النظير حتى سأله عمر فى ذلك فكان رده ان هكذا علمه رسول الله (٠٠ خياركم من يطعم الطعـام ٠٠) وسارت الايام ٠

وفجأة ٠٠ طعن عمر ٠٠ وبينما الخليفة الثانى مضرج بالدماء اذا بعينه تدور بحثا عن واحد من المسلمين فيسأله من حوله عمن يبحث فيقول لهم اتونى بصهيب بن سنان فلما حضر أمره بأن يصلى بالناس اماما ٠ ٠ولم يكتف بذلك ٠٠ بل تذكر بعض الروايات التاريخية انه طلب منه ان يدنو منه وقال له (صل بالناس ثلاثة ايام وأدخل عليا وعثمان والزبير وسعدا وعبدالرحمن بن عوف وطلحة واحضر عبدالله بن عمر وقم على رؤوسهم فان اجتمع خمسة ورضوا رجلا منهم وأبى واحد فاشرخ رأسه وان اتفق اربعة فرضوا رجلا منهم وأبى اثنان فاضرب رأسيهما فان رضى ثلاثة رجال منهم فحكم عبدالله بن عمر فأى الفريقين حكم له فيختاروا رجلا منهم فان لم يرضوا بحكم عبدالله بن عمر فكونوا مع الذين فيهم عبد الرحمن بن عوف واقتل الباقين ان رغبوا عما اجتمع عليه الناس ٠

ونفذ الصاحب صهيب وصية عمر ٠٠ حتى تم اختيار عثمان بن عفان ٠٠ فأعلن امارته للمؤمنين ٠ وتنحى له عن الصلاة بالمسلمين ٠ وعاش مـع عثمان ٠٠ كما عاش من بعد مع على رضى الله عنهم اجمعين نموذجا وحده فى الاسلام ٠ . خير صاحب وخير تابع لرسول الله صلى الله عليه وسلم ٠٠ حتى قبضه الله فى عهد على ٠٠ ومات بالحجاز ٠٠ تاركا وراءه ذكرا خالدا ٠٠

ورضى الله عن ابى يحيى ٠٠ صهيب بن سنان امام الايام الثلاثة ٠

أبو الأسود الدؤلى

الدكتور عبده بدوى

من الشخصيات الهامة فى التاريخ الاسلامى شخصية « ظالم بن عمرو بن سفيان بن جندل الدؤلى الكنانى المشهور بأبى الاسود الدؤلى » وفى الواقع أن المساحة الزمنية التى يشغلها هـــذا الرجل [١٦ ق . هـــ ــ ٦٩ هـــ] كانت المساحة التى تشكلت فيها تلك النضارة الاولى للاسلام ، ثم انه فى كل هذه « المساحة الزمنية » حرص بمهارة وبحذق على أن يتواءم مع كافة الاتجاهات فقد عمل لعمر ، وعثمان ، وعلى عليهم رضوان الله ، وكمـــا استعمله زياد بن أبيه على الديوان والخراج ، ولى قضـــاء البصرة فى ولاية عبد الله بن العباس .. وحين انتهت الامـــور تماما الى بنى أمية رأيناه لا يتوارى فى هذا العهد ، وان كان ما نعرف من الاخبار التى تروى عنه متصلة بمعاوية تؤكد أن معاوية لم يقبل عليه تماما بكل قلبه .

ولكن معنى هذا انه لم يحسب على الشيعة ، وهل معنى هذا انه نسى ولاءه لال البيت ، فى الواقع اذا نحس دائما بفكـــرة ولائه للامام على تلاحقه ، فقد ظل فى حياته أثيرا عنده ، ومقدما فى مجالسه ، على حد ما نعرف من أن الناس اختصموا عنده مرة ، وحين ارتفعت اصواتهم فيمن هو أشعر الناس ، رأينـــا الامام على يترك « فصل الخطاب » لابى الاسود ، فيقول له : قل يا أبا الاســـود .

ثم ان عليا حين اغتيل صعد المنبر ، وخطب خطبة حزينـــة انحاز فيها لآل البيت ، وقيل انه ظل يبكى « حتى اختلفت اضلاعه » وفى الوقت نفسه رأيناه يأخذ بحسم البيعة للحسن ، ولكن معاوية سرعان مادب اليه ، فقد كاتبه فى الصلح ، ودعاه الى أن يأخذ له البيعة فى البصرة ، ولكنه تشدد فى أول الامر ، ثم قال تلك القصيدة الغضـــبى التى أولها .

الا أبلغ معاوية بن حرب　　　فلا قرت عيون الشامتينا

غير ان الامور حين تدافعت تماما فى الطريق الذى يســـلكه معاوية ، لم يجد بدا من وضع اسلحة الكراهية ، ومن تقبـــل العهد الاموى ، وان كانت بين الحين والحين تظهر بعض الانفجارات المأمونة العاقبة ، فحين كان نازلا فى « بنى قشـــير » وكانوا « عثمانية الهوى » وعلى الرغم من ان زوجته ــ ام عوف كانت منهم الا انهم كانوا يؤذونه ويسبونه ويحصبونه بالليل وينالون عليا بحضرته ، ومن هنا رأيناه يقول .

يقول الأرذلون بنو قشـــير　　　طوال الدهر لا تنسى عليـــا

فقلت لهم : وكيف يكون تركى　　　من الاعماق ما يجدى عليا

أحب محمدا حبا شـــديدا　　　وعباسا ، وحمزة ، والوصيا

وجعفران جعفر خير سبط　　　شهيدا فى الجنان مهاجريا

بنـــو عم النبى ، وأقـــربوه　　　أحب النـــاس كلهم اليـــا

فان يك حبهم رشدا اصبه　　　ولست بمخطىء ان كان غيا

ثم انه حين أصيب بالفالج قال له عبيد الله بن زياد : لـــو وجدتك صحيحا لاستعملتك ، فرد عليه : اذا كنت تريد الامانة والغناء فعندى ، واذا اردت المراهنة فليس عندى ! وقد بلغ من حقد الحجاج الثقفى عليه انه قال بعد موته : أما والله لـــو أدركت أبا الاسود لقتلته لانه كان شيعيا :

.. فـأمر شيعيته لا خلاف عليه ، وهو واضح فى تصرفاته ودوافعه ، واذا كان هذا الجانب الشيعى هام فى رسم صـــورة ابى الاسود الدؤلى ، فان هناك جانبا آخر هاما وهو وضعه علم النحـــو .

وابتداء فقد كان العرب يتكلمون العربية بالسليقة ، ولكن حين انتشر الاسلام ، بدأ الاطار اللغوى ينفجر فى أكثر من مكان ، ومع أن الذين كتبوا فى هذا يكادون يذهبون الى أن الســـبب فى هذا هو دخول غير العرب فى الاسلام ، الا انـــه ينبغى أن نعرف أن بعض العرب الخلص كانوا يخطئون ، وكانوا يخالفون أحيانا القياس ، فقد جاء مثلا فى طبقات ابن سعد : أن عمـــر مر بجماعة يترامون فرمى أحدهم ، وقال الاخر « ارمنى » «فقال» ان سوء اللحن شر من سوء الرمى ! وهناك أمثلة عديدة مثـــل هذا منها ان الخليفة الوليد بن يزيد كان لحانا ــ وهو من هو فى قريش وغير مخالط للعجم ــ ومما يروى عنه فى هذا انه قال مرة « يا ليتها كانت القاضية » بضم ليت ، ومن هنا كان رد عمر بن عبد العزيز عليه « يا ليتها كانت القاضية عليك ! » وقد جاء فى مجالس ثعلب : تكلم معاوية بن صعصعة يوما فقال له صالح ابن عبد الرحمن لحنت ، فقال معاوية : انا الحن يا أبا الوليد ؟ والله لنزل بها جبريل من الجنة !

وعلى كل فنحن نرى ان عمر بن الخطاب قد اهتم اهتماما خاصا باللغة ، فقد كتب الى ابى موسى « .. أما بعد ، فتفقهوا فى الدين ، وتعلموا السنة ، وتفهموا العربية ، وتعلموا طعن الدرية [ما يتعلم علبه الطعن] واحسنوا عبارة الرؤيا ، وليعلم أبو الاسود اهل البصرة الاعراب » والسبب فى وضعه علم النمو يتفـــرع ، ولكنـــه يرجـــع الى منبـــع واحـــد فقـــد قيـــل ان ابنتـــه قـــالت « يا أبت . . . مـــا أشـــــد الحـــر » بضم الدال المشددة ، فقال : اذا كانت الضعفاء [الشمس] من فوقك ، والرمضاء من تحتك ، فقالت : انما أردت ان الحر شديد ، فقال لها : كان عليك أن تقولى ما أشد الحر [بالفتح] وقد قيل انه بعد أن سمع هذا ذهب الى الامام على فقال : يا أمير المؤمنين ، ذهبت لغة العرب لما خالطت العجم ، وأوشك ان تطاول عليها الزمان أن تضمحل ، فأمره فاشترى صـــحفا بدرهم ، وأمل عليه : الكلام كله لا يخرج عن أسم وفعل وحرف جاء لمعنى ، ثم رسم أبو الاسود الاصول بعد ذلك ، .. وهناك رواية أخرى عن ابنة له قالت فى التعجب « ما أحسن السماء ! »

بضم النون فى أحسن ، وهناك رواية نعرف منها أن عبدالله ابن العباس يحضه على كتابة النحو ، ثم تتوالى الرويات ، ومنها نعرف أن زياد بن ابيه دخلت عليه جماعة تتخاصم ، فقال واحد : أصلح الله الامير : توفى أبانا وترك بنون ! فتعجب زياد ، وطلب أبا الاسود ثم قال له : ضع للناس العربية ، وقيل أن زيادا قال له : ان بنى يلحنون فى القرآن ، فلو رسمت لهم رسما ، فنقط أبو الاسود المصحف ، وقيل ان زيادا قال : ان الظئر [يريدان المراضع من الموالى قد أفسدوا السنة الذين أرضعنهم من العرب]

وللتوفيق بين العديد من الروايات نعرف أن أبا الاسود خص بعملية البدء هذه ، ونعرف أن عمر ، وعليا ، وعبد الله ابن العباس ، وزيادا كانوا يرونه المرجع فى هذا ، وتعرف ان الامام على قد رسم له الحدود الاولى لهذا العلم ، وابو الاسود نفسه يقول « .. اخفت حدود هذا العلم عن على عليه السلام » ومن عملية الاجماع هذه نصل الى انه واضع هذا العلم وان كان المستشرق ركندروف فى دائرة المعارف الاسلامية لا يميل الى هذا .

ونحن حين نريد ان نجلو عنه من خلال الذين تعرضوا له نرى الزبيدى يقول فى طبقات النمويين « .. أبو الاسود علوى الرأى ، كان رجل البصرة ، وهو أول من أسس العربية » وقد قال عنه ابن سلام الجمحى ان « أول من أسس العربية ، وفتح بابها ، وأنهج سبيلها ، ووضع قياسها أبو الاسود الدؤلى ، وكان علوى الرأى « وفى صبح الاعشى « انه وضع حركات النحو لا غير » اما الجاحظ فيرسم له صورة بارزة حين يقول « انه معدود فى طبقات من الناس ، وهو فى كلها متقدم ، مأثور عنه الفضل فى جميعها ، كان معدودا فى التابعين والفقهاء ، والشعراء ، والمحدثين ، والاشراف ، والفرسان ، والامراء الدهاة ، والنحويين والحاضرى الجواب ، والشيعة ، والبخلاء ، والصلع الاشراف ، والبخر الاشراف » .

.. ويبدو انه ظل طيلة حياته فى دائرة الضوء ، وانه حتى بعد أن كبر كان متيقظ الحواس ، دائب الصحو ، فقد قال له رجل — بعد ان أسن — أراك تكثر الركوب ، وقد ضعفت عن الحركة وكبرت ، ولو لزمت منزلك كان أودع لك ، فرد أبو الاسود صدقت ، ولكن الركوب يشد أعضائى ، وأسمع من أخبار الناس ما لا أسمعه فى بيتى ، واستنشى الريح ، والقى اخوانى ولو جلست فى بيتى لاغتنم بى أهلى ، وأنس بى الصبى ، واجترأ على الخادم ، وكلمنى من أهلى من كان يهاب كلامى ، لالفهم اياى ، وجلوسهم عندى ، حتى لعل العنز أن تبول على فلا يقول لها أحد « هش » .. ولا ينبغى أن يغيب عنا انه وضعت عنه — روايات كثيرة — كتلك التى نجدها فى كتاب الاغانى — وبعضها يقف عند حرصه وبخله وبخره ، ويغلب عليها الوضع ، والتفاكه ، والاخذ فى انماط من التسلية .

ومهما يكن من شىء ...

فنحن نصل من خلال هذه الشخصية الخصبة ، الى تلك الغيرة المبكرة على سلامة اللغة العربية ، باعتبارها « وعاء القرآن » وباعتبارها المسئولة عن اكمال الشخصية ، وعن فتح أبواب لا تنتهى من الحضارة ..

ولقد كان « أبو الاسود الدؤلى » بعد أن تلقى دفعة من الامام على ، هو العقل المبكر الذى كان وراء صحة هذه اللغة ، وتقنينها وربطها بثروة الاسلام الكبيرة الممثلة فى القرآن الكريم العظيم ، ثم اخيرا جعلها اداة طيعة للتعبير عن الانسان العربى فى كافة المجالات ..

من أعلام الصوفية

سيدى
ابراهيم بن أدهم
سلطان الزاهدين

الأستاذ جودة محمد أبو زيد المهدى

على مشارف الفتح الالهى ترنو بصائر اهل الولاية والاصطفاء الى آفاق النور والضياء ، وبقلوب تحرقت شوقا الى مولاها واصل السالكون خطاهم على درب المحبة عبر أشواك المجاهدات وهجران المخالفات فاستردت أرواحهم فى الطاعات ذاتيتها النورانية ، وتحررت من رق الاشياء بالكلية . هنالك هبت عليهم نفحات القبول وأديرت لهم كاسات الوصول وصاروا جندا للحق ومنارات للخلق وأئمة يهتدى بهم الى جناب رب العالمين .

من خاصة أولئك الاولياء المقربين والاقطاب العارفين : سلطان الزاهدين سيدى ابراهيم بن أدهم رضى الله عنه . امام من أئمة السلوك الصوفى الرفيع وأحد أفذاذ الرعيل الاول الذين انطبعت فيهم الصورة المثلى للنهج المحمدى الوضاء وتمثلوا فى سلوكهم أعلى مثل للاقتداء . فكانت حياتهم صفحات من نور أينما نقلبها تنعكس أضواؤها لترسم لنا النماذج ، المثلى لمدرسة السلف الصالح رضى الله عنهم أجمعين . وسيدى ابراهيم بن أدهم رضوان الله عليه له فى تاريخ التصوف مكانة سامقة لاقت من التبجيل والاعجاب مالم تظفر به الا القلة من المتفردين فى ذروة الزهد والفتوة والايثار . ولسمو منزلة سيدى ابراهيم فى مقام الزهد خاصة عرف بسلطان الزاهدين . والى جانب الزهد الذى تحقق به حتى بلغ فيه مداه فان ثمة جوانب عديدة ذات أصالة روحية عميقة قد حفلت بها

هذه الشخصية العظيمة • وسنحاول ان نتعرف عليها – بعض التعرف – وستبهرنا أضواؤها دون شك لانها تملكخواص الجاذبية الروحية . وتلك سمة لا تتوفر الا فى أولئك الذين اسبغت عليهم العناية حلل أنوارها • ونتساءل عن أول الطريق كيف عرف سيدى ابراهيم الطريق الى مولاه ؟ ويجيبنا سلطان الزاهدين – كما روى صاحب الحلية : –

كان ابى من أهل بلخ ، وكان من ملوك خراسان وكان من المياسر وحبب الينا الصيد فخرجت راكبا فرسى وكلبى معى فبينما انا كذلك فثار ارنب او ثعلب فحركت فرسى فسمعت نداء من ورائى « **ليس لذا خلقت ولا بذا أمرت** » فوقفت أنظر يمنة ويسرة فلم أر أحدا فقلت لعن الله ابليس. ثم حركت فرسى فاسمع نداء أجهر من ذلك « **ليس لذا خلقت ولا بذا أمرت** » فوقفت أنظر يمنة ويسرة فلم أر احدا فقلت لعن الله ابليس ثم حركت فرسى فأسمع نداء من قربوس سرجى – أى مقدمه – ياابراهيم مالذا خلقت ولا بذا أمرت • فوقفت فقلت انبهت أنبهت جاءنى نذير من رب العالمين والله لا عصيت الله بعد يومى هذا ما عصمنى ربى) •وفى رواية أخرى عن يونس بن سليمان البلخى : ذكرفى هذه القصة نفسها ان سيدى ابراهيم بينما هو على فرسه يركضه اذ سمع صوتا من فوقه (**ياابراهيم ماهذا العبث ؟؟! أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاوانكم الينا لا ترجعون ؟ اتق الله وعليك بالزاد ليوم الفاقة)** فنزل عن دابته ورفض الدنيا واخذ فى عمل الاخرة. وهكذا ترك سيدى ابراهيم الدنيا وهى أرغد ما تكون ملكا وترفا وأبهة وفر من نفسه الى الله وخلع عن نفسه طوق الغفلة ليدخل حياة قوامها العبودية الصادقة له . لقد ولى وجهه شطر مولاه فلم يصبح للدنياوزن عنده • لقد تلاشت الكائنات من مرآة وجوده وانمحت الاغيار فاستقبل عهد الصلح مع الله ، وترك وطنه خراسان وسافر الى العراق ليلتمس فيها الرزق الحلال ويتزود من قوت العبادة وأكسير الطاعة • وكان ميزانه فى طلب الحلال عجيبا وحاسته فى الورع لا تخطىء دبيب النمل حتى انه قد أعياه طلب الحلال مع الورع الذى ينشده فى العراق فسافر الى الشام واقام بمدينة يقال لها المنصورة أياما ثم توجه الى طرسوس واستقر مقامه بها • وأخذ يعمل – وهو ابن الملوك – فى الحصاد ونظارة البساتين بأجر يومى لا يكاد يفى بحاجات خادم فى ملك أبيه • ولكن الصفاء الذى غمر وجدان سيدى ابراهيم وهو يمارس أسباب رزقه بيديه تأسيا بسيدنا داود على نبينا وعليه السلام واقتداء بسلف الامة الصالح كان لايعادله صفاء لا سيما وقد ترك وراءه ملكا عريضا كان سيتوج ملكا عليه والدنيا تفتح له ذراعيها . ولكنه قد ربأ بنفسه وتعالى بهمته أن يرتمى فى أحضان الدنيا وراء السعادة – كل السعادة – فى كسرة خبز من حلال صاف يتقوى بها على طاعة ربه وقيامه فى جوف الليل والناس رقود. ولقد كانت صورة ورعه وزهده رضى

الله عنه وهو يعمل بنظارة البساتين وحراستها – عجيبة تأخذ بالالباب • اذ وقع له ذات يوم وهو يعمل ناظورا فى بستان بطرسوس أن جاءه خادم صاحب البستان وقال له اذهب فأتنا بأكبر رمان تقدر عليه واطيبه • فذهب سيدى ابراهيم وأتاه بأكبر رمان فى البستان فأخذها الخادم وكسرها فوجدها حامضة • فقال له ياناظور : انت فى بستاننا منذ كذا وكذا سنة تأكل فاكهتنا وتأكل رماننا لا تعرف الحلو من الحامض ؟ فقال سيدى ابراهيم : والله ماأكلت من فاكهتكم شيئا وما أعرف الحلو من الحامض !! فاشار الخادم الى أصحابه – وكان لا يعرف أنه سيدى ابراهيم بن أدهم – فقال : أتراك لو انك ابراهيم بن أدهم مازاد على هذا !! فلما كان الغد ذكر الخادم صفته للناس فى المسجد فعرفوه فاقبلوا اليه محتشدين لرؤية زاهد الدنيا سيدى ابراهيم بن أدهم فلما أدرك انه عرف فيهم اختفى عنهم وولى هاربا من طرسوس • وأخذ سيدى ابراهيم يتنقل فى بلاد الشام من بلد الى بلد سائحا عابدا زاهدا متخلقا بالورع الأمثل متصفا بالمكرمات التى قلما تجتمع لشخص واحد فى عصر بأكمله وكانت عباداته ومجاهداته حديث الدنيا بأسرها وشهرته تسبق ضوء الشمس فى شتى البقاع والامصار • لقد ضرب باجتهاده فى العبادات مثلا فذا لا يجارى فى قهر النفس بكل مافيها من نوازع واهواء • كان يتحمل الجوع والسهر وسائر مخالفات العادة بحد مذهل وقد شهد له بذلك أئمة التصوف واعلامه . يقول حجة الاسلام الامام الغزالى رضى الله عنه (**وكان ابن أدهم والثورى رضى الله عنهما يطويان ثلاثا ثلاثا ويأكلان فى الرابع**) ثم قال (**وليس ذلك خارجا عن العادة بل هو قريب يمكن الوصول اليه بالمجاهدة**) • ويصور صاحب الحلية جانبا من جهاده رضى الله عنه فى العبادة فى روايته بسنده عن أبى اسحق الفزارى قال : **كان ابراهيم بن ادهم فى شهر رمضان يحصد الزرع بالنهار ويصلى بالليل فمكث ثلاثين يوما لا ينام بالليل ولا بالنهار**) ويتحدث الامام الشعرانى رضى الله عنه فى طبقاته عن منهج سيدى ابراهيم فى العبادة قائلا : **(وكان يقلل الطعام والاكل ما استطاع ويقول : لا يحتمل الحلال الصرف حتى كان يصلى خمس عشرة صلاة بوضوء واحد)** انه جهاد الابرار الذين شفت روحانيتهم بكثرة المجاهدة حتى انخرقت عوائدهم وتذللت لهم طبائعهم الجسدية والنفسية • يقول سيدى ابراهيم بن أدهم : (**ما قاسيت شيئا من أمر الدنيا اشد على من نفسى مرة على ومرة لى • وأما هواى فقد – والله – استعنت بالله عليه فاعاننى واستكفيته سوء مغالبته فكفانى فوالله ماآسى على ما اقبل من الدنيا ولا ما ادبر منها**] لقد زهد فى الدنيا بالكلية حتى استوى عنده اقبالها وادبارها • ولقد أعطى الدليل على ذلك مرات عديدة • فذات يوم وبينما هو جالس مع صحبة له عند جامع المصيصة بالشام اذا برجل قادم من خراسان فقال : أيكم ابراهيم بن أدهم ؟ فقال أنا هو • فقال ان اخوتك

بعثونى اليك . فلما سمع ذكر اخوته قام فأخذ بيده جانبا وقال له ما جاء بك ؟ فقال : انا مملوكك مع فرس وبغلة وعشرة آلاف درهم بعث بها اليك اخوتك . فقال له ان كنت صادقا فأنت حر وما معك ملك : اذهب فلا تخبر بذلك أحدا انه العارف سيدى ابراهيم بن أدهم زاهد السلاطين وسلطان الزاهدين وليت شعرى هل يقدر احد ان ينال هذه المرتبة فى الزهد من أولئك الذين يطعنون فى التصوف والصوفية بينما هم يتكالبون على الدنيا بدينهم ويزحفون وراء بريقها ؟؟ أم هل يستطيع أحد ممن يهاجمون أعلام الصوفية أن يكبحوا جماح انفسهم واهوائهم كهؤلاء ؟؟ كلا والله وماهم وهؤلاء الاعلام الا كذرات الهباء امام الجبال الرواسى . ولئن سولت لهم نفوسهم أن ينالوا من أقدار الاولياء فهم كما قال الشاعر :

كناطح صخرة يوما ليوهنها
فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل

ولنعد الى سلطان الزاهدين الذى ضرب أروع الامثلة فى الايثار والفتوة الى جانب تفرده فى علياء مقام الزهد . وهذا مثل يقف بنا على عظمة هذا الامام الصوفى : يروى الامام ابو نعيم فى حليته بسنده عن سهل بن ابراهيم قال : (صحبت ابراهيم بن أدهم فى سفر فانفق على نفقته كلها . قال : ثم مرضت عليه فاشتهيت شهوة - أى شيئا يشتهى من الحلال - فذهب فأخذ حماره فباعه واشترى شهوتى فجاء بها فقلت يا ابراهيم فأين الحمار ؟ قال : ياأخى بعناه . قال قلت ياأخى فعلى أى شىء نركب ؟ قال ياأخى على عنقى قال فحمله على عنقه ثلاث منازل قال فقال الاوزاعى ليس فى هؤلاء القراء أفضل من ابراهيم بن أدهم فانه اسخى القوم) انها اخلاق الرجال الذين ورثوا اخلاق النبوة بما فيها من سماحة وسخاء . ولقد صحب سيدى ابراهيم نخبة ممتازة من اساطين العلم وأئمة الولاية والتصوف الذين شع نورهم فى القرن الثانى الهجرى كالامام سفيان الثورى وسيدى الفضيل بن عياض رضى الله عنهما حيث التقى بهما فى مكة قبل رحلته الى بلاد الشام كما التقى بالعارف اسلم بن يزيد الجهنى واخذ عنه جملة من آداب الطريق واخلاق الولاية والفتوة . ولما قدم سيدى سفيان الثورى رضى الله عنه الى الرملة ارسل اليه سيدى ابراهيم بن أدهم قائلا (تعال فحدثنا) فاستعظم بعض الناس ان يخاطب أمير المؤمنين فى الحديث بمثل هذه العبارة وقالوا لسيدى ابراهيم : تبعث اليه بمثل هذا هكذا ؟ فقال لهم : أردت ان أنظر كيف تواضعه !! ولقد ذكر الامام المناوى رضى الله عنه فى طبقاته : ان سيدى ابراهيم لقى الخضر عليه السلام بالبادية فعلمه الاسم الاعظم وقال له : (لا تدع به على احد بينك وبينه عداوة فتهلكه فى الدنيا والاخرة واعبد ربك على تحقيق المشاهدة والمراقبة ، واعلم انه اقرب اليك من حبل الوريد) وهذه واقعة لطيفة تصور لنا مكانة سيدى ابراهيم فى حب الله وحب احباب الله . يروى الامام ابو نعيم بسنده عن فارس النجار قال : بلغنى أن ابراهيم بن أدهم رأى فى المنام كأن جبريل عليه السلام قد نزل الى الارض فقال له لم نزلت الى الارض ؟ قال لاكتب المحبين . قال مثل من ؟ قال مثل مالك بن دينار وثابت البنانى وايوب السختيانى (وعد جماعات) قال انا منهم ؟ قال لا فقال له فاذا كتبتهم : فاكتب تحتهم : (محب المحبين) . قال فنزل الوحى : اكتبه اولهم !! أرأيت ماذا تصنع محبة الاولياء ؟؟ انها ترقى بالعبد الى مدارج من الكمالات لا تنال بشىء سواها . اللهم فاكتبنا من محبى محبيك بحق سيدى ابراهيم بن أدهم عندك واجعلنا من الصادقين فى محبتك آمين . ان سيدى ابراهيم كان لصدق محبته يناجى ربه ويقول (اللهم انك تعلم ان الجنة لا تزن عندى جناح بعوضة اذا آنستنى بذكرك ورزقتنى حبك وسهلت على طاعتك فاعط الجنة لمن شئت) لقد كان سيدى ابراهيم ينشد فى حبه نعيم الوصل وسرور الانس ولذة التفانى فى خدمة المحبوب . ولقد تحقق له ما اراد وظفر بالمراد فقال فى نشوة وصاله (لو علم الملوك ما نحن فيه من النعيم والسرور ولذة العيش وقلة التعب لجالدونا عليه بالسيوف . . طلبوا الراحة والنعيم فأخطأوا الصراط المستقيم) ومرة اخرى يقول : (ما اغفل أهل الدنيا عنا . . مافى الدنيا انعم عيشا منا) انه نعيم عيش المنعمين فى كفالة الله المحبين له ، العارفين به ، والمتوكلين عليه . وتلك واقعة جرت لسيدى ابراهيم مع سيدى شقيق البلخى رضى الله عنه تنبىء بعلو كعبه فى التخلق بأخلاق الفتوة والزهادة والايثار : يقول العارف سيدى حذيفة المرعشى (دخلنا مكة مع ابراهيم ابن أدهم فاذا شقيق البلخى قد حج فى تلك السنة فاجتمعنا فى شق الطواف فقال ابراهيم لشقيق : على أى شىء اصلتم أصلكم ؟؟ قال : اصلنا على انا اذا رزقنا أكلنا واذا منعنا : صبرنا فقال ابراهيم هكذا تفعل كلاب بلخ ! فقال له شقيق : فعلى ماذا اصلتم أصلكم ؟ قال أصلنا على أنا اذا رزقنا آثرنا واذا منعنا شكرنا وحمدنا فقال شقيق فجلس بين يدى ابراهيم فقال : ياأستاذ : أنت أستاذنا !!) أجل لقد كان العارف بالله سيدى ابراهيم بن ادهم استاذ عصره فى الزهد والمعرفة والورع . وها هو ذا يحدد مفهوم الورع عند أهل الطريق قائلا : (الورع ترك كل شبهة ، وترك مالا يعنيك هو ترك الفضلات) أى أن الورع يتلخص فى اتقاء الشبهات اولا ثم بطرح مالا يعنى مما لاتدعو اليه حاجة دينية لانه قد صار فى عداد الفضلات التى يستغنى عنها وقد سأله يوما خادمه العارف ابراهيم ابن بشار قائلا بم يتم الورع ؟ فقال سيدى ابراهيم [بتسوية كل الخلق من قلبك واشتغالك عن عيوبهم بذنبك ، وعليك باللفظ الجميل من قلب ذليل لرب جميل . فكر فى ذنبك وتب الى ربك يثبت الورع فى قلبك واحسم الطمع الا من ربك] كلمات وضاءة صدرت عن قلب ربانى سقى بماء الحكمة وارتوى بماء المعرفة . وننتقل الى مقام الزهد لنستمع الى سلطان الزاهدين وهو يقول (الزهد ثلاثة اصناف : فزهد فرض وزهد فضل وزهد سلامة . فالفرض الزهد فى الحرام والفضل الزهد فى الحلال والسلامة الزهد فى

الشبهات) ولا يخفى ان مراده بالزهد فى الحلال : الزهد فى المباح الذى لاتدعو اليه حاجة شرعية فهو داخل فى عداد الفضلات التى اسلفنا تبيانها. وبتحقيق هذه المراتب الثلاث: يصل العبد الى ذروة الزهد ويرتقى الى سماء الواصلين . ولسيدى ابراهيم بن أدهم فهم عال فى كلام الله تعالى وذوق روحى يبهر العقول . يقول رضى الله عنه فى قوله تعالى (فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات . (السابق مضروب بسيف المحبة مقتول بسيف الشوق مضطجع على باب الكرامة . والمقتصد مضروب بسوط الندامة مقتول بسيف الحسرة مضطجع على باب العفو والظالم لنفسه مضروب بسوط الغفلة مقتول بسيف الامل مضطجع على باب العقوبة) اهـ . هذه اشارات يفهمها أهل الله فى كلام الله . ولقد كان سيدى ابراهيم حين يتحدث يغترف من بحار العلوم اللدنية وكان لا يسأل فى شىء الا أجاب وأبهر . لقد مر يوما فى أسواق البصرة فاجتمع الناس اليه فقالوا (ياأبا اسحق : ان الله تعالى يقول (ادعونى استجب لكم) ونحن ندعوه منذ حين وهو لايستجيب لنا ؟؟ فقال (ياأهل البصرة : ماتت قلوبكم فى عشرة أشياء : (١) عرفتم كتاب الله ولم تؤدوا حقه (٢) وقرأتم كتاب الله ولم تعملوا به . (٣) وادعيتم حب رسول الله صلى الله عليه وسلم وتركتم سنته . (٤) وادعيتم عداوة الشيطان ووافقتموه . (٥) وقلتم ان الموت حق ولم تستعدوا له (٦) وقلتم نخاف النار وارتضيتم أنفسكم لها . (٧) وقلتم نحب الجنة ولم تعملوا لها.(٨) واشتغلتم بعيوب اخوانكم ونبذتم عيوبكم . (٩) وأكلتم نعمة ربكم ولم تشكروها . (١٠) ودفنتم موتاكم ولم تعتبروا بهم فكيف يستجاب لكم ؟؟ أجل ياسلطان الزاهدين كيف يستجاب لمن مات قلبه والله انما يتقبل من المتقين الذين أحيا قلوبهم بنور معرفته فساروا فى طريق النور . وكما بين القطب العارف سيدى ابراهيم العقبات التى تقف فى طريق احياء القلوب واجابة الدعاء . فقد رسم للسالكين طريق الصلاح والفلاح يقول صاحب الرسالة القشيرية (قال ابراهيم بن أدهم لرجل فى الطواف : (اعلم انك لا تنال درجة الصالحين حتى تجوز ست عقبات : اولاها : تغلق باب النعمة وتفتح باب الشدة ـ أى تنتقل من حياة الترف والدعة الى حياة الرياضة والمجاهدة والثانية :تغلق باب العز وتفتح باب الذل ـ ومرارة ذل النفس فى طريق الجهاد الاكبر ـ والثالثة : تغلق باب الراحة وتفتح باب الجهد . والرابعة تغلق باب النوم وتفتح باب السهر. والخامسة تغلق باب الغنى وتفتح باب الفقر ـ أى الافتقار الى الله ـ والسادسة : تغلق باب الامل وتفتح باب الاستعداد للموت) . اهـ حقيقة انها عقبات لا يقوى عليها سوى أهلها ومن أهلها سوى الصوفية ؟؟ صفوة الله من خلقه وخواصه من عباده ؟ ثم ننتقل فى عجالة عاجلة الى طرف يسير من كرامات الامام الصوفى سيدى ابراهيم بن أدهم وما اكثر كراماته !! يروى صاحب حلية الأولياء بسنده عن مكى بن ابراهيم يقول كان ابراهيم بن أدهم بمكة . فسئل : ما يبلغ من كرامة المؤمن على الله عز وجل ؟ قال : يبلغ من كرامته على الله تعالى : لو قال لهذا الجبل تحرك لتحرك . فتحرك الجبل فقال : ما اياك عنيت !! وذكر الامام المناوى فى طبقاته : ان سيدى ابراهيم بن أدهم أراد ركوب سفينة فأبى الملاح الا أن يأخذ دينارا . فصلى ركعتين وقال : اللهم انهم سألونى ما ليس عندى وهو عندك كثير . فصار الرمل دنانير . فأخذ واحدا ودفعه لهم ولم يأخذ غيره !! انه عبد ربانى أطاع الله فأطاع الله له كل شىء (وبعد) فهذا هو ولى الاولياء وسلطان الزاهدين الاصفياء سيدى ابراهيم بن أدهم الصوفى الذى فر من ملك الدنيا الى ملك الاخرة وفر من الخلق الى الخالق ومن نفسه الى مولاه فحباه الله بعطاء تتقاصر الاوهام عن تصوره وجعله من خواص أوليائه المتقين. رضى الله عنه وعنا به وجعلنا من ورثة مدده ومن خاصة احبائه فى الدارين آمين .

من أعلام الإسلام

الشهيد محمد عز الدين القسام

الأستاذ ابراهيم محمد الفحام

عندما تقلب الاجيال القادمة من أبنـاء العروبة ، صفحات تاريخنا البطولي المجيد ، الذي خاض غمرتها الاباء والاجداد ، في سبيل الذود عن حرية الشعب الفلسطيني وسيادته على ارضه ، ستتوقف طويلا عند أولى تلك الصفحات ، تستعيد في فخر واعجاب ، قصة جهاد الشهيد (محمد عز الدين القسام) ، ذلك البطل العربي العظيم ، الذي شكل أول جماعة مدربة لخوض معركة المقاومة الشعبية في فلسطين ، وأعلن أول ثورة مسلحة لمواجهة المطامع الصهيونية ، ومظالم حماتها من المحتلين البريطانيين .

وقد ولد الشهيد ـ رحمه الله ـ فى بلدة (جبيلة) من أعمال (اللاذقية) بالقطر السورى فى سنة ١٣٠٠ هـ (١٨٨٢ م) ونشأ فى بيئة صالحة ، وتلقى علومه الدينية الاولية منذ نعومة أظافره ، فى موطنه الاول ، ثم قدم مصر عندما شب عن الطوق ، فأتم دراسته فى الازهر الشريف ، وتتلمذ على الامام (الشيخ محمد عبده) ، وغيره من العلماء المصريين .

وعندما عاد القسام الى موطنه قبل اندلاع نيران الحرب العالمية الاولى بسنوات قلائل ، ظل يشتغل بالتعليم والوعظ ، حتى احتل الفرنسيون الشواطىء السورية ، فى ختام تلك الحرب ، وبدأوا يتأهبون للتقدم الى داخل البلاد ، فكان القسام فى مقدمة الخطباء الذين أججوا حمية المواطنين ، وأثاروا فى نفوسهم روح المقاومة .

ولم يقتصر دور القسام على الخطابة ، والدعوة الى الجهاد ، بل كان من أسبق مواطنيه الى حمل السلاح ، والتف حوله كثير من تلامذته ومريديه ، وحاول الغزاة قتله ، فطاردوه فى كل مكان ، حتى اضطر فى النهاية أن يرحل الى [دمشق] ابان الحكم الفيصلى . الا أنه سرعان ما أرغم على مغادرتها ، عندما احتلها الفرنسيون فى سنة ١٩٢٠ ، وكان فى مقدمة المجاهدين الذين شملتهم أحكام الاعدام . فهاجر الى فلسطين ، ومعه اثنان من زملائه فى الجهاد ، هما (الشيخ محمد الحنفى) و (الشيخ على الحاج عبيد) . وطابت له ولزميليه الاقامة فى (حيفا) ، فتولى فيها امامة جامع الاستقلال ، وخطابته ، وعين مأذونا من قبل المحكمة الشرعية ، واشترك فى جمعية الشبان المسلمين ، ثم تولى رياستها . كما اشتغل مدرسا بالمدرسة الاسلامية ، التى أنشأها [الشيخ محمد كامل القصاب] وشاركه نشاطه العلمى ، وتعاونا معا على تأليف كتاب [النقد والبيان] فى البدع المنهى عنها ، والرد على أحد القائلين بها .

وكان الشيخ القصاب أحد زعماء الحركة الاستقلالية أيام الاحتلالين التركى والفرنسى فى سورية . وكان ينتمى الى أسرة من مدينة (حمص) استقر بها المقام فى [دمشق] فولد ونشأ بتلك المدينة ،

وأنشأ بها « المدرسة الكاملية » التى نسبت اليه ، والتى أسهمت بنصيب وافر ، فى بث الروح القومية العربية ، فى سكان المدينة ·

ولما احتل الفرنسيون سوريا، اشترك فى مقاومة جحافلهم ، فحكم عليه بالاعدام ، واضطر للهجرة الى الحجاز ، ثم رحل منها الى (حيفا) وأنشأ بها المدرسة الاسلامية ، التى التقى فيها بالقسام · الا أنه لم يلبث ان عاد الى [دمشق] عندما عفا الفرنسيون عنه ، وأقام بها ·

وقد اهتم القسام منذ اقامته فى (حيفا) بتنبيه أبنائها ، وأبناء المنطقة المحيطة بها الى الخطر الصهيونى ، واذكاء روح النضال فيهم ، ودعوتهم الى الذود عن ديارهم ، والتضحية فى سبيل ذلك بكل مرتخص وغال ·

وصادف نشاطه هذا استجابة عظيمة ، فى نفوس سكان تلك المنطقة ، التى كانت تموج بالسخط على السلطات البريطانية ، والمؤسسات الصهيونية التى طردت ثلاثة آلاف أسرة كانت تقيم فى ٢٢ قرية من قرى (مرج بنى عامر) و ١٥ ألف شحص آخرين من أرض (وادى الحوارث) ومثلهممن أراضى (الحولة) وتحول الفلاحون العرب من ملاك الى أجراء فى أراضيهم ، أو عمال صناعيين يعملون باجور زهيدة ، كما تفشت البطالة بين الكثير منهم ·

ومما هيأ للقسام سبل النجاح فى أداء رسالته ، اتصاله بالجماهير العريضة ، بحكم عمله كمدرس وامام وخطيب ومأذون ، ورئيس لجمعية الشبان المسلمين وقد بدأ يؤدى تلك الرسالة منذ سنة ١٩٢٢ الا أنه كان يدرك خطورة الظروف التى يعمل فيها · وكان يعلم حق العلم أن أعداء البلاد ، لن يمهلوه حتى يحقق هدفه فحرص ان يعمل فى طى الكتمان ، وبكل حذر ·

وفى سنة ١٩٢٩ بدأ القسام يخرج للقرى المحيطة بحيفا ، ليمد نشاطه اليها بحكم عمله كمأذون لتلك المنطقة ، وأخذت التبرعات تنهال عليه من كل مكان ، حتى اذا اجتمع له قدر مناسب من المال شرع فى شراء الاسلحة ، وتدريب المتطوعين على استعمالها ، مع تقسيمهم الى وحدات منظمة ، تخضع لقادة محنكين · وكان من أبرز أولئك القادة (الشيخ حسن البابر) و (الشيخ نمر السعدى) و (محمود سالم المخدومى) وكان يشرف على تدريب أولئك المتطوعين ، ضباط ممن خدموا فى الجيش التركى ·

وما أن أقبل عام ١٩٣٥ حتى كان قد بلغ عدد المجاهدين المدربين ٢٠٠ مجاهد · وكان بعض أتباع القسام ، قد بدأوا يتعجلون يوم المعركة ، ويتلهفون على مواجهة أعداء بلادهم ، فشرعوا يهاجمون سكان المستعمرات التى أقامتها المؤسسات الصهيونية ، ويعكرون على سكانها صفو الاستقرار ·

ومن المجاهدين الذين دأبوا على شن تلك الهجمات [الحاج صالح احمد على] من قرية (صفورية) وزميلاه (الشيخ أحمد التوبة) **ومصطفى على الاحمد ·**

وكان من أجرأ أعمالهم الفدائية تلك التى حدثت فى عام ١٩٣٣ عندما استطاعوا أن يحصلوا على قنبلتين صنعهما شخص يسمى (السيد أحمد غلايينى) فى معمل يمتلكه بمدينة [حيفا] ·

وعندما تسلم [الحاج صالح أحمد على] القنبلتين ، تسلل مع زميليه ، ومعه واحد دمنها الى مستعمرة (نهلال) الواقعة بين (حيفا) و (الناصرة (: وقرب قرية (المجيدل) ووضعوا القنبلة فى مبنى صغير كان يشغله أربعة من الحراس الصهيونيين ، فانفجرت القنبلة وقتلت اثنين منهم ، وجرحت الاخرين ·

وظل ذلك الحادث سرا غامضا ، لا يعرف سره ، ولا فاعلوه ، حتى استطاع رجال الشرطة البريطانيون أن يكتشفوا خفاياه بعد ثلاثة أشهر ، من وقوعه ، فقاموا بمحاصرة قرية (صفورية) وتفتيش بعض بيوتها ، حتى عثروا على القنبلة الاخرى فى منزل [الحاج مصطفى على الاحمد) كما عثروا لديه على بندقية كان يستعملها فى مهاجمة سكان المستعمرات ·

وبعد استخدام أشد وسائل التعذيب الوحشية ، اضطر (الحاج مصطفى) للاعتراف ببعض تفصيلات الحادث ، ومسئوليته عنه ، فقدم للمحاكمة وحكم باعدامه ، ونفذ فيه الحكم ، كما حكم على (السيد أحمد الغلايينى) بالسجن ١٥ سنة ·

وبرغم ذلك ، فقد استمرت الهجمات الفردية ، حتى بلغت أوجها فى أوائل عام ١٩٣٥ عندما اصبح المثلث العربى [جنين — نابلس — طولكرم] ميدانا لعدة حوادث قتل فيها بعض الضباط البريطانيين ، وبعض المتعاونين معهم من الخونة ·

وأخيرا ·· رأى القسام أن الوقت قدحان لاعلان الثورة العامة المسلحة ، على قوات الاحتلال البريطانى فى المنطقة ، وشن الحرب على المستعمرين الصهيونيين ، فعقد اجتماعا مع أنصاره فى مساء ١١ نوفمبر سنة ١٩٣٥ بمنزل القائد (محمود سالم المخزومى) ·

وفى اليوم التالى غادر القسام ومعه أكثر من خمسة وعشرين من أعوانه مدينة حيفا ، الى قرى [قضاء

جنين) لدعوة الشعب بها الى الثورة ، وكانت أول قرية دخلها [كفردان] ، ومنها بعث بالرسل الى القرى الاخرى المجاورة • وكان سبب اختياره تلك المنطقة ، وقوعها فى جبال (الجليل) الوعرة ، ذات المسالك الصعبة •

وفى يوم ١٤ نوفمبر ، وقبل أن تتهيأ الظروف المناسبة لبدء الثورة ، طرأ حادث لم يكن بالحسبان • وكان الدافع له هو الحماس البالغ ، والرغبة الملحة فى تعجل لقاء الاعداء •

فبينما كان (محمود سالم المخزومى) يقوم بالحراسة مع زميل له قرب قرية (فقوعة) شاهد دورية مكونة من فارسين من رجال الشرطة ، قادمة من مستعمرة [عين حارود] فطلب منهما الاستسلام. فلما رفضا أطلق عليهما النار • فسقط أحدهما — وكان جاويشا صهيونيا — وقتل على الفور ، بينما هرب الاخر الى أقرب مركز شرطة ، وأبلغ رؤساءه بما حدث •

وفى صباح اليوم التالى ، قامت قوات كبرى من رجال الشرطة بتطويق عدة قرى للبحث عن قاتل الجاويش ، ودارت معركة حامية بين تلك القوات ، وبين المجاهدين أسفرت عن قتل اثنين من رجال الشرطة ، واستشهاد أحد المجاهدين وهو الشيخ (محمد الحلحولى) •

وقلبت تلك الحادثة خطة القسام رأسا على عقب • اذ كان ينوى القيام بهجوم مفاجىء على مدينة حيفا فى الوقت المناسب ، عندما يتجمع حوله أكبر عدد من المتطوعين من سكان القرى • أما بعد حدوث تلك التطورات المتلاحقة ، فلم يعد فى الامكان تنفيذ خطته ، كما كان يعد لها •

ومع ذلك لم تفتر عزيمة القسام ، بل استمر يشحذ الهمم ، ويدعو سكان القرى الى الجهاد • وفى الوقت نفسه كانت قوات الشرطة البريطانية تستعد لمعركة فاصلة •

وفى الصباح الباكر من يوم ١٩ نوفمبر سنة ١٩٣٥ تحركت تلك القوات — وكان قوامها نحو ٥٠٠ جندى — نحو (قضاء جنين) وطوقت عدة قرى منها للقضاء على الثورة فى مهدها • وظلت تضيق حلقاتها حتى انتهت الى محاصرة قرية (الشيخ زيد) التى كان يقيم فيها القسام ، ومعه أحد عشر مجاهدا من أتباعه • وكانت تهدف بذلك الى قطع اتصال المجاهدين بالقرى المجاورة ، حتى لا يسعفوهم بالنجدات •

وعندما أحس القسام بخطورة الموقف ، وأحس دنو الاجل ، وباقتراب اللحظة التى يتلهف على مثلها ، المجاهدون الابرار ، أمر رجاله بأن يصمدوا ، وأن يدافعوا عن أنفسهم حتى آخر قطرة من دمائهم• ولم تلبث أن قامت معركة حامية غير متكافئة بين الفريقين فى الاحراش المجاورة للقرية • وكانت كل بندقية من بنادق المجاهدين ، تواجه نحو خمسين بندقية من بنادق الجنود البريطانيين ، ومن معهم من الصهيونيين •

وبرغم ذلك استبسل المجاهدون فى الدفاع ، واستمروا يقاومون تلك القوات من الساعة الثالثة صباحا حتى الساعة التاسعة صباحا • وخلال فترة الساعات الست ، قتل أكثر من ١٥ من الجنود الانجليز • ولم يستسلم المجاهدون الا بعد نفاذ ذخائرهم تماما •

وأسفرت المعركة عن استشهاد القسام ، واثنين من أعوانه هما (الشيخ محمد حنفى أحمد) وكان مصرى الاصل. و[الشيخ يوسف الزيباوى] وجرح ثلاثة آخرون • كما أسر خمسة من المجاهدين • أما باقى المجاهدين فى القرى المجاورة ، فقد تمكنوا من الانسحاب الى الجبال •

وكان لذلك الحادث وقع عميق فى نفوس الفلسطينيين جميعا ، فزحفت عشرات الالوف منهم الى حيفا ، حيث اشتركوا فى تشييع جنازة الشهداء ، متحدين سلطات الاستعمار • وقام أبناء الشعب الثائر أثناء تشييع الجنازة بمهاجمة دور الشرطة البريطانية •

واستمر موكب جنازة القسام فى طريقه الى قريه (الياجور) التى تبعد عن حيفا نحو عشرة كيلو مترات ، حيث دفن جثمان الشهيد •

وكان لذلك الحادث اثر عظيم فى اشعال نار الثورة الفسطينية الكبرى فى ١٥ ابريل سنة ١٩٣٦ واستمرت حتى سنة ١٩٣٩ • وقد أطلق أولى رصاصات تلك الثورة جماعة من أعوان القسام الذين لاذوا بالجبال ، عندما هاجموا بعض سيارات المستعمرين الصهيونيين على طريق (نابلس — طولكرم) وقتلوا منهم ثلاثة ، ولم تلبث أن امتدت نيران الثورة حتى شملت جميع أنحاء البلاد •

وهكذا ضرب القسام أروع أمثلة البطولة والاستبسال ، وأرشد أبناء دينه ووطنه الى الطريق الصحيح ، للذود عن الحياض ، واسترداد الحقوق المغتصبه •

وقد رثى بعض الشعراء ذلك البطل العظيم • وكان من ذلك قول الشاعر محمد صادق عرنوس :

من شاء فليأخذ عن القسام
انموذج الجندى فى الاسلام
وليتخذه اذا أراد تخلصا
من ذلة المورث خير امام

الى أن قال :

قل للشهيد وصحبه أديتم
حق الرسالة فاذهبوا بسلام

من أعلام الإسلام

شيخ الإسلام محمد بن على الشوكانى

الأستاذ
قاسم غالب أحمد

الاجتهاد وطريقته ووجوب الجهاد

من هو المجتهد

لا يوجد مقلد وانما يوجد طالب علم او سائل

الاجتهاد عند الامامة ولماذا دعت اليه

ان كلمة العالم المؤمن هى كلمة الله لقد كان ادراك الشوكانى الدينى يتجدد ويتجسد يتجدد بالدراسة والاطلاع والتطبيق ويتجسد بآمال علماء وشعب اليمن وكانت دعوة الشوكانى الجريئة الى نبذ التقليد والاجتهاد المبنى على الكتاب والسنة جسد ذلك بكتابه السيل الجرار ومؤلفاته التى سنبينها فى مقالنا القادم

لقد فلسف الاجتهاد والجهاد والمقلد ونقل الى الكل اراءه بثقة المطلع الخبير المؤمن بالله وبنزاهة المفكر المخطط المقنع الذى دعا فيه الى طلب التجديد ونبذ التقليد - كل هذا الجهد قدمه بعد أن عز عليه بأن يظل المجتمع اليمنى محنطا فى مقبرة الافكار المستوردة التى فرقت وباركت الخمول والجهل وقتل بعضهم البعض .

لقد اعطى الشوكانى مجتمعه اليمنى حقنة اليقظة المنبهة ليجعل من مسلم القرن العشرين مسلما حرا يتصل بالسماء بدون واسطة ويناقش الادلة من الكتاب والسنة كما كان يناقش المسلم دينه فى عهد النبوة والخلفاء الراشدين

الاجتهـــاد

لقد أطلنا على القارىء المقدمة فى سيرة الامام محمد بن على الشوكانى ذلك ليتعرف القارىء على ظروف اليمن والملابسات والخلافات وما جرى من الصراع الدامى الذى دار عبر حكم الامامة بين علماء اليمن - ومن طبيعة الامور ان العقيدة او المذهب او العلماء حينما يرتبطون بالحكم والحكام والمصلحة وتؤثر آراؤهم فى المجتمعات الجاهلة بالاستمرار والدوام كما تؤثر اى عادة جرى عليها العرف .

بحيث تصبح كل قبيلة او سكان مدينة لا تقبل المناقشة فيما يؤمن به كبراؤهم ويصبح كل رأى متحرر فى داخل المذهب الحاكم مرفوضا حتى من اصحاب المذهب نفسه لا سيما ان تعارضت المصالح وهكذا بعدت الشقة حتى بين الاتباع - واتسعت هوة الخلاف لا فى الاراء التى تمت الى اعمال الخير والصلاح والاخرة بسبب ولكن هذا الاتساع يتسع عرضا وطولا فى خدمة المذهب السياسى من ناحية الحكم والمصالح المشتركة ووجدت كل المبررات المنسوبة الى الاسلام

وكان من وراء المنتفعين العامة والجهل والغباء

والمرتزقة التى تحرك لصالح الاراء والجيوب التى تطمع فى المال والاعراض والقتل والكل يهون مادام ذلك كله فى سبيل الله بفتوى رجال الدين المنحرفين

تمزيق مقصـــود

وما أيسرمن تمزيق الشعب عند شياطين الانس فى سبيل الاطماع والكراسى وما اسهل من ان تصدر الاحكام من الامامة الحاكمة لتلصق بكل قسم من اقسام اليمن المسلم الذى احب اهل بيت النبى وتشيع منذ القدم تشيع حب للدين والاخوة لا تشيع مذهب وحكم وفرق - فالاغلبية فى نظر الامامة كفار تأويل وارضهم خراجية واموالهم واعراضهم مباحة دنيا . وقبيلة همدان مثلا وحراز ورداع والحيمة والعدين باطنية اسماعيلية وقرامطة .

وسكان صنعا وذمار وبعض المدن بغاة منحرفون وقبيلة خولان وحاشد والرحب وشبام وكوكبان باغضون للامامة والاول وحجة وانس مطرفيه خارجة عن الاسلام

العلماء المطاردون

وكل العلماء المتحررين من امثال السيد الوزير وابن الامير الصنعانى والهمدانى المؤرخ ونشوان الحميرى والمقبلى والجلال تطاردهم الامامة والحكام والتابعون لهم ومن ورائهم المنتسبون الى العلم والعلماء طابور منتفع يشوهون اراء العامة عن هؤلاء العلماء العاملين

حتى اصبح تناول كتاب من كتب العلماء السالفى الذكر معصية واقتناءه جريمة واحراقه فضيلة يستحق فاعل ذلك الفضل والاجر .

وانقسم العلماء والمتعلمون الى اقسام فلجأ بعضهم الى التقيه والبعض الى الاسر والعشائر والنفاق للعامة لحماية مراكزهم ومكاسبهم ولجأ البعض الى الاجتهاد بالامراء والامامة يعرضون ضمائرهم للبيع وعلمهم الاستشهاد والمنفعة واقلامهم وافكارهم للايجار

ولكن العلماء المصلحين وفى مقدمتهم الشوكانى لجأوا الى الله والى الشعب فاحتموا وبرغم ضعف الشعب ولكنها الطريقة التى سلكها الانبياء والمصلحون من قبل

ولكل ما سبق فقد سلب الله من العلماء المنتفعين ميراث النبوة وهيبتها ليضعها فى مكاسب العلماء العـــاملين الذين جعلهم فى القدوة نموذجات حية لرسالة النبوة فى الحياة ولسان صدق فى الاخرين بعد الممات .

الآراء الحـائرة

تراكمت الآراء وزادت عمليـة المقلدين وحـار المصلحون وتخبط المنتفعون بعد ان لاموا انفسهم امام ضمائرهم ووقف بعض العلماء عند بعض الاراء وساير اخرون الوقت وتهامس باراء الاصلاح البعض او الفريق الممتاز ولكن الهمس ظل فى الضمائر لاتكاد تنطق به السنتهم خوفا من سلطان العامـة التى تشجعها الامامة على العلماء - وجاء الشـوكانى واستطاع ان يصل سريعا الى الرأى الذى عالج به مشكلة اليمن علاجا جذريا عالج الاراء المنحرفة والامامة التى تحكم بالمذهب - وفصل ما بين الامامة والحكام من حيث هم بشر وما بين التشريع مرتبطا بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه واله وسلم لا باهواء المذهب الحاكم ولا بظروف الحاكم والمحكوم اذ الراى الذى نادى به الشوكانى هو الاجتهاد الذى يوجب تحريك العقول اعمال الاذهان .

الاجتهاد الذى نادى به الشوكانى

فالاجتهاد عند عالمنا الشوكانى سهل ميسر يجعل فى متناول الاطلاع والفهم للعالم قال الشوكانى والذى أدين الله به انه لا رخصة لمن علم من لغة العرب ما يفهم به كتاب الله بعد أن يقيم لسانه بشىء من علم النحو والصرف وشطرا من مهمات اصول الفقه فى ترك العمل بما يفهمه من ايات الكتاب العزيز . ثم اذا انضم الى ذلك الاطلاع على كتب السنة المطهرة من مصادرها الصحيحة التى جمعها أئمة الحـديث المعنيون وعمل بها المتقدمون والمتأخرون كالصحيحين وما يتبعهما مما التزم فيه مصنفوه الصحة او جمعوا فيه بين الصحيح وغيره مع البيان لماهو الصحيح ولما هو حسن ولما هو ضعيف وحب العمل بما كان كذلك فى السنة ولا يحمل التمسك بما يخالفه من الرأى سواء كان قائله واحد او جماعة او الجمهور

بل ان الذى جاء المسلم فى كتاب الله على لسان رسول الله صلى الله عليه واله وسلم قول الله تعالى « وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » . « قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم » وقوله تعالى « لقد كان لكم فى رسـول الله اسـوة حسـنة » الى غير ذلك من الآيات وما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال كل أمر ليس عليه امرنا فهو رد

والحاصل ان من بلغ من العلم الى رتبة يفهم بها تراكيب كتاب الله ويرجح بها بين ما ورد مختلفا من تفسير السلف الصالح ويهتدى به الى كتب السنة التى يعرف بها ما هو صحيح وما ليس بصحيح فهو مجتهد لا يحل له ان يقلد غيره كائنا من كان فى مسألة من مسائل الدين - بل يستروى النصوص من اهل الروايه ويتمرن فى علم الرواية باهل الدراية ويقتصر من كل فن على مقدار الحاجة والمقدار الكافى من تلك الفنون وهو ما يتصل به الى الفهم والتمييز

ايها المطلع الكريم ها انت ترى ان الشوكانى اوجب الاجتهاد على كل من امتلك مادته على بساطتها فمن لم يملك هذه المادة فهو عند الشوكانى ايضا طالب علم او مستفيد ويستطرد الشوكانى القول فى هذين فيقول على انى اقول بعد هذا ان من كان عاطلا عن العلوم فالواجب عليه ان يسأل من يثق بدينه - فيقول لمن يسأله علمنى أصح ما ثبت فى ذلك من الادلة حتى اعمل به وليس هذا من التقليد فى شىء لانه لم يسأله عن رأيه بل عن روايته

ولكن لما كان الجهلة لا يفطنون الى الكتاب والسنة بفهم معانيه وتفسيره وجب عليهم ان يسألوا من يفطنهم ذلك فيكونوا بهذا عاملين بالكتاب والسنة بواسطةمن سألوه .

اما من احرز ما قدمنا من العلوم التى ذكرناها وعمل بها بلا واسطة من السؤال بل بالفهم المطابق للكتاب والسنة فيقال له مجتهد .

اما العامى الذى يعتمد على السؤال فليس بمقلد ولا مجتهد بل عامل بدليل بواسطة مجتهد يفهمه معانيه

وهكذا المسلم عند الامام الشوكانى اما قادر على الفهم مالك لأدواته فيجب عليه الاجتهاد ويحرم عليه التقليد - واما عاطل عن مادة الاجتهاد فيحرم عليه التقليد ايضا ويجب عليه السؤال لمن يثق به ليصل الى الدليل فالتقليد فى كلتا الحالتين عند الشوكانى حرام

الامامة والاجتهـــاد

كان اليمن ولا يزال زاخرا بالنشاط العلمى والاستقلال الفكرى لانه ذو الحضارة العريقة بفطرته الى العلم والمعرفة جوالون اهله فى افاق الارض

ولأهل اليمن اراء تمت الى الكتاب والسنة بكل الصلة التى كان يتصل بها معاذ ومالك بن انس وعبد الرزاق وطاوس وغيرهم وجاء الامام الهادى اول مؤسس للمذهب الهادوى المسمى بالزيدى الى اليمن سنة ٢٨٠ هـ .

يقول علماء اليمن الاحرار فوجد الهادى الاراء والصدور المفتوحةوان أى عالمفى اليمن انذاك قد بلغ درجة من العلم والفضل فلابد من ان يكون له رأى وتأثير فى جو اليمن العلمى الحر فبدأ الهادى يبذر افكارا مستقلة كانت فيما بعد عونا للسيد احمد المرتضى وغيره فى تكوين مذهب سمى بالمذهب الزيدى ايام بيت شرف الدين وبيت القاسم

قال علماء اليمن الاحرار

وفى هذا الجو طمع الائمة بان تقوم لهم حكومة ترتكز على مذهب حاكم ذو كيان منفصل عن سلطة الخلافة الاسلامية فى بغداد وغيرها من العواصم العربية والاسلامية فى المشرق والمغرب .

المذاهب تحددت

وكانت المذاهب قد تحددت او استقرت على الاربعة المذاهب المالكى والحنفى والشافعى والحنبلى الى جانب مذاهب اخرى كانت فى طريقها الى الاندماج

ولما كانت المذاهب قد نشأت بعيدة عن الحكم والحكام ورضى عنها الخلفاء العباسيون فى الشرق والامويون فى الاندلس - ولما كانت كل المذاهب قد أغفلت او اعرضت عن الوصية والتقديس وحددت للمصلحة العامةان يتبع المسلم أميره ولو كان عبدا حبشيا ما لم يظهر الامير الكفر البواح حسب ارشاد الكتاب والسنة .. ولما اتجهت المذاهب الى دعوى وحدة المسلمين والاخوة ورضيت المذاهب بالخلافة العباسية والاموية فى الاندلس

كان لابد للطامحين من ابناء الامامة وفى اليمن بالذات ان يدعوا لتأسيس المذهب الحاكم الذى يفرض على تابعيه الخروج عن الخلفاء والدعوة لال البيتفى اليمن المظلومين واسترداد حقهم فى الخلافة .

النظرية الامامية والاجتهاد المحدود

ومن كل هذا قامت النظرية التى تدعو الى فتح باب الاجتهاد ليدخل المذهب الخامس وليتسنى لمؤسسيه ان يقحموا على اصول الدين نظرية وجوب الامامة فى العلويين من أبناء فاطمة فى اليمن ووجوب الخروج على الحكام المحليين الظلمة وعلى الخلافة

حرية الاجتهـــاد

وارتاح علماء اليمن لنظرية حرية الاجتهاد الرائعة التى يعيشها علماء اليمن ولكنه وبعد ان ظهر لعلماء اليمن بان حرية الاجتهاد عند الامامة لم يستفد منه الفقهالاسلامى ولا انتفعاحد بحرية الاجتهاد فى ميادين الصراع حول المشكلات الاسلامية الخطيرة فالاجتهاد كما هو معلوم محصـــور فى المســائل الاصولية والاجتهاد انما هو فى الفروع وحصرت الامامة وجوب التقليد للمذهب الجديد وتسامح المتسامحون فى جواز تقليد الغير فى الدرجة الثانية مع المخاطرة اذ تقليد الائمة من آل الرسول افضل واوجب لحديث السفينة وأية التطهير وغير ذلك كما قالوا

وقامت المعارضة تعارض هذه القيود وهذه الاحتكارات وابتدأت المعارضة بلسان اليمنى العالم المؤرخ . الهمدان فنشوان الحميرى فالوزير فالامير فالمقبلى فالجلال وغيرهم والفت الكتب وسقطت الضحايا بلا حصر

حتى جاء الشوكانى الذى الف عدة كتب وقاوم هذا الاحتكار ودعا الى الكتاب والسنة وكانت اخر كتبه السيل الجرار المتدفق على حدائق الازهار . والذى سيخرج قريبا بعد ان تفرغ جماعة احياء التراث اليمنى من تحقيق الجزء الثانى منه ان شاء الله تعالى قريبا

رأى الشوكانى فى المقلد

وبعد أن قرأنا اراء الشوكانى فى الاجتهاد والجهاد لابد من ان نعطى فكرة خاطفة للقارىء بخلاصة رأى الشوكانى فى المقلد وهذا الرأى يمثل اراء من سبقوه من العلماء ومن يلحق به .

فالشوكانى يقول ان التقليد الذى معناه قبول رأى او قول الغير بدون حجة ولا نص لم يحدث الا بعد انقراض خير القرون ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم واذا لم يسع المقلد ان يكون سائلا مستفتيا كما كانفى عهد السلف فلا وسع الله عليه

وقد الف الشوكانى كتابه البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع مثبتا بالدليل ان القرون الاخيرة عمرت بالعلماء المجتهدين كما عمرت بالمواطنين الذين يستطيعون فهم الفتوى فيرتفعون الى مستوى السائل المستفيد لا الى مستوى المقلد البليد

« ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا » .

مع شاعر الجهاد في الإسلام

الدكتور محمد اقبال

الأستاذ على الجمبلاطى

اننا فى هذه الفترة العصيبة من تاريخ أمتنا المجيدة الصامدة وأمام هذه المعركة المصيرية أحوج ما نكون الى أدب ورسالة يبعثان على الجهاد وسمو النفس والحرص على السيادة والايمان بالله والثقة بالنفس أجل نحن فى حاجة ماسة الى أدب ورسالة يعبران عن أنفسنا ويترجمان عن ضمائرنا وخواطرنا وينسجمان مع عقيدتنا وتفكيرنا ويتنغمان مع عاطفتنا ومشاعرنا · ولذا كان خير ما نقدمه كنموذج مثالى الى الجيل الجديد والى الشباب العربى الناهض هو شاعر الجهاد والدأب والكفاح والنصب شاعر الاسلام وشاعر الشرق وشاعر الحياة وشاعر الانسانية وشاعر الحرية والتقدم والاقدام (الدكتور محمد اقبال) عسى أن يجدوا فى شوامخه ما يحرك العزم ويلهب الغيرة ويتجه بالادب والفكر اتجاها ايجابيا متحررا · وأشهد على نفسى أننى كلما قرأت شعره جاش خاطرى وثارت عواطفى وشعرت بدبيب من المعانى والاحاسيس فى نفسى وبحركة للحماسة العربية فى عروقى فأحببته وشغلت به كشاعر للجهاد وكشاعر له عقيدة ودعوة ورسالة وكأعظم ثائر على الحضارة المادية الغربية وأعظم ناقد لها حاقد عليها وكداعية للمجد الاسلامى وسيادة المسلم ومن أكبر المحاربين للحدود المكانية والزمانية الضيقة وأعظم الدعاة الى النزعة الانسانية والجامعة الاسلامية ·

ظل طول حياته ينفث شعره فى النفوس حياة وقوة واباء وجهادا ودعوة الى الحرية وثورة على الجبروت وايقاظا للمسلمين خاصة وتبصيرا لهم بمكانتهم فى هذا العالم ومكانتهم فى تاريخه كما وجه دعوته الى البشر عامة وأخذ من التاريخ الاسلامى أمثلة لفلسفته التى جعل محورها (الذاتية) وصورا لشعره السامق الذى أشعل النفوس ثورة على طغيان المستعمر الغاشم واحد المجاهدين بالامل والعزم والاقدام حتى قال فيه القائد الاعظم محمد على جناح مؤسس باكستان [أن حييت حتى رأيت للمسلمين دولة قائمة فى الهند فخيرت بين الرياسة العليا فى هذه الدولة المسلمة وبين كتب اقبال لم أتردد فى اختيار الثانية) ولا عجب فى ذلك فهو أول شاعر كانت قصائده العصماء الكتيبة الاولى لانشاء دولة وقد قال عنه طاغور الشاعر الفيلسوف الهندى (لا ريب عندى أن ما ناله شعر اقبال من قبول وبعد صيت يرجع الى مافيه من نور الادب الخالد وعظمته) وهاهو ذا (اقبال) يقول عن شعره فى دواوينه الاحد عشر (انى اقصد فى دواوينى الى أن أضع أمام أعين الناس مثلا عالية عمرانية شاملة واننى لا أعرض أفكارا جديدة فى ثياب قديمة ولكنى أبين حقائق قديمة فى ضوء الافكار الجديدة) ثم يحدثنا عن شعره وما كان له من أثر فى بعث الشرق وايقاظه واثارة روح العزم فيه فيقول :

نفثت النار فى روحى نفثت
بصدر الشرق قلبا قد بعثت
وصير طينه لهبا نواحى
كبرق فى سجاياه انبعثت

ويحدثنا عن نفاذ بصره الى مكنون الحياة وامتداد عينه الى أسرار المستقبل فيقول فى معرض الاعتداد

بنفسه وشعوره برسالته وانه رسالة الغد الآمل الى اليوم اليائس والمستقبل العزيز الى الحاضر الذليل

انني شمس قريب المولد
حبكا في فلك لم اعهد
مزق الظلمة فجري فظهر
فبدا طل جديد في الزهر
انا لحن دون ضربي صعدا
أنا صوت شاعري يأتي غدا
لا تعي موجي هذي الانهر
لا يعي موجي الا ابحر

حقا ان (اقبال) هبة من هبات الزمان النادرة الغالية جاء في زمن فيه مما نعيش الان مشابه . زمن احتاجت فيه الامة الى تجنيد ايمانها وتعبئة عقيدتها في زمن تعرضت فيه دعوة ذلك الايمان وتلك العقيدة الى نوع خطير من التخدر والانحلال فبادر الى بعث تلك القوة من جديد فلم يكن شاعر الجهاد (اقبال) شاعرا فيلسوفا فحسب بل كان قائدا من قادة الامة في ميادين الكفاح ومجالي الجهاد ولهذا حق لنا أن نمجد ذكراه وننحو منحاه ونسير في اتمام رسالته التي بدأها في هدى الله وحده وان من حق التاريخ علينا ان نكرس جزءا غير يسير من جهودنا لاحياء ذكرى الرجل الذي أحيا أمته والشاعر الذي أنار قصيده السبيل للزعماء بعده والمجاهد الذي صبغت جراح قلبه علم الانسانية وظهرت دموع ايمانه ادران البشرية فقال :

انا في الروض منفرد غريب
على غصني أنوح مع الرياح
فدعني يا رقيق القلب وابعد
فان دمي ليقطر في نواحي

واننا لنجد في شعر (اقبال) شيئا لانكاد نجد له نظيرا في أي تراث أدبي يقع في أيدينا في العصر الحاضر فقد اختار الله هذا الشاعر العملاق ان يكون شاعر الاسلام وشاعر القوة وشاعر البعث والحرية فذهب يحقق مشيئة الله ويحلق في جو روحي واسع رحب فيستنبط سر الكون من مظاهر الكون فاذا بالحقائق الكبرى للارض تنسجم مع حقائق السماء ثم يغوص في اعماق الذاتية الانسانية فيجد فيها سر السيادة والسيطرة على هذا الكون كله سمائه وأرضه فتخلب لبه الفتنة بهذه القوة الدفينة وتلهب شاعريته فيصرخ في أذن الانسان البليد الاعمى :

أنت رب الجنود انت فتى الميدان
أنت المغزى وأنت القضية
لست تدري ما في كيانك من فضل
وشأن وقيمة ومزية
ان أهل السماء جندك لو تدري
استغليت هذه الجندية
فلك الويل من بليد قصير الطرف
يعمى عن الامور الجلية

فاقبال هو الشاعر الاول في هذا العصر الذي افتتح هذه الافاق السماوية واستعان بها على ايقاظ الروح والدعوة على القوة وما أحوج شعرنا العربي في هذه اللحظات الحواسم الى شعر من هذا النوع وما اجدر (الشاعر الباذخ اقبالا) ان يخلق جيلا جديدة من الشعراء يذهبون مذهبه ويطمحون الى سمائه فيدفعهم الى التحليق في هذه الاجواء فتوجد مدرسة اسلامية حديثة تكافح عن طريق الادب روح الانحلال والالحاد السائدة في الكثير من ادبنا الحديث وتبعث عن شعلة ايمانه شبابا يصمد في المعركة بعزم ثابت وهمة لا تلين ولذا يقول :

رب هب للشباب آهاتي الحرى
وهب للعصفور ريشا جديدا
بغيتي ان تعد في الارض من
شعلة عقلي نورا عميما مديدا

وهو يؤمن الايمان كله بأن قوة الشباب وايمانه بالحق والحرية تجعله من كتيبة الله المنتصرة وأجناد الحق الغالبين فيقول :

فقير على طمريه نفحة (حيدر)
أعز لنا من ألف كسرى وقيصر
ولين الشباب الحر يأس وعزمة
واعلان قول الحق والمنطق الجري
وان جنود الله ليست ثعالبا
تراوغ من جبن وتعوي وتفتري

هذا هو شاعرنا الخالد (اقبال) الدليل الحادي والمرشد الهادي والينبوع الثرار بل النهر الهدار في دعوتنا الى النضال والكفاح متخذين من الامل مشعلا على الطريق ولذا كان الامل في شعر (اقبال) كله هو الحياة والجهاد الدائب هو حافظ هذه الحياة ولذا يقول في اعظامه الأمل وشادته بالعمل الدائب والجهد المستمر :

أحي في قلبك هذا الاملا
او يحل طينك تربا هملا
فحياة القلب من نار الرجاء
ما سوى الحق لدى القلب هباء
فاذا عي بتحقيق المنى
هيض سقطا وعن الطير وفي

ومن القيم العليا التي يجب ان نحرص عليها في جهاد ناوقد تغنى بها (اقبال) دعوته الى الثقة بالنفس والاعتداد بها والاعتماد عليها والاستغناء بها لتقوى ذاتيتنا . ويحذرنا من الالتجاء الى غيرنا فان حملنا عليهم يضعف هذه الذاتية فيقول :

أيها الجابي من الليث الخراج
صرت كالثعلب خبا باحتياج
ذلك الاعواء أصل للعلل
كل أدوائك من ذا المعضل
من كنوز الدهر اخرج ما تريد
وخذ الصهباء من دق الوجود

ولذا يختتم قصيدته (في مدينة الرسول عليه الصلاة والسلام) بأبيات يوجهها الى الملك عبد العزيز ابن السعود باعتباره ملك الحجاز في عهده وهو خطاب موجه الى جميع ملوك العرب وزعمائهم وعظمائهم ويحذرهم الاستعانة بالاجانب والدول الاوروبية ويدعوه الى الاعتماد على الله ثم ما عنده فيقول (اضرب خيمتك حيث شئت في الصحراء ولتكن

خيمتك قائمة على عمدك وأطنابك ولاتنس ان استعارة الاطناب من الاجانب حرام) - ثم يعود فيصور مذهبه فى الحياة وان الفلسفة بغير قلب والفكر بغير عمل موت وينبوع الحياة الجد والكفاح ويوضح فى شعره صورة الحياة القوية فهى تطير بجناحيها وتضىء لنفسها لاتستجدى غيرها نورا فيقول :

ولا أعشو الى نيران غيرى
كما يهفو الفراش الى الحريق
اذا حلك الظلام كعين ظبى
انرت بنار أضلاعى طريقى

ثم يكرر دعوته دعوة الحياة والقوة والامل والعمل والهمة والاقدام فيقول :

فعلى رمال الصحارى المضرم
أقدم النفس وغص فى زمزم
فالام العيش بين الظلل
والام النوح مثل البلبل ؟
ابن عشا حيث لا تبنى الانوق
تختفى فيه رعود وبروق
لترى اهلا لاعصار الحياة
وتذيب النفس فى نار الحياة

ومن قيمة المثلى التى دعا اليها وآمن بها وهى القبس الذى ينير لنا طريق الكفاح الشاق الطويل دعوتنا الى غشيان الاهوال وركوب الاخطار لنحقق ما نصبو اليه من آمال فيقول :

دع الشطآن لا تركن اليها
ضعيف عندها جرس الحياة
عليك البحر صارع فيه موجا
حياة الخلد فى نصب تواتى

وهو يتمنى للاسلام جيلا جديدا شبابه طاهر نقى وضربه موجع قوى اذا كانت الحرب كان طوفانا تصطرع به الامواج وترتعد به البحار واذا كان السلم كان طلا وندى تتفتح به الازهار وترف به الاشجار فهو فى مرارة الحنظل مع الاعداء وحلاوة العسل مع الاولياء · وهو اذ ينظم فى دعائه الذى ردده عن القائد الاسلامى الجسور (طارق بن زياد) قوله (ان العالم قد وقف على شفا حفرة من النار لا يمنعه من التردى فى الهاوية الا أن يبذل العرب دماءهم ونفوسهم بسخاء وشجاعة · ان العالم بحاجة الى دم عربى ذكى فلا يروى غليله ولايشفى عليله الا الدم العربى الطاهر وقد قدمنا لنزرع نفوسنا ونريق دماءنا فى هذه الارض النائية لتخصب الانسانية بعد جدب طويل ، انه يوم ينادى بذلك كله يرى ان الحرب ان أريد بها اعلاء كلمة الله وصلاح الناس فهى خير واذا قصد بها مالا أوجاها أو سلب حق او عدوان فهى شر فيقول :

خير الحرب ان رمت الاله
شر الحرب أن رمت سواه
فاذا لم يعل حقا سيفنا
اكتسى بالحرب عارا جندنا

وهواذ يحترس فى الدعوة الى الحرب فلا يجيزها الا فى الحق وفى سبيل الله يوضح لنا فضل العدو علينا بما يثير قوانا الكامنة ويشحذ عزائمنا الغلابة فندرك ان الهزيمة قد تكون نعمة نبتلى بها فلا نبتئس بماحاق بنا بل نفيد منه بعثا جديدا وعزما حديدا ولذا ينصحنا فيقول :

يوقظ الخصم قواك الهامدة
مثل ما تحى الموات الراعدة
قوة العزم تذيب الحجرا
ما يبالى السيل صخرا ان جرى
ما غناء العيش مثل النعم ؟
ما حياة دون عزم محكم

ولعل شاعرنا الفذ (اقبال) كان يطمح الى اعداد جيل جديد من شعرائنا يتخرجون فى مدرسته ويكملون رسالته لانه يرى فى الادب موهبة كبيرة من مواهب الله وقوة عظيمة يحدث بهصاحبه انقلابا فى المجتمع وثورة فكرية يضرب بها الاوضاع الفاسدة ويشعل القلوب حماسة وغضبا ويشعل البلاد نارا وثورة وكل أدب استغل فى غير ذلك فهو ادب ضائع مظلوم · لعل ذلك هو الذى أهاب به أن يدعو الى أن يكون الشاعر فى الشرق مجاهدا لا يركن الى الترف ويريد معانيه قاطعة كالسيف وأن يكون داعيا الى المجد · والمجد لا ينال بغير الجلاد · والشعر عدة هذا الجلاد :

فى غابة الشرق ناى يبتغى نفسا
ياشاعر الشرق هل فى صدرك النفس
من كان فى نفسه من رقة خور
فقل له من لحون العجم يحترس
لم تبصر الشمس من دنيا يخال بها
مجد بغير الجلاد المر يلتمس

ويرى (اقبال) ان خلود الفن لا يكون الا بالقوة والحرية والتأثير القوى الذى يقوى الحياة الضعيفة ويزيد الحياة القوية قوة فيخاطب الفن بقوله :

أنت تحت الشمس تمضى كشرار
لست تدرى ما مقامات الوجود
ليس فى فنك للذات بناء
ويح تصوير وشعر ونشيد

كما يرى ان الفنان الذى يبعد بفنه عن الدعوة الى القوة والجهاد ويشيع فيه التخلع والميوعة ثم يغوى الناس بفنه أو تصويره شر على الامة من جيش (جنكيز) **لانه فن فى معزل عن الحياة مقترن بالخنوع** يقتل روح هذه الامة فيقول :

تخيلهم جنازة كل عشق
وظلمة فكرهم للحى قبر
ينيم الروح فى ايقاظ جسم
ودون المجد يسدل منه ستر
يسخر للانوثة كل شىء
لهم قصص وتصوير وشعر

واننا لنخشى ان الشاعر الملهم [اقبال] كان ينظر بعين الغيب الى ما يشيع بيننا من فن رخيص فراح يبعث فينا قوة الحياة ونضرة الامل ويحبب الينا الفن الملتزم الرفيع ويحدونا فى هذه المعركة الى روافد السيادة والنصر وراح يخص الشعراء من أمثاله بالحديث وهو هنا يبين مكانة الشاعر القوى وأثره فى

البقية صفحة ٢٣٤

مواقيت الصلاة

الأيام	ربيع الآخر ١٣٩٠	يونية ١٩٧٠	مغرب ق	مغرب ت	عشاء ق	عشاء ت	فجر ق	فجر ت	شروق ق	شروق ت	ظهر ق	ظهر ت	عصر ق	عصر ت
الجمعة	١	٥	٥٢	٧	٢٥	٩	١٠	٤	٥٣	٥	٥٣	١٢	٢٩	٤
السبت	٢	٦	٥٣		٢٦		١٠		٥٣		٥٣		٢٩	
الأحد	٣	٧	٥٣		٢٦		٩		٥٣		٥٣		٢٩	
الإثنين	٤	٨	٥٤		٢٧		٩		٥٣		٥٤		٣٠	
الثلاثاء	٥	٩	٥٤		٢٧		٨		٥٣		٥٤		٣٠	
الأربعاء	٦	١٠	٥٥		٢٨		٨		٥٣		٥٤		٣٠	
الخميس	٧	١١	٥٥		٢٨		٧		٥٣		٥٤		٣٠	
الجمعة	٨	١٢	٥٦		٢٩		٧		٥٣		٥٤		٣٠	
السبت	٩	١٣	٥٦		٢٩		٧		٥٣		٥٤		٣٠	
الأحد	١٠	١٤	٥٧		٣٠		٨		٥٣		٥٥		٣١	
الإثنين	١١	١٥	٥٧		٣٠		٨		٥٣		٥٥		٣١	
الثلاثاء	١٢	١٦	٥٧		٣٠		٨		٥٣		٥٥		٣١	
الأربعاء	١٣	١٧	٥٧		٣٠		٨		٥٣		٥٥		٣١	
الخميس	١٤	١٨	٥٨		٣١		٨		٥٤		٥٦		٣١	
الجمعة	١٥	١٩	٥٨		٣١		٨		٥٤		٥٦		٣١	
السبت	١٦	٢٠	٥٨		٣١		٨		٥٤		٥٦		٣١	
الأحد	١٧	٢١	٥٩		٣٢		٨		٥٤		٥٦		٣٢	
الإثنين	١٨	٢٢	٥٩		٣٣		٨		٥٤		٥٦		٣٢	
الثلاثاء	١٩	٢٣	٥٩		٣٣		٩		٥٤		٥٦		٣٢	
الأربعاء	٢٠	٢٤	٠٠	٨	٣٣		٩		٥٥		٥٧		٣٣	
الخميس	٢١	٢٥	٠٠	٨	٣٣		٩		٥٥		٥٧		٣٣	
الجمعة	٢٢	٢٦	٠٠	٨	٣٣		١٠		٥٥		٥٧		٣٣	
السبت	٢٣	٢٧	٠٠	٨	٣٣		١٠		٥٥		٥٨		٣٤	
الأحد	٢٤	٢٨	٠٠	٨	٣٣		١٠		٥٦		٥٨		٣٤	
الإثنين	٢٥	٢٩	٠٠	٨	٣٣		١٠		٥٦		٥٨		٣٤	
الثلاثاء	٢٦	٣٠	٠٠	٨	٣٣		١١		٥٧		٥٨		٣٤	
الأربعاء	٢٧	أول يولية	٠٠	٨	٣٣		١١		٥٧		٥٨		٣٤	
الخميس	٢٨	٢	٠٠	٨	٣٣		١٢		٥٧		٥٩		٣٤	
الجمعة	٢٩	٣	٠٠	٨	٣٣		١٢		٥٨		٥٩		٣٤	

المكتبة الاسلامية

اللاشرعية في الكيان الإسرائيلي

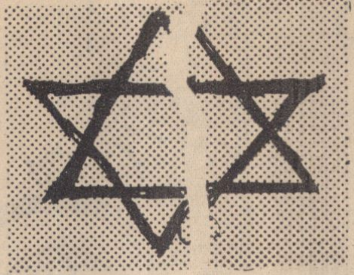

■ ما اكثر الدراسات التى تناولت موضوع « الكيان الاسرائيلى » .. وما اكثر الابحاث التى تعرضت لتكوين الدولة الاسرائيلية ، وكيفية نشوئها ، ودور الصهيونية العالمية ، كحركة سياسية استعمارية ، لتوطين اليهود فى فلسطين . ولكن كتاب « اللاشرعية فى الكيان الاسرائيلى » لمحيى الدين عشماوى ، حاول ان يناقش تلك الدعاوى التى تروجها أجهزة الاعلام الصهيونية فى العالم ، لتترسب فى الاذهان .. صورة اسرائيل .. كحقيقة واقعة ، وان ما حدث من اغتصاب للارض فى فلسطين ، وتشريد اكثر من مليون فلسطينى .. ليس جريمة ليس اعتداء لان الحقيقة المزيفة التى يروجونها على أنها حقيقة واقعية أنهم أصحاب الارض .. وان الارض قد عادت اليهم .. وهكذا حاول المؤلف فى فصول كتابه العشر ان يوضح تلك اللاشرعية منذ اللحظة التى وجدت فيها اسرائيل بالقوة .

●● وقد تلخصت المزاعم الصهيونية فى عدة نقاط :

المزاعم الدينية : بحجة ان فلسطين هى الارض التى وعدهم الله بها . والحقيقة ان هذا الوعد الالهى ليس موجها الى اليهود فقط ، وانما هو وعد لسيدنا ابراهيم عليه السلام ولذريته من بعده ، ويتساوى فى ذلك اسرائيل ويعقوب وذريته واسماعيل وذريته أيضا . وقد ثبت ان انبياء الديانات الثلاث .. موسى ، وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام يرجعون الى جدهم الاكبر ابراهيم . وبالتالى فكلهم اصحاب حق فى فلسطين ، وليس لليهود وحدهم هذا الحق .

المزاعم التاريخية : ويزعم الصهاينة انهم اصحاب حق تاريخى فى فلسطين ، بحجة انهم كانوا يحكمون البلاد فى الزمن القديم . ولكن الواقع التاريخى يثبت ان مدة حكم اليهود جميعا لفلسطين لم تتعد ثلاثة وسبعين عاما تشمل (مدة حكم الملك داود لمدة ٤٠ سنة) وابنه سليمان من بعده لمدة ٣٣ سنة . ولم يحكموا البلاد سوى تلك الفترة بينما عاشوا بقية الوقت كأفراد عاديين وكأقليات على ارض كنعان ، وفى وسط سكانها الاصليين . كما هو موضح بالجدول المرفق .

المزاعم القومية : ويحاول اليهود الادعاء بوجود القومية اليهودية ، بحجة تجمعهم فى شتى انحاء العالم الاسلامى لاستعمار فلسطين العربية : وانشاء الكيان الاسرائيلى الصهيونى . ومن المعروف ان مقومات القومية ترتكز على التاريخ المشترك ، والتقاليد المشتركة ، واللغة والثقافة المشتركة ، والمصالح المشتركة ، والارض . ومعظم هذه المقومات غير متوفرة بين اليهود . لان وجودهم فى ارض كنعان ليس دليلا على احقيتهم فى الارض ، مثلما نقول ان اليهود الذين عاشوا فى انجلترا منذ عشرات القرون يؤلفون تاريخا مشتركا مع اليهود الذين عاشوا فى روسيا ودول البلقان .

ومن ناحية التقاليد المشتركة ، فلا يخفى على احد فى العالم حقيقة التمزق الاجتماعى الموجود داخل كيان المجتمع اليهودى ، من تفرقة بين اليهود الغربيين والشرقيين . وكذلك اللغة العبرية ، فلا يتكلم بها اكثر من ٤ فى المائة من مجموع يهود العالم . واذا كانت اللغة هى وسيلة الثقافة ، واذا لم يكن لليهود لغة خاصة مستعملة ، فليست لهم بالتالى ثقافة خاصة مشتركة بينهم . كما انه من الغريب حقا ان يقال عن اليهود الذين انقطعت صلتهم بفلسطين منذ اكثر من الفى سنة ، ان لهم حقوقا تاريخية ، او قانونية فى تلك البلاد التى اقامت عليها القبائل العبرانية مملكة لم تدم على مر التاريخ كله قرنا واحدا كاملا ، فى حين ينكر اليهود هذه الحقوق على العرب الذين استوطنوها بصفة مستمرة دائما منذ اكثر من الفى عام .

● اذن .. ما الذى يدعو اليهود الى ان يزعموا بوجود قومية اسرائيلية وان لهم حقا فى فلسطين ، وان هذا الحق تاريخى وشرعى وقانونى ؟

□ ويتبين من الاجابة ان الذى يدعو الى انشاء قومية اسرائيلية ، ودولة اسرائيلية ، ليس هو اليهودى العادى البسيط . ولكن الحركة الصهيونية التى وجدت كتنظيم سياسى فى وقت معين ، وبالتحديد منذ بداية تطور البورجوازية الاوربية ، وتحولها الى بورجوازية احتكارية رجعية استعمارية ، واتخذت هذه الدعوة شكلا واضحا ، واصبحت فلسفة للحركة اليهودية عندما وضعت البورجوازية الاوربية موضع التنفيذ خططها للسيطرة على الشرق العربى الغنى بالاسواق ، والمواد الخام ، والقوى العاملة

الرخيصة ، وطرق المواصلات الاستراتيجية ، وتحول الحلم اللاهوتى « الوطن الموعود » ليصبح جزءا من هذا المخطط لغزو الشرق العربى ، واستعباده واستثماره .

وفى الفصل الثانى ، تناول المؤلف موضوع اليهودية دين وليست قومية اسرائيلية ثم بداية النشاط العام للصهيونية الدولية حين انعقد أول اجتماع للمنظمة فى مدينة «بال» بسويسرا فى الفترة ما بين [٢٧ ــ ٢٩ اغسطس ١٨٩٧] . وتركزت اهداف المؤتمر فى هدفين. انشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين، وتولى الصهيونية العالمية التمثيل السياسى الدولى للشعب اليهودى . وبالرغم من هذه المحاولات الصهيونية فى توطين اليهود فى فلسطين الا ان كثيرا من يهود شرق اوربا ، وفى اجزاء من امريكا ، يعترضون على الحركة الصهيونية على اساس ان اليهودية دين وليست قومية . وان نسبة ١٠ فى المائة من مجموع اليهود فى امريكا .. هى التى تؤيد اسطورة الصهيونية فى انشاء اسرائيل . ففى امريكا ٥٠٠ الف يهودى من بينهم ٥٠ الفا هم الذين يؤيدون التيار الصهيونى ، اما الباقى .. فلا يشعرون بحاجتهم الى اسرائيل .. كوطن قومى مصطنع اقامته الصهيونية لتشدهم فيه ، حيث تحفر قبورهم .ولكن الارهاب الصهيونى .. هو الذى يضغط على كل يهودى بكل الوسائل .. للتبرع لاسرائيل ، او الهجرة اليها .. او عدم المجاهرة بمناواة الحركة الصهيونية ..

ثم تناول الكاتب فى عرض تاريخى التخطيط الصهيونى لانشاء الكيان الاسرائيلى غير المشروع ، منذ ان نشأت الدعوة الصهيونية كفكرة رومانسية تتغنى بوطن التوراة وبامجاد بنى اسرائيل وبآلامهم ، الى ان تلقفتها المطامع الفردية على يد رجال ذوو طموح واسع مثل هرتزل . ثم استغلت الصهيونية عقدة الذنب الزمنية لدى بعض ساسة اوربا تجاه اضطهاد اليهود . والحرب العالمية الاولى ، فى توطين اليهود ، معتمدين على عدة خطط ، منها الهجرات اليهودية المنظمة والكثيفة ، وشراء الاراضى والاستثمار الاقتصادى والاستعداد العسكرى . ثم حصولهم على وعد بلفور فى نوفمبر ١٩١٧ ، حيث تتعهد فيه بريطانيا باقامة وطن قومى يهودى . فى فلسطين . ويعتبر هذا الوعد فى حد ذاته عملا غير قانونى لا يترتب عليه اية نتائج قانونية ، لان هذا الوعد صادر عن دولة لم يكن لها أى حق بفلسطين ، اذ ان فلسطين فى ذلك الوقت كانت تابعة لولايتى دمشق وبيروت .. اى انها كانت ارضا عربية من الناحية البشرية ، عثمانية من حيث الكيان السياسى .

● وبعد استعراض تفصيلى تاريخى للاحداث والوقائع التى مرت بعد الحرب العالمية الاولى ، ثم الانتداب البريطانى فى فلسطين .. الى ان وقعت النكبة واعلن انشاء دولة اسرائيل فى ١٥ مايو ١٩٤٨ . وفى ٢٠ مايو ١٩٤٨ اندفعت جحافل الجيوش العربية فى فلسطين ، وكان التفوق للعرب ، ولكن الامم المتحدة اصدرت امرا بوقف اطلاق النار . وبدأ الكونت برنادوت مساعيه للتوفيق . ولكن اليهود اغتالوه فى ١٧ سبتمبر عام ١٩٤٨ ، لانهم عرفوا انه يعد تقريرا عن جرائمهم فى فلسطين من قتل وسلب ، وارهاب . وفى نهاية عام ١٩٤٨ ، سارعت الدول الاستعمارية وعلى راسها الولايات المتحدة الى مساعدة وتزويد اسرائيل بالاسلحة الحديثة ومستلزمات الحرب ، مما ساعد العصابات الصهيونية على القتل والارهاب ، كما تساعد امريكا الان اسرائيل وتزويدها بكل الاسلحة لتمكنها من البقاء فى الاراضى التى احتلتها فى سيناء والضفة الغربية للاردن ، ومرتفعات جولان السورية.

●● وفى الفصل التاسع من الكتاب ، تعرف الكاتب الى العدوان الاسرائيلى التوسعى فى الخامس من يونيو عام ١٩٦٧. ومازالت الحرب دائرة على فترات وفى كل الجبهات ، حتى لبنان لم تفلت من المخطط الصهيونى التوسعى ، ففى ١٢ مايو ١٩٧٠ ، حاولت اسرائيل غزو جنوب لبنان ، ودارت معركة كبيرة اشتركت فيها سوريا بالطائرات والمدفعية ، فى الوقت الذى تشتعل فيه الجبهة المصرية كل يوم . والنيران .. والسلاح .. والطائرات هى اللغة التى يجب التعامل بها مع اسرائيل ، لانها خرقت كل

تأليف
محيى الدين على عشماوى
عرض وتحليل
فتحى الابيارى

قواعد القانون الدولى العام ، وتناست ان الغزو لم يعد يصلح كسبب من اسباب اكتساب الاقليم منذ بداية عهد التنظيم الدولى الذى اصبح من اهدافه تحريم استعمال القوة لاغراض توسعية. ولكن اسرائيل تتبع امها التى ترعاها .. الولايات المتحدة الامريكية .. فى اختراق القوانين الدولية ، مثلما فعلت امريكا اخيرا عندما قامت بعملية غزو لكمبوديا . لذلك فان اسرائيل فى عدوانها المستمر ، قد مزقت الاعلان العالمى لحقوق الانسان ، وقرار الامم المتحدة بشان التقسيم ،واتفاقية ابادة الجنس البشرى .واتفاقيات جنيف لحماية ضحايا الحرب لعام ٤٩ ، والاتفاقيات الدولية للحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية ، والاتفاقية الدولية للحقوق المدنية والسياسية . واعلان منح الاستقلال للشعوب والدول المستعمرة ، وقرارات الامم المتحدة ولجنة حقوق الانسان .

●● ولهذا فان جرائم اسرائيل المتكررة ، قد ايقظت الرأى العام العالمى ، بعد ان خدرته اجهزة الاعلام الصهيونية طوال عشرين عاما ، فاكتسبت القضية العربية انصارا فى كيان الكتاب والمفكرين ، والصحفيين ، والسياسيين . وقد نشرت مثلا جريدة « الجارديان » البريطانية مقالا مسلسلا للصحفى الكبير « مايكل آدامز » فى اعقاب زيارته لمنطقة الشرق الاوسط بعد حرب يونيو فى ٢٦ يناير ١٩٦٨ قال فيه :

ــ اننى امضيت اربع سنوات فى معسكرات الاعتقال النازية لم ار خلالها من القسوة مثلما يعامل به الاسرائيليون العرب فى الاراضى المحتلة .

ــ ان اسرائيل تقيم العقوبات الجماعية تجاه السكان العرب ، ومعظمهم من اللاجئين بغض النظر عن الجنس او العمر .

ــ تتآمر السلطات الاسرائيلية وتصدر اوامرها بهدم المنازل للقضاء على ممتلكات السكان العرب .

ــ كما انها لا تسمح بتوزيع الغذاء والمياه لمدد تتراوح بين اربعة الى خمسة ايام متوالية .

ــ وفى الاراضى المحتلة يعتبر اطلاق النار فى الشوارع فوق رءوس السكان العرب امرا طبيعيا بفرض ارهابهم ودفعهم الى الهجرة .

● ● ● وامتاز هذا الكتاب ، بجانب عرضه التاريخى لمأساة فلسطين ، بايضاح لبعض النقط الهامة القانونية المستمدة من القانون الدولى العام . ولكن اسرائيل .. ومن يساندونها لا يهتمون بالقانون .. او تفاصيل . اما القانون العملى الرادع .. فهو فى ارض المعركة .. حيث معركة التحرير آتية لاريب فيها . وان النصر قريب ، للمؤمنين الصابرين .. المجاهدين .

حكام فلسطين	تاريخ حكمهم من	 الى	مدة الحكم بالسنوات
الكنعانيون	—	—	غير معروفة
المصريون	—	—	غير معروفة
الهكسوس	١٧١٠ق.م	١٤٨٠ق.م	٢٣٠
المصريون	١٤٨٠	١٣٥٠	١٣٠
الحيثيون	١٣٥٠	١٢٩٠	٦٠
المصريون	١٢٩٠	١١٥٤	١٣٦
حكام محليين	١١٥٤	١٠٠٠	١٥٤
يهود (داود وسليمان)	١٠٠٠	٩٢٧	٧٣
يهود (اسرائيل الشمالية)	[illegible]	٧٢٢	١٠٥
يهود (يهودا الجنوبية)	٩٢٧	٥٨٦	٣٤١
بابل	٥٨٦	٥٣٨	٤٨
فارس	٥٣٨	٣٣٠	٢٠٨
اليونان	٣٣٠	٣٢٣	٠٠٧
المصريون	٣٢٣	٢٠٠	١٢٣
السلوقيون	٢٠٠	١٤٢	٥٨
اليهود (جزئيا)	١٤٢	٧٥	٧٢
ارمنيا	٧٠	٦٣	٠٠٧
روما	٦٣	٦١٤ق.م	٦٧٧
فارس	٦١٤	٦٢٨	١٤
روما	٦٢٨	٦٣٨	١٠
العرب	٦٣٨	١٠٨٥	٤٤٧
الاتراك (عرب)	١٠٨٥	١٠٩٩	١٤
الصليبيون (جزئيا)	١٠٩٩	١٠٩١	١٩٢
السلاجقة والعرب (جزئيا)	١٠٩٩	١٠٩١	١٩٢
المصريون	١٢٩١	١٥١٧	٢٢٦
الاتراك (مسلمون)	١٥١٧	١٩١٨	٤٠١
بريطانيا	١٩٢٣	١٩٤٨	٢٥
اغتصاب اليهود(اسرائيل)	١٩٤٨	١٩٧٠	٢٢

كتاب

رشيد رضا

صاحب المنار

تأليف

الدكتور احمد الشرباصى

عرض وتقديم

الدكتور عبد الحسيب طه

نشر المجلس الاعلى للشئون الاسلامية بالقاهرة كتاب « رشيد رضا صاحب المنـار » تاليف الاستاذ الدكتور أحمد الشرباصي الاستاذ بكلية اللغة العربية ، والاديب الناقد ، والداعية الى الله بالهدى ودين الحق ، وصاحب الكلمة فى كل مجال يتطلب الكلمة ، والغنى عن التعريف بالتعريف ، والقائل فى صاحبه رشيد رضا « وهو رجل متعدد الجوانب والمواهب ، فهو عربى يبكر فى الاشتغال بالقضايا العربية ، ويسهم فى مناصرتها بالفكرة والكلمة والمشاركة العملية ، وهو مفكر اسلامى فيه روح الداعية الى الله تعالى ، الغيور على دينه وتعاليمه ، الساعى لحسن الجمع بين عروبته واسلامه ، وهو صحفى يسبق الى الاشتغال بالصحافة منشئا لها ومصدرا وناشرا ، وكاتبا فى كثير من الصحف والمجلات هنا وهناك ، وهو مفسر للقرآن الكريم بأسلوب عصرى ، وباستصحاب لطريقة الاستاذ الامام فى تفهم النص الالهى المعجز ، وهو محدث يروى الكثير من أحاديث رسول الله عليه الصلاة والسلام ، ويسندها ويخرجها فى عناية ودقة ، وهو كاتب يكتب عشرات الالاف من الصفحات فى شتى الامور والموضوعات ، وهو شاعر يقول الشعر مقطعا ومقصدا وراجزا وهو لغوى يعنى باللغة العربية القرآنية المجيدة ، بحثا فيها ، وتعريفا بكنوزها ، ودفاعا عنها ، ودعوة الى التزامها ، وهو خطيب يتردد صوته على منابر الدين والسياسة والقومية والاصلاح وهو اجتماعى يراسل أهله واقاربه واصدقاءه ومعارفه وغيرهم من العلماء والادباء والزعماء » .

وقد بدأ الدكتور الشرباصى كتابه عن رشيد رضا بالحديث عن عصر رشيد ، فالم بالناحية السياسية والثقافية واللغوية والادبية والدينية والاجتماعية ، وربط ذلك برشيد ومقدار مشاركته فى هذه الاتجاهات المختلفة عمليا وعلميا ، فهو قد دعا ، فى أثناء الطغيان التركى على الكيان العربى ، الى استقلال العرب وعزة العرب ووحدة العرب ، وبدت منه بواكير ذلك قبل افتتاح القرن العشرين وهو قد ألح فى بيان أن اللغة العربية هى أرسخ مقومات القومية العربية ، وهى فوق ذلك لغة القرآن ولغة الاسلام ، فاكتسبت من كتاب الله قداستها ، ومن الفتوحات الاسلامية انتشارها ، فتعلمها واجب دينى .

وشارك رشيد فى تيارات اليقظة العربية وتحريرها بلسانه وقلمه ، فكانت افتتاحية « المنار » فى ابريل سنة ١٩٠٠ عنوانها « الوحدة العربية » . وشارك فى الاحزا بالسياسية ، وكان له رأى تناوله الدكتور الشرباصى بالتعليق والنقد .

وفى الحديث عن ثقافة مصر فى عصر رشيد تحدث الكاتب الباحث عن الحياة الثقافية فى أول هذا العصر ، وانها كانت شبه مفقودة ، فلا مدارس ولا معاهد ولا جامعات ثم سار يحدثنا عن هذه الحياة فى العالم العربى حديث الدارس المستوعب مصاحبا صديقه رشيدا ، ذاكرا آراءه فى التعليم والثقافة ، وموقفه من الجامعات هنا وهناك ، وقضية الفصحى والعامية ، والمجمع العلمى بدمشق ، وفكرة المجامع اللغوية وتطورها ، الى أن انتهى بانشاء مجمع لغوى سنة ١٩٢٢ كان يرأسه الاستاذ ادريس راغب ، وكان رشيد رضا من أعضائه البارزين .

والمؤلف يعرض تاريخ هذا الرجل عن وعى وبصيرة ، فهو يستدل لذلك بما ينقل عن مصادره السابقة : ثم لايفوته أن يطبق ذلك على ماخلف من آثار وكتب ورسائل ، معللا ما يرى من تناقض ، ويبرز لنا العوامل التى اثرت فى تنشئته وتربيته وتكوين شخصيته : من أسرة صالحة ودراسة دينية ولغوية وادبية ، ومعرفة بمجتمعه ، ثم شيوخه واساتذته ، فهو تلميذ الاستاذ الامام محمد عبده ، والشيخ جمال الدين الافغانى ، ثم مشاركته لقضايا عصره الدينية والادبية والسياسية والقومية والاجتماعية . واخيرا استعداد رشيد الشخصى ، وقريته الهادئة التى ولد فيها على ساحل البحر فى جبل لبنان ، فهو لبنانى مصرى هاجر الى مصر ، واتخذ منها وطنه ، ومع ذلك فقد كانت له عدة رحلات الى سورية والآستانة والهند والحجاز واوربا وفلسطين ، وشارك فى ثقافة هذه البلاد ومؤتمراتها ، فكان لذلك كله اثر واضح فى ثقافته الادبية والدينية والسياسية والاجتماعية .

ويحدثنا المؤلف الدكتور الشرباصى عن حياة رشيد رضا المالية ، وما صادفه من ازمات مالية حتى يبلغ دينه لبنك مصر تسعمائة جنيه ، ثم زادت بعد ذلك ، وانه عجز عن سداد اقساط ديونه ، ويكتب لصديقه الامير شكيب ارسلان يخبره أنه عاجز عن أجر ارسال صندوق من الكتب ، أمر شكيب بارساله الى الجزائر .

وفى اغسطس سنة ١٩٣٥ توفى رشيد رضا وهو مدين بألفى جنيه وداره مرهونة ، وهكذا يموت رشيد صاحب المنار والتفسير والمجد الاسلامى ، مع ايمانه بما للمال من اثر فعال فى عون صاحبه ، واذا كانت الازمات المالية تصقل صاحبها فلا شك أن رشيدا لو يسر له فى حياته لتهيات له سبل الانتاج الادبى والدينى ، ولشارك فى حياة مجتمعه مشاركة أكبر .

ويعقد المؤلف فصلا تحت عنوان « ألقاب رشيد » فهو « السيد » بين أسرته ، و « الامام » عند ابن عمه السيد عبد الرحمن عاصم ، وهو « فولتير المسلمين » عند السيد عبد القادر المغربى ، لولوعه بتكذيب الخرافات والاباطيل ، ولقدرته على هدم مالا يصح دليله فى كتب الدين ، فهو شبيه بفولتير الفرنسى ، ويلقبه الدكتور ابراهيم العدوى بالامام المجاهد ، وهو عند الامام الشيخ محمد عبده « المرشد » كما ذكر رشيد نفسه ، ثم يقول المؤلف : «وليت رشيدا رحمه الله خفف من نشر هذه العبارات رحمة الله عليه » . وعبارة المؤلف واضحة لا تحتاج الى شرح أو تعليق .

أما صفات رشيد واخلاقه واستقلاله الفكرى فقد استطاع الدكتور الشرباصى أن يجليها ويرجعها الى أصولها ، فهو لايقنع الا بما يوافق العقل والبديهة الصافية ، ويقوم عليه الدليل ، وله فطرة سليمة تعرف سبيل الحق بسهولة ، وانه ذكى يحس من نفسه هذا الذكاء ، وللمؤلف فى كل ذلك رأى يذكره بصراحة ، وينقل رأى النقاد والكتاب فى رشيد — فى حياته وبعد موته — من أمثال طه حسين والعقاد والمراغى وغيرهم .

ثم يتناول المؤلف بعض صفات رشيد ورسائله الاخوانية ، ويتخذ من ذلك مددا ادبيا وتاريخيا ، فهى صورة بارعة واضحة تدل على أسلوب رشيد وثقافته ، ومن هذه الرسائل رسالة كتبها الشيخ رشيد للشيخ المراغى « القاضى الفاضل ورئيس المحكمة العليا الشرعية » ثم يعقب المؤلف عليها محللا وناقدا ، ثم يختم ذلك بالحديث عن عادات رشيد وصفته الجسمية ومرضه ووفاته ، ثم تابينه ورثائه ، وأزواجه واولاده .

وفى الباب الثالث يتحدث المؤلف عن أساتذة رشيد ومصادر ثقافته ، فرشيد لم ينتظم طويلا فى سلك الدراسة النظامية المحددة بمدارس وفصول ومدرسين ومواعيد ، واغلب ثقافة رشيد التى تضخمت بعد أن بلغ مبلغ الرجال تكونت من مطالعاته الخاصة ، ومع ذلك كان له أساتذة وشيوخ علموه ووجهوه وخرجوه : وأول هؤلاء الشيخ حسين الجسر ، يقول عنه رشيد « انه استاذى الاول ، ولا أعرف له فى الازهر مثيلا فى علمه وعمله وسيرته ، كان نسيج وحده فى علماء سورية الجامعين بين علوم الشرع والوقوف على حالة هذا العصر » . تخرج عليه رشيد فى العلوم العربية والشرعية ، وكان له أسلوب خاص فى التعليم ، يتحرى فيه السهولة فى البيان ، وله مؤلفات مطبوعة تقارب العشرين .

أما مصادر ثقافته فيقول عنها المؤلف : « والكتب التى كانت ذات أثر فى تكوين ثقافة رشيد تتنوع وتختلف ، فمنها كتب نحوية ولغوية ، ومنها كتب دينية وأخلاقية وتصوفية ، ومنها كتب علمية قديمة أو معاصرة ، ومنها كتب أدبية ، ومنها كتب اجتماعية ومنها كتب غير اسلامية ، ومنها مجلات وصحف ، ومن هذا التنوع يتجلى لنا بادىء ذى بدء سعة الافق الثقافى الذى كان رشيد يجول فيه ، فهو لم يقصر نفسه على لون واحد من الكتب ، وان يكن بعضها قد استبد باهتمامه أحيانا ، بل طالع كل ما استطاع ، وانتفع بكل ماطالع ، واتضح اثر ذلك فى كل ماألف وكتب .

وحفظ رشيد — وهو صغير — الفية ابن مالك فى النحو والصرف ثم عددا من شروحها ، ومتن السلم فى المنطق ، وجوهرة التوحيد فى علم الكلام ، وبعض مقامات الحريرى ، والاربعين النووية فى الحديث ، ومقدمة ابن خلدون التى تاثر باسلوبها ، وديوان الباكورة للامير شكيب أرسلان ، واحياء العلوم للغزالى ، والرسالة الحميدية لاستاذه حسين الجسر ، والفتوحات المكية لابن عربى ، والفارياق لاحمد فارس الشدياق .

كما عكف رشيد على كتب التفسير والحديث والتاريخ ، وأخذ

يعب منها ما يشاء ، وما يحتاج اليه في بحوثه وكتابته ، وأظهر همته في علم الحديث متنا وسندا ، ورواية ودراية ، وتأثر رشيد بكتب ابن تيمية وابن مسكويه والف ليلة وليلة ، كما قرأ الاناجيل وغيرها من كتب الديانات الاخرى . تلك هي المصادر الاولى ، وليست كل المصادر التي رجع اليها رشيد ، وقد عاش رشيد كاتبا وخطيبا ومحدثا ، فقرأ المئات من الكتب .

أما بعد فهذا عرض سريع لكتاب « رشيد رضا صاحب المنار » لمؤلفه الدكتور احمد الشرباصي ، وهو مصدر من مصادر الثقافة العربية ، يحمل طابع المؤلف وأسلوبه وثقافته ، ويسرني أن أقدمه الى قراء العربية ، بعد أن قدمت كتابه « أدب الاحاديث القدسية » وأسأل الله أن يؤيده بعونه ، وينفع به ، انه نعم المولى ونعم النصير .

بقية مقال « مع شاعر الجهاد في الاسلام »

الامة حياة وأملا وعملا فيقول :

جلوة الحسن ضمير الشاعر
طوره مجلى الجمال الباهر
فمضى الركبان اثر الجرس
وحدا الناى بنا في الفلس
وسرت في روضنا نسمته
فسرت في زهرها نفحته

ثم يعود فيلح في تبيان منزلة الشاعر من أمته سلبا وايجابا فيوضح أنه كما يبعث الشاعر الحى في أمته الحياة يحدو الشاعر السادر في غيه أمته للهلاك ويكون نذير فناء لها فيقول :

ويل قوم لهلاك طائره
صد عن نهج المعالى شاعره
نومت الحانه يقظتنا
أطفأت أنفاسه وقدتنا
لاح كالناى هزيلا صائحا
شاكى الاقدار جهلا نائحا

ولعل هذه النظرة الرفيعة أيضا للفن من شاعرنا الخالد هي التي جعلته يعجب بالشعر العربي القديم لصدقه وواقعيته وما يشتمل عليه من معاني البطولة والفروسية وكان يرى أن الاسلام قد أثار في أتباعه روح الكفاح وحب الواقع وانتقد في التصوف اغراق بعض رجاله في التخيل والتطرف ويقول عن تواجد بعض المتصوفين وطربهم للسماع (أن الصحابة كان يتملكهم الطرب والاهتزاز والاريحية على صوت الجياد في ساحة الجهاد) .

وهو يبنى فلسفته على الذات كما قدمنا ويعنى بالاعتراف بالفرد والايمان بقواه الكامنة ويكمل ذلك بالتأليف بين الفرد القوى وبين الجماعة التي يعيش فيها ويرى ان الفرد لا تربى ذاته وتكمل الا في الجماعة ثم يبين أن الفرد مرآة الجماعة والجماعة مرآة الفرد وما أجدرنا ان نتفهم هذه الدعوة ونشيعها بين أبنائنا في هذه الايام المريرة التي تستوجب التعاون بين أفراد الشعب فيقول :

فاذا الواحد في الجمع انتمى
فهو كالقطرة صارت خضرما
هو بالامة قلب طامح
وهو بالامة سعى رابح
روحه من قومه والبدن
سره من قومه والعلن

ثم بدء وأخيرا الى ما هدانا اليه الله الى ذلك القائد المصلح الذي يأخذ بيد الامة الى مراشدها ويقودها الى بلوغ آمالها ويكون الهادى الذي ينفخ النار في الرماد الخامد ويبعث من حياته حياتها ويشعل فيها شعار الثورة فلا تظل في سيرها سادرة غافلة عن مقاصدها أو بعيدة عن مطامحها فيقول ،

عازف لحن حياة ينفث
فاذا الطين حياة تبعث
ينشر الانفس منه نفس
وبكأس منه يزهو المجلس
فترى الامة منه سائره
في لهيب منه حرى ثائره

ولا عجب فانه ينظر الى مصر كعبة الشرق هذه النظرة الشماء وانها قائدة الشرق المسلم لانها تمثل القوة الغالبة والعقل الرشيد فيقول ،

من أبى الهول أتتنى نكتة
وأبو الهول طوى السر القديم
كم شعوب بدلت سيرتها
قوة لم يجفها العقل الحكيم
طبعها في كل عصر ماثل
تبدل الشكل وتبقى في الصميم
فهي طورا في حسام | المصطفى |
وهي طورا في عصا [موسى] الكليم

وبعد هذه السياحة الروحية الممتعة مع شاعر الاسلام العظيم وحكيم الشرق النابغة الذي أفسح الادب الاسلامي والتاريخ الاسلامي له محل الصدارة العلمية والزعامة الفكرية والعبقرية الاسلامية والذي تخرج في مدرستين أولاهما مدرسة الثقافة العصرية والدراسات الغربية وثانيتهما مدرسة القلب والوجدان التي تشرف عليها التربية الالهية وتمدها القوة الروحية واليها يرجع الفضل في تكوين سيرته وعقليته وأخلاقه وشخصيته اجل بعد هذه النزهة الفكرية السامية نستطيع ان نرد على الذين يعجبون بالشعور الذي تظهره (باكستان) تجاه العرب والقضايا العربية في كل حين ويظنون أنه شعور بعثته الظروف الحاضرة ولو انهم قرأوا معنا الشعور الفياض في شعر (اقبال) تجاه العرب وما يشيع فيه من حب عظيم لهم :

أمة الصحراء يا شعب الخلود
من سواكم حل أغلال الورى
أى داع قبلكم في ذا الوجود
صاح لا كسرى هنا او قيصرا
كبروا لله في ظل الحروب
وصفوفا تحت ظل المسجد
ضجة دانت لهم فيها الشعوب
وارتقوا فيها مكان الفرقد

لو قرأوا ذلك وأكثر منه في شعر (شاعر الجهاد اقبال) لعرفوا ان هذا الشعور عريق في نفوس هذه الامة الاسلامية الكبرى ولتمنوا معنا أن تكون هذه الذكرى الثانية والثلاثون للشاعر الخالد (اقبال) صفحة جديدة في التقارب بين الاقطار الاسلامية والله من وراء قصدنا

الافتاء
المرأة المسلمة
الرياضة
بريد القراء
بريد التعارف

أنت تسأل؟

والمفتي يجيب

فضيلة الإمام الأكبر
الدكتور محمد محمد الفحام
شيخ الأزهر

س ١ : من السيد ـ محمد منصور يونس ـ كلية الاداب جامعة عين شمس

حلف بالله والقرآن الكريم أن يشرب السجاير الا بعد أسبوع ، غير أنه لم يتمالك نفسه وشربها بعد يومين فقط ، ويسأل عن رأى الدين فى ذلك وهل هناك أمل فى التوبة أم أنه ذنب لا يغتفر أبدا ؟

الجواب :

هذه اليمين يسميها الفقهاء « **اليمين المنعقدة** » وهى الحلف على أمر فى المستقبل أنه سيفعله أو لا يفعله ، فاذا حنث فى اليمين فعليه الكفارة لقوله تعالى : « **لا يؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان فكفارته اطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم أو كسوتهم أو تحرير رقبة فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام ذلك كفارة أيمانكم اذا حلفتم واحفظوا أيمانكم كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تشكرون** » . المائدة آية ٨٩ .

فعلى السائل أن يكفر عن يمينه باطعام عشرة مساكين يغديهم ويعشيهم أو يعذبهم غداءين أو يعشيهم عشاءين مشبعين من أوسط ما يطعم أهله او يعطى كلا منهم قيمة ذلك ، فان لم يستطع الاطعام ولا الكسوة فعليه أن يصوم ثلاثة أيام .

وأما التوبة فالرجاء فيها وفى قبولها مقرر بقول الله تعالى : « **وهو الذى يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات** » وقوله سبحانه : « **الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات ، وكان الله غفورا رحيما ، ومن تاب وعمل صالحا فانه يتوب الى الله متابا** » .

نسأل الله لنا وله القبول . والله أعلم .

س ٢ : من محمد يوسف رضا ـ مهاجر من باكستان الى تورنتو بكندا .

يقول : انه وكل والده المقيم فى الباكستان فى تزويجه باحدى المواطنات بالباكستان وزوجه والده نيابة عنه بمقتضى التوكيل بالفتاة التى ارتضاها ابنه زوجة له ، ثم أخبره أحد أعمام زوجته أن هذا الزواج ليس شرعيا مادام الزوج لم يحضر عقد الزواج بالباكستان ، وقد امتنع لذلك عن الدخول بزوجته حتى يعرف رأى الدين فى ذلك ؟
الجواب :

نص الفقهاء على أن كل عقد جاز أن

يعقده « الشخص » بنفسه جاز أن يوكل به غيره ، وقالوا : كل عقد يضيفه الوكيل الى موكله فحقوقه تتعلق بموكله كعقد الزواج ، لان الوكيل فى عقد الزواج سفير ومعبر ، ولهذا لابد فى مباشرة الوكيل لعقد النكاح من ذكر الموكل واسناد العقد اليه حتى لو أضاف الوكيل العقد الى نفسه كان النكاح واقعا له لا لموكله .

وبناء على ذلك فاننا نقرر أن عقد النكاح الذى باشره والد السائل بصفته وكيلا عنه ـ كما ذكر فى سؤاله صحيح ـ اذا كان قد أضاف العقد الى ابنه بصفة كونه موكلا له .

ومتى انعقد النكاح صحيحا فانه يرتب آثاره ـ فيحل له الدخول بزوجته ومعاشرتها . والله أعلم .

س ٣ : من محمد محمد النمر ـ الطالب بمدرسة دمياط الثانوية للبنين

يسأل عن صلاة السنن ، وأوقاوتها ، قبل الفرض وبعد الفرض ؟

الجواب :

صلاة السنن أو التطوع نوعان : (١) مؤكدة ، (٢) مندوبة . فالمؤكدة : (١) **سنة الصبح أو سنة الفجر** وهى ركعتان قبل صلاة الصبح وهى آكد السنة وأقواها ، ولذلك تقضى مع صلاة الصبح الى ما قبل الزوال .

(١) **سنة الظهر وهى** أربع ركعات قبل صلاة الظهر بتسليمة واحدة ، وركعتان بعد صلاة الظهر وذلك فى غير يوم الجمعة أما فى يوم الجمعة فالسنة أربع قبل صلاة الجمعة وأربع بعدها .

(٣) سنة المغرب ركعتان بعده . (٤) ركعتان بعد صلاة العشاء .

وأما السنن المندوبة فهى :

(١) أربع ركعات قبل صلاة العصر . (٢) ست ركعات بعد صلاة المغرب .

(٣) أربع ركعات قبل صلاة العشاء وأربعة بعدها .

وللمصلى أن يتنفل عدا ذلك بما شاء .

هذا عند الحنفية ، ويرى الشافعية أن السنن المؤكدة هى :

ركعتان قبل الفجر ، وركعتان قبل الظهر أو الجمعة ، وركعتان بعد الظهر أو الجمعة ، وركعتان بعد العشاء ، ومن السنن المؤكدة عند الشافعية الوتر وأدناه ركعة واحدة وأدنى الكمال ثلاث ركعات .

وغير المؤكدة :

ركعتان قبل الظهر خلاف ما تقدم وركعتان بعدها كذلك ، والجمعة كالظهر وأربع ركعات قبل العصر ، وركعتان قبل المغرب ، وركعتان قبل العشاء .

وأما المالكية ، فقالوا : النوافل التابعة للفرائض قسمان : رواتب وغيرها ، فالرواتب هى النافلة قبل صلاة الظهر وبعد دخول وقتها وبعد صلاة الظهر وقبل صلاة العصر وبعد دخول وقتها وبعد صلاة المغرب ، وليس فى هذه النوافل كلها تحديد بعدد معين ، ولكن الافضل ما وردت الاحاديث بفضله وهو أربع قبل صلاة الظهر وأربع بعدها وأربع قبل صلاة العصر وست بعد صلاة المغرب وهذه النوافل مندوبة ندبا أكيدا ، ويكره التنفل قبل المغرب لضيق وقتها ويستحب التنفل قبل صلاة العشاء لقوله صلى الله عليه وسلم « **بين كل أذانين صلاة** » والمراد بالاذانين فى الحديث الاذان والاقامة .

وأما غير الرواتب فهى صلاة الفجر وهى ركعتان فوق المستحب ودون السنة فى التأكيد ووقتها من طلوع الفجر الصادق الى طلوع الشمس ، وتكون قضاء بعد ذلك الى زوال الشمس ومن غير الرواتب الشفع وأقله ركعتان وأكثره لا حد له ، ويؤدى بعد صلاة العشاء وقبل صلاة الوتر وهو مندوب ، ومنها الوتر وهو سنة مؤكدة ويؤدى بعد صلاة العشاء .

● ● ●

س ٤ : من المواطن : محمد تباع الله ـ اسكندرية

يقول : ان زوجته أوقع زوجها الطلاق عليها ثلاث مرات ، ولها منه أربعة أولاد ، ويسأل ان كان يجوز ردها الى عصمة زوجها مرة أخرى ؟ أم لا ؟

الجواب :

اذا كان هذا الطلاق مكملا للثلاث بأن أوقع عليها طلقتين سابقتين على هذا الطلاق بانت الزوجة منه بينونة كبرى فلا تحل له مراجعتها ولا العودة اليه بعقد جديد الا اذا تزوجت رجلا غيره ، ودخل بها دخولا حقيقيا ، ومات عنها أو طلقها ، وانقضت عدتها منه ، ففى هذه الحالة يحل لزوجها الاول أن يعقد عليها من جديد ، قال تعالى : « **الطلاق مرتان فامساك بمعروف**

أو تسريح باحسان » الى أن قال سبحانه ، « فان طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره » .

وأما دخول الزوج الثانى دخولا حقيقيا فذلك باجماع الفقهاء لما ثبت ان امرأة جاءت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم تشكو اليه زوجها الثانى راغبة العودة الى زوجها الاول الذى كان قد أوقع عليها الطلاق المكمل للثلاث ، ولم يكن الزوج الثانى قد دخل بها ، فقال لها الرسول صلوات الله وسلامه عليه : « لا .. حتى تذوقى عسيلته ويذوق عسيلتك » . وذلك لا يكون الا بالدخول الحقيقى . والله أعلم .

● ● ●

س ٥ : من السيد المهندس - شوقى امين على رشدى - المنشية - بنها

يقول : ان له ابنة عم تصغره ببضع سنوات ، وقد تقدم لخطبتها ، وقبل العقد بأسبوع سمع بانه لا يجوز له أن يتزوج بها لان أمها أرضعت أختا له ، وأمه أرضعت أخا لخطيبته ، وأما هو فلم يرضع من أمها ، كما أنها لم ترضع من أمه ، ويسأل الرأى فى ذلك ؟

الجواب :

اذا كان الامر كما ورد فى السؤال ولم يرضع السائل من زوجة عمه أم مخطوبته ولم ترضع مخطوبته من أمه ، ولم يجتمعا على ثدى امرأة أخرى فان زواجه بها صحيح ما لم يكن هناك مانع آخر غير رضاع أخته من أمها ورضاع أخيها من أمه ، فان ذلك لا أثر له بالنسبة للسائل وخطيبته حيث لم توجد بينهما علاقة الرضاع المحرمة . والله أعلم .

● ● ●

س ٦ : من محمد محمد نوفل - جندى مؤهلات الوحدة ٥٤٧ جـ ٥٣ ميدانية

يقول : له ابنة خالة يريد ان يتزوجها ، ولكنه رضع من خالته على ابنة أخرى غير التى يريد أن يتزوجها ، ويقول : ان خالته التى أرضعته غير متأكدة من عدد الرضعات ان كانت مرة أو مرتين أو اكثر ، وبين بيته وبيت خالته حوالى ٣٠٠ متر ويسأل ان كان يجوز له أن يتزوج بنت خالته أم لا يجوز ؟

الجواب :

يقرر فقهاء الحنفية أن الارضاع المحرم للزواج يثبت بمطلق الارضاع ولو بمصة واحدة مادام ذلك فى مدة الارضاع وهى السنتان الاوليان لان هذا الزمن هو الذى يثبت الارضاع فيه اللحم وينشز العظم فيتحقق بذلك التحريم .

فاذا كان رضاع السائل من خالته فى هذه المدة ، فقد أصبح ابنا لها وبالتالى فقد أصبح أخا لجميع أولاد خالته من الرضاع سواء من رضع معها ومن لم يرضع معها فلا يجوز له الزواج بأى بنت من بنات خالته لقوله تعالى فى آية التحريم : « وأخواتكم من الرضاعة » وذلك هو المعمول به فى محاكم الاحوال الشخصية بمصر ، ويرى الامام الشافعى رضى الله عنه - وفى احدى الروايات عن الامام أحمد رضى الله عنه - أن الرضاع لا يحرم الا اذا بلغ خمس رضعات فاكثر وهو ما عليه الفتوى فاذا كان هناك شك فى عدد الرضعات ان كانت خمسا أو أقل ، فلا يثبت التحريم على رأى الامام الشافعى وأحمد فى احدى روايتيه ، وذلك لان الحل ثابت يقينا - اذ هو الاصل - والحرمة مشكوك فيها - واليقين لا يبطل بالشك والله أعلم .

س ٧ : من أحمد محمود أحمد حسن - شارع ابن بطوطه - قسم اللبان - الاسكندرية

يقول : ان خالته أرضعت أخاه الكبير فى نفس الوقت الذى كانت ترضع فيه ابنتها وبمرور الاعوام تزوجت هذه البنت وانجبت فتاة تبلغ الان سبعة عشر ربيعا ويسأل ان كان يجوز له أن يتزوج هذه الفتاة التى رضع أخوه من أمها من جدتها لامها أم لا يجوز له ذلك لانه خال لهذه الفتاة كما يقول له بعض الناس ؟

الجواب :

اذا كان الامر كما ورد فى السؤال وكان الذى رضع مع بنت الخالة هو أخ السائل ولم يرضع السائل من خالته ولم ترضع بنت خالته ولا بنتها التى يريد الزواج منها من أمه ولم يرضع السائل مع بنت خالته ولا مع بنتها تلك من ثدى امرأة أخرى فان زواجه بهذه الفتاة وهى بنت بنت خالته جاز حيث لم تثبت بينه وبينها علاقة الرضاع المحرمة ورضاع أخيه من خالته أم البنت الكبرى وجدة الفتاة المطلوب الزواج منها لا يثبت علاقة محرمة بين السائل وبين من يريد الزواج بها وكل ما أثبته هذا الرضاع أن أخ السائل أصبح خالا للبنت التى يطلب السائل الزواج بها والسائل أخ خالها من الرضاع وليس خالا لها كما قيل له ، فلا يحرم زواجه بها - والله أعلم .

● ● ●

س ٨ : من الدكتور محمود عبد القادر

يقول : كان موضوع « من يعجز بسبب المرض عن

أداء فريضة الحج وانابته الغير عنه على أن يتكفل الامر بالمصاريف » أساس ندوة لنا منذ أيام واختلفت الاراء فى ذلك ويريد حسم الامر فى هذا الباب من صفحات « منبر الاسلام » ؟

الجواب :

الاصل فى جواز الانابة عن المريض فى أداء فريضة الحج ما روى عن ابن عباس أن امرأة من خثعم قالت يارسول الله : **ان أبى أدركته فريضة الله فى الحج شيخا كبيرا يستطيع ان يستوى على ظهر بعيره ، قال : « فحجى عنه »** رواه الجماعة ٠

وعن على رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم جاءته امرأة شابة من خثعم فقالت : ان أبى كبير وقد أفند وادركته فريضة الله فى الحج ولا يستطيع اداءها فيجزىء عنه أن أؤديها عنه ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **نعم** » رواه أحمد والترمذى وصححه ٠ وعن عبد الله بن الزبير قال ، جاء رجل من خثعم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ان أبى أدركه الاسلام وهو شيخ كبير لا يستطيع ركوب الرحل ، والحج مكتوب عليه ، أفأحج عنه ؟ قال : « **أنت أكبر ولده ؟** » قال : نعم ٠ قال : « **أرأيت لو كان على أبيك دين فقضيته عنه ٠٠ أكان يجزى عنه ؟** » قال : نعم ٠ قال : « **فأحجج عنه** » ٠ رواه أحمد والنسائى بمعناه ٠ نيل الاوطار جـ ٤ ٠

قال الشوكانى فى كتابه نيل الاوطار جـ ٤ فى باب « وجوب الحج على المعضوب (والمعضوب : الضعيف والزمن لا حراك به) اذا أمكنته الاستنابة وعن الميت اذا كان قد وجب عليه ٠ »

أحاديث الباب تدل على أنه يجوز الحج من الولد عن والده اذا كان غير قادر على الحج والظاهر عدم اختصاص جواز ذلك بالابن ، وقد ادعى جماعة من أهل العلم أنه خاص به ، قال فى الفتح ، لا يخفى أنه جمود ٠

وقد قرر فقهاء الحنفية أن الحج مما يقبل الانابة فمن عجز عن الحج بنفسه وجب عليه أن يستنيب غيره ليحج عنه ويصح الحج بشرط أن يكون عجزه مستمرا الى الموت عادة كالمريض الذى لا يرجى برؤه وأن ينوى النائب الحج عن الاخر فيقول : أحرمت عن فلان ولبيت عن فلان ، وتكفى نية القلب فلو نوى النائب الحج عن نفسه فلا يجزىء عن المنيب ـ ولم يقل بعدم جواز الانابة فى الحج من الفقهاء الا المالكية والراجح ما يراه جمهور الفقهاء ـ راجع نيل الاوطار والفقه على المذاهب الاربعة ٠

والافضل ان يكون الحاج بالانابة قد أدى عن نفسه فريضة الحج لما روى عن ابن عباس أن النبى صلى الله عليه وسلم سمع رجلا يقول : لبيك عن شبرمة ٠ قال من شبرمة قال أخ لى أو قريب لي ، قال حججت عن نفسك ؟ قال « لا » قال : « حج عن نفسك ثم حج عن شبرمة ٠ » رواه أبو داود وابن ماجة ، وقال : « فاجعل هذه عن نفسك ثم أحجج عن شبرمة ٠ والدار قطنى ، وفيه قال : « هذه عنك وحج عن شبرمة » ٠

فاذا شفى المريض بعد أن أدى عنه النائب فريضة الحج فعليه أن يحج بنفسه ولايجزئه ماأداه عنه نائبه ـ قال الشوكانى فى هذا الباب من نيل الاوطار جـ ٤ ٠

وقد اختلفوا فيما اذا عوفى المعضوب فقال الجمهور ـ لا يجزئه لانه تبين انه لم يكن مأيوسا عنه وقال أحمد واسحق لا تلزمه الاعادة لئلا يفضى الى ايجاب حجتين وأجيب بأن العبرة بالانتهاء وقد انكشف أن الحجة الاولى غير مجزئة ـ والله أعلم ٠

● ● ●

س ٩ من احمد العراقى ـ عزبة البراوى ـ الزعفران ـ بيلا

يقول : توفيت سيدة وليس لها من أقارب سوى أبناء أخوة أشقاء وبنات أخوات شقيقات ، فما نصيب أبناء الاخوة الذكور وما نصيب بنات الاخوات الشقيقات ؟

الجواب :

اذا كان الامر كما جاء فى السؤال وليس للمتوفاة سوى ابناء اخوتها الاشقاء وبنات أخواتها الشقيقات فان جميع التركة لابناء الاخوة الاشقاء تعصيبا بالتساوى بينهم ولا شىء لبنات الاخوات لانهن من ذوى الارحام ولا ميراث لذوى الارحام فى مثل هذه الحالة ـ والله أعلم ٠

● ● ●

س ١٠ : من السيد ـ ابو الحسن السيد السندوبى ـ من الكردى ـ دكرنس ـ دقهلية

يقول : هذه مسألة دار حولها النزاع ، ويرجو بيان موقف الشريعة الاسلامية تجاهها .

وهى توفيت امرأة وتركت ، طفلة قاصر ، وأخوين شقيقين ، وأربع أخوات شقيقات ، وعم لابنتها ، فكيف توزع التركة ، ومن الذى تحق له الوصاية على الطفلة ؟

الجواب :

اذا كان الامر كما ورد فى السؤال فان التركة توزع كالاتى :

للبنت النصف فرضا ، والباقى للاخوين الشقيقين والاخوات الشقيقات تعصيبا للذكر ضعف نصيب الانثى ، ولا شىء من الميراث لعم البنت لانه ليس له بالمتوفاة قرابة تعطيه حقا فى ميراثها . واما الوصاية فمرجعها المحكمة الحسبية — والله أعلم .

● ● ●

س ١١ : من : س . ح . ب — منوف

تقول : ان عمتها توفيت ، ولم تنجب أطفالا ، وورثتها هم :

(أخت لها من الام — اختان شقيقتان — أولاد اخ شقيق « ذكر واحد وثلاث أناث ») وقد سألت الفقهاء فأفتوها بأن : للاخت من الام السدس وللاختين الشقيقتين الثلثين مناصفة بينهما ، والباقى لابن الاخ الشقيق ، ولا شىء لبنات الاخ .

وتسأل : هل هذا صحيح ؟ وهل ارث أولاد الاخ المتوفى ينحصر فى الذكر دون الاناث أم الاناث يرثن معه ؟ وما نصيب كل منهن فى حالة ميراثهن ؟

الجواب :

هذا التوريث صحيح ، فان للاخت من الام السدس فرضا ، وللاختين الشقيقتين الثلثين فرضا ، والباقى لابن الاخ الشقيق تعصيبا ، ولا شىء لبنات الاخ لانهن من ذوى الارحام ، ولا ميراث لذوى الارحام فى مثل هذه الحالة — والله أعلم .

المرأة المسلمة

حقائق يجب أن تعرفها المرأة المسلمة في العالم الإسلامي

اعداد : نجاة الزنيري

كل يوم تطلع فيه الشمس .. يسجل التاريخ فشلا جديدا للسياسة الامبريالية الموجودة فى العالم .. فمتى حلوا بأرض حل بها الخراب .

انهم يقتلون الحرية فى بلادى وفى بلاد الشرق الاسيوى .. لعلهم لم يتعظوا بعد بالصفعات التى وجهت لاعداء الحرية فى [ديان بيان فو] وكوبا وبلاد العالم المتحرر فبالامس غزت أمريكا وحلفاؤها كمبوديا .. لبئس ما يفعلون وتحرك الاسياد زارعى الموت والرعب فى فيتنام وفلسطين للتبشير بالرسالة التى اتقنوها .. صلب الكرامة الانسانية وشراء النفوس التى فقدت ماء الحياء .. والبحث عن مصادر الثروة لحساب أرباب صناعة الحرب وأدوات التدمير — نابالم — غازات خانقة سامة — قنابل الجراثيم — طائرات الفانتوم ..

ما أشقى البشرية بهم .. أكل هذا الحشد من أجل الانسان .. لقد خسرت تجاربهم امام تحدى الانسان الذى نصب اقدامه فى تخوم الارض ووقف أمام كل وسائل الفتك — وقفة العملاق يرفض تجارة الاسياد ويسخر من قتل الانسان بلا جريرة فى الحروب .. والحرب ظاهرة بشرية قديمة قدم التاريخ تحدث بين طرفين لاسباب اجتماعية — اقتصادية — سياسية — قومية — عقائدية ..

فاذا تكلمنا اليوم عن الحروب وقوانينها الدولية والاتفاقيات الخاصة بها .. وكيفية التطبيق العملى لها . فيجب أن نتكلم عن الحرب قبل الاسلام وفى الاسلام حتى نثبت فيها للعالم اننا انسانيون ونحترم العقود والمواثيق الدولية .

استمرت الحروب قبل الاسلام على اقسى صور الوحشية فكانت حروب شعوب لا حروب مقاتلين .. كان الشعب المحارب يستبيح من الشعب الاخر كل الحرمات فى الميدان وفى خارج الميدان فى أثناء المعركة وبعدها وقبلها .. ما دامت العداوة

ثابتة ما لم يكن عقد أو عهد فالاصل فى العلاقة هى الحرب وليس السلم والحرب مع الشعب كله رجاله ونسائه وأطفاله .. لا مع حكامه وقواده والمقاتلين فيه .. حتى أن الرجل اذا اخطات قدماه فنزل فى ارض غير ارض بلاده ولم تكن بين بلاده وبينها عهد استرق وبيع فى الاسواق على انه عبد فى شريعة هذه الازمان . وقد وقع ذلك لعمر بن الخطاب فى الجاهلية قبل الاسلام فلقد استرقه رومانى فى الشام واظهر عمر الاذعان ولكنه ما أن انفرد بالرومانى حتى قتله واسترد حريته .

واستمر الحال كذلك حتى كان الاسلام . فدخلت روح الانسانية الحروب حيث نجد أن بعض الايات القرآنية ووصايا الرسول عليه الصلاة والسلام وخلفائه الى قادة جيوش الفتح تكاد تحوى جميع المبادىء الانسانية التى تم ادخالها على قوانين الحرب فى معاهدات جنيف المتعاقبة منذ عام ١٨٦٤ حتى عام ١٩٤٩ ميلادية — لذلك لم يكن الرسول صلى الله عليه وسلم يبيح قتل احد لا يقاتل وليس من شانه ان يقاتل . فينهى عن قتل النساء — والاطفال — والعمال — والشيوخ . وقد رأى رسول الله امراة مقتولة فى معركة فغضب وقال موجها اللوم الى قائد الجيش خالد بن الوليد [ما كانت هذه لتقاتل] .

وقد حدد الاسلام ايضا القواعد والاهداف الحربية وتتلخص فى :

١ — حين أباح الاسلام الحرب الدفاعية ميز تمييزا واضحا بين المحاربين وغير المحاربين فامر بالا يقاتل الا المقاتل ولا بد أن نفهم من كلمة المقاتلين : انهم الذين يحضرون ميدان القتال بالفعل ويستخدمون فيه قوتهم العدوانية . ولقد استرشد التشريع الاسلامى بتعاليم النبوة فى هذا الشان فحدد هذا الشرط على وجه يزيل كل لبس ويكفل ابعاد شرور الحرب عن الضعفاء ويجنب المدنيين ويلاتها فالاطفال والشيوخ والنساء والمرضى والمعتوهين بل حتى الفلاحون فى حقولهم والرهبان فى معابدهم. كل أولئك معصومون بحصانة القانون من اخطار الحرب والذى يلفت نظرنا بوجه خاص فى هذا المقام هو حرص الاسلام لا على حماية هؤلاء الضعفاء من الاضرار المادية فحسب بل على حمايتهم ايضا من التعرض لكل ألم نفسى يبدو لنا ذلك جليا بتمائل المثال التالى الذى ترويه لنا الاثار عن واقعة خيبر ذلك انه حين انتهى حصار هذه المدينة بنصر المسلمين وقعت امراتان يهوديتان فى أسر بلال — رضى الله عنه — فمضى بها الى مركز القيادة مارا بميدان المعركة حيث سقطت جثث القتلى اليهود وكان لهذا المشهد أثره العميق فى نفس احدى الاسيرتين فصاحت واجهشت بالبكاء — وما أن علم النبى بسلوك بلال هذا حتى استنكر فعلته ووجه اليه اللوم العنيف قائلا له (هل نزعت منك الرحمة يا بلال حين تمر بامراتين على قتلى رجالهما) ..

ومن القاعدة الاسلامية المتعلقة باسرى الحرب تحرم الفصل بين المراة الاسيرة وابنائها وتوجب الجمع بينهم فى مكان واحد — فيا لها من عناية ورحمة — .

٢ — لا يبيح الاسلام فرض حصار يرمى الى حبس الطعام عن مدن الاعداء وتدل على ذلك حادثة احد اشراف بنى حنيفة عندما منع تموين مكة بالحبوب وقد تظلم أهل مكة الى النبى صلى الله عليه وسلم تبعث اليه يامره برفع هذا الحظر وان يدع اهل مكة يتمتعون بمواردهم العادية .

٣ — لا يبيح الاسلام استعمال وسائل التدمير كالتغريق والتحريق .

٤ — يستنكر القرآن ولا يبيح الاسلام تلك العادات الهمجية التى يشيع استعمالها فى أثناء الحروب الا وهى تعذيب الاعداء ومعاملتهم بالقسوة والخشونة بل ويعتبر ان التعذيب اشد جرما من القتل وكان الرسول صلى الله عليه وسلم ينصح قواد حملاته الحربية بالتزام النظام وحسن السلوك فى قتالهم وتحذيره لهم من السلب والنهب والقتل غدرا والتمثيل بجثث القتلى .

فرسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فى وصيته لاحد قادته [لا تقتلوا شيخا فانيا ولا طفلا ولا صغيرا ولا امراة ولا تغلوا واصلحوا واحسنوا ان الله يحب المحسنين] صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ويقول فى وصية أخرى ينهى عن التمثيل بالجثث بقوله (اياكم والمثلة ولو بالكلب العقور) وكما ينهى عن قتل المحاربين من العدو بقوله (لا تقتلوا ذرية ولا عسيفا)

وفيما يسمى الان بالقانون الانسانى وهو اهم قسم من اقسام قانون الحرب الان يقول ابو بكر — رضى الله عنه [لا تغلوا ولا تغدروا ولا تحتلوا ولا تقتلوا طفلا صغيرا ولا شيخا كبيرا ولا امراة ولا تقطعوا نخلا ولا تحرقوه ولا تقطعوا شجرة مثمرة ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيرا الا لمأكله . وسوف تمرون على قوم فرغوا انفسهم فى الصوامع فدعوهم وما فرغوا انفسهم له) وكان الخليفة عمر بن الخطاب يقول لقادته (قاتلوا ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين ولا تجبنوا عند اللقاء ولا تملوا عند القدرة ولا تسرفوا عند الظهور ولا تقتلوا هرما ولا امراة ولا وليدا وتوقوا قتلهم اذا التقى الفرسان)

كما حوى القرآن على آيات كثيرة عن وجوب الانذار قبل شن الحرب وقوانين القتال المشروعة لنظام أسرى الحرب .

واذا كان المؤرخون والباحثون الاوربيون لم يقروا تعصبا منهم باسبقية خلفائنا الراشدين فى وضع المبادىء الاولى لقوانين الحرب فانهم اعترفوا بذلك لشخصية اسلامية أخرى هى صلاح الدين الايوبى . الذى تعتبر معاملته لاسرى الحرب من الاوربيين اسمى وأكمل ما يجب أن تكون عليه معاملة أسرى الحرب فى كل مكان وفى كل زمان .

ان هناك الكثير من الاتفاقيات الدولية فى عصرنا الحاضر يحوى الكثير عن ما يسمى قوانين الحرب لكى تتكفل وتتقيد بها جميع الدول . وان قوانين الحرب هى جزء من القانون الدولى العام . للحفاظ على الانسان وانسانيته وحريته وكرامته .

هذه شريعتنا الاسلامية فى الحروب والمنبثق منها الانظمة الدولية والاتفاقيات الدولية .. فنحن نتقيد بها حرفيا لنثبت دائما للعالم باننا انسانيون نحترم ارتباطنا بالمواثيق الدولية رغم تنكر غيرنا لها .. تنكر عدونا الشرس لكل المبادىء الاخلاقية والانسانية التى قامت عليها عنصريته الصهيونية . وهذا ليس جديدا عليه فان وحشيته وغدره وشراسته كانت فى يوم الجمعة ٩ أبريل سنة ١٩٤٨ يوم قامت فرقة من ارهابى عصابتى أرجون رفاى ليومى وشيترون بمحاصرة قرية دير ياسين العربية وأخرجت كل من فيها من الرجال والنساء والاطفال وذبحتهم ذبح الشاه ومثلت بجثثهم واهتز العالم بالجريمة وبلغ عدد الضحايا ٢٥٦ بينهم اثنان وخمسون طفلا وخمسة وعشرون امراة حبلى وستون فتاة ..

وسارت اسرائيل على نفس الوتيرة اثنان وعشرون عاما كاملة

تتلاشى .. حتى بلغت آخيرا الغارات الجوية التى تستخدم بها الطائرات الفانتوم الامريكية الصنع .

وهذا يدل على انها وضعت خطة مرسومة ومدبرة لتصعيد العدوان بضرب الشيوخ والنساء والاطفال والاهداف التى لا تمت بصلة الى الاهداف العسكرية وتواصل العدوان دون أن تراعى أبسط قواعد الحرب كما هو مذكور فى الاتفاقيات الدوليـــة والموقع مندوبها عليها فى عصبة الامم المتحدة . فبعد أن قصفت مصنع أبو زعبل للصناعات المعدنية المدنى بالقنابل المتفجرة والموقوتة وبالصواريخ صباح يوم ١٢ فبراير سنة ١٩٧٠ واستشهد فيه ٨٩ عاملا واصيب مثلهم بجراح وخرجت كل الصحف والاذاعات العالمية تدين الحادث والقتل والارهاب . ودون حساب ودون مراعاة للرأى العام العالمى عادت بعد اقل من شهرين وقصفت مدرسة أطفال بحر البقر الابتدائية ودفن الصغار الذين تتراوح اعمارهم بين ٦ سنوات واثنا عشر سنة فى جحيم من النيـران تحت الانقاض التى احدثتها القنابل المدمرة والنابالم والصواريخ

فهل هناك جريمة ابشع واحقر من قصف مدرسة تضـم اطفالا صغارا فى مدرستهم .. وثارت أجهزة الاعلام العالمية .. وثار الضمير العام العالمى ولكن دون جدوى مع الصـــهيونية المتمثلة فى أسرائيـــل .

ويضيق المجال هنا عن حصر اسماء الشهيدات والنزيلات ومن تلقين صنوف التعذيب المختلفة حتى يمكننا تسجيل بعض ما قالته شهود العيان امام لجنة التحقيق الدولية التابعة لهيئة الامـــم المتحدة عن الحقائق التى تجمعت امامها وسـجلت فى ملفاتهـا حول لجوء اسرائيل الى أبشع الاساليب الوحشية فى معاملة المدنيين داخل الاراضى المحتلة . وقد كان عند لقاء احـــدى الشهود باللجنة تظهر الانفعالات والغضب على دولة الصهاينة وقد أدلى عضو من اعضاء اللجنة بان تقرير اللجنة ســيحمل ادانة مؤكدة لاسرائيل على سلوكها المتنافى مع ابســط قواعد القانون الدولى والاتفاقيات الدولية .

وما يلى بعض أقوال شهود العيان الذين أدلوا باقوالهم أمام لجنة التحقيق الدولية التابعة لهيئة الامم المتحدة .

قال الشاهد المواطن سالم عايش ابراهيم ويعمل تاجر فى بلدة النجيلة بسيناء (اشعلت قوة من جنود الاحتلال النار فى بيتى واخرجونا الى الشارع بلا طعام وماء وأثناء سيرنا فى الصحراء التقيت بنا دورية أسرائيلية واغتصبوا زوجتى التى لم تتحمـل الصدمة فماتت فى الصحراء أمام عينى . واختطفوا شـقيقتى ولم أعرف مصيرها حتى الان ومات ابنى فى الطريق من العطش والاخيرة ابنتى فقتلوها بالرصاص من باب التسـلية .

قال الطالب عيد ابراهيم من العريش — ان الجنود الاسرائيليين قصفوا المدرسة فى وقت كان التلاميذ يؤدون امتحان الشـهادة الاعدادية فاسرعوا الى الجرى فى الصحراء دون المأوى ومن كان يطوله رصاص الاعداء يسقط ويموت فى الحال وكان الجرى ورائنا بالبنادق والقنابل يصحبه الضحكات العاليـة والالفـاظ النابية منهم الينا .

وشرحت السيدة نرجس السيد ابراهيم كيف اقتحم الجنود الاسرائيليون بيتها فى العريش وقتلوا زوجها وهو فى الفراش بالطعن بالسونكى ثم شوهوا وجه طفلها بماء النار .

هذا بالاضافة الى حرق المنازل ونسفها بما فيها من أسر . ان هذا ليس جديدا على العالم لان هـذه الوحشـية بالنسـاء والاطفال هو هدف اسرائيل لانها تتصور ان ما ينالهم يثير الرعب فى نفوسهم ويثير الرعب الاكبر والخوف الاكبر ولكن اسرائيـل فى هذه المرة لم تستخدم السلاح الابيض الذى استخدمته فى عام ١٩٤٨ وان اليوم تتعهد بها ايدى علمية امريكية امدتها بالفانتوم لتكون وحشيتها أيسر .

ان اعمال القتل والقمع والارهاب التى يرتكبها جنود الاحتلال قد ايقظت الضمير الانسانى ودفعته بعد الحرب العالمية الثانية الى وضع اتفاقيات جنيف التى تمنع هـذه الجـرائم وقد كانت أسرائيل فى هذه الاتفاقية طرفا لكنها رغم ذلك لا تحرم تنفيذها .

هذا هو عدونا وهذا اسلوبه ويجب الا ننسى اهمية الرأى العام الدولى فى هذا الوقت حيث يسناء الرأى العام الـدولى من مخالفة احدى الدول لهذا القانون فيشكل قوة لا يسـتهان بها ضدها . فنحن العرب نتقيد بهذه القوانين ونحترم العقـود ونحترم حرية الشـعوب واسـتقلال الشـعوب ونحترم السـلام العالمى .. ولكن لا مفر من اننا لابد أن ندافع عن أنفســنا وارضنا ونقاتل عدونا .

وقد أشار سيادة الرئيس جمال عبد الناصر فى خطابه الاخير فى عيد العمال يوم أول مايو سنة ١٩٧٠ باننا نبنى والعدو يدمر فقال سيادته (هذا هو العدو الذى يقاتلنا والذى يتحتم علينا ولا مفر أمامنا من أن نقاتله . المصنع وما يمثله من طاقة البناء هو ما نمثله نحن ما تمثلوه انتم الشعب الطيب الذى عمل دائما من أجل السلام ومن اجل البناء . والصواريخ والنابالم والقنابل الزمنية الموقوتة هو ما يمثله العدو ومن هم وراء العدو ومن هم يمدون العدو باسلحة الدمار وقنابل الدمار . هذا هو موقفنـا وذلك هو موقفه . ايها الاخوة . نحن نبنى طاقة الحياة والامل والحرية والعدو يفجر القوى المدمرة للقتل والحريق والخراب) .

وقال سيادته ايضا فى نفس الخطاب (كنا نحن العرب نريد أرضنا ونريد السلام عليها والحرية من حولها وكانوا يريدون أرضنا — ولا سبيل لهم الى ذلك . حتى يستولوا على الارض الا القتل — ولم يكونوا يخفون رغبتهم فى القتل حتى تخلـو الارض الطيبة الطاهرة لمطامعهم واحقادهم)

هذا هو طريقنا واهدافنا كما حددها رئيسنا الحبيب لا مفر أمامنا من أن نقاتل هذا العدو الشرس القذر دفاعا عن ارضنا ونسائنا واطفالنا دفاعا عن استقلالنا وحريتنا وكرامتنا . فالطائرات الحديثة السريعة الفتك عرفناها طويلا فى فيتنام ولاوس مثلها كالثور الذى ينطح الصخرة بقرونة فلا يؤذى الا نفسه . وعرفنا طائراتكم الحديثة الفانتوم واسقطناها على جبهات القتال فى مصر وسوريا وضاعت اسطورة الرعب والجيش الذى لا يهزم . ولا زلنا نقاتلكم وجباهنا المعروقة فى هجير الشمس وآلاف الابرياء فى سجون الصهاينة حليفة الامبريالية العالمية يتضامن معهم اخوانهم العرب فى كل مكان فى الارض المحتلة فى مصر فى سوريا فى الاردن فى العراق فى الجزائر فى كل بلادنا العربية المتحررة المتطلعة الى نصر قضيتنا احتجاجا على اساليبكم البربرية فى قتل الحياة والحياة اقوى دائما من الموت ..

والنصر لنا — ولدين الله — وللعدل والحق

أبناؤنا وبناتنا بعد الإمتحان

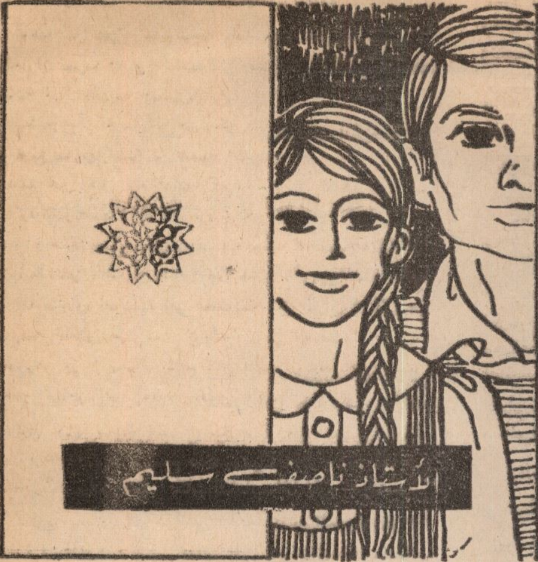

الأستاذ ناصف سليم

هذه الفترة .. من بداية الصيف ، يفرغ فيها أكثر من مليوني طالب من الامتحانات .. واذا كانت الدول على اختلاف مستوياتها تستعد دائما للمواسم الدراسية ، فان عددا قليلا منها ، هو الذى يخطط ويستعد لفترة ما بعد انتهاء الموسم الدراسى ، بالرغم من أهميتها ، فالشاب فيها يحتاج لمزيد من الرعاية والعناية . هو يحتاج الى تعويض ما فقده من طاقة ذهنية وجسمية . ألا نراه فى هذه الفترة شاحب اللون ، منهوك القوى ، شارد الفكر ، لا يدرى كيف يستعيد قواه ، وبأى أسلوب ، ولا كيف يقضى أوقات فراغه ، وما الوسيلة لذلك ..

ولا شك أن مشاكل الشباب تزداد تعقيدا فى هذه الفترة .. فترة الصيف ، أو فترة الفراغ ، والاسترخاء ، واذا كان الفراغ مشكلة بالنسبة للدول المتقدمة ، المتخصصة فى رعاية الشباب وشغل أوقات الفراغ بالاسلوب الذى تراه واقتنعت به ، فما بالك بالنسبة للدول النامية التى لم تعرف أسلوبا وسطا وحديثا لتربية الشباب . وأعنى به ذلك الذى يتفق مع تقاليدها وعقائدها وظروفها البيئية دون وجود تناقضات .. انها مشكلة فعلا .

ومهمتى فى هذا الموضوع المساهمة فى البحث عن أفضل الحلول للمشكلة ، خاصة تلك التى تنشأ عن فراغ الصيف ، اننى أحاول أن أضع خطوطا رئيسية امام ابنائنا وبناتنا . ويقينى انهم حين ينهجون السير عليها ، فانهم لابد أن يتجنبوا مواقع الزلل والشبهات . وانهم لابد قطعوا مرحلة من أهم مراحل حياتهم فى أمن وسلام .. وما أحوج شبابنا الى من يرشده . ولو بالكلمة ، فى عصر أصبح كل ما فيه معقدا ومثيرا :

● اننا يجب أن نعترف بذلك .. ونفرق بين أسلوب حياتنا فى الماضى ونحن شباب ، والاسلوب الذى يتمسك شبابنا باتباعه ، مدعيا أن مخالفته رجعية وعودة الى الخلف .. الى عصر لا يناسب حياته وثقافته !

كانت هناك عوامل تمكن شباب الماضى — الى حد ما — من التمسك بالتقاليد . لم تكن الفتاة قد كشفت عن أجزاء جسمها وراحت تعرض فتنتها ، ومواطن الاثارة فيها ، الى هذا الحد ، الذى يؤثر فى فكر شباب اليوم .. بل ومن هم فوق مرحلة الشباب .انها صورة تعكس أضرارا بالغة على الفكر وعمل الذهن ، ونحن نعيش فى مجتمع نام يختلف عن المجتمعات التى صدرت لنا هذه الصورة .. والضرر هنا بلا شك أشد من الضرر هناك فى تلك البلاد التى لاتضع حواجز تحول دون الاستمتاع بهذه الصور الفاتنة على أى

وجه .. هم لا يعترفون بالانحلال والتحلل ويعتقدون أن ذلك من أهم مطالب الفتى ومطالب الفتاة

فالاسلام حين أمر بغض البصر، أمر به حتى لا تثور النفس .. أو الشهوة . ثم تكون النتيجة أحد أمرين :

- الوقوع فى جريمة الزنا ان اتيحت الفرصة لمن أعد نفسه بامعان الفكر والنظر لها .

- الحسرة والالم اذا لم تتح له هذه الفرصة !

والاسلام حين حمل « بتشديد الميم » بعض الاثم اذا ناول الخمر لاحد أو حمله من مكان الى مكان، فانما يهدف من وراء ذلك الى حمايته من الزلل . لان من حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه !

● الواقع ان شبابنا يختلف عن شباب العالم فى نواح كثيرة أهمها، أنه لا يحب القراءة، وهى من أهم وسائل شغل الفراغ وصرف الذهن عن الافكار السوداء .. وقد وضح ذلك حديثا فقط، فقد كنا فى الماضى نحب القراءة . كان الشاب اذا لقى زميله حتى فى القرية يسأله عما قرأ فى « النظرات والعبرات » .. وماذا استفاد من وحى القلم الى غير ذلك .. وشباب جيلنا يدرك ذلك !

وقد لجأت دول كبيرة الى معالجة شبابها بالقراءة، حتى أصبحت هواية محببة للشعب السوفيتى كله ..

وكنت أسمع بذلك، ولا أصدقه . الى أن رأيت طوابير الناس من مختلف الاعمار وهى تقف فى انتظار دورها لزيارة الاثار مثلا، وكل منهم ممسك بكتابه ساعات لايمل .. ورأيت سيدة عجوز تعمل فى مصعد، وهى ممسكة بكتاب . وطالعت الصفحة فوجدتها تحمل رقم ٣٧، وعدت فى نهاية اليوم فوجدتها نفسها تعمل وتحمل نفس الكتاب وهو يحمل رقم يزيد على المائة ! .

هذا حل من الحلول .. وهو مفيد بلا شك من مختلف الوجوه

● وهناك حل آخر، وهو الاهتمام بالنشاط الروحى انه يملأ الفراغ بصورة مختلفة، هى صورة تشعر الإنسان بالسعادة والرضا، وتربى فى نفسه الصفات الحميدة من فضيلة الى شجاعة الى ثقة بالنفس .. واقدام على الاعمال الكبيرة المفيدة لوطنه ونفسه .. وهو نشاط يتناول فى بعض جوانبه القراءة . ولدينا تراث روحى عظيم ومكتبة اسلامية عامرة والكتب الدينية زهيدة السعر .. ويتناول هذا النشاط الصلاة فى مواقيتها، وما يلزمها من وضوء . والوضوء سلاح المؤمن ..

● وهناك حل ثالث، وهو الرياضة، وجوانبها متعددة .. منها النشاط فى المعسكرات باشتراكات رمزية . وهى تعوض الشاب عما فقده من جهد فى الاستعداد للامتحانات . وتمده بطاقة قوية تفيده فى الموسم القادم .. ومنها نشاط فى الاندية، رياضات مختلفة ولا حجة بان حجم الاشتراكات كبير، فمراكز الشباب لا تحصل من العضو أكثر من جنيه واحد عن العام كله .. أو نصفه عن نصف العام، وهى كثيرة منتشرة فى كل القرى، وكل أحياء المدن الكبيرة .

والرياضة - بلا شك - تخرج الشاب من عزلته، وانفراديته التى قد تسبب له كثيرا من الامراض النفسية . اذا لم يكن من هواة القراءة .

● ودور الاسرة هنا كبير .. لانها هى التى تملك التوجيه، انها مسئولة عن حساب الوقت مع ابنائها . فى أى وقت ضاع انقضى .. والاسرة تقوم بدور القيادة الرشيدة، ولا عذر بأن ربها مشغول فى عمله : فرعاية الابناء جزء من العمل . وليست هذه الرعاية كما فى فهمها البعض : توفير الغذاء والكساء !

ولكنها مراقبة بأسلوب تربوى، وما أضيع الوقت الذى يقطعه كثير من الاباء على المقاهى وحدهم .. ان ابناءهم به أولى .. فلتكن بداية الرعاية، ملازمتهم أطول وقت ممكن . فى الاندية ومع زملائهم، **فسلمهم من قيادة الى قيادة لانهم لايستطيعون ان يستقلوا بانفسهم فى معترك حياة امتلات كل جوانبها بالمغريات والصور المثيرة المهيجة للنفوس .. وكلكم راع .. وكلكم مسئول عن رعيته .**

عزيزى القارىء :

جاء لقاء القمة الثلاثى بالخرطوم بشيرا جديدا من بشائر النصر المتلاحقة ، ودليلا آخر على اصالة الامة العربية وقدرتها على تحقيق النصر ، ونذيرا بدحر قوى العدوان ..

فالامة العربية صاحبة الامجاد العظيمة ، والحضارة السامقة والمواقف الخالدة ، قادرة — دوما — على القيام بدورها فى قطع دابر تجار الحروب ، واستئصال شأفة اعداء الانسانية . واقامة المجتمع الانسانى وتحقيق السلام العالمى والرخاء الدولى رغم ماقد يعتريها من هزات او نكسات ، فنصر الله لابد وان يحالفها فى النهاية بفضل جهاد رجالها المخلصين ، وفدائية ابنائها المقاتلين ، واصرار شعبها العظيم على احراز النصر **وهو ما أكده قائد هذه الامة ورائدها على طريق النصر ، الرئيس جمال عبد الناصر فى المؤتمر الشعبى فى الخرطوم قائلا « حينما وصلت اليكم فى الخرطوم شعرت بالامل الكبير ، وشعرت ان الله لابد ان ينصر هذه الامة ، لان ابناء هذه الامة لم ييأسوا ولم يهنوا .. ولكنهم يسيرون فى طريق الامل اننى أيها الاخوة .. وأنا أرى فى النميرى والقذافى ثورة السودان وثورة ليبيا ، أرى النميرى والقذافى بما يمثله كل منهما .. أشعر بالحمد لله والعرفان له جارفا وغلابا .. اننى وأنا أرى العلاقه الخاصة بين مصر والسودان وليبيا تنمو وتتأكد بكل ما تمثله ، أشعر بالحمد لله ، وأشعر أننا على الطريق الصحيح على طريق الحق .. طريق الامل .. طريق النصر بأذن الله »**

الكلمة والحركة تخوض المعركة

فى رسالة موجزة يحدثنا علاء الدين صالح عوادمصطفى بمدرسة شبرا الثانوية ، موضحا ضرورة تجنيد الكلمة والحركة من اجل المعركة المصيرية ،والمجلة ترى ان هذا يقتضى بالضرورة دقة اختيار نصوص المسرحيات والافلام وغيرها من الاعمال الفنية ونبذ كل ما هو سوقى ومبتذل ، وان المقياس الاساسى فى هذا كله هو مدى صدق الاديب أو الفنان مع نفسه ، ومدى معاناته للتجربة التى يعبر عنها ، وان الافتعال فى الكلمة او الحركة مدعاةللفساد الفكرى والفوضى باسم الفن ، ولا شك أن المرحلة التى تمر بها أمتنا العربية هى التجربة الحية التى يعيشها كل عربى بوجدانه وكيانه ، ومن ثم كانت مصادر الالهام والايحاء متعددة الجوانب ،وكانت مجالات الابداع الفنى والابتكار الادبى رحبه تشمل الحياة الانسانية بما فيها ومن فيها ، مما يبطل القول بأن هذا النداء يحد من مجالات الاديب وخيالات الفنان **لان ما نصبوا اليه حقا هو الصدق والاصالة فى كل ما يذهب اليه الادب والفن .. فتحقق الاصالة فى أى جانب من جوانب النتاج الفكرى والاداء الفنى كفيل بخلق مستوى ثقافى هادف واقامة المقاييس الفنية والقيم الجمالية ، ومعايشة البيئة الفكرية فى عمق وصدق يحقق العالمية لاعمالنا الفنية والادبية بوحى من اصالتنا الثقافية العريقة وقيمنا الانسانية الخالدة ..**

الامام المفكر محب الدين الخطيب

حول تاريخ هذا الاديب العربى والمفكر الاسلامى العظيم يحدثنا الاديب على محمد عبد الجواد .. سنهور — الفيوم قائلا :

يعد الامام الصحفى والمفكر الاسلامى محب الدين الخطيب من أبرز اعلام الفكر الاسلامى المعاصر ، ومصلح حمل لواء الدعوة الاسلامية منذ اكثر من أربعين عاما .. تعلم بالمدارس الثانوية ببيروت ثم درس الحقوق والاداب بجامعة استانبول ، وأقبل بعد ذلك شغوفا على الدراسات الاسلامية الحرة فاصبح باحثا اسلاميا واسع الثقافة والتحصيل على غرار الباحثين الاسلاميين العظام من امثال محمد فريد وجدى ، ومحمد فؤاد عبد الباقى والامام ابو الكلام آذاد الهندى ، وعباس محمود العقاد وتوفى رحمة الله بالقاهرة فى ٣٠ ديسمبر ١٩٦٩ بعد ان خلف تراثا ضخما فريدا من الابحاث والدراسات مثل « الغارة على العالم الاسلامى » ، مع الرعيل الاول وطريقه وحقق بعض الكتب مثل فتح البارى بشرح صحيح البخارى فضلا عن الابحاث والمقالات التى نشرت بالمجلات الاسلامية ..

كان رحمة الله رجلا من رجالات الاسلام فى العصر الحديث وقف دونه مناضلا ومدافعا على مدى عمره الذى ناهز التسعين وسلام على الامام محب الدين فى الصديقين والصالحين ..

الشعر الوطنى

تتساءل الاخت المسلمة عنايات مجدى السعدى عن مدى امكانية نشر الشعر الوطنى ... والمجلة ترحب بكل ما هو هادف واصيل وتشكر للاخت هذا الشعور الفياض تجاه مجهودات المجلة فى نشر الدعوة الاسلامية .

بريد التعارف

الاسم : يسرى ابراهيم الهوارى .

البلد : الجمهورية العربية المتحدة .

السن : ٢٢ سنة .

المهنة : موظف بجريدة الاهرام

الهواية : الكتابة والاطلاع والمراسلة .

العنوان : ٥ ش مصطفى طموم منيل الروضة .

الاسم : خضر محمد ياسين القصاب .

البلد : الجمهورية العراقية

السن : ١٦ سنة

المهنة : طالب متوسطة

الهواية : جمع الطوابع والصور والمناظر الطبيعية .

العنوان : الجمهورية العراقية — موصل — تلعفر — ناصية العياضية .

الاسم : رمزى حجى عزو عقراوى

البلد : الجمهورية العراقية

السن : ١٨ سنة

المهنة : شاعر واديب ناشىء

الهواية : المراسلة والاطلاع

العنوان : الجمهورية العراقية — الموصل — عقرة — محلة جوسة ئى .

الاسم : العربى محمد .

البلد : الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

السن : ١٨ سنة .

المهنة : طالب بدار المعلمين

الهواية : المراسلة — جمع الصور — الاطلاع .

العنوان : نهج صغ عميروش رقم ٣١ مدينة غليزان عمالة مستغانم .

الاسم : مصطفى اسماعيل مرعى .

البلد : الجمهورية العربية المتحدة .

السن : ١٧ سنة .

المهنة : طالب ثانوى .

الهواية : المراسلة — قراءة الادب والقصص الاسلامى .

العنوان : الغربية — كفر الزيات — الدلجمون

الاسم : على السيد طلب غنيم .

البلد : الجمهورية العربية المتحدة .

السن : ١٩ سنة .

المهنة : دبلوم تجارة حديثة

الهواية : جمع الطوابع وتبادلها والمراسلة .

العنوان : المنصورة ٢٣ شارع سيد البهلول خلف الساحة الشعبية .

اقرأ فى هذا العدد :

معـــالم الطريق :

نص خطاب السيد الرئيس جمال عبد الناصر فى الخرطوم ، وفى الكلية الحربية بجبل الاولياء بالسودان

نص الكلمات التى القيت فى الاحتفال الذى اقامه المجلس الاعلى للشئون الاسلامية ، بمناسبة ذكرى مولد الرسول عليه الصلاة والسلام :

كلمة السيد / حسين الشافعى : عضو اللجنة التنفيذية العليا ٩
كلمة الامام الاكبر الدكتور محمد محمد الفحام شيخ الازهر ١٧
كلمة السيد الدكتور عبد العزيز كامل وزير الاوقاف وشئون الازهر ١٩
كلمة السيد السكرتير العام للمجلس الاعلى للشئون الاسلامية ٢٤

الفقه ـ التشريع ـ الابحاث ـ الدراسات الصوفية فى الاسلام :

الوحدة الانسانية ... ... الاستاذ أحمد حسين ٢٨
انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون ... ... فضيلة الشيخ عبد الجليل عيسى ... ٣٢
الوجدان العربى المشترك فى الشعر الحديث الدكتور أحمد الحوفى ٣٦
تطبيقات : المرأة والرق ... ... الاستاذ فتحى رضوان ٣٨
من قصص السنة ... ... فضيلة الشيخ محمود هاشم ٤٤
تفسير القرآن وعلى أى منهج ينبغى أن يكون الدكتور مصطفى زيد ٤٦
الطريق الى الله ... ... الاستاذ أحمد زين ٤٨
الجهاد والفداء ... ... الاستاذ على حلمى ٥٠
الصوفية فى المهامهم ... ... الاستاذ حسن كامل الملطاوى ٥٢
الاسلام يكرم الانسان ... ... الدكتور محمد غلاب ٥٥
الجهاد فى الاسلام ... ... الاستاذ حسن الشيخة ٥٩
من أحكام الشريعة الاسلامية وآدابها ... ... المستشار محمد خاطر ٦٠
نبى الهدى وامام المجاهدين ... ... فضيلة الشيخ محمد وهيب ٦٢
لقمان الحكيم وابنه فى كتاب الله تعالى ... فضيلة الشيخ أحمد كامل الخضرى ... ٦٤
الجهاد والجندية فى تعاليم الاسلام ... ... سماحة الاستاذ مبشر الطرازى الحسينى ٦٦
المساواة فى الاسلام ... ... الدكتور سليمان الحكيم ٦٩
حقوق الانسان فى الاسلام ... ... الاستاذ عبد المنعم المغربى ٧١
أساليب التوعية ... ... الدكتور مصطفى الرافعى ٧٣
الجنة فى شرح عقيدة أهل الجنة ... ... فضيلة الشيخ محمد خليل الخطيب ... ٧٤
الكسب الحلال والمصرف الحلال ... ... فضيلة الشيخ عبد الحكيم سرور ... ٧٦
قراءة القرآن ... ... الدكتور بدوى طبانة ٧٩
الاسلام دين التوحيد والمساواة ... ... الاستاذ أحمد وافى ٨٢
من أخلاق القرآن ... ... فضيلة الدكتور أحمد الشرباصى ... ٨٤
على بن أبى طالب القاضى والمفتى ... ... المستشار عبد الستار آدم ٨٧
الرسول القائد ... ... الاستاذ رجائى عطية ٨٩
من هدى الرسول ... ... الاستاذ الرفاعى الباز ٩٥
الاسلام يسالم من يسالمه ... ... الشيخ محمد حافظ سليمان ٩٧
مع القرآن الكريم ... ... الدكتور عبد الله محمود شحاتة ... ١٠٠
سجود التلاوة ... ... الاستاذ محمد فاوى عسر ١٠٢
لا عدوان فى الاسلام ... ... الاستاذ فتحى أحمد مصطفى ١٠٤
حسن الجوار ... ... الاستاذ محمود السعيد الطنطاوى ... ١٠٧
الشريعة الاسلامية كمصدر للتشريع ... ... المستشار فتحى عبد الصبور ١٠٨
الاسلام والحضارة العالمية ... ... الاستاذ محمود أبو الفيض المنوفى ... ١١٠
المسلم فى بطولة الفداء ... ... فضيلة الشيخ عطية صقر ١١٣
مآثر الدولة العباسية على العلم والعلماء ... الاستاذ محمد عبدالجواد الاصمعى ... ١١٥
الاجماع ورأى الاصوليين ... ... الاستاذ عبد السميع البطل ١١٦
بقية معالم الطريق ١١٨

التاريخ الاسلامى :

ماذا تعرف عن العالم الاسلامى دوله وشعوبه الدكتورة عنايات الطحاوى ١٢٨
قضية فلسطين من بدايتها الى ذروتها ... الاستاذ عثمان عبد السميع العدل ... ١٣٢

فكر وفن :

معالم على طريق النصر ... ... فضيلة الشيخ أحمد البسيونى ... ١٣٦
الظلم ظلمات يوم القيامة ... ... الاستاذ عبد السلام الشاذلى القوصى ١٣٩
نساء فى مدرسة الرسول ... ... الاستاذ عبد المنعم حمادة ١٤١
من التراث الفنى الاسلامى ... ... الدكتور حسن الباشا ١٤٥
رجال صنعوا التاريخ ... ... الاستاذ محمود الهجرتى ١٥٠
منارة فى شدوان [قصة العدد] ... ... الاستاذ محمد أبوالخير محمد ١٥٢
دين ودنيا ... ... الاستاذ محمد المتولى النظامى ... ١٥٦
وقفات اسلامية ... ... الاستاذ عبد الحكيم النجار ١٥٩
فلسطين [قصيدة] ... ... الشاعر أحمد عثمان المراغى ١٦٠
حديث مقاتل [قصيدة] ... ... الشاعرة روحية القلينى ١٦١
اخلاقيات القتال عند الصهيونية ... ... الاستاذ محمد حسن عبد العزيز ... ١٦٢
الايمان والعمل ... ... الاستاذ عبد الرحمن السحترى ... ١٦٧
على مشارف القرن الخامس عشر الهجرى ... الاستاذ انور الجندى ١٦٩
الاسرة العالمية الكبرى ... ... فضيلة الشيخ حسن صالح ١٧٣
قطوف ... ... الاستاذ على الجندى ١٧٦
العمل شرف وجهاد فى سبيل الله ... ... الاستاذ مهدى عبد الحميد مصطفى ... ١٧٩
مع العيد القومى لمحافظة الدقهلية ... ... اعداد يسرى مخلوف ١٨١
البطولة والفداء ... ... الاستاذ محمود كمال ١٩٠
كلمة حول مهمة لجان المعركة ... ... الاستاذ محمد دياب ١٩٢
ملحمة السيرة النبوية ... ... فضيلة الشيخ الصاوى شعلان ... ١٩٥

باب العلم :

دلائل الحق فى عظمة الوجود ... ... الدكتور عزت محمد خيرى ١٩٨
وفى انفسكم أفلا تبصرون ... ... الدكتور عبد الحليم كامل ٢٠٠

اعلام الاسلام :

امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه الاستاذ محمد فتحى محمود ٢٠٤
الحسين بن على رضى الله عنه ... ... الاستاذ عبد المنعم حسن الادفوى ... ٢١٠
صهيب بن سنان ... ... الاستاذ صلاح عزام ٢١٢
ابو الاسود الدؤلى ... ... الدكتور عبده بدوى ٢١٥
سيدى ابراهيم بن ادهم ... ... الاستاذ جودة محمد أبو يزيد المهدى ٢١٦
الشهيد محمد عزالدين القسام ... ... الاستاذ ابراهيم الفحام ٢٢٠
شيخ الاسلام محمد بن على الشوكانى ... الاستاذ قاسم غالب أحمد ٢٢٣
محمد اقبال ... ... الاستاذ على الجمبلاطى ٢٢٦

المكتبة الاسلامية :

اللاشرعية فى الكيان الاسرائيلى ... ... عرض وتقديم فتحى الابيارى ٢٣٠
السيد رشيد رضا صاحب المنار ... ... عرض وتقديم الدكتور عبد الحسيب طه ٢٣٢

الافتاء — المراة المسلمة — مع القراء — بريد التعارف :

انت تسال والمفتى يجيب ... ... فضيلة الامام الاكبر الدكتور محمد الفحام ٢٣٦
المراة المسلمة ... ... اعداد نجاة الزنيرى ٢٤٠
ابناؤنا وبناتنا بعد الامتحان ... ... الاستاذ ناصف سليم ٢٤٣
مع القراء ... ... اعداد الاستاذ فؤاد هيبة ٢٤٥
بريد التعارف ٢٤٦

بسم الله الرحمن الرحيم

المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

لجنة القرآن المرتل

نزولا على رغبة المواطنين واستجابة لآلاف الطلبات والخطابات التى وردت للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية من السفارات والهيئات المختلفة والجمعيات الإسلامية فى قارتى إفريقيا وآسيا وبعض دول أوربا وأمريكا اللاتينية

يسر لجنة القرآن المرتل أن تعلن عن بيع :

اسطوانات القرآن المرتل

رواية حفص عن عاصم
٤٤ اسطوانة بسرعة ٣٣ ⅓ لفة فى الدقيقة

ترتيل الشيخ محمود خليل الحصرى

	مليم	جنيه
بالغلاف الفاخر	٧٩٦	٢٣
بالغلاف العادى	٣٢٢	١٩

رواية ورش عن نافع
٦٨ اسطوانة بسرعة ٣٣ ⅓ لفة فى الدقيقة

ترتيل الشيخ محمود خليل الحصرى

	مليم	جنيه
الثمن :	١٥٠	٣٥

كما يسر اللجنة أيضا أن تعلن عن بيع مجموعة اسطوانات تعليم الصلاة باللغات العربية والإنجليزية والفرنسية والأوردية والسواحلية

٧ سبع اسطوانات
المجموعة تحتوى على

الاسطوانة الأولى : شاملة الأذان
الاسطوانة الثانية : تشمل كيفية الوضوء
والخمس اسطوانات الأخرى :
على كل اسطوانة صلاة من الصلوات الخمس وأمام كل اسطوانة كتيب يشرح كل فريضة بالكلمة والصورة

الثمن ٥٠ خمسون قرشا

كما يسر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية أن يعلن عن بيع

مطبوعاته باللغة العربية واللغات الأجنبية

١ مطبوعات لجنة القرآن والسنة
٢ مطبوعات لجنة موسوعة الفقه الإسلامى
٣ مطبوعات لجنة إحياء التراث الإسلامى
٤ مطبوعات لجنة إحياء أمهات كتب السنة
٥ مطبوعات لجنة التعريف بالإسلام

خصم خاص للمؤسسات والهيئات والمكتبات

مقر البيع الوحيد بالقاهرة :
٣ شارع الأمير قدادار : خلف عمارة بحرى بميدان التحرير
مواعيد العمل :
من ٩ صباحا الى ٢ ظهرا
ومن ٦ مساء الى ٨ مساء

العنوان
القاهرة : مخازن القرآن المرتل ٧٦ ش الجمهورية ت ٩١١٧٠٨
الاسكندرية : فرع المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ٢٤ ش سعد زغلول ت ٣٨٦٦٢

مواعيد البيع : من الساعة ٩ صباحا - ٢ مساء ومن الساعة ٥ - ٩ مساء ماعدا أيام الجمع والعطلات الرسمية

مطابع الأهرام التجارية